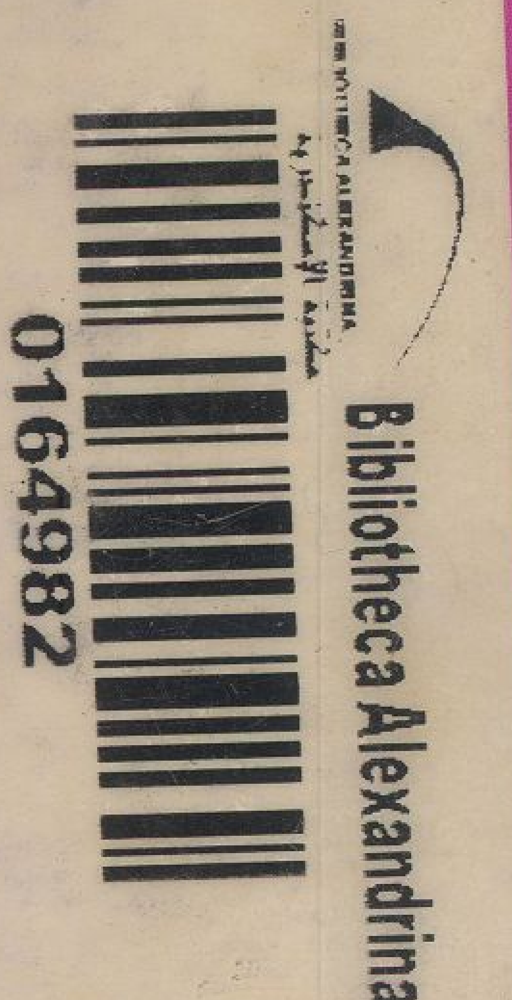
دار الثقافة

يسوع والأناجيل الأربعة

جون و. درين



يسوع والأناجيل الأربعة

تأليف

جون و. درين

John W. Drane

ترجمة

نكلس نسيم سلامة



طبعة أولى

يسوع والأناجيل الأربعة
صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٧٨٠ ط١/١-١/ ٩٩
رقم الإيداع بدار الكتاب: ٣٤٤٣/ ٩٩
ISBN 977 - 213 - 465 - 9
جمع وطبع بمطبعة سيوبرس
تصميم الغلاف: سها ناجى

مقدمة الدار

يتكلم هذا الكتاب عن يسوع كما عرفناه عن طريق الأناجيل الأربعة. ولكن بمنظور عميق وتحليل لاهوتى ينظر للأحداث من جوانب مختلفة، تعطى للقارىء أفاقاً واسعة للتفكير والتأمل.

إن قصة يسوع ليست بالبساطة التى نعرفها بها، ولكن توجد تساؤلات كثيرة حولها تتطلب إجابات تشبع النفس والعقل. وهذا الكتاب يساعدك عزيزى القارىء على التعمق فى شخصية يسوع ورسالته وإنسانيته ولاهوته وأقواله.

كما يتطرق الكتاب إلى الأناجيل الأربعة، كوثائق تاريخية، والآراء المختلفة نحوها.

دار الثقافة تقدم هذا الكتاب فى اللغة العربية، إيماناً منها بأنها تقدم كتاباً عميقاً عن الرب يسوع في أناجيله الأربعة.

دار الثقافة

محتويات الكتاب

مقدّمة

يتناول هذا الكتاب شخص الرب يسوع. كما أنه يتناول أيضاً أناجيل العهد الجديد الأربعة التي تُحدثنا عن حياته الرائعة وتعليمه السامي .

ولسوف نبدأ الكتاب بفحص الإطار التاريخي لعمل يسوع، وبعد ذلك نعرض لبعض الأجزاء الهامة من تعاليمه. وفي القسم الأخير من الكتاب نتناول الأناجيل ذاتها، من الذين كتبوها ؟ ولماذا كتبوها على هذا النحو ؟ وهل يمكننا الإيمان بما قالوه لنا عن يسوع ؟ .

يركّز هذا الكتاب على موضوعات بعينها، ولا يقدّم لنا سيرة ذاتية ليسوع، أو شرحاً لنصوص الأناجيل. ولهذا فإنه من المهم أيضاً قراءة الأناجيل، ذلك أنها تقدّم لنا الإطار الضروري لفهم القصّة والأسانيد التي عُرضت هنا .

كثيرون لا يقبلون على قراءة الكتاب المقدس حيث يعتبرونه غير واضح، ولغته صعبة الفهم. إلا أنه إذا ما قُرىء من ترجمات حديثة فلن تكون هناك صعوبةً، بل ستقرأه وكأنك تقرأ صحيفة يومية عادية. والشواهد التي تضمنّها هذا الكتاب مأخوذة بشكل رئيسي من ترجمات RSV وGNB وهي من الترجمات التي تُقرأ بسهولة .

وإننا لا نبالغ عندما نؤكد على ضرورة قراءة الأناجيل، لأنه إذا كانت هذه القصص حقيقية، فإنها والحال هذه تقدّم لنا شخصية لها أهميتها الشديدة حتى إنه ليس في وسعنا أن نتقبل بكل بساطة رأياً من شخص آخر وبطريقة غير مباشرة. لأنه من الضروري أن نصل بأنفسنا إلى الحقائق .

الباب الأول
المخلص الموعود به من الله



الفصل الأول

عــالــم يســوع

كيف كانت تبدو ملامح يسوع ؟ لابد وأن هذا السؤال خطر على بال كل واحد منا. ومن المحتمل أنه كانت في ذهن الغالبية منا صورة للشبه الذي كان عليه يسوع. وإذا كان لقاؤنا الوحيد بالمسيحية يأتي عن طريق زيارة لإحدى الكاتدرائيات العظيمة، أو حتى لكنيسة على زاوية الشارع، فلسوف نتخيله كشخص تحيطه هالة من القداسة في زجاج ملون لإحدى النوافذ. أو قد يبدو لنا كنوع من الأوهام التي تعيش في عالم الخيال. وهذا أمر له أهميته بالنسبة لمعتقدات المسيحيين، ولكنه لا يمثل شيئاً بالنسبة لاهتمامات الحياة اليومية.

ولكننا – من ناحية أخرى – إذا ما فتحنا العهد الجديد بدافع من الفضول وقرأنا فيه أن يسوع كان نجاراً، فلسوف يتكون لدينا انطباع مختلف تماماً عن يسوع. ذلك أنه طبقاً لما جاء في الأناجيل فقد قضى يسوع معظم حياته كعامل عادي.وربما أكثر من مجرد عامل يشتغل بالخشب. ذلك أن
مرقس ٦ : ٣ القصص التي كُتبت عنه رواها أناس يتكلمون اليونانية، والكلمة التي استخدموها لوصف مهنته يمكن أن يُفهم منها بسهولة أنه كان عامل بناء، يستخدم الحجارة أيضاً في عمله.

وثمة صورة تختلف اختلافاً طفيفاً تبرز لنا إذا ما أعدنا التأمل في القصص التي تضمنها العهد الجديد عن حياة المسيح، ذلك أننا على سبيل المثال سنكتشف أنه كان يكره العنف بجميع صوره وأشكاله، بل أنه قال لأتباعه :
مت ٥ : ٣٩ "لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً". ومع ذلك، كان يسوع رجلاً ذا شجاعة فائقة، ولقد تحمّل في جَلَد أبشع نوعيات التعذيب والإعدام التي وصل إليها تفكير الإنسان .

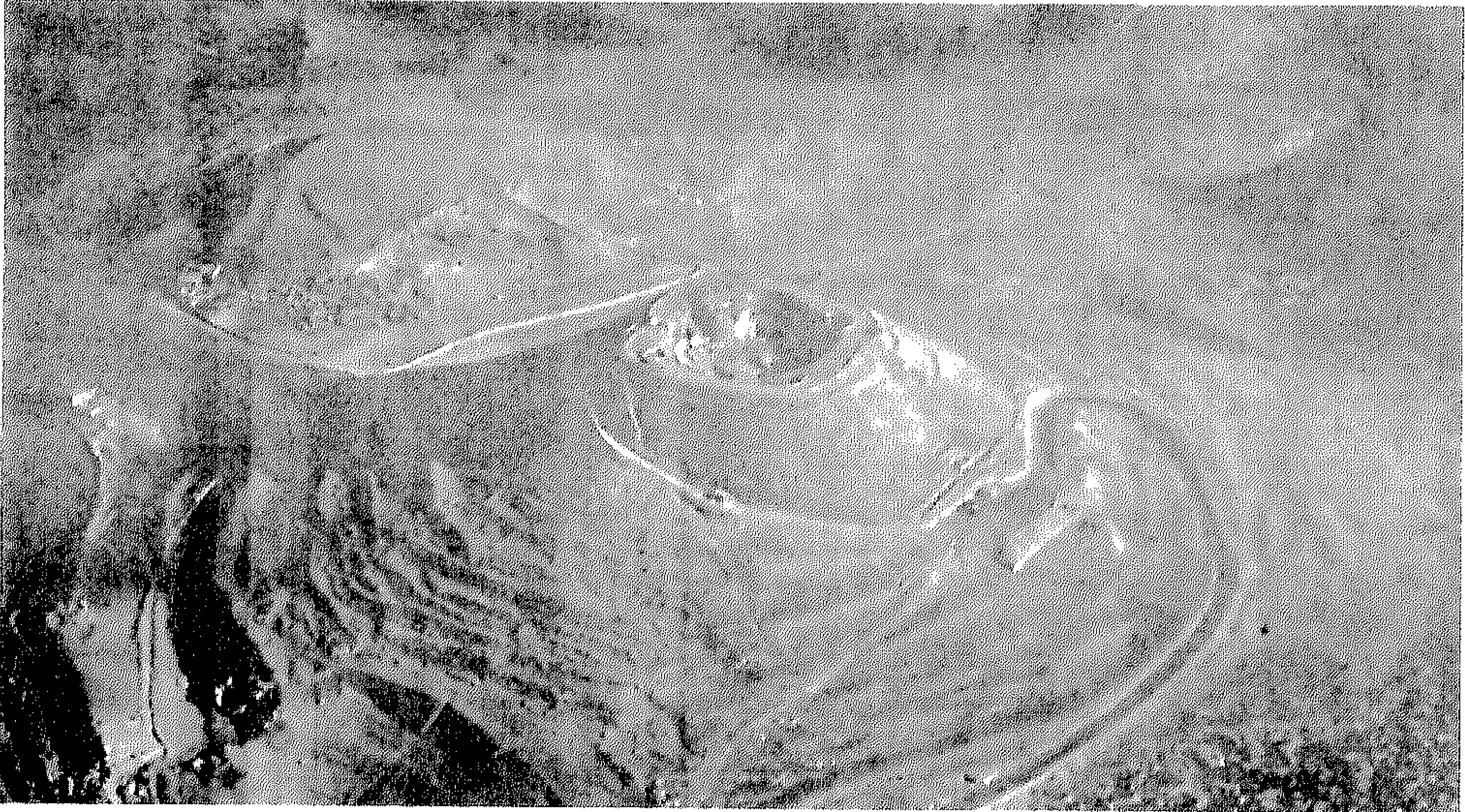
والحقيقة أنه إذا ما كنا نفكّر في المظهر الذي كان يبدو عليه يسوع من الناحية البدنية، فإننا لا نعرف شيئاً عنه على الإطلاق من هذه الناحية. أما إذا كنا نفكر في سماته الشخصية، فإن هذا يعتمد إلى حد كبير جداً على الجزء الذي نتناوله من حياة يسوع، وكذلك على نوعية شخصيته. غير أنه هناك أمراً واحداً بمقدورنا أن نكون على يقين منه. وهو أن خلفيته وأسلوب حياته لا يمكن أن يختلفا إلى حد كبير عن خلفية وأسلوب حياة أي شخص آخر كان موجوداً في ذلك الحين في هذا الجزء من العالم الذي نطلق عليه الآن "الشرق الأوسط" . وعلى هذا، وقبل أن ننتقل إلى أية نقطة أخرى في موضوعنا، ترانا في حاجة إلى أن نسأل بعض الأسئلة القليلة عن نوعية العالم الذي عاش فيه يسوع بالجسد. وحيث إن بعض بلدان الشرق الأوسط كانت لها – على أيام يسوع – أسماء تختلف عن تلك التي نعرفها بها اليوم، فإنه يجب علينا أن ننظر أولاً إلى خريطة ثم نقارنها بخريطة أخرى حديثة .

لقد تغيّرت الأسماء، إلاّ أن غالبيتنا يشعر بألفة مع العالم في أيام يسوع. فالعنف والاضطهاد، والتفرقة العنصرية، والاستبداد والاستغلال والديكتاتورية، والظلم الاجتماعي، كل هذه المشاكل كانت مألوفة لشعوب الإمبراطورية الرومانية منذ ألفي عام مضت تماماً على النحو الذي نعرفها به في أيامنا هذه، فيما عدا أن الغالبية منا لا يعرفون عن هذه الأمور سوى أنها مُثُل ومفاهيم نتحدّث عنها إلا أننا لم نختبرها بأنفسنا. أما في فلسطين، وفي أيام يسوع، فكانت تمثل الحقائق الرئيسية للحياة اليومية .

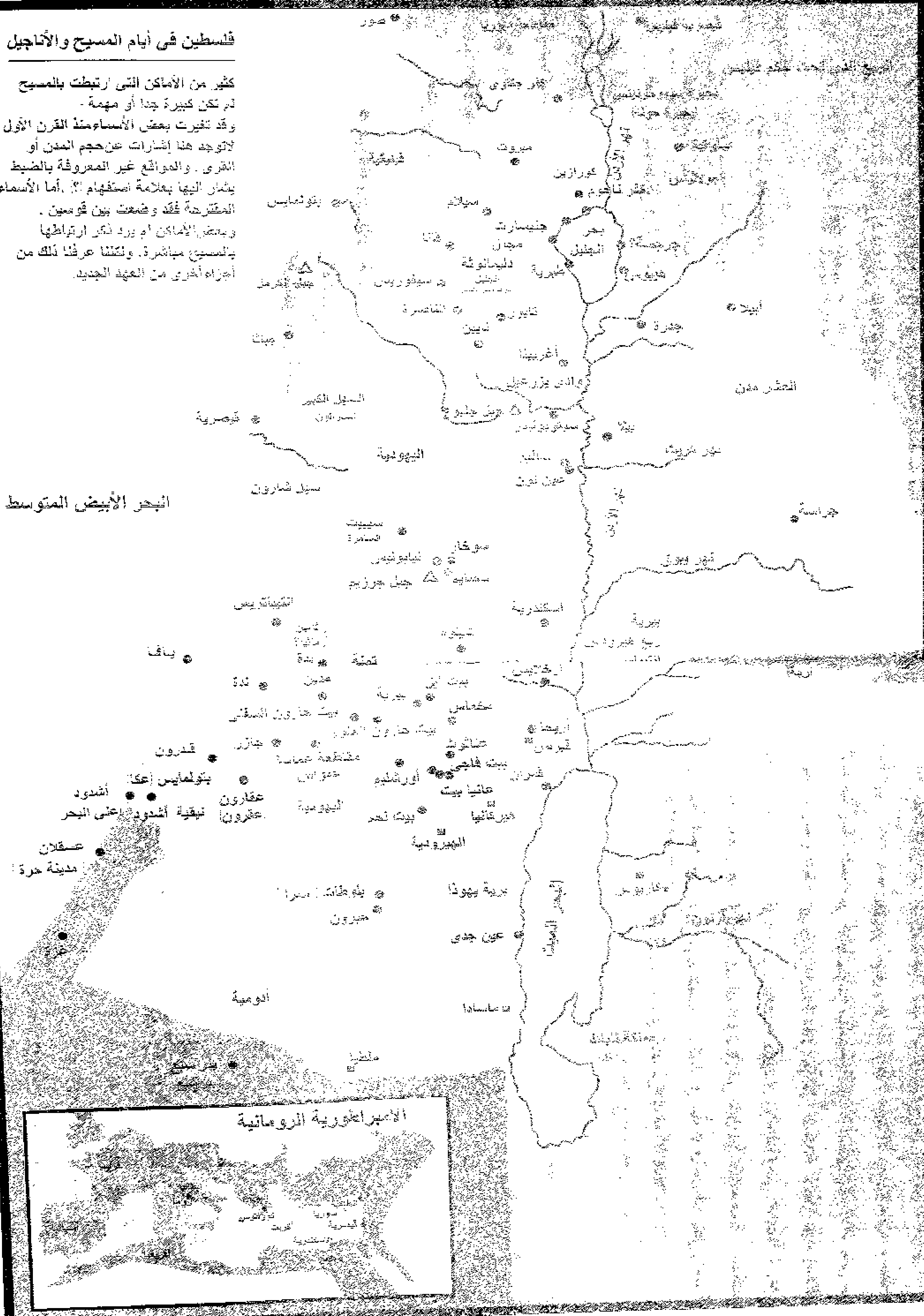
هيرودس الكبير: حين وُلد يسوع، كان هيرودس الكبير حاكماً لفلسطين، وهي دولة تقع على الحدود الشّرقية للإمبراطورية الرومانية، وكانت – على الرغم من صغرها – تتمتع بأهمية استراتيجية. وقد عيّنه الرومانيون ملكاً على اليهودية سنة ٣٧ ق.م. وقصة وصوله إلى السلطة، بل والواقع قصّة بقيّة حكمه، هي قصة تقليدية للخيانة والقسوة. فهو كملك، جمع بين خليط غريب من الذكاء

متى ٢ : ١٦ الدبلوماسي، مع غباء لا يكاد يُصدق. ثم إن القصّة التي تتحدّث عن كيفية اغتياله لأطفال بيت لحم بعد ميلاد يسوع ـ على الرغم من أننا لا نجدها في أية مصادر أخرى ـ إلا أننا نراها تنسجم تماماً مع شخصيته وخُلقه وسلوكه. فكل من كان يعارض سياسته ما كان له أن يتوقّع سوى أن يلقى ميتة رهيبة. ومثل كثيرين من الطّغاة الذين هم على شاكلته، لم يكن يتردد إطلاقاً عن قتل حتى أقرب أفراد عائلته . فإحدى زوجاته وهي "مريمنة" تم إعدامها بناء على أوامره، كما أنه اشترك في قتل اثنين من أبنائه هما : اسكندر وارستبولس. وقبل موته بخمسة أيام فقط، في عام ٤ ق.م.، أمر بقتل واحد آخر من أولاده، وهو أنتيباتر، والذي كان من المتوقع أن يخلفه .

قلعة هيرودس ٧م/١٢كم جنوب أورشليم، وقد بناها هيرودس الكبير في الفترة ما بين ٢٤، ١٥ ق.م. وتقع في المنطقة التي حقق فيها واحداً من أهم انتصاراته على الحشمونيين سنة ٤٠ ق.م.



كثير من الأماكن المرتبطة بيسوع لم تكن كبيرة جدًا أو ذات أهمية وقد تغيّرت بعض الأسماء منذ القرن الأول. ولا نجد هنا إشارات إلى الأحجام



فلسطين فى أيام المسيح والأناجيل

كثير من الأماكن التى ارتبطت بالمسيح لم تكن كبيرة جدا أو مهمة.
وقد تغيرت بعض الأسماء منذ القرن الأول لاتوجد هنا إشارات عن حجم المدن أو القرى. والمواقع غير المعروفة بالضبط يشار اليها بعلامة استفهام (؟). أما الأسماء المقترحة فقد وضعت بين قوسين.
وبعض الأماكن لم يرد ذكر ارتباطها بالمسيح مباشرة، ولكننا عرفنا ذلك من أجزاء أخرى من العهد الجديد.

الخاصة بهذه المدن والقرى. والمواقع غير المعروفة على وجه التحديد وُضع أمامها علامات استفهام (؟)، أما الأسماء البديلة فقد وُضعت بين قوسين. وبعض الأماكن المذكورة هنا ليس لها علاقة مباشرة بيسوع، ولكنها معروفة من أجزاء أخرى من العهد الجديد.

ومع ذلك فإن هيرودس الكبير، لم يُدع "الكبير" اعتباطاً. فعلى النقيض من الحكّام السابقين تمكّن هيرودس من حفظ السلام والنظام في مقاطعته. كما كان مسئولاً أيضاً عن برنامج ضخم للبناء والتشييد. فهيرودس الكبير هو الذي بدأ بناء الهيكل في أورشليم، والذي لم يكن قد تم الانتهاء من بنائه أيام حياة يسوع. كما أنه شيّد الكثير من المباني الفخمة الأخرى في أورشليم وقيصرية، وفي مدن رومانية أخرى خارج مقاطعته .

ثلاثة باسم هيرودس:

حين مات هيرودس الكبير سنة ٤ ق.م. قسّم الرومانيون مملكته بين أولاده الثلاثة المتبقّين، وكان هناك استثناء واحد، وهو أنه لم يكن أي منهم أفضل من أبيه .

● اليهودية: وهي ذلك الجزء من فلسطين الذي كان يتضمن أورشليم، وقد أُعطى لابنه أرخيلاوس. ولم يُسمح له بأن يطلق على نفسه لقب "ملك" اليهودية، وهو اللقب الذي كان يُطلق على أبيه، ولذلك أُطلق عليه لقب "حاكم". ولم يستمر في الحكم سوى عشر سنوات فقط، ثم خلعه الرومان من وظيفته. وفي سنة ٦م، أصبحت اليهودية مقاطعة من الدرجة الثالثة تابعة للإمبراطورية الرومانية، يحكمها موظف من طبقة الفرسان، كان هو نفسه تحت إمرة حاكم سورية الروماني. وحكّام اليهودية الرومانيون هؤلاء أُطلق عليهم فيما بعد لقب "ولاة". وأكثرهم معرفة لدينا هو بيلاطس البنطي، الذي حكم اليهودية من سنة ٢٦ إلى سنة ٣٦م .

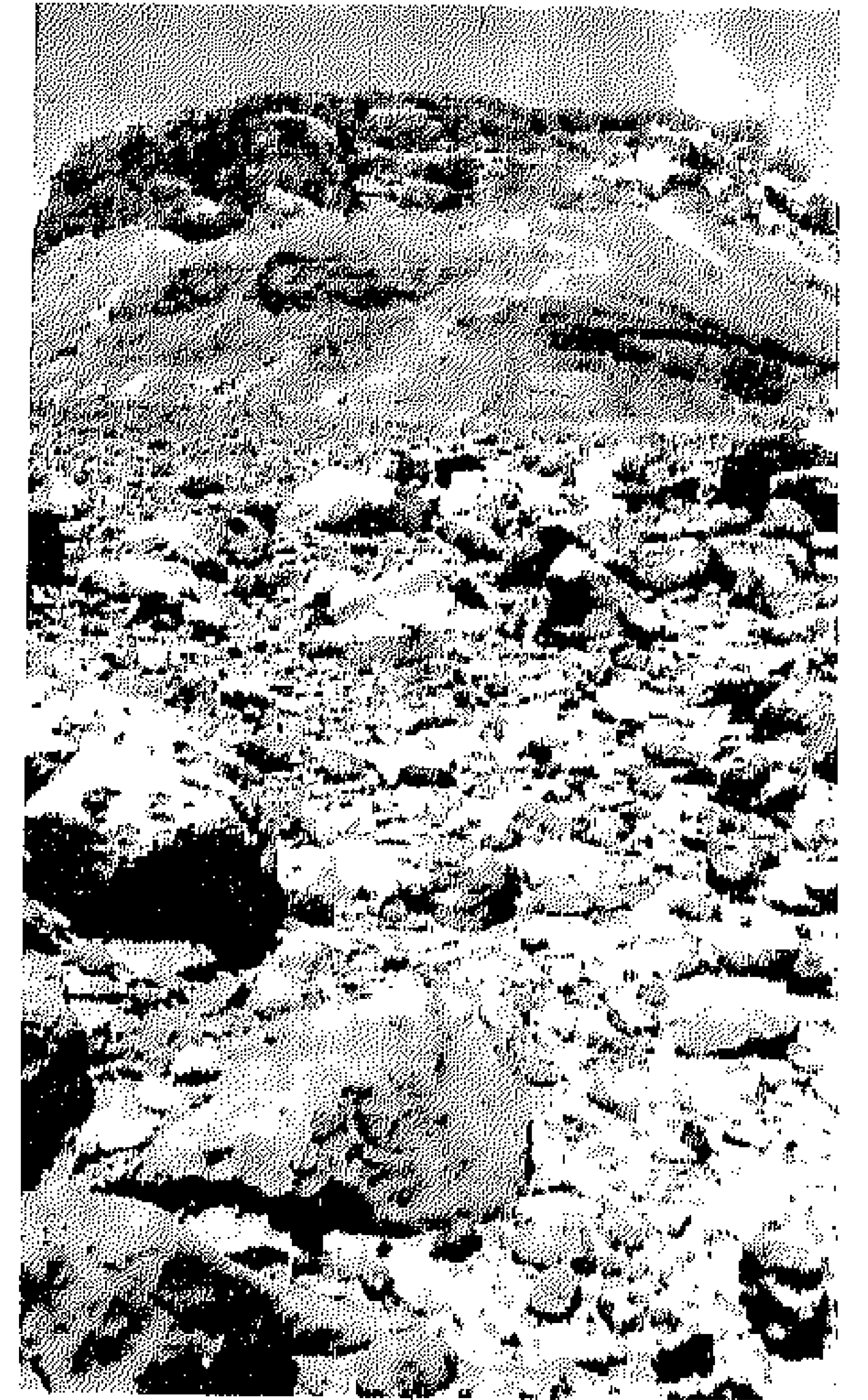
● الجزء الشمالي من فلسطين أُعطي لأنتيباس، وهو من أبناء هيرودس. وكان يُعرف بلقب "حاكم" (أو رئيس الربع) على الجليل وبيرية. وكانت منطقته تتضّمن قرية الناصرة التي تربّى فيها يسوع. وكان أنتيباس يشبه أباه تماماً. وكان بارعاً يهوى عيشة الترف. وبغيته أن يخلد لنفسه اسماً فاهتم بتشييد المباني العامة. ومن بين مشروعاته إعادة بناء سيفوريس، وهي مدينة لا تبعد عن الناصرة سوى أربعة أميال فقط. كما أنه بنى مدينة طبرية على بحر الجليل، وقد أطلق عليها هذا الاسم تكريماً للإمبراطور الروماني طيباريوس. وهيرودس أنتيباس هو الذي أمر بقطع رأس يوحنا المعمدان، كما اشترك في محاكمات يسوع .

مرقس ٦ : ١٧ - ٢٩

لوقا ٢٣ : ٦ - ١٢

● وأخ ثالث، وهو فيلبس، أخذ بعض الأراضي الواقعة شمال شرقي فلسطين إثر موت والده. وقد أسس مدينة قيصرية فيلبس عند سفح جبل حرمون. ودون جميع أبناء هيرودس الكبير، كان فيلبس هو الوحيد الذي أثبت أنه حاكم متّزن ويعرف الرحمة. وقد ظل في وظيفته "رئيس الربع" على أيطورية وتراخونيتس حتى عام ٣٤م .

تبّين الصورة بقايا مسادا Masada آخر قلعة حصينة قاومت الرومانيين عام ٧٠م، وتقع على مقربة من الطرف الجنوبي للبحر الميّت.



وبعد أن استُبدل أرخيلاوس بحاكم روماني، قامت ثورات كثيرة ضد الرومان في اليهودية : فقد زاد إحباط اليهود لعدم تمكّنهم من القيام بإدارة شئونهم. أما الرومان فقد أصبحوا أقل اهتماماً من ناحية محاولة فهم المشاكل الخاصة بالشعب اليهودي. ونتيجة لأعمال القمع والفساد من جانب كثيرين من الحكام الرومانيين، وزيادة تيّار القومية اليهودية فقد انتهى الأمر بقيام انتفاضة عامة سنة ٦٦م. وقد تم إخماد هذه الانتفاضة في النهاية حين تم تدمير أورشليم إلى حد كبير على يد القائد الروماني تيطس سنة ٧٠م .

اليهود والرومانيون:

كان من الطبيعي أن يستاء يهود فلسطين من سيطرة الرومان عليهم.فمن سبق له أن ذاق الحرية يجد أنه من الصعب عليه أن يتقبل وضعاً تسوده الدكتاتورية المستبدة. إلا أن الأمر بالنسبة للشعب اليهودي يتضمن

أكثر من ذلك بكثير. فقناعة هذا الشعب كانت تقوم على أساس دينهم، الذي كانت له سمة خاصة. ذلك أن الدّيانة اليهودية، على النقيض من كثير من الديانات الأخرى، لم تكن تقتصر فحسب على الاهتمام بالفرد كعابد لله وعلاقته به، بل إن اليهودية كانت ديانة أمّة. فكون الشخص يهودياً كان أمراً له أهميته السياسية والدينية أيضاً .

حكم الرومانيون إسرائيل في القرن الأول، وعسكرت جيوشهم هناك لحفظ النظام وإحكام قبضتهم عليها.

وفيما كان اليهود يقرأون كتاباتهم المقدسة (التي يسميها المسيحيون العهد القديم) كانوا يؤمنون بأنهم اختيروا على وجه الخصوص من الله. ولسوف يأتي يوم يحكمون فيه العالم تحت قيادة المخلص الموعود به من الله، والذي يطلقون عليه اسم "المسّيا". وجاء وقت توقعوا فيه أن ذلك سيتحقق في المجرى الطبيعي للتاريخ .



ذلك أنهم على عهد الملك داود والملك سليمان، وكان ذلك قبل ميلاد يسوع بألف سنة تقريباً، كانوا قد أصبحوا من بين القوى العظمى في العالم. بل وفي عهود أحدث من ذلك بكثير كانوا يشكّلون قوة يُعمل لها ألف حساب. إلا أنه كان من الواضح لمعظم اليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين أيام يسوع أن أمراً خارقاً للطبيعة لابد أن يحدث إذا كان لهم أن يتحرّروا يوماً من قبضة الرومان الحديدية .

وفي الوقت ذاته لم يكن جميع اليهود يريدون التحرّر من حكم الرومان ذلك أنه كانت هناك بعض قطاعات المجتمع في فلسطين ممن كانوا يرون أنه من الأفضل لهم أن يكونوا على علاقة صداقة مع الرومان، بل إنه حتى بين أولئك الذين كانوا يرون أن الحرية أمر مرغوب فيه، كان هناك كثيرون منهم ممن لم يبذلوا أي شيء في سبيل الحصول على هذه الحرية .

ومن المهم أيضاً أن نتذكر أنه ليس جميع اليهود كانوا يعيشون في فلسطين نفسها. والواقع أن اليهود الذين كانوا يعيشون في المدن الكبرى في الإمبراطورية الرومانية كان عددهم يفوق كثيراً عدد من كانوا يعيشون في الوطن. فاليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين لم يكن عددهم يتجاوز خُمس عدد اليهود على مستوى الإمبراطورية كلها، بل إن عدد اليهود في أورشليم نفسها ربما كان أقل من عدد اليهود الذين يعيشون في مدينة الإسكندرية في مصر.

ولابد أن معظم الشعب اليهودي كان قد اعتاد تماماً جميع النواحي المتعلّقة بحياة الرومانيين ومجتمعهم. ومن المؤكد أن معظم من كان منهم يعيش خارج فلسطين في الشّتات (السبي)، نسّقوا أسلوب حياتهم ليتناغم مع الظروف التي كانوا يعيشون فيها. ومن المؤكد أنهم كانوا دائماً يدركون حقيقة أنهم يهود، ومن ثم حاولوا المحافظة على تلك السمات الخاصة بثقافتهم القومية التي تميزهم بكل وضوح عن جيرانهم من غير اليهود. فالختان، وحفظ السبت، وشرائع العهد القديم المتعلقة بالطعام، هذه وأشياء كثيرة أخرى، كانت تكشف للعالم الروماني أن اليهود مختلفون عن غيرهم من الشعوب. ولكن على الرغم من هذا الاختلاف فهناك كثيرون منهم لم يكونوا يريدون حقاً أن يستبدلوا الحياة المريحة التي كانوا ينعمون بها كطبقة محترمة في مدينة رومانية، بحياة في فلسطين نفسها أقل رخاءً حتى لو كانت أكثر إثارةً.

وعلى هذا، فإننا حين نتحدّث عن يهود فلسطين فإننا في واقع الحال نتحدّث عن نسبة صغيرة من الشعب اليهودي ككل. ومع ذلك فإنه حتى بين هذه النسبة الصغيرة نجد مواقف كثيرة متباينة فيما يتعلق بالأمور التي لها تأثير على ديانتهم وعلاقتهم بالرومان الذين كانوا يحتّلون بلادهم .

فلسطين وشعبها:

يخبرنا المؤرخ اليهودي يوسيفوس، الذي عاش في أواخر القرن الأول الميلادي، والذي كان صديقاً للرومان، بأنه كانت هناك ثلاثة آراء رئيسية شائعة بين اليهود في فلسطين : "الفنسفة اليهودية" تأخذ ثلاثة مدارس. أما أتباع المدرسة الأولى فهم "الفريسيون"، والثانية "الصدوقيون"، أما الثالثة، والتي اشتُهرت بأنها أكثرهم انضباطاً فهي جماعة الأسينيين. كما أنه يذكر مجموعة رابعة هي "الغيورون". ولكن، بالنظر إلى أنه لا يذكر هؤلاء دائماً بين الجماعات الفلسفية، فلابد وأنهم شكّلوا رابطة أقل تماسكاً. ومن الواضح أنه لم يكن جميع اليهود أعضاءً في جماعة أو أخرى من هذه الجماعات، تماماً مثلما أنه ليس كل واحد في مجتمعنا عضواً في حزب سياسي. وربما كان لكل جماعة من هذه الجماعات الأربع عضوية صغيرة تماماً، على الرغم من أن رجل الشارع العادي كان يتطّلع إلى أن تتولى إحداها القيادة. ونحن نقرأ عن ثلاث من هذه الجماعات في القصص التي تتناول حياة المسيح، وهم الصدوقيون والفريسيون والغيورون .

• كثيرًا ما يأتي ذكر الصدوقيين في العهد الجديد جنباً إلى جنب مع الفريسيين، إلا أنهما في الواقع جماعتان منفصلتان تماماً وتتناقض آراء كل منهما مع الآراء الأخرى في كل شيء تقريباً. و لم يكن الصدوقيون سوى جماعة صغيرة، إلا أنه كان لهم نفوذ كبير. فقد كانت جماعتهم تتشكّل أساساً من أكثر الكهنة في هيكل أورشليم نفوذاً، و لم يكن من بين أعضائها إلا الطبقات الغنّية من المجتمع اليهودي. وكانوا محافظين متشدّدين في كل شيء، وكانوا يمقتون التغيير في جميع أشكاله ولا سيما التغييرات التي قد تؤثر في وضعهم البارز في المجتمع. وحتى إذا كانوا من الوجهة النظرية يؤمنون بمجيء "مسيا"، إلا أنه بصفة عامة لم تكن لهم أية علاقة بالمجادلات السياسية لأنهم كانوا لا يرون فيها فائدة سوى أنها ستسبّب المتاعب للرومان .

والاسم "صدوقي" ربما يعني "ابن صادوق"، على الرغم من أنه من المؤكد أن الصدوقيين لم يكونوا من أحفاد صادوق الذي ورد ذكره في العهد

٢صم١٥ : ٢٤ - ٢٩ القديم. وقد اقتُرحت معان أخرى للاسم : إما أنه مأخوذ من كلمة عبرية معناها "الاستقامة الأخلاقية" أو "البر"، أو مأخوذ من الكلمة اليونانية "SYNDICIO"، والتي قد تعني "أعضاء المجلس"، ومن المؤكد أن مجلس السبعين اليهودي (السنهدريم) كان يضم من بين أعضائه كثيرين من الصدوقيين.

وإذا ما أعتُبر الصدوقيون كسياسيين محافظين، فإن فهمهم للديانة اليهودية لا يمكن أن يُوصف إلا بأنه جاء في إطار رجعي. وكانوا يقولون إن التعليم الديني الوحيد الذي له سلطان، هو الناموس الذي أُعطى بيد موسى والذي جاء في الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (أي التوراة). ولم يكن لديهم أي وقت بالنسبة لبقية العهد القديم، أو لأي شخص يحاول إعادة تفسيره أو تطبيقه بطريقة مباشرة على موقفهم. وهذا يعني أنهم لا يشاركون اليهود الآخرين بعض معتقداتهم اليهودية والتي ليست واضحة تماماً في التوراة. فالصدوقيون لا يؤمنون بأن لله قصداً من وراء أحداث التاريخ، وكذلك بموضوعات أخرى مثل الاعتقاد بحياة مستقبلية، أو القيامة، أو الدينونة الأخيرة.

الفريسيون : وكانوا يشكلون طائفة أكبر بكثير، وربما كان عددهم أيام يسوع يزيد على ستة آلاف شخص. وكثيرون منهم كانوا يحترفون دراسة العهد القديم، غير أن آخرين منهم كانوا يقومون بأعمال إدارية. وكانوا يشكّلون منظمة قومية، لها عدد كبير من المجموعات المحلّية. وكان لكل مجموعة رؤساؤها وقوانينها، وكان يتم تشكيل مجموعات في معظم المدن والقرى باتساع فلسطين. ومن الناحية الدينية، ربما كانوا يشكّلون أكثر الناس أهميةً في الديانة اليهودية أثناء حياة يسوع. وكان الصدوقيون يكرهون الفريسيين لأنهم كانوا يؤمنون ويعملون أشياءً لا تتفق في الواقع مع الفهم الحرفي لناموس موسى. غير أن الناس العاديين جداً كانوا يكنّون لهم احتراماً كبيراً.

أُقيم الهيكل فوق تل، وقد بنى هيرودس عليه رصيفًا ليجعله مستويًا. وقد غطت مساحته ما يقرب من ٣٥ فدانًا.

قلعة أنطونيا، حيث كان معسكر الجنود الرومانيون.

المباني الرئيسية وكانت محاطة بدرجات وسور آخر.

منطقة الهيكل كانت محاطة بأروقة على أعمدة. وقد كان يسوع يعلم في رواق سليمان (يو١٠: ٢٣).

دار الكهنة.

دار إسرائيل، وهي خاصة باليهود الذكور.

دار النساء. ولم يكن يُسمح لهن بتجاوزه إلى داخل الهيكل.

بدأ هيرودس الكبير بناء الهيكل الرئيسي في أورشليم سنة ١٩ ق.م. وقد استكمل المبنى الرئيسي سنة ٩م، إلا أن العمل استمر بعد ذلك سنوات كثيرة وكان ارتفاعه ضعف ارتفاع هيكل سليمان، وكان يتلألأ بالزخارف الذهبية. هذا هو انطباع أحد الفنانين عما كان عليه الهيكل ككل.

هيكل هيرودس

قدس الأقداس، وكان يعزله عن القدس حجاب. قال إنجيل متى إنه قد انشق ساعة موت يسوع. أما تابوت العهد فكان يوضع هناك أيام سليمان، إلا أنه لم يكن له وجود زمن يسوع.

القدس، حيث كان الكهنة يوقدون البخور بصفة منتظمة.

آنية للغسلات الطقسية.

المذبح الذي كانت تُقدم عليه الذبائح الحيوانية. وقد وصف يوحنا المعمدان المسيح بأنه "حمل الله الذي يرفع خطية العالم".

حوش الأمميين. وكان هذا هو الجزء الوحيد الذي يُسمح لغير اليهود بالدخول فيه. وكان التجّار والصرّافون يعملون هنا، ولكن يسوع طردهم.

وأهم ما يأخذه الصدوقيون على الفريسيين، هو أنهم كوّموا كمية كبيرة جداً من الأحكام والقواعد لكي يشرحوا من خلالها ناموس العهد القديم. وعلى الرغم من أن الفريسيين كانوا يعتبرون العهد القديم هو الدستور الأعلى لحياتهم وإيمانهم، إلا أنهم أدركوا أيضاً أنه لا يطبق بصفة مباشرة على نوعية المجتمع الذي يعيشون فيه. ولكي توجد هذه العلاقة كان يجب تفسيره بطرق جديدة. فالوصايا العشر على سبيل المثال تعلّم الناس حفظ السبت وتقديسه.

خروج ٢٠ : ٨



تبين الصورة مشهداً في أحد شوارع بيت لحم في يومنا الحاضر. فعلى الرغم من أن الأمور قد تغيّرت في الشرق الأوسط، كأي شيء آخر منذ أيام يسوع، إلا أن العادات والملابس ظلّت مماثلة لتلك التي كان يلبسها يسوع أو يعرفها.

ولكن ماذا يعني هذا في الواقع بالنسبة للحياة اليومية ؟ ما الذي يجب على اليهودي التقيّ أن يعمله وما الذي لا يتعيّن عليه أن يعمله في السبت ؟ وكان لدى الفريسيين قائمة بالقواعد التي يردّون بها على هذا السؤال بطريقة عملية .

وإحدى كتاباتهم "Pirke Aboth" تُستهل بالقول : "أقم سياجاً للناموس". وهذا معناه "احموه بأن تحفظوه بقواعد تحذيرية كإنذار لإيقاف الناس قبل الوصول إلى الحالة التي يكسرون عندها نفس الناموس المعطى من الله. وهذا قصد جدير بالثناء. غير أنه ليس هناك شك في أن هذا سوف يؤدي في النهاية إلى أن يضع الفريسيون كثيراً من القواعد التي يصبح معها الناموس عبئاً أخلاقياً بالنسبة للأتقياء، وليس هبة من الله. أما بالنسبة لغير المؤمنين فالكثير منه كان في عرفهم مجرد هراء. فعلى سبيل المثال، لم يكن يُسمح للخياط بالخروج حاملاً إبرته في وقت متأخر من النهار قبل حلول السبت لئلا تظل في جيبه حين يبدأ السبت. ولكنه - كأي شخص آخر - بوسعه أن يتنزّه يوم السبت على أن لا تزيد المسافة عن ألفي ذراع، أي ثلثي
ميل، وهي المسافة التي كانت بين بني إسرائيل وتابوت عهدهم المقدس حين دخلوا كنعان لأول مرة. وهذا ما أصبح يُعرف برحلة السبت وقد ذُكرت في الأناجيل . يشوع ٣:٤

وعلى الرغم من سخافة بعض معاييرهم، إلا أنه ليس هناك شك أن كثيرين من الفريسيين كانوا يحفظون بالفعل هذه القواعد. ويقول يوسيفوس: "إن الشعب في المدن كان يكنّ لهم احتراماً عظيماً، لأنهم يعظون ويمارسون هذه الأفكار الأخلاقية العالية". ولكن يسوع شجبهم على اعتبار أنهم مراؤون، لأنه أدرك أن حفظهم للوصايا والتعاليم المتعصّبة التي وضعوها هم أنفسهم، أصبحت لها أهمية أكثر من اللازم عندهم . متى ٢٣ : ١٣، ١٥، ١٨، ١، ٣

عادات اليهود في العصور القديمة

وشأنهم في ذلك شأن كثيرين غيرهم، بدأوا يساوون بين معرفة الله، والعضوية في جماعتهم، أي أن يكون الشخص فريسياً، وأن يكون الإنسان عضواً في شيعتهم كان يشكّل في النهاية أهمية أكبر من معرفة وصية الله وفهمها. وعلى الرغم من أنهم كثيراً ما يدّعون أنهم يحفظون شريعة الله، إلاّ أنهم كانوا في واقع الحال لا يعملون إلا إلى لفت الانتباه إلى إنجازاتهم الأخلاقية. وهذا أمر يميل إليه جميع المنادين بالأخلاقيات .

أما من وجهة نظر يسوع فإن خطأ الفريسيين الحقيقي يتمثل في أنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يهتم إلا بمطاليب الناموس. والفكر اللاهوتي للفريسيين ليس فيه مكان للإله الذي يعرّفه يسوع بأنه أبوه، إله عطوف ومحب، ويهتم بالزناة والمتسوّلين بأكثر مما يهتم بالمتدينين الذين يتمسكون
مر ٢ : ١٧ بالتقليد. فما من فريسي يستطيع القول مع يسوع :"لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة" .

والفريسيون بالطبع لهم آراؤهم الخاصة بهم بالنسبة لموضوعات أُخرى. ولقد قبلوا سلطة العهد القديم بأكمله، وليس ناموس موسى فقط. وهم على النقيض من الصدوقيين، لم يجدوا صعوبةً في الإيمان بأنه توجد حياة أخرى بعد الموت. وربما توقّعوا أيضاً مجيء "مسّيا" ليصحح أخطاء شعبهم. وعلى الرغم من أنهم لم يشتركوا إطلاقاً في أية ثورة ضد الرومان إلا أنه من المحتمل أنهم كانوا يعجبون بمن يقومون بها .

الغيورون : كانوا أكثر الناس إنهماكاً في مقاومة الرومان بصفة مباشرة. وربما كانوا يشاركون في كثير من معتقدات الفريسيين الدينية، إلا أن اعتقادهم هو أنهم لا يقبلون سيداً سوى الله، ومن ثم يجب طرد الرومان مهما كان السبّب. وطبقاً لما يقوله يوسيفوس، فإن مؤسس شيعتهم هو رجل
حروب اليهود يدعى يهوذا، وهو رجل جليلي قاد ثورة عام ٦م، في ذات الوقت تقريباً الذي خلع فيه الرومان أرخيلاّوس من الحكم. كما يقول لنا أيضاً إن هؤلاء الرجال يتفّقون في كل شيء مع آراء الفريسيين، إلا أنهم كانوا في شغف ونهم للحرية لا يشبعون منها، وهم على قناعة من أن الله وحده هو الذي يجب أن
عادات اليهود ١٨، ١، ٦ يكون سيدهم وربهم .. ولا يُوجد ما يخيفهم ويجبرهم على خلع هذا اللّقب على أي أحد سواه .

وقد استمر الغيورون كحركة فدائية حتى حصار أورشليم سنة ٧٠م، وربما حتى إلى ما بعد ذلك. وواحد على الأقل من تلاميذ المسيح ويُدعى

مرقس ٣ : ١٨ سمعان، كان من الغيورين، وكثيراً ما كان يسود الاعتقاد بأن يهوذا الإسخريوطي كان أيضاً واحداً منهم. غير أن الغيورين الأكثر حماسةً يبدو
مر ١٥ : ٦ - ١٥ أنهم رجال من طراز باراباس، الذي اختارته الجماهير لأن يطلقوا سراحه
أعمال ٢١ : ٣٧-٣٩ حيث فضّلوه على يسوع، وذلك المشاغب الذي خلط مرّةً عن طريق الخطأ بينه وبين بولس.

الأسينيون : وقد ذكرهم كتبة عديدون. فنجد أن فيلو (وهو يهودي من الإسكندرية في مصر، وكان يكتب باللغة اليونانية)، والكاتب اللاتيني بليني، ويوسيفوس، كل هؤلاء تحدثوا عن الأسينيين. ولكن ذكرهم لم يأت بواسطة أي واحد من كتبة العهد الجديد.

هناك كثيرون يعتقدون أن إحدى فرق الأسينيين، هي التي كتبت الوثائق المعروفة باسم "لفائف البحر الميت". وكان المقر الرئيسي لهذه الجماعة في قمران، على مقربة من الركن الشمالي الغربي للبحر الميت. ولقد انسحب أهل قمران من الحياة العادية وعاشوا في شركة معاً في الصحراء، محاولين الحفاظ على تقاليد النقاء الديني والأخلاقي التي اعتقدوا أن بوسعهم أن يجدوها في العهد القديم.



كانت المقاومة المسلحة ضد الرومان من أهداف الغيورين في القرن الأول. وحرب العصابات لا تزال من ملامح الشرق الأوسط. والصورة توضح صبيين فلسطينيين يتدربان على استخدام الأسلحة.

إلا أنه ليس جميع الأسينيين يعيشون على هذا النهج، لأن

يوسيفوس يقول "إنهم لم يكونوا متمركزين في مدينة واحدة، بل استقروا بأعداد كبيرة في كل مدينة". ثم إنه يتحدث عن آخرين الذين – على النقيض من المجموعات التي تتكوّن من الرهبان – كانوا متزوجين مع أنه بذل جهداً ليوضح أنهم نظروا إلى الزواج على أنه مجرد وسيلة لاستمرارية العنصر البشري، كما يوجد دليل مكتوب على أن مجموعة أخرى عاشت في البرّية على مقربة من دمشق، وأن منظمتهم تختلف بشكل طفيف عن تلك الموجودة في قمران .

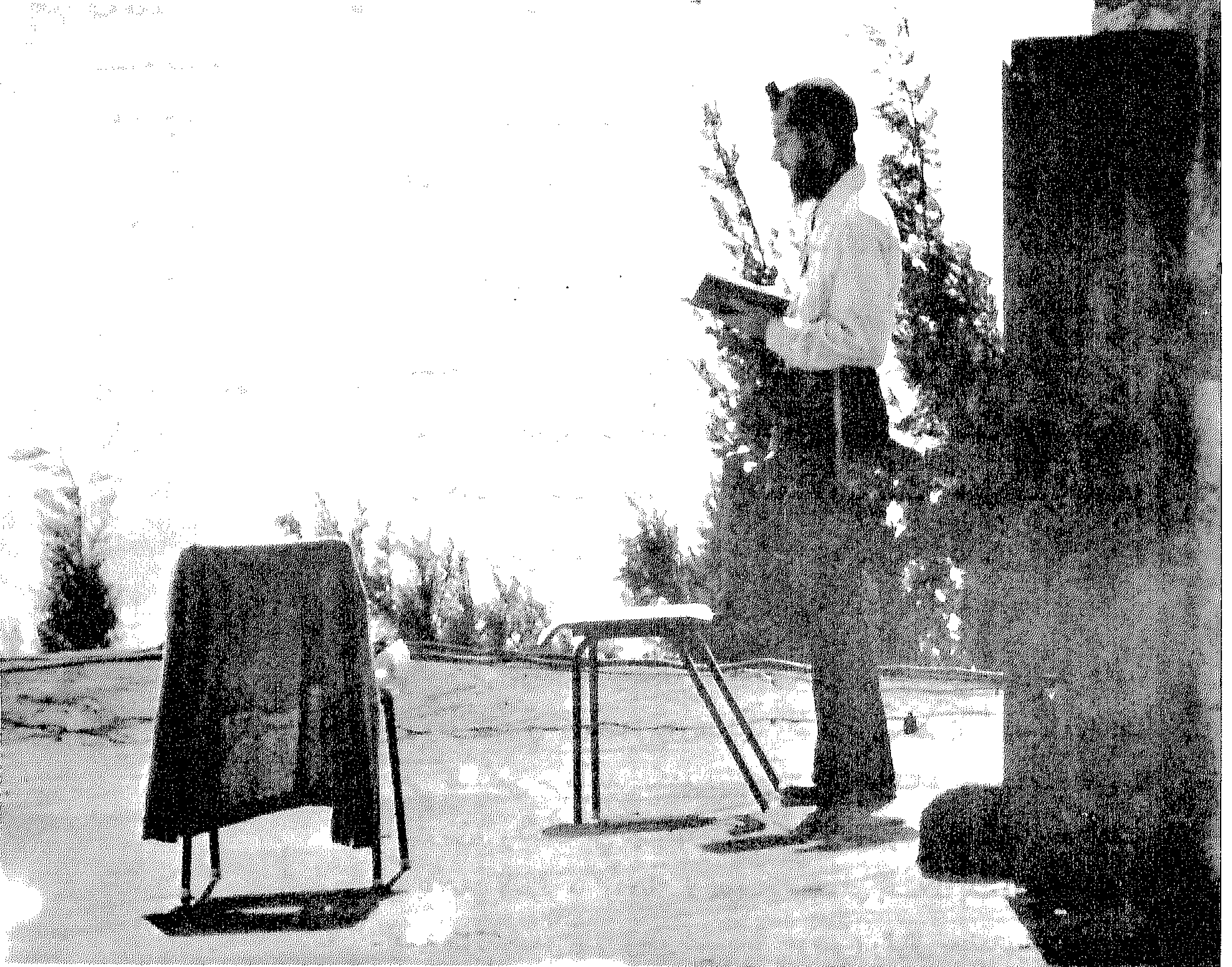
والواقع أنه ما من أحد يعرف العلاقة بين هذه الجماعات ولا كيفية انتسابهم إلى الأسينيين المبعثرين في جميع أنحاء فلسطين. ونحن نعرف الكثير عن جماعة قمران نتيجة اكتشاف كتاباتهم، التي تدعم معظم نقاط القصة التي ذكرها يوسيفوس .

ومن مخطوطات البحر الميت نعرف أن أهل هذه الجماعة كانوا يعتبرون أنفسهم كأقلّية في إسرائيل أنهم أمناء لعهد الله. وكانوا ينظرون إلى الأمّة اليهودية ككل، بل وحتى إلى الهيكل والكهنة في أورشليم، على اعتبار أنهم غير أمناء. وأن قائدهم فقط "معلم البر" وأتباعه الأمناء هم الذين بوسعهم أن يعرفوا أسرار العهد القديم .

وعلى مثال بعض الجماعات الأخرى، كان الأسينيون يتطلّعون إلى يوم تحلّ فيه كارثة في التاريخ. وهنا سيؤكد الله سيادته على العالم، وذلك عندما يقهر الهراطقة الوطنيين والغرباء من الأعداء الغازين مثل الرومان. وهنا فإن أعضاء الشيعة – وليس الأمّة اليهودية كلها – سوف تُعرف بأنها شعب الله المختار. ولسوف يتولون الأمور ويصّححون

أوضاع عبادة الله في هيكل أورشليم. وتوقّع الأسينيون ظهور ثلاثة قادة: النبي الآتي الذي تنبأ عنه موسى، والمسيا الملك الذي سيكون من نسل داود، والمسيَّا الكاهن، والذي ستكون له الأولوية الكبرى .

يهودي أرثوذكسي حديث يصلي على أحد الأسطح. والتميمة التي على جبهته تضم مقتطفات من شريعة العهد القديم.



وعلى هذا يجب أن يكونوا في حالة استعداد دائم لهذه الأحداث، وطائفة الأسينيين في قمران يمارسون الكثير من الغسلات الطقسية. وكل شيء كانوا يعملونه كان له مغزى ديني. وحتى وجباتهم اليومية كانت تشكل تطلّعاً للوليمة السمائية والتي كانوا يعتقدون أنها ستكون في نهاية الدهر.

ومع إمكانية استثناء الصدوقيين، فإن كل الجماعات الدينية البارزة في فلسطين أيام يسوع كانت تأمل وتتضرع أن يقوم ا لله بعمل شيء ما في حياة شعبهم. وقد كانت لهم جميعاً أفكارهم الخاصة عما سيعمله، ومتى وكيف سيعمل ذلك. وبعضها مثل جماعة الغيورين، كان أعضاؤها على استعداد على معاونة ا لله حين يرون أن هذا ضروري .

وآخرون، كالفريسيين والأسينيين، كانوا يعتقدون أن ا لله لديه خطّة سبق فأعدها، وهي خطّة لا يمكن أن تتغير أو تُدعم نتيجة أي تدخل من جانب البشر. غير أنه بمقدورنا أن نكون على ثقة من أنه كان هناك أناس عاديون كثيرون لم تكن لهم أية اهتمامات بالمناورات السياسية أو المنازعات اللاهوتية. ذلك أنهم بكل بساطة كانوا يعرفون أنهم في حاجة إلى أن يعمل ا لله شيئاً من أجلهم. ورغبتهم الوحيدة هي أن يكونوا في المكان الصحيح وفي حالة ذهنية سليمة حين يصل المخلص الموعود به من ا لله .

الرؤويون :

تم التعبير عن التوقعات المستقبلية للشعب اليهودي تماماً في كتابات (الرؤويون)، وهي كلمة تعني حرفياً أناس يكشفون عن أشياء سرّية. والكتب التي يكتبونها ما هي إلاّ إعلانات لأسرار ما "رؤوية". لا نعرف أهمية هؤلاء الناس على وجه التحديد، بالنظر إلى أننا لا نعرفهم إلا من خلال كتاباتهم. وليس من الواضح ما إذا كانوا يشكّلون أي نوع من الجماعات ضيقة الأفق، و ما إذا كانوا ينتمون إلى أي من الشيع الدينية المختلفة. ، من غير المحتمل أن يكون أي من الرؤويين من طائفة الصدوقيين بالنظر إلى أنهم ادّعوا أنهم تسلّموا إعلانات جديدة من ا لله (ولا يمكن للصدوقيين التسليم بأنه قد أُعطي لهم أي إعلان إلهي منذ عهد موسى). وتماثل معتقداتهم من بعض النواحي معتقدات الفريسيين، لأنهم شدّدوا بشكل كبير على القول بأن ا لله لديه خطة سبق وأعدها من أجل تاريخ العالم.

وأياً كانت حقيقة الرؤويين، فإن لكتاباتهم سمات غير عادية تجعل إدراكها سهلاً.

● لديهم تأكيد قوي على حياة السماء وليس على مجال الحياة اليومية الذي اختبره البشر. وعلى الرغم من أن أحداثاً في هذا العالم قد جاء ذكرها. إلا أن أهميتها قاصرة على أنها تكشف لنا شيئاً عن أحداث وقعت في العالم الروحي. وقد قال أحد الكتاب الرؤويين أن "العليّ لم يخلق عالماً واحداً بل اثنين" (٢أسدراس ٧ : ٥٠)، ووجهة النظر هذه يشارك فيها كثيرون من الرؤويين، فقد كانت مهمتهم الكشف عما كان يحدث في عالم الله، وأن يؤكدوا لقرّائهم أن هم موقعاً أساسياً في أنشطة الله.

● وهذا يعني أيضاً أن الكتابات الرؤوية تؤكد الأحلام، والرؤى، والاتصالات بواسطة الملائكة. وبالنظر إلى أن الله بعيد في عالمه الخاص به (السماء) فثمة حاجة إلى استخدام وسطاء في معاملاته مع البشر. والرؤيا النموذجية تأخذ شكل تقرير مطول يبيّن كيف أن كاتبها قد تسلم رؤى ورسائل تكشف عما يحدث في السماء.

● ويصحب ذلك صيغة أدبية غير معتادة. لأن الرؤى لا توصف بعبارات صريحة، بل تستخدم نوعية من اللغة الرمزيّة. وكثيراً ما نجد إشارات عديدة إلى كتب الأنبياء في العهد القديم. وإلى الوحوش الأسطورية، كما تستخدم الأعداد الرمزية لتشير إلى أمم أو أشخاص.

● والكتابات الرؤوية عادة ما تصدر باسم شخصية عظيمة عاشت في الماضي. فأخنوخ، ونوح، وآدم، وموسى، وعزرا وعدد آخر من شخصيات العهد القديم، هؤلاء جميعاً نُسبت لهم كتابات رؤوية. ولعل ذلك كان أمراً ضرورياً لأنه كان ثمة اعتقاد واسع النطاق لدى اليهود، بأن زمن النبّوة الحقيقية قد ولّى. وكان على أي راءٍ معاصر يريد أن تُسمع رسالته كان عليه أن ينسب ما كتبه إلى شخص يكون قد عاش بالفعل في زمن العهد القديم. وسفر الرؤيا هو السفر الوحيد في العهد الجديد الذي يستخدم لغة مجازية رؤوية موسّعة، لكنه جاء مختلفاً تماماً في هذه الناحية. ذلك أن سفر الرؤيا لم ينسب إلى شخصية من العهد القديم، بل إن كاتبه عُرّف بأنه يوحنا، وكان صديقاً ومعاصراً لقرّائه (رؤ١ : ١-٩).

أما لماذا أصبحت هذه النوعية من الكتابة شائعة للغاية في القرون التي كانت قبل ميلاد المسيح مباشرة ؟ فإن

هناك رداً رائعاً على هذا السؤال، وهو أن الكتابة الرؤوية كانت تعطي إجابة لحقائق الحياة الصعبة في فلسطين في ذلك الحين. فكثيراً ما اقترح أنبياء العهد القديم أن مجرى تاريخ إسرائيل يعتمد بطريقة ما على موقفهم من الله. فإذا ما أطاعوه ازدهروا، وإذا لم يطيعوه عليهم أن يتوقّعوا أزمنة صعبة.

وهذه الأزمنة الصعبة تُوّجت بسقوط أورشليم في يد نبوخذنصر سنة ٥٨٦ق.م.، وسبي سكّانها إلى بابل. وبعد قضاء فترة وجيزة في السبي سُمح لليهود بالعودة إلى وطنهم، والذين عادوا قرروا ألاّ يرتكبوا نفس الأخطاء التي ارتكبها أسلافهم. وعلى ذلك رجعوا عن طرقهم، وحاولوا تطبيق ناموس العهد القديم بحذافيره.

ومع ذلك، وطبقاً لما حدث فعلاً، فإنهم لم يحققوا نجاحاً. وبمرور الوقت بدا لهم أن الطريق إلى الازدهار إنما هو بالتعاون مع القوى الخارجية مثل الرومان وليس في بقائهم أمناء لدينهم. والذين حاولوا المحافظة على إيمان العهد القديم وجدوا أنفسهم أقلية تتناقص باستمرار، والذين حققّوا نجاحاً كثيراً ما كانوا يحصلون على هذا النجاح عندما يتساهلون في إيمان آبائهم، بل وحتى من خلال التخلّي عنه تماماً.

وربما بدأت الكتابات الرؤوية كرد على هذه المشكلة. لماذا لم تؤد الأمانة إلى الازدهار ؟ ولماذا يعاني الأبرار ؟ لماذا لم يضع الله نهاية لقوى الشر ؟ ولقد أجاب الرؤويون على هذه الأسئلة بقولهم إن المصاعب الراهنة هي متاعب نسبية. وإذا نظرنا إلى الأمور على ضوء عمل الله في التاريخ، فإن الأبرار في النهاية هم المنتصرون، والسيادة الظالمة للأشرار سوف تنهار. وكثيراً ما كان يطرح السؤال حول ما إذا كان ليسوع أية علاقة بهؤلاء الرؤويين ورؤاهم الخاصة بالعالم السمائي. ومن المؤكد أن ألبرت شويتزر Albert Schweitzer كان لديه هذا الاعتقاد، كما سيتّضح لنا في الباب الثاني من هذا الكتاب.

كما توجد أيضاً أدلّة كثيرة تبيّن أن يسوع كان على علم بالأفكار التي كان يطرحها الرؤويون. فهناك قدر كبير من التشبيهات المجازية والمفردات اللغوية التي استخدمها يسوع في تعليمه عن الأمور المستقبلية تماثل تلك التي استخدمها الرؤويون (مرقس١٣، متى٢٤-٢٥، لوقا٢١). إلا أنه كانت هناك بعض الاختلافات الهامة.

● الكتابات الرؤوية هي دائماً إخبار عن رؤى وأفكار أخرى تتعلق بالسماويات، أُعطيت للناس من خلال وسائل خاصة. إلا أن يسوع لم يُقِم تعليمه على رؤى وإعلانات إلهية

من هذا القبيل. فقد كان يتكلم على أساس سلطانه، ولم يكن اهتمامه الأساسي موجهاً لأمور عالم آخر سمائي، بل بالحياة في هذا العالم. ولم يكشف عن أسرار، بل جعل له تلاميذاً وذكّرهم بمسئولياتهم قبل الله.

● كان الرؤويون دائماً مهتمين بتشجيع قرائهم وتعزيتهم، وذلك بأن يبيّنوا لهم أهم على صواب، وأنه سيتم القضاء على أعدائهم سريعاً. غير أن تعليم يسوع حتى بالنسبة لما أطلق عليه "الأقوال الرؤوية" لم يُقصد به إطلاقاً تعزية تلاميذه. ولم يلمح إلى أنهم سينتصرون بطريقة تلقائية على أعدائهم، لأن ما قاله كان على النقيض من ذلك تماماً. ذلك أن يسوع اتخذ من تعليم الخاص بالأمور الأخروية مناسبة لتحفيز تلاميذه بالنسبة لسلوكهم في هذه الحياة، وأوضح أنه حينما يتدخل الله في شئون البشر فلسوف يكون ذلك وقت الدينونة سواء بالنسبة لتلاميذه أو بالنسبة لأي شخص آخر.

● لا توجد مجموعة منظمة دقيقة من أقوال يسوع تتناول موضوع الأخرويات. ذلك أن ما قاله يسوع في هذا الشأن يختلف تماماً عن نظرة الرؤويين، الذين ذكروا كل ما يتعلق بهذا الموضوع على نحو من التفصيل. ذلك أن هذه الأمور كلها تتضمنها خطّة الله السابق تحديدها، وأولئك الذين لديهم مفتاح هذه اللغة المشفرة بمقدورهم أن يعرفوا على وجه التحديد ما يخبئه لهم المستقبل. وبالطبع حاول بعض مفسري العهد الجديد أن يجدوا مثل هذا النظام في تعليم يسوع. إلا أن النظم المتباينة العديدة التي توصلوا إليها توضح إخفاقهم. بل وما كان بوسعنا أن نتوقع لهم النجاح، لأن يسوع نفسه قال: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات... ولا الابن إلا الآب" (مت ٣٦:٢٤، مر ٣٢:١٣). وما كان بوسع أي راءٍ على الإطلاق أن يقول هذا.

● وعلى أساس الاختلافات الجوهرية بين يسوع والرؤويين، فمن الواضح أنه لا يمكن تصنيفه كواحد منهم. فلم تكن له نظرة رؤوية بالنسبة للحياة. ولا شك أنه كان أحياناً يقدم تعليمه مستخدماً لغة الرؤويين اليهود وتشبيهاتهم، مثلما فعل حين أشار إلى القاعدة الذهبية لمعلمي اليهود في (متى ١٢:٧). وكمعلم صالح، أدرك أنه في حاجة إلى أن يتكلم باللغة التي يفهمها سامعوه، ومن المؤكد أن كثيرين من الناس العادين في فلسطين كانوا على معرفة باللغة الرؤوية. إلا أن ما يميز يسوع أنه أخذ هذه المفاهيم المألوفة وأضفى عليها معنىً جديداً. ولم ترد على لسانه كمجرد تفاهات يمتدح بها الإنسان التقي، بل كانت تمثل تحد خطير للالتزام ينطبق على التلاميذ وعلى الخطاة على حد سواء.

الفصل الثاني

ميلاد المسيح
والسنوات الأولى من حياته

نعرف من القصص التي تتناول كيفية ولادة يسوع أن الناس العاديين، وليس الخبراء في النواحي الدينية هم الذين كانوا أول من عرفوا المخلّص الذي وعد به الله حين وُلد. ويرسم لنا الأصحاح الأول من إنجيل لوقا صورة حيّة رائعة عن زكريا الكاهن، الذي لم يكن يعرفه إلا القليلون وزوجته أليصابات اللذين كانا ينتظران أن يخلّص الله شعبه، وقد كوفئا على يقظتهما بالإعلان عن ميلاد ابنهما الذي يُعرف باسم "يوحنا المعمدان". وكانت مريم أم يسوع تنتمي إلى نفس هذه العائلة. ومن ترنيمة الشكر الرائعة التي نطقت بها مريم، المعروفة باسم "تسبحة مريم"، يمكننا أن نلمس كيف كان هؤلاء الناس ينتظرون بشغف أن يعمل الله في حياتهم. لقد تهلّلت مريم وأصدقاؤها لأن الله سيعمل بطريقة جديدة وقوّية .

لوقا ١ :٥-٢٨، ٥٧-٨٠

لو١: ٤٦-٥٥



بيت لحم، حيث ولد يسوع، وهي مدينة صغيرة جنوب شرقي أورشليم. ويقتبس إنجيل متى قول ميخا النبي الذي أكّد أن بيت لحم لم تكن لها أية أهمية (متى٢: ٦).

وتم التأكيد على نفس هذه الموضوعات من خلال جميع
لوقا٢ :٨-٢٠ القصص المعروفة التي تتناول هذا العيد الأول لميلاد المسيح. وكان أول
لوقا٢ : ٢٥-٣٨ من سمع الأخبار السارة بأن مواعيد الله قد تحققت بميلاد يسوع، هم
بعض الرعاة في بادية اليهودية، ثم سمعان وحنة في الهيكل. ولم تكن
لأي من هؤلاء الناس أهمية في العالم على إطلاقه. والقصص التي
عرض لها الأصحاح الأول من إنجيل لوقا تؤكد أن كبار الموظفين -
سواء السياسيين أو الدينيين - لم تكن لهم بصيرة ليعرفوا بها يسوع.
ولقد تكرّر هذا الدرس طوال قصة حياة يسوع، حيث أصبح واضحاً
لوقا ١٨ :١٧ أنه لكي تتوافر لك معرفة حقيقية عن أعمال الله في المسيح فإنه حتى
أعظم الناس عليهم أن يصيروا مثل الأطفال الصغار .

متى وُلد يسوع ؟



تمثال الإمبراطور طيباريوس الموجود بمتحف الفاتيكان.

ليس بالموضوع السهل بحسب ما يبدو لنا أن نحدد التاريخ الذي وُلد فيه يسوع على نحو من الدقة. والشيء الواضح الذي يمكن افتراضه هو أن يسوع وُلد بين سنة ١ق.م. وسنة١م. هذا الافتراض الذي أُخذ به لفترة طويلة غير صحيح، وذلك نتيجة أخطاء وقعت منذ فترة طويلة مضت تعود إلى القرن السادس في حساب مدى الحقبة المسيحية. وهناك أربعة أدلّة يجب مناقشتها :

● طبقاً لما ذكره متى، فقد وُلد يسوع: "في بيت لحم اليهودية أيام هيرودس الملك" (مت٢:١)، أي قبل موت هيرودس الكبير عام ٤ق.م.

● اهتم لوقا بالأكثر بوضع قصّته في الإطار الأوسع لشئون الإمبراطورية الرومانية، وهو يقول بأن يسوع وُلد أثناء "الاكتتاب الأول" إذ كان كيرينيوس والياً على سورية (لوقا٢:٢). أما يوسيفوس فيذكر لنا أن رجلاً يُدعى كيرينيوس أُرسل بالفعل إلى سورية واليهودية لعمل اكتتاب في مستهل الحقبة المسيحية. ولكن هذا الاكتتاب كان جزءاً من عملية التغيير التي جرت عقب خلع أرخيلاّوس، وهو ابن هيرودس الكبير.

ولابد وأن ذلك كان في سنة ٦ أو ٧م، ولا يمكن أن يكون قبل موت هيرودس الكبير سنة ٤ق.م.

ونتيجة لهذا قال البعض إن الرجل

الذي ذكره لوقا باسم كيرينيوس، لم يكن في الواقـع سـوى سـاترنينوس النـائب الإمـبراطوري في سـورية، الـذي عمـل اكتتاب سنة ٦ق.م. ومع ذلك، لا يتوافـر لنا دليل على الإطـلاق يبيّـن كيف خلـط لوقا بين هذين الرجلين. ولاسيما أنـه في بقية إنجيله، وفي كتابه الثاني "سفر أعمـال الرسل" كان حريصاً للغاية، وكـان دقيقـاً جـداً في اسـتخدامه أسمـاء الموظفـين الرومانيين وألقابهم. وعلى أية حال، ليس لدينـا دليـل علـى الإطـلاق يؤكـد بصفـة قاطعـة أن المدعـو سـاترنينوس قـام فعـلاً بعمل اكتتاب.

● ثم إن لوقا، في الوقت ذاته، يذكر بيانات أخرى عن تاريخ الأحـداث الهامـة في حياة يسـوع. فهـو يذكـر لنـا – علـى سـبيل المثـال – أن يسـوع كـان قـد بلـغ الثلاثين من عمره تقريباً حـين تعمّـد، وأن ذلك كان "في السنة الخامسـة عشـرة مـن سلطنة طيباريوس قيصر" (لوقا ٣ : ١).

ولقد أصبـح طيبـاريوس حاكمـاً للإمبراطورية الرومانية سنة ١٤م، وعلـى ذلك فإن السنة الخامسة عشرة من حكمه ستقع عـام ٢٨م. ولكـن الحقيقـة هـي أن طيباريوس شارك سابقه أوغسطس الحكـم ابتداء من سنة ١١م تقريبـاً، ولذلـك فإنـه على الرغم من أنه لم يصبح امبراطوراً إلا بعـد مـوت أوغسـطس سـنة ١٤م إلا أنـه كـان في الحكـم طـوال السـنوات الثـلاث السابقة. ومن المحتمل أن لوقا قام بحسـاب السـنة الخامسـة عشـرة مـن حكـم طيباريوس بداية من سـنة ١١م، وهـذا يعني أن يسوع يكون قـد بلـغ الثلاثـين من عمره سنة ٢٥ - ٢٦م. ويعـني أيضاً أنه لابد وأن يكون قد وُلـد سنة ٥ أو ٤ ق.م، وهكذا يكـون قـد وُلـد قبل موت هيرودس الكبير.

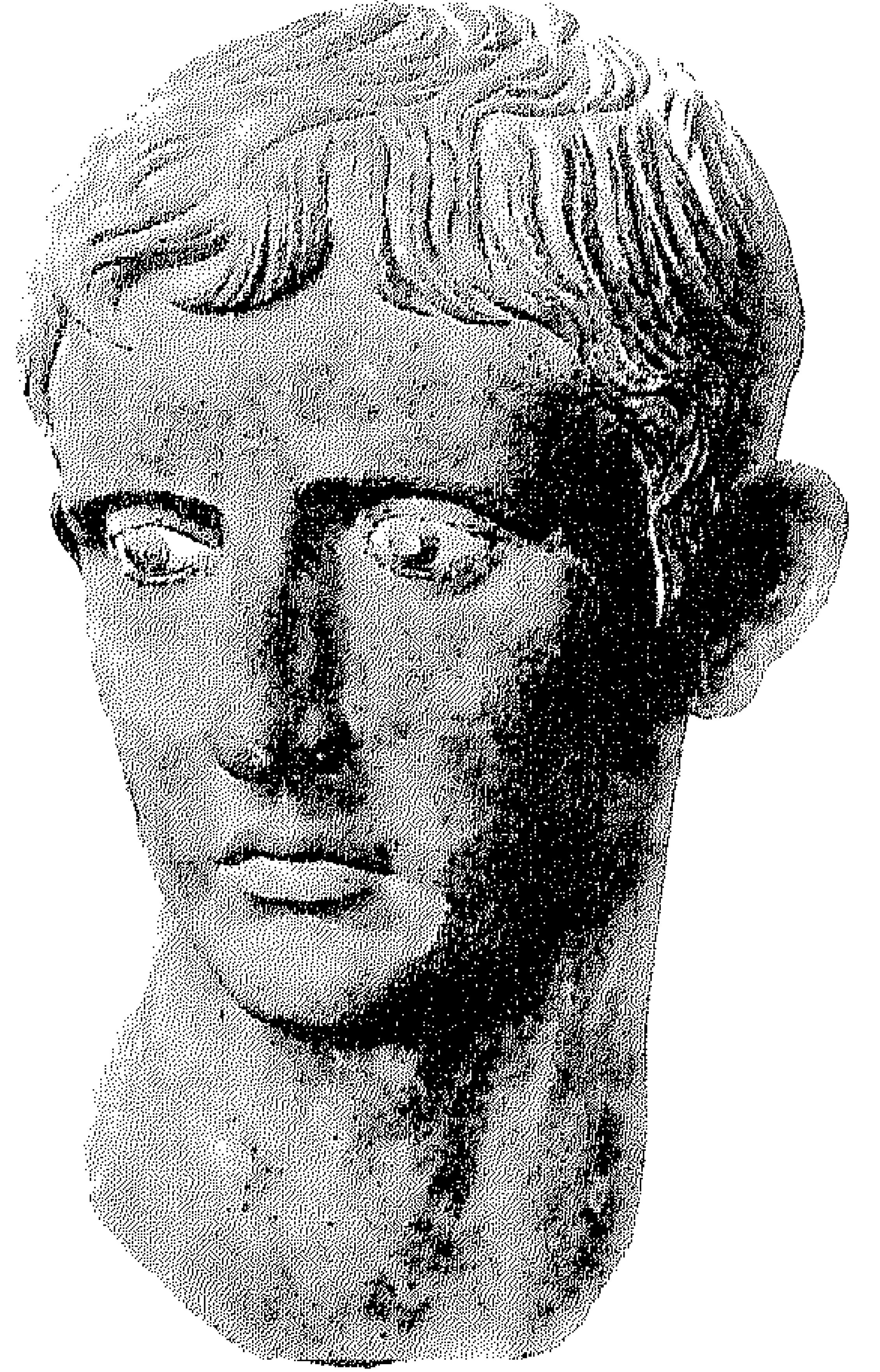
● حاول البعض أن يكونوا أكثر تحديداً بأخذهم في الحسبان أنه كـانت هناك حالة اقتران بـين الأجـرام حـوالي سنة ٦ ق.م.، وأن هذا الحدث الفلكي قد يفسر لنا النجم اللامـع الـذي ذُكـر في إنجيل متى. إلا أن هذه النوعيـة مـن الحجـج تتطلـب خيـالاً واسـعاً لتكـون مقنعة.

ومـن هـذا بمقدورنـا أن نـرى أن هناك دليلين يشيران إلى أن تاريخ ميلاد يسوع يقع حوالي عام ٤ق.م.

وهناك معلومة أخرى ذكرها لوقـا بخصوص الاكتتاب الذي تم على عهـد كيرينيوس يبدو أنهـا لا تتفـق مـع هـذا التاريخ. وهناك ثلاثة تفسيرات محتملة لهذه المشكلة :

● لقد أُسيء فهـم لوقـا. وهنـاك عدد مـن البـاحثين قـالوا بـأن المشـكلة على النحو الذي عرضناها به ليـس لهـا وجود. وهم يقولون إنه مـن الممكـن، وعلـى أسـاس عوامـل لغويـة أن يتـم ترجمة (لو٢:٢) علـى النحـو التـالي : "وهـذا الاكتتاب كـان قبل ذاك الذي

تمثال برونزي لرأس الإمبراطور أوغسطس، الذي شارك طيباريوس الحكم من سنة ١١م. حتى موته في سنة ١٤م.



جرى، إذ كان كيرينيوس والي سورية"، وذلك بدلاً من الترجمة الحالية:"وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية". ومن المؤكد أن فهم هذه العبارة على هذا النحو أمر ممكن، على الرغم من أن ذلك ليس بأية حال المعنى الواضح لهذه العبارة، والأمر يتطّلب تعديلاً في النص. ولقد أيده بعض مفسري العهد الجديد المرموقين، وظلوا يأخذون به، ولكن تفسير الموضوع بهذا الشكل لم يلق إجماعاً.

● ارتكب لوقا خطأً. ومعظم الباحثين في الواقع يميلون إلى رفض المعلومة الواردة في لو ٢:٢ على اعتبار أنها خاطئة. وهذا أسلوب سهل للتهرّب من المشكلة."

غير أن ذلك لا يحل أيضاً بعض الصعوبات. لقد سبق أن ذكرنا أنه في مواضع أخرى من الإنجيل، وسفر الأعمال حيث كان لوقا يهتم بالأشخاص والأحداث المتعلقة بالامبراطورية الرومانية، أظهر أنه مؤرخ جدير تماماً بالثقة. ولذلك فإنه ليس من المحتمل والحال هذه أن يكون قد ذكر هذه الإشارة الواضحة ما لم تكن لديه مبرّرات قوية يستند إليها في ذلك. كما رأينا أيضاً أن ما ذكره عن التاريخ الذي تعمّد فيه يسوع بمعرفة يوحنا يتناغم مع القول بأن يسوع وُلد إبان حكم هيرودس الكبير، وهذا ما يقرب من عشر سنوات قبل حكم كيرينيوس الذي ذكره يوسيفوس.

ومن المؤكد أنه من غير المحتمل بالنسبة لأي مؤرخ ذكي بأن يدلي بقولين متعارضين في فترة زمنية قصيرة في قصته. وإذا افترضنا أن لوقا استخدم مصادره بعناية وكتب بحسن تمييز وفكر ثاقب فلسوف تظهر عدَّة صعاب إذا ما قلنا ببساطة إنه كان مخطئاً بالنسبة للاكتتاب الذي تم على يد كيرينيوس.

● لوقا لم يسرد القصة بكاملها. ويمكننا أن نجد تفسيراً أفضل إلى حد ما إذا ما تأملنا حقائق الحياة العملية في الامبراطورية الرومانية. فحكم اليهودية الذي كان يجري من روما سنة ٧م، لم يكن على الحال الذي قد نجده عليه الآن. ذلك أننا في أيامنا هذه تتوافر لنا وسائل اتصالات فورية بين أجزاء العالم المختلفة. فهيئة الأمم المتحدة في نيويورك بوسعها اتخاذ قرار يتعلق ببلد في الجانب الآخر من العالم، ويمكن لقرارها أن يُسلّم في غضون دقائق معدودات. إلا أن الأمور كانت تختلف عن ذلك في روما القديمة. فحتى في الظروف المثالية، فقد يستغرق الأمر شهوراً لوصول مرسوم وقّعه الامبراطور في روما لكي يسلم إلى مقاطعة نائية مثل اليهودية – وكان هناك دائماً احتمالات غرق السفينة

التي تحمل الرسول، فتتأخر أوامر الامبراطور فترة أطول أو تُفقد تماماً – وفي فترة لاحقة – على سبيل المثال أرسل الامبراطور كاليجولا أوامر بأنه يجب وضع تمثاله في الهيكل في أورشليم. وكان الحاكم المحلي أكثر حكمة من الامبراطور، وأدرك أن هذا الأمر ستنشأ عنه مقاومة شديدة من اليهود. وعلى ذلك كتب إلى الامبراطور يطلب منه إعادة التفكير في هذا الأمر. ·

لكن كاليجولا أصر على تنفيذ خطّته، وكتب إلى الحاكم يخبره بذلك. ولقد استغرقت السفينة التي تحمل الرسول الذي أرسله ثلاثة أشهر في رحلتها من روما إلى اليهودية. غير أنه في اثناء ذلك اغتيل كاليجولا، ووصلت السفينة الأخرى التي غادرت روما بعد ذلك بكثير والتي كانت تحمل أخبار موته ونهاية سياساته، قبل السفينة الأولى بسبعة وعشرين يوماً.

وحين نفكر في التفصيلات العملية المتعلقة بإجراء الاكتتاب في امبراطورية ما، في ظل مشاكل الاتصالات ووضع الحكومة، فإنه يكون بمقدورنا أن ندرك أن الصعوبة بشأن التاريخ الدقيق لاكتتاب كيرينيوس ليست بالضخامة التي نتصّورها، وذلك إذا ما نظرنا إليها في إطار حديث فحسب. وهناك حقيقة معروفة تماماً أن الاكتتابات الرومانية (التي تجرى لغرض الضرائب) كثيراً ما كانت تلقى مقاومة في أنحاء عديدة من الامبراطورية. واكتتاب مثل هذا جرى في بلاد الغال (فرنسا) على سبيل المثال، لقي مقاومة عنيدة من الشعب حتى إنه استغرق أربعين سنة قبل أن يُكتمل.

أضف إلى ذلك المشاكل المتعلقة بالاكتتاب، ومن الواضح أن اكتتاباً استكمله كيرينيوس سنة ٦ أو ٧م، لابد وأنه قام على أساس معلومات جُمعت قبل ذلك بكثير. وكان الامبراطور أوغسطس ذكياً في جمع الإحصاءات، وربما كان قد أقنع هيرودس الكبير باجراء اكتتاب.

ولقد أُرسل كيرينيوس سنة ٦م كي يزيل الفوضى التي خلّفها أرخيلاوس، ومن المحتمل جداً أنه استعمل معلومات جُمعت في وقت سابق عوضًا عن أن يشرع في القيام بهذه العملية المملة من جديد. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه لا يكون هناك مبرر حقيقي لافتراض أن معلومات لوقا عن الاكتتاب تتعارض بالضرورة مع بقية الدليل الذي يشير إلى أن يسوع وُلد سنة ٥ ق.م. تقريباً. وعلى أية حال، فإن لوقا كان مهتماً بذكر ميلاد يسوع أكثر من تفسير تعقيدات السياسات اليهودية المحيطة بهذا الموضوع.

يسوع ينمو :

قليل جداً هو الذي نعرفه عن حياة يسوع كطفل. ومن المفترض أن بيته كان من النمط ذي السقف المسطح، والذي يتكون من حجرة واحدة، والمبني من الطين وهو النموذج الذي كان سائداً في ذلك الحين. ولعل يوسف كان يمارس عمله، ويساعده يسوع، في هذا البيت. وربما كانا يعملان أدوات زراعية أو أثاثات، أو لعلهما كانا يعملان في مشروعات البناء. فكل قرية صغيرة في حجم الناصرة، لابد وأن يكون لديها النجّار الخاص بها، والذى ربما كان من نوعية الرجل الذى يقوم بأعمال مختلفة فضلاً عن كونه عاملاً بارعاً في أعمال النجارة. والصورة التي نشاهدها أحياناً ليسوع وهو طفل يقوم بحمل النير الخفيف الذي يوضع على ظهور الثيران من المؤكد أنها لا تمثل كل ما كان يعمله، وبمقدورنا أن نكون متأكدين من أنه كان يعمل بتجصيص الجدران فضلاً عن عمله بالنجارة .

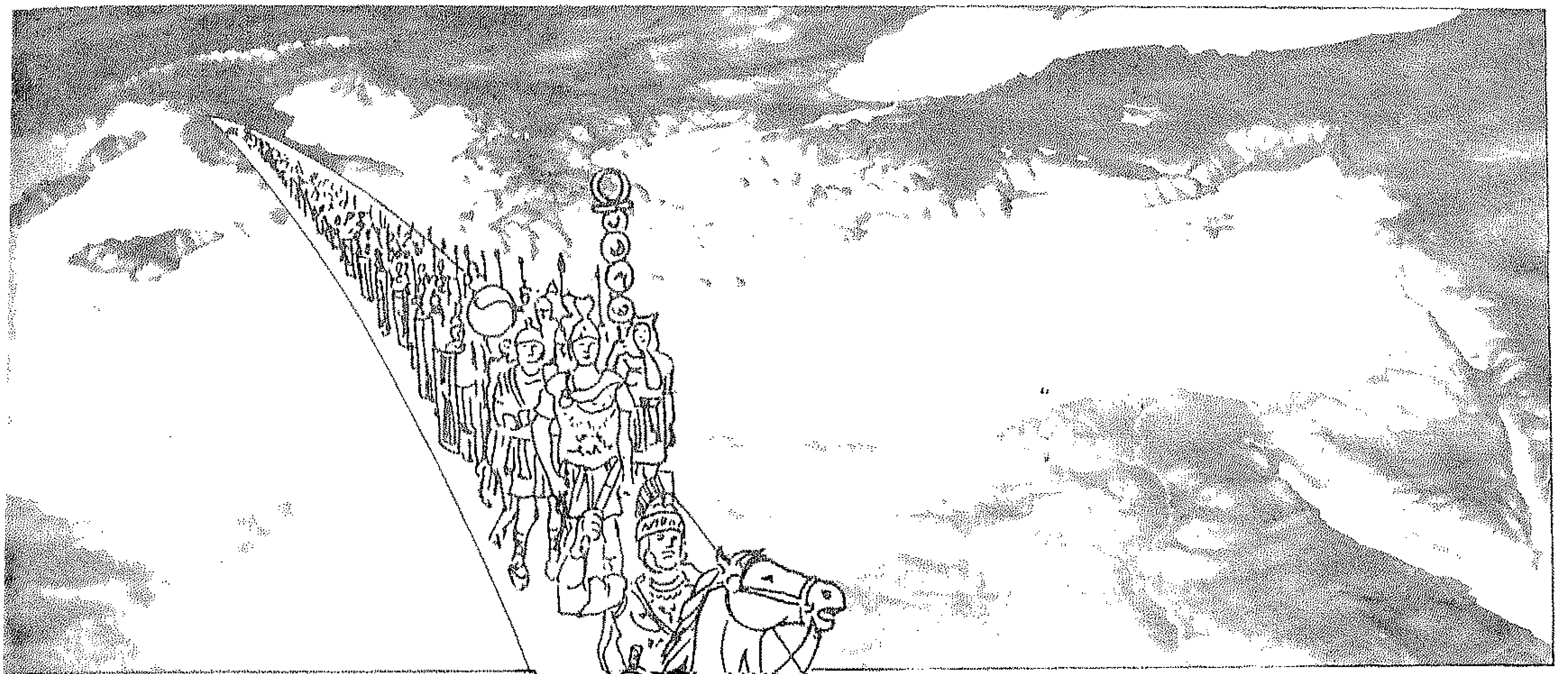
ومع ذلك، وعلى الرغم من البساطة النسبية لحياته في بيته، إلا أنه لابد وأن يسوع تلقّى تعليماً طيباً. فقد اعتبروه شخصاً مناسباً ليقرأ العهد القديم باللغة العبرية في المجمع الذي في الناصرة، وليس كل شخص في سنّه يستطيع قراءة اللغة العبرية، حتى وإن كان بمقدوره التكّلم بهذه اللغة. وكانت العادة أن يتكّلم الأولاد اليهود في المجمع المحلّي، ولابد وأن يسوع كان واحداً من أكثر التلاميذ ذكاءً في فصله . لو ٤ : ١٦ - ٢٠

والناصرة ذاتها، لابد وأنها كانت بصفة خاصة مكاناً محفزاً لصبي ذكي لأن ينمو فيها. وحقيقة أنها لم تكن لها أهمية كبيرة، ولم تُذكر إطلاقاً في بقية الكتاب المقدس، أو في أية كتابات أخرى معاصرة، فلعل ذلك سببه أن اليهود المتزمتين للغاية شعروا أن أهل الجليل - والتي كانت الناصرة جزءاً منها - كانت لهم اتصالات كثيرة جداً مع شعوب غير يهودية. والجليل نفسها كانت تُسمى

"جليل الأمم" لأن غير اليهود بها كانوا يفوقون اليهود عدداً. والشعب الموجود في مقاطعة اليهودية الجنوبية – كانوا على النقيض من ذلك – معزولين عن الجميع فيما خلا مجتمعهم، وبذلك أصبحوا انطوائيين، أنانيين، مرائين، يتفاخرون ببّرهم الذاتي. لكن الجليل كانت على العكس من ذلك تماماً – فالطرق الكبيرة التي كان يسلكها التّجار الآتين من الشرق، والجنود الرومانيون الآتين من الغرب كانت تمر عبر الجليل. وفي الناصرة أتيح ليسوع أن يتقابل ويختلط مع أناس كثيرين من غير اليهود، وليس من شك في أنه أمضى الكثير من وقته يفكر ويتحدث عن أفكار اليونانيين والرومان، وكذلك التراث الديني الخاص بشعبه .

ومن بين الميزات الخاصة لنشأته في الجليل هي أن يسوع سيكون بمقدوره أن يتكلم ثلاث لغات. وسبق أن لاحظنا أنه كان يستطيع أن يتكلم العبرية ويقرأها. ولكن العبرية لم تعد بعد اللغة العادية للشعب اليهودي. ولعدّة قرون قبل زمانه استخدم اليهود لغة أخرى مشابهة للعبرية، وهي اللغة الآرامية. وهذه هي اللغة التي كان يسوع يتكلم بها في بيته ومع أصدقائه. وبالنظر إلى أنه كان هناك كثيرون من غير اليهود في الجليل، فلربما كان يتكلم اليونانية أيضاً، لأنها كانت اللغة العالمية المستخدمة في كل مكان من الإمبراطورية الرومانية .

وبغض النظر عما يمكننا أن نستدل عليه من معرفتنا بنوعية المجتمع الذي تربّى فيه يسوع، فإن العهد الجديد لا يقول لنا في الواقع شيئاً عن حياته قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره. ولقد اعتقد الكتّاب المسيحيون في القرن الثاني أن هناك خطأً ما، وأمراً غير طبيعي بالنسبة لهذا الموضوع ولم يدّخروا وسعاً في تعويض ما اعتقدوا أنه نقص في العهد الجديد. ولدينا عدد من القصص التي



حوادث القرن الذي وُلد فيه يسوع

60 BC

٦٣ ق.م القائد الروماني بومباي يقهر فلسطين، ويدخل أورشليم

سنة ٣٧ هيرودس الكبير يُعيّن ملكًا لليهود من قِبَل مجلس الشيوخ الروماني

40

سنة ٣١ هزيمة أنطونيو وكليوباترا على يد أكتافيوس في معركة أكتيوم : وفقدت مصر استقلالها وأصبحت خاضعة للرو...

سنة ٣٠ أوغسطس يصبح امبراطورًا رومانيًا

20

10

سنة ٥ ميلاد يسوع

سنة ٤ موت هيرودس الكبير

0

10

سنة ١٤ موت أوغسطس : واعتلاء طيباريوس العرش

سنة ١٨ قيافا يصبح رئيس الكهنة في أورشليم

20

سنة ٢٦ بيلاطس البنطي يصبح واليًا على اليهودية

يسوع يبدأ خدمته

30

سنة ٣٠ موت يسوع وقيامته

سنة ٣٣ تجدد بولس

سنة ٣٧ موت طيباريوس، واعتلاء كاليجولا العرش

40

سنة ٤١ موت كاليجولا : واعتلاء كلوديوس العرش

سنة ٤٦-٤٨ رحلة بولس التبشيرية الأولى

سنة ٤٩ كلوديوس يطرد اليهود من روما

50

سنة ٥٤ نيرون يصبح امبراطورًا

60

سنة ٦٤ حريق روما، واضطهاد نيرون للمسيحيين

٦٤/٦٦ موت بطرس وبولس

السنوات ٦٦-٧٠ انتفاضة ضد الرومان في فلسطين

٧٠م تيطس يستولي على أورشليم ويدمرها

AD 70

تتناول طفولة يسوع، لها عناوين مثل : "إنجيل مولد مريم، تاريخ يوسف النجار، أو إنجيل الطفولة لتوما". وليس من حاجة لأن نأخذ بجدّية أياً من هذه القصص التي تعرض لطفولة يسوع والتي نجدها في هذه الأناجيل المزعومة. فكلها من نوعية الأساطير التي كثيراً ما تُنسج حول الشخص المهم بعد أن يموت أولئك الذين يعرفونه بالفعل . غير أنه توجد بعض الكتابات التي صدرت في القرن الثاني، والتي عادة ما يُطلق عليها "أناجيل الأبو كريفا"، ربما تتضمّن أقوالاً حقيقية ليسوع. وكتابات مثل "إنجيل توما"، و"إنجيل فيلبس". وهذه الكتب عرضنا لها بشيء من التفصيل في الباب الثالث.



يُعرف سوى القليل عن طفولة سوع باستثناء أنه نشأ في بيت ودي مستقيم وأنه تلقى تعليماً يداً.

ويصف لوقا طفولة المسيح ببساطة شديدة بقوله إنه كان
لوقا ٢ : ٤٠ "ينمو ويتقوى"، مثل أي صبي آخر. ولكنه يستطرد ويضيف أن
لو ٢ : ٤١ – ٥٢ يسوع كان "ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه". ثم يذكر قصة
واحدة كتوضيح لما قصده .

والقصّة تعرّفنا كيف أن يسوع فُقد في أورشليم حين كان في الثانية عشرة من عمره. وكان قد ذهب إلى هناك في رحلة دينية مع مريم ويوسف، وذلك للاشتراك في أحد الأعياد اليهودية الكبرى. وحين وجده أبواه أخيراً في الهيكل سألهما : "ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي ؟". فحتى وهو في هذه السن، كان يسوع ينمو ليس من الناحيتين البدنية والذهنية فحسب، بل من الناحية الروحية أيضاً. وكان له إحساس غير عادي بمحضر الله في حياته. وأن الله هو أبوه، وكانت هذه العلاقة عنده أهم من أي شيء آخر .

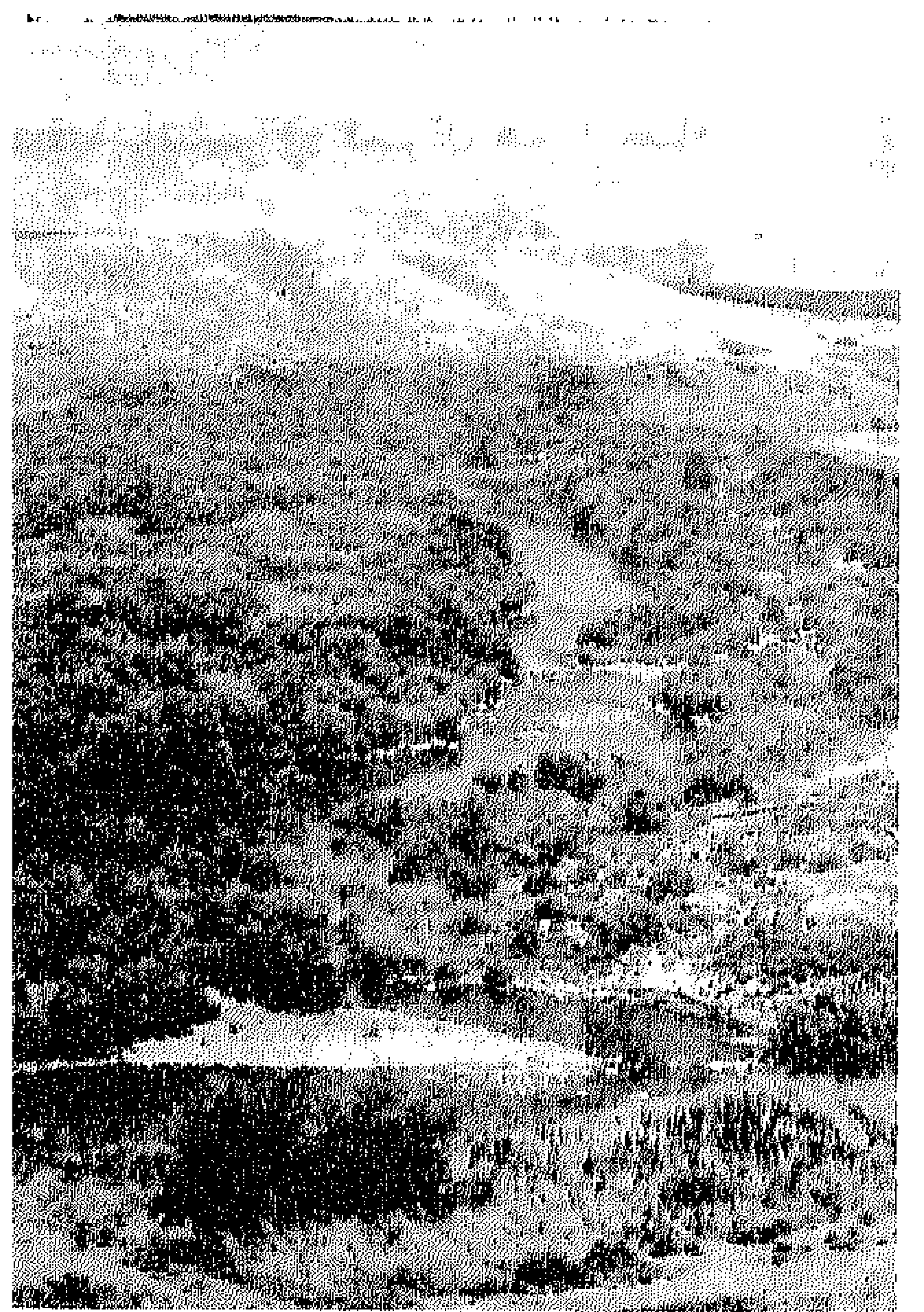
أما المرّة الثانية التي نقرأ فيها شيئاً عن يسوع فكانت حين بلغ الثلاثين من عمره. وكان ابن خالته – يوحنا المعمدان – قد بدأ حركة دينية وجذب أتباعاً كثيرين. وكان يوحنا يعيش عيشة بسيطة
في برّية اليهودية، وكانت ثيابه من شعر الجمل، وكان لا يتناول مرقس ١ : ٦
سوى طعام البرّية "جراداً وعسلاً برّياً" .

وكان يوحنا هو النبي المتجول الوحيد في ذلك الحين. وكان كثيرون من الناس يتحدّثون عن مجيء المخلص الموعود به من الله لكي يفتتح ما يُعد مجتمعاً جديداً. وإذا توغّلنا جنوباً في نفس هذه البرّية نجد أن أهل قمران يتحدثون عن أمر مماثل. بل وحتى بعد ذلك، نجد أن كثيرين من مثيري الناس والأنبياء قد كوّنوا لأنفسهم اسماً في نفس المكان .

أما الاختلاف بالنسبة ليوحنا فهو أنه لم يكن يسعى وراء الشهرة. ولقد كان لفلسطين النصيب الأكبر من المعتوهين، والذين كان كل منهم يدّعي أنه المخلص الذي وعد به الله، وأنه عُيّن للقضاء على كل المظالم السياسية والاجتماعية السائدة، وأنه أُعطي سلطاناً لإقامة مجتمع جديد. إلا أنه لم تصدر عن يوحنا مثل هذه
مرقس ١ : ٢ – ٣ الادعاءات. وكل ما قاله هو أنه ملاك (رسول) و"صوت" أُرسل بالأخبار السارة، وأن المجتمع الجديد كان على وشك أن يبدأ .

وأولئك اليهود الذين كانوا يتطلعون إلى المجتمع الجديد تعلموا من العهد القديم أن يتوقّعوا مجيء مثل هذا الرسول الذي
ملاخي ٤ : ٥ سيكون مثل إيليا نبي العهد القديم. ولم يترك لنا كتبة الإنجيل أي شك من ناحية أنهم رأوا أن يوحنا المعمدان هو نفس هذا الشخص. فوصفهم لأسلوب حياته ورسالته صيغ على نمط القصص الخاصة بإيليا الواردة في سفريّ الملوك في العهد القديم .

جاء يسوع ليتعمّد من يوحنا المعمدان في وادي الأردن.



ثم إن كلا من العهد الجديد، والمؤرخ اليهودي يوسيفوس يصفان عمل يوحنا على أنه دعوة لليهود بأن ينظموا حياتهم حتى يصبحوا مهيئين من الناحية الأخلاقية لمقابلة الشخص الذي كان عليه أن يقيم المجتمع الجديد. والأنبياء الذين حُفظت أقوالهم في العهد القديم كثيراً ما رأوا أنه على الرغم من أن اليهود هم شعب الله إلا أنهم لم يكونوا في حالة مناسبة لمقابلة إلههم. وإذا كان لله أن يعمل يوماً في حياتهم، فإن مجيئه لابد وأن يبدأ بدينونة – ولسوف تكون الدينونة في غاية الشدّة بالنسبة لأولئك الذين كان لهم أعظم امتياز .

ورسالة يوحنا كانت تتضمن الشيء نفسه. فقد دعا الشعب اليهودي للاستعداد لتغيير أسلوب حياتهم، حتى يكونوا

مهيئين للقاء إلههم. وأولئك الذين كانوا مستعدين لأن يواجهوا هذا التحدّي ببسالة أظهروا استعدادهم للتغيير وذلك بأن "اعتمدوا". والكلمة اليونانية التي حصلنا منها على لفظة "يعمّد" تعني ببساطة "يغطس". وكثيراً ما كانت تستخدم - على سبيل المثال - في صباغة الملابس حيث كانت تُغمر أو تغطس في حوض أو إناء. والمعمودية بالمعنى الروحي، هي نفس الشيء، فيما عدا أن الناس هم الذين يتم تغطيسهم، وهم لا يغطسون في صبغة، بل في ماء نظيف. ولعل يوحنا استخدم نهر الأردن كمصدر للماء في متناول اليد .

ومعظم اليهود لابد وأنهم كانوا يعرفون ما هي المعمودية. وربما كانت تستخدم كوسيلة لقبول غير اليهود في الديانة اليهودية. ومن المؤكد أنها استُخدمت بهذه الطريقة فيما بعد. وهناك دليل كاف أيضاً من لفائف البحر الميت يفيد أن الأسينيين كانوا يستخدمون المعمودية بانتظام كوسيلة لحفظ نقائهم الأخلاقي والديني .

ومن أبرز ملامح الآثار المتبقّية للدير في قمران هو النظام المعقّد لقنوات جرّ المياه، والأحواض التي كانت توفّر مياهاً كافية في البرّية لشعب هذه الجماعة حتى يتمكّنوا من القيام بطقوس معموديتهم. ومن الطبيعي أن طقوس طائفة مثل الأسينيين لم تكن هي نفس طقوس المعمودية التي تُجرى لغير اليهود حين اعتناقهم الديانة اليهودية. فالمعموديات والغسلات الطقسية كانت تُجرى مراراً وتكراراً في قمران. غير أن معمودية المتجدّدين الذين اعتنقوا اليهودية كانت تجرى مرة واحدة فقط .

ومن الصعوبة القول، إذا كان الطقس الذي اتبعه يوحنا كان يقوم على أساس غسلات متعدّدة مثلما كان يفعل الأسينيون،

خيمة بدوية في بادية اليهودية، وهي المنطقة التي عاش فيها يوحنا المعمدان.



أم كان عبارة عن معمودية تجرى مرة واحدة مثلما كان الحال بالنسبة للمتجدّدين من الأمم. أما الطبيعة المتشدّدة لرسالة يوحنا، والمعارضة التي أثارها فيسهل فهمها إذا ما كان يدعو اليهود للاشتراك في شيء لم يتم وضعه من أجل شعب الله المختار بل للوثنيين. ولقد رأى يوحنا أنه إذا كان لليهود أن يشتركوا في المجتمع الجديد الذي أوشك على المجيء فإنهم سيكونون في حاجة أيضاً إلى البداية من جديد كما لو كانوا وثنيين أميين بدأوا يعرفون الله لأول مرة .

ومع ذلك فلم ير يوحنا التداعيات الكاملة لذلك المجتمع الجديد. فقد كان يقف في منطقة مشاع بين مواعيد الله في العهد القديم، وتحقيق هذه المواعيد الذي أوشك أن يتم. ولقد رأى أن مجيء المسّيا سيتحقّق في إطار النظرة التقليدية للمحاكمة والدينونة.

لو ٣ : ٧ - ١٧

وقد وُصف المخلص الذي وعد به الله كشخص سيقطع بفأسه كل شجرة لا تأتي بثمر، ويحرق التبّن بنار بعيداً عن القمح .

وما لا يمكن إنكاره هو أنه رأى بوضوح وبأكثر مما كان بالنسبة للفريسيين والغيوريين. فقد كانوا يعتقدون أن دينونة الله ستحل بالرومان، أما يوحنا فأصر على أن الله سيدين شعبه وفي مقدمتهم الفريسيين .

وفي الوقت نفسه، لم يدرك تماماً حقيقة المجتمع الذي كان الله على وشك أن يبدأه. ذلك أن مجتمع الله الجديد لن يقوم على أساس اللعنة والدينونة، بل على أساس المحبة والمغفرة والاهتمام الأبوي لكل الناس. وهذا هو الأمر الوحيد الذي وجد الشعب اليهودي صعوبة في فهمه. بل إنه حتى في وقت لاحق، لم يفهم

مرقس ٨ : ٣١ - ٣٣

تلاميذ يسوع سيدهم تماماً حين تحدث عن مجتمع يقوم على أساس

الخدمة والمعاناة. وطبيعة أعمال الله على وجه التحديد لم تكن واضحة إلا بعد موت يسوع وقيامته .

يسوع يتعمّد :

جاء يسوع إلى يوحنا وطلب أن يتعمّد. وفي البداية لم يرد يوحنا أن يسمح ليسوع بالمشاركة في هذه المعمودية التي ليست
متى ٣ : ١٥ سوى رمز للتوبة. وعلى أية حال، إذا كانت ليسوع بالفعل هذه العلاقة الخاصّة بالله، الأمر الذي كان يؤمن به يوحنا، فما الذي يمكن أن يتوب عنه ؟ لكن يسوع أكّد ليوحنا أنه يجب أن يشارك
متى ٣ : ١٥ في هذه المعمودية. وقال له:"...لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر".

فما الذي كان يعنيه يسوع بقوله هذا ؟ والتفسير البسيط هو أن يسوع شعر بأنه ينبغي عليه أن يضع نفسه في مكان أولئك الخطاة التائبين الذين سيكونون باكورة تلاميذه. فالعلاقة الخاصة التي شعر أنها تربطه بالله كانت سبباً قوياً لأن ينخرط بشكل تام في حياة أبسط الناس، عوض أن تفصل بينه وبين الناس الآخرين. إلا أن البعض قالوا إن هناك ما هو أبعد من ذلك فيقولون إن يسوع نظر إلى معموديته باعتبارها الخطوة الأولى في طريقه نحو الصليب،
مر ١٠ : ٣٨ الذي يعتبر ذروة وهدف حياته كلها. والحقيقة المؤكدة أنه بعد ذلك وصف موته بأنه "معمودية"، وأنه فيها أتم حقيقةً وفعلاً مشيئة الله .

وربما كان من خلال اختبار معموديته أن يسوع بدأ يدرك وعلى وجه الدقّة طبيعة علاقته الخاصة بالله. وطبقاً لما جاء في إنجيل
مرقس ١ : ١١ مرقس، فقد سمع يسوع هذا القول :"أنت ابني الحبيب الذي به سُررت". وهذه مجموعة أقوال توجد في فقرتين في العهد القديم. فمن ناحية نجد صدى لما جاء في (مز٢ :٧) :"أنت ابني، أنا اليوم ولدتك". وهذا القول يشير في سياقه الأساسي إلى ملوك إسرائيل القدامى. إلا أنه في زمن يسوع، كان يُنظر إليه، وعلى نطاق واسع

بأنه نبوّة عن المسّيا الآتي. ومن ناحية أخرى، توجد أيضاً إشارة واضحة إلى قصيدة العبد المتألم في إشعياء حيث وُصف العبد بأنه "مختاري الذي سُرَّت به نفسي". وفكرة العبد هذه لم ترتبط إطلاقاً بتوقع مجيء المسّيا قبل زمن يسوع .

إشعياء ٤٢ : ١

وعلى هذا يبدو أنه من المحتمل أن يسوع عند معموديته عرف أمرين : أولهما أنه تأكّد من علاقته الخاصة با لله كالشخص الذي اختير بصفة خاصة ليبدأ مجتمع ا لله الجديد، ثانيهما أنه تمت تذكرته أيضاً بأن كونه المخلص الموعود به من ا لله، وهذا يعني شيئاً مختلفاً تماماً عما كان معظم الناس يتوقّعونه، فهذا معناه قبول الألام والخدمة كجزء لابد منه في حياته. وكان هذا أمراً بالغ الصعوبة، وهذا ما كان سيكتشفه يسوع على نحو من السرعة. ولكنه واجه المشكلة بقوة ا لله نفسه، وهو بعض ما تذكره حين نزل عليه الروح القدس في هيئة حمامة.

يسوع يقرر أولوياته:

تخبرنا الأناجيل أنه بعد أن اعتمد يسوع، تقدم يسوع في الحال ليقوم بأدواره بحسب الأولويات، كما وعده ا لله ليكون المحرر والمسيا . فكل تجربة من التجارب التي واجهها لم تكن من النوع الذي يحمل في طياته المعاناة، أو التواضع وهما شيئان كان يدرك يسوع أنهما في مشيئة الآب ولابد أن يجتاز فيهما .

● أول كل شيء واجه تجربة قيام بمجتمع جديد عن طريق وسائل اقتصادية، وذلك بتحويل الحجارة إلى خبز. ومما لا شك فيه أن هناك كثيرين من الجوعى في العالم كانوا يرحبون بأن يحصلوا على خبز من أي مصدر. وكان يسوع نفسه في البرّية، ولابد وأنه كان يعاني من شدّة الجوع. وفضلاً عن ذلك، كثيراً ما صوّر العهد القديم المجتمع الجديد على أنه زمن يتحقق فيه الازدهار المادي حيث

لوقا ٤ : ١ - ٤

يشبع الجوعى ويجد كل إنسان احتياجاته. ومن ثـم فهنـاك مـبرّرات
قوّية تدفع يسوع إلى ضرورة الاهتمام بمثل هذه الأمور. لكنـه كـان
يعرف أن الشهرة والشعبية التي تأتي نتيجة عمـل المعجزات ليسـت
كتلك التي تأتي نتيجة الآلام والخدمة .

وهناك كلمة وجهها الله لشـعب إسـرائيل في لحظـة حاسمـة
من تاريخهم الماضي ساعدته على التغّلب على هذه التجربـة: " ليس تثنية ٨ : ٣
بالخبز وحده يحيا الإنسان". وليـس معنـى هـذا أن يسـوع قلـل مـن
شأن احتياجـات النـاس الماديـة. ولكنـه أدرك أن هـذه ليسـت أهـم
احتياجاتهم من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا ما لم يقصـده الله مرقس ٦ : ٣٠-٤٤
بأن يكون موضع التركّيز الشدّيد في عمله . والواقع أن يسوع فيمـا
بعد قدّم طعاماً للجياع. ولكنـه كـان يعـرف أن هـذا ليس الهـدف
الرئيسي للحياة .

● والتجربة الثانية وهي أن يطرح نفسه مـن جنـاح الهيكـل
إلى أسـفل أي إلى الفِنـاء المزدحـم بالجماهير دون أن يجـرح نفسـه.
وكان من اليسـير عليـه جـداً أن يبّين أنـه المسّـيا مـن خـلال عمـل
المعجزات، لأن المعجزات والأمور غير المألوفة تلقى قبولاً خاصاً مـن
الشعب ممن كان يعرفهم يسوع حق المعرفة. ولقد قال بولس، وهـو
الذي يعرف اليهودية أفضل من كثـيرين غـيره، قـال إنـه مـن طبـاع ١ كو ١ : ٢٢
اليهود أنهم "يسألون آية". وحتى في عصرنا هذا الذي يشهد تقدّمـاً
علمياً مذهلاً، كثيرون منا لا يزالـون ينجذبـون نحـو مـا هـو غريـب
ومثير. وأي شخص يدّعي أن بمقدوره عمل المعجزات لا يجد صعوبة
في جذب الأتباع .

فهنا أيضاً نجد أن التجربـة تتجـاوز مجـرد منطـق الموقـف أو ملاخي ٣ : ١
الحدث. لأنه توجد بالفعل نبوّة في العهد القديـم عـن ظهـور المسـيا

بشكل فجائي ودراماتيكي مثير في الهيكل. كما أنه يوجد وعد أيضاً في مزمور ٩١ يشير إلى أن الله سيحمي أولئك الذين يختبرونه. أليس هذا هو الوقت الذي نجرب فيه الله ؟ وإذا كان يسوع هو حقاً مسيح الله، فمن المؤكد إذاً أن بمقدوره أن يتوقع أن يفي الله بوعوده. وهذا فكر جذّاب حقاً. ولكن الرد عليه جاء في نفس

تثنية ٦ : ١٦ الوقت العصيب الذي اختبره شعب إسرائيل. "لاتجربوا الرب إلهكم". ويظهر من سياق مزمور ٩١ أن وعد الله لا ينطبق إلا على الذين يعيشون في طاعة وخدمة مشيئة الله. وعمل مشيئة الله بالنسبة ليسوع معناه الخدمة والألم، وليس استخدام وعود الله بشكل اعتباطي لخدمة مصالحه الأنانية.

وهكذا، رفض يسوع تجربة إعلان أنه المخلّص الموعود به من الله وذلك عن طريق استعراض قدرته على عمل المعجزات. ولكنه قام فعلاً بعمل المعجزات. إلا أنه – كما سنرى فيما بعد – أوضح أيضاً أن المعجزات هي علامات حيّة على رسالته، ولكنها لا تشكل رسالته نفسها.

متى٤ :٨–١٠ ● التجربة الثالثة أن يكون مسيحاً سياسياً. وهي التجربة الثانية عند لوقا، غير أن متّى جعلها الثالثة. ولعله عمل هذا ليؤكد أهميتها. وليس من شك في أنه لابد وأن هذه التجربة كانت أقوى من كل ما عداها. وعلى أية حال، فإن هذا على وجه الدقة هو كل ما كان معظم اليهود يتوقّعونه من المسيح. وكانوا على وجه العموم يؤمنون أيضاً أنهم سيحكمون كل الأمم الأخرى في العهد الجديد الذي أوشك أن يبدأ – وقد جُرّب يسوع في أن يقبل سلطان الشيطان لكي تكون له السلطة على العالم. ولقد أضفى الشيطان على هذه الفكرة مزيداً من الإثارة برؤية بهاء ممالك العالم. لكن

يسوع أدرك أن هذا أمر مختلف تماماً عن نوعية المجتمع الذي كان عليه أن يبدأه. وليس معنى هذا أن يسوع لم يكن متعاطفاً مع رغبة شعبه الملحة وتلهفه إلى الحرية. وعلى أي حال، فإنه هو نفسه ذاق طغيان الرومان. ولقد عمل بيديه لكي يحصل على ما يكفي لدفع الضرائب للرومان. وكان يعرف جيداً حالة البؤس التي كان يعيش مواطنوه في ظلها .

ولكنه عارض انخراطه في الأمور السياسية باعتباره المسّيا المنتظر لسببين. **أولاً** : رفض الشروط التي عرضها عليه الشيطان. وطبقاً لما ذكره الإنجيل فقد عرض الشيطان أن يشارك يسوع في السيادة. وإذا ما قبل يسوع أن يكون للشيطان سلطان على العالم ككل، فإنه سيُعطي في مقابل ذلك سلطة سياسية محدودة. وهذا أمر ما كان سيقبله يسوع. فالتزامه الشخصي، والالتزام الذي طلبه فيما بعد من أتباعه، هو أن الله وحده هو السيد والرب. والاعتراف بسلطان الشيطان في أي ناحية من نواحي الحياة معناه إنكار سلطان الله المطلق .

وعلاوة على ذلك، فقد عُرضت على يسوع إمكانية أن يحكم بسلطان ومجد امبراطور مثل الامبراطور الروماني. ولكن يسوع كان يعرف أن هذا ليس عمله. وكان يعلم أن حكم الله في حياة البشر والمجتمع لا يمكن أن يُفرض من خارج. وإذا كان هناك درس واحد ينبغي أن يتعلمه من تاريخ شعبه، فهذا هو الدرس. فقد كانت لديهم كل الأحكام، في العهد القديم، ولكنهم بين آونة وأخرى كانوا يظهرون عجزهم عن العمل بها. ولقد رأى يسوع أن ما يحتاجه الناس هو أن يقدموا مشيئتهم وطاعتهم التامة لله، وبهذا يُعطون الحرية الأدبية لخلق نوعية المجتمع الجديد الذي يريده الله لهم.

ولهذا، فإنه من المؤكد أن التجربة الثالثة كانت أقوى التجارب وأكثرها إلحاحاً. وقد رُفضت أيضاً بأقصى قدر من الحسم والقطع "اذهب يا شيطان". فما كان ليسوع أن يحاول أن يفرض على العالم نظاماً فاشستياً ليحل محل النظام الفاشستي العتيق الذي كانت تفرضه روما. فمجتمعه الجديد لن يكون حكماً يتسم بالطغيان والقسوة كما تصور كثيرون من اليهود، بل سيكون حكماً نابعاً من الطبيعة الجديدة الداخلية لأولئك الذين يشكّلون جزءاً منه، فيما يخدمون ويعبدون الله وحده.

قصص ميلاد يسوع :

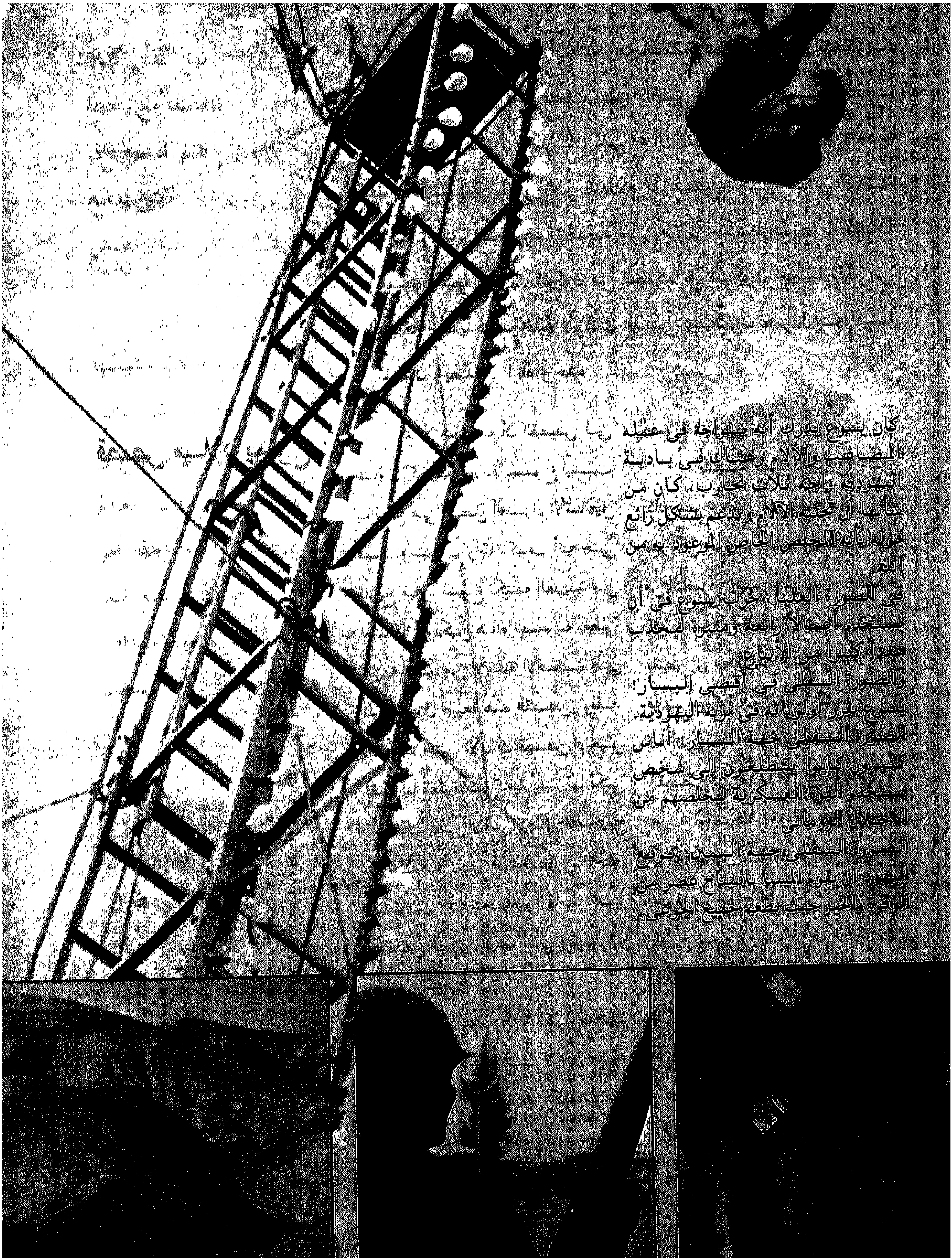
مما لا شك فيه أن القصص التي تتناول كيفية ولادة يسوع ليست بالقطع هي أسهل أجزاء الأناجيل فهماً. وسبق أن رأينا كيف أنه حتى تاريخ ميلاد يسوع تكتنفه العديد من المشاكل. ولكن هذه الصعوبة يُغطى عليها الكثير من الأسئلة الأصعب التي تدور حول طبيعة هذه القصص. ولقد افترضنا حتى الآن أن قصص الإنجيل تقدم لنا معلومات كافية يُعتد بها لكي تكشف على الأقل الإطار الصحيح للأحداث. غير أن بعض الباحثين يميلون إلى أن يتجاهلوا تماماً كل القصص التي ذكرها متّى ولوقا عن ميلاد المسيح.

وقد اعتبروها قصصاً وضعتها الكنيسة الأولى في وقت لاحق لتقدّم يسوع في صورة الشخص كما أرادوه بعد أحداث الفصح الأول، وليس من نوعية الشخص الذي كان عليه بالفعل "يسوع التاريخي".

بالنسبة للمسيحيين الأوائل، كان يسوع هو ربّهم المقام وابن الله. فلم يكن مجرد ابن مريم ويوسف، نجّار من الناصرة. فلم يكن يسوع سوى الله نفسه. والحجّة تذهب إلى أنه بالنظر إلى معتقدات المسيحيين الأوائل فإنهم أدركوا أن شخصاً كهذا ما كان له أن يُولد ولادة عادية، ولهذا ألّفوا القصص التي نجدها الآن في الأناجيل.

والمشكلة الخاصة بهذه القصص تتركّز حول ما ذكره كل من متّى ولوقا من أنه لم تكن ثمة علاقة جنسية بين مريم ويوسف حين وُلد يسوع (مت ١: ١٨، لو ١: ٢٧، ٢٦).

وبالنظر إلى أننا نعرف من خبرتنا الشخصية أن هذا أمر مستحيل فإن كثيرين من المسيحيين وغير المسيحيين أنكروا وجود أية حقيقة تاريخية بالنسبة لهذه القصص. وعوضاً عن ذلك رأوا



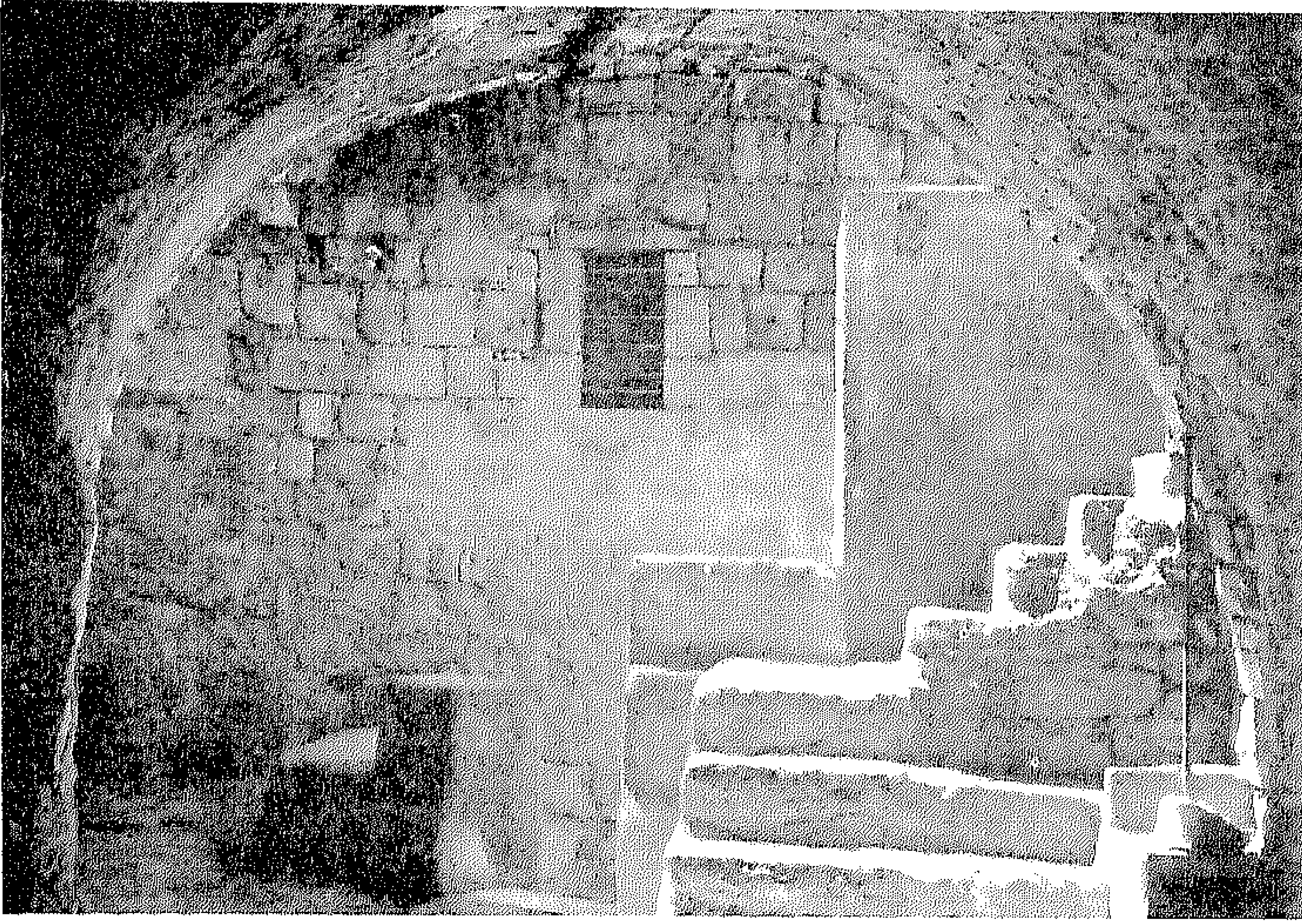
كان يسوع يدرك أنه سيواجه في عمله المصاعب والآلام وهناك في بادية اليهودية واجه ثلاث تجارب، كان من شأنها أن تجنبه الآلام وتدعم بشكل رائع قوله بأنه المخلص الخاص الموعود به من الله.

في الصورة العليا، جرّب يسوع في أن يستخدم أعمالاً رائعة ومثيرة ليجذب عدداً كبيراً من الأتباع.

والصورة السفلى في أقصى اليسار، يسوع يقرر أولوياته في برية اليهودية.

الصورة السفلى جهة اليسار، أناس كثيرون كانوا يتطلعون إلى شخص يستخدم القوة العسكرية ليخلصهم من الاحتلال الروماني.

الصورة السفلى جهة اليمين، توقع اليهود أن يقوم المسيا بافتتاح عصر من الوفرة والخير حيث يطعم جميع الجوعى.



وُلد يسوع في فناء وفي مزود للبقر، مثل هذا الذي نجده خلف خان في بيت لحم.

فيها محاولات رمزية لنقل الحقائق الدينية في قالب شعري رائع للتأكيد على أن يسوع كانت له علاقة خاصة با لله من بداية وجوده كإنسان، بل وحتى قبل ذلك.

والإجابة على أسئلة كهذه سوف تعتمد بشكل رئيسي على مواقفنا الأساسية وافتراضاتنا المسبقة في فهم العهد الجديد. فأولئك الذين يأخذون هذه القصص على أنها تمثل حقائق دينية لا تاريخية، يبدأون من حقيقة أنه لا يمكن أن يكون لنا أولاد بدون العلاقة الجنسية بين رجل وامرأة. وعلى هذا تراهم يقولون إن ذلك ما كان ليحدث بشكل مختلف عن هذا، لأن الأمر لن يتم بطريقة أخرى، فإذا بدأ من الوضع الأساسي بأن أي شيء يتعارض مع خبرتنا في هذه الحياة يستحيل أن يكون له وجود، فمن الطبيعي والحال هذه، أنه علينا أن ننتهي إلى أن القصص التي قيلت عن ميلاد المسيح في العهد الجديد ما هي إلا إضافات أسطورية للقصص الحقيقية التي تتناول حياة يسوع وتعاليمه.

ومع ذلك، يبدو لي أن هذه ليست الطريقة المثلى لمعالجة هذه المشكلة.

وما من أحد منا يجد أن الإيمان بالمعجزات والأمور الخارقة للطبيعة أمر سهل، ناهيك عن فهمها. ولذلك فإن السؤال المعقول الذي يجب توجيهه هو ليس ما إذا كانت خبرتنا الشخصية تؤدي بنا إلى تصديق حدوث المعجزات، بل ما إذا كان الدليل المتوافر لنا يقودنا إلى أن ننتهي بالنسبة لحالة معينة إلى ما نسميه معجزة قد وقع بالفعل. وهذا معناه أن السؤال المتعلق بميلاد يسوع بدون تدخل بشري ("الميلاد العذراوي") يجب أن يكون: هل الدليل المستمد من الأناجيل يصلح لأن يكون دليلاً تاريخياً ؟ فإذا تبّين أن الإجابة على هذا السؤال كانت بالنفي، فهنا علينا أن ننظر إلى القصص التي ذكرها متى ولوقا على أنها محاولات لاحقة لبيان كيف أن الميلاد المعجزي يمكن أن يكون أمراً صحيحاً

بالنسبة لشخص رائع. وإذا تبيّن أن الإجابة كانت "نعم"، هنا يتعين علينا – وبنفس الطريقة– أن نكون مستعدين لأن نتقبل ما يشير إليه هذا الدليل.

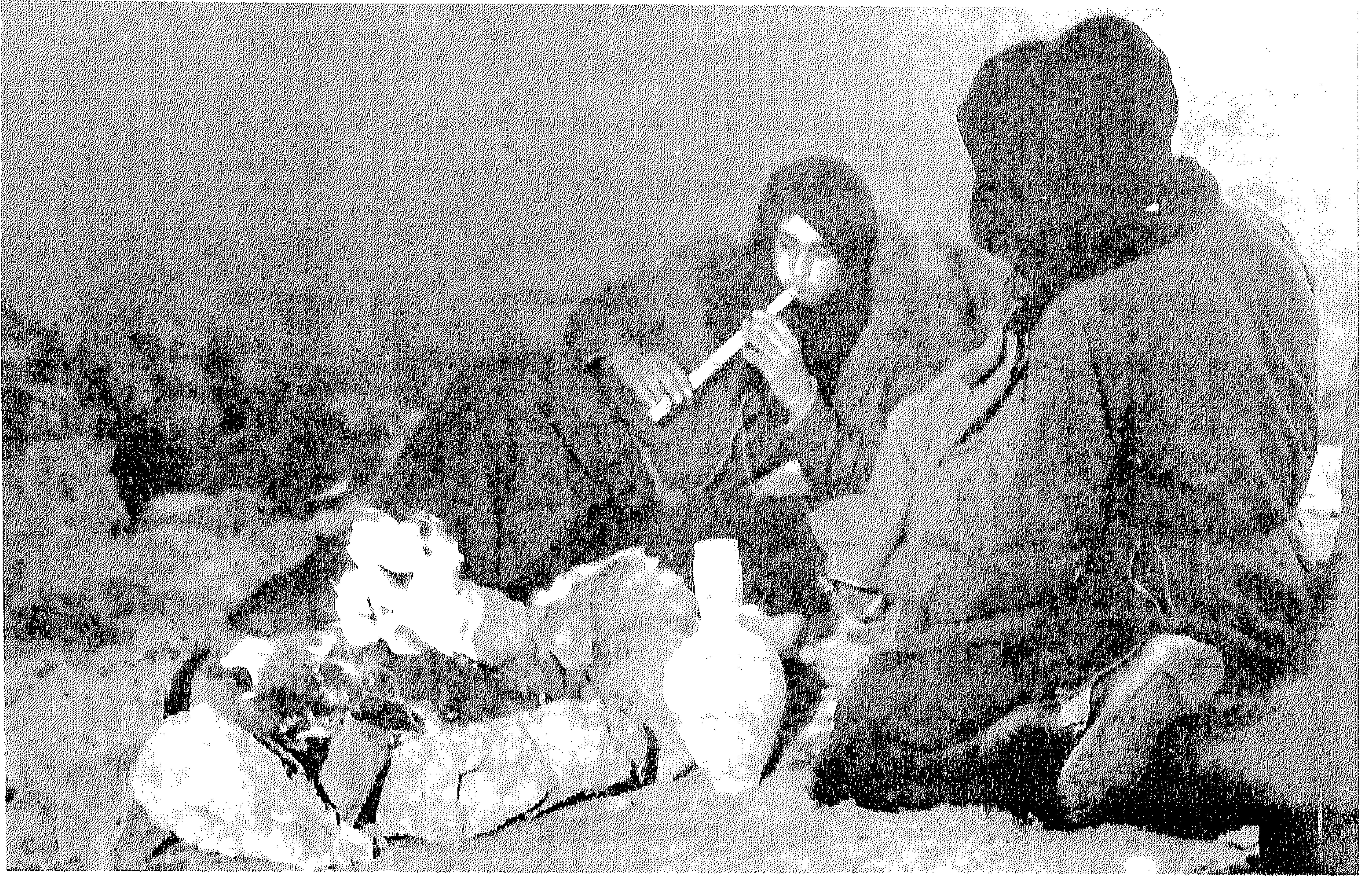
ولكن هذا يختلف عن قولنا إنه يتعين علينا أن نتقبل ببساطة كل الأقوال التي جاءت في جميع قصص الإنجيل كحقيقة تاريخية. وما أريد قوله هو أنه يجب علينا أن نكون على استعداد لفحص كل دليل في إطار حالته الموضوعية. وإذا وجدنا أنه يُوجد دليل تاريخي يشير إلى شيء خارق للطبيعة، فهنا لا يجب أن نرفض الدليل على أنه غير ذي صلة بالموضوع.

وكما حدث، فإن قصص ميلاد يسوع العذراوي تعطينا مثالاً طيباً بصفة خاصة عن نوعية الموضوعات التي يتعين علينا أن نتعامل معها. وهنا نجد حججاً عديدة:

فيما عدا الأصحاحات القليلة الأولى من إنجيليّ متّى ولوقا، لا يوجد قول صريح في بقية العهد الجديد كله أن يسوع وُلد من عذراء. ولا يوجد ذكر لهذا في موضوعات كرازة التلاميذ الأوائل في سفر أعمال الرسل. فبولس لم يذكر هذا إطلاقاً. بلشولا نجد ذكراً لهذا في إنجيليّ مرقس ويوحنا، على الرغم من أنّ هذين الإنجيلين لم يتعرضا لميلاد يسوع على الإطلاق. ولذلك يبدو أنه كان من الممكن للمسيحيين الأوائل أن يفهموا فهماً كاملاً ما عمله الله من أجلهم بيسوع المسيح دون أي ذكر لميلاد يسوع من عذراء. وكثيراً ما حاول الكُتّاب المسيحيون اللاحقون أن يُثبتوا أن ميلاد يسوع من عذراء أمر ضروري إذا كان للمسيحيين أن يؤمنوا أن يسوع كان بلا خطية، وأنه إنسان وإله. غير أن الرسول بولس –ضمن آخرين– آمن بكل هذه الأمور دون أن يحاول إطلاقاً أن يقيم أدلته على الأسلوب الخاص الذي وُلد به يسوع.

وقد يبدو هذا دليلاً قوياً للشك في مصداقية القصص الواردة في إنجيليّ متّى ولوقا. غير أن الحقيقة هي أنها حجّة ذات حدين. فبالنظر إلى أن فكرة الميلاد العذراوي لم تكن ضرورية للفهم التام لطبيعة شخص يسوع على وجه الدقة، فما الذي يحمل متّى ولوقا، إذاً على اختلاقها؟ وهذا سؤال مُلحّ على وجه الخصوص، بالنظر إلى أن القصص لم تتضمن نقاطاً لاهوتية صريحة تصف ميلاد يسوع. فعلى سبيل المثال لم يقل متّى ولوقا إطلاقاً أن يسوع كان بلا خطية لأنه وُلد بهذه الطريقة، أو أنها جعلته ابن الله، وكذلك كونه شخصاً من البشر. وما يذكران ذلك ببساطة كحقيقة واقعة بالنسبة للطريقة التي وُلد بها يسوع. ومن الصعوبة جداً أن تجد أي دافع ديني لاختلاف هذه القصص.

والواقع أن الأمر أيسر بكثير أن يُفترض أنه أُتيح لمتّى ولوقا الاطلاع



على تقاليد تاريخية من نوع ما، وكانت تتضمن هذه القصص الخاصة بميلاد يسوع، وأنهما ضمّناها قصصهما المختلفة إلى حد ما في إنجيليهما.

● في بعض الفقرات في الأناجيل يُشار إلى يسوع باعتباره "ابن يوسف" (لو٤: ٢٢، يو١: ٤٥، ٦: ٤٢)، والقوائم في كل من (متى١: ٢-١٦)، (لو٣: ٢٣-٣٨) تتبع سلسلة نسبه من خلال يوسف. ولذلك يُقال أحياناً إنه حتى في الأناجيل نفسها لا نجد تناغماً. لأنه كيف يكون يوسف والد يسوع إذا كانت مريم عذراء حين حبلت به؟ ولكن هذا ليس بالاعتراض الخطير كما يبدو لنا. ذلك أنه حين تزوج يوسف مريم، فلابد وأن يصبح في نظر الرأي العام والشريعة اليهودية، الأب الشرعي ليسوع وفضلاً عن ذلك، لا توجد كلمة "أب بالتربية" في العبرية أو اليونانية، ولذلك فإن كتبة الأناجيل ربما كانوا يسجّلون الوصف العام ليسوع على أنه "يسوع بن يوسف" فحسب. ومن المؤكد أن لوقا اعتقد أن هذا هو ما عمله (٣: ٢٣). ومن غير المحتمل على أي حال أن أي كاتب للإنجيل كان سيناقض نفسه بهذه الطريقة الواضحة.

● قيل أحياناً إن فكرة الولادة من عذراء استُخلصت من قصص يونانية أو شرقية عن آلهة اتصلت جنسياً بنساء من البشر وأنجبت أطفالاً. وهذه ليست بالحجّة الخطيرة، وقصص

الأناجيل تتحرك في إطار مختلف تماماً عن القصص التي قيلت عن آلهة اليونانيين. فلسنا في حاجة سوى أن نقرأ قصة إعلان ولادة يسوع من مريم (لوقا ١: ٢٦-٢٨) ونقارنها بقصص الفسوق التي تناولتها الأساطير اليونانية كي ندرك أنه لا توجد علاقات وثيقة بينها. وإضافة إلى ذلك، فكل ما جاء في لوقا ١-٢ له طابع بدائي إذا ما قورن ببقية كتابات لوقا. وعلى الرغم من أن بعض الباحثين يعتقدون أن هذا يتم عن طريقة متعمدة لجأ إليها لوقا تقليداً لأسلوب الترجمة اليونانية للعهد القديم (الترجمة السبعينية).

وقال آخرون إن اللغة اليونانية التي كتب بها لوقا لها طابع متناغم بما فيه الكفاية للقول بأنه هنا كان يقتبس أو يعتمد على مصدر آرامي. وإذا كان الأمر كذلك، فلابد والحال هذه أن يكون قد حصل على قصص ميلاد يسوع هذه من أول جماعة من المسيحيين بفلسطين ذاتها، وهم المسيحيون الوحيدون الذين كانوا يتكلّمون الآرامية على وجه الإطلاق.

● أما قصة متّى فتثير بالأحرى مشكلة من نوعية مختلفة. ذلك أنه تدعيماً لقصته جاء باقتباسات من العهد القديم :"وهذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل" (متى ١: ٢٢و٢٣). والأكثر من ذلك، أن هذه الفقرة المأخوذة من إشعياء النبي في العهد القديم لها معنى مختلف تماماً في الترجمة اليونانية للعهد القديم عن المعنى التي وردت به في الأصل العبري. وقد اقتبس متّى من النسخة اليونانية. غير أنه في النص العبري لإشعياء ٧: ١٤ قيل "شابة"، و لم تُوصف بالتعبير الفني "عذراء". ولذلك قال البعض إن فكرة الميلاد العذراوي كلها قد اختُرعت من هذه الترجمة الخاطئة لفقرة إشعياء في الترجمة السبعينية.

وهناك ثلاثة أمور يجب ذكرها هنا :

أولاً: هذه الحجّة يمكن أن تنطبق على إنجيل متّى فقط نظراً لأن لوقا لم يستشهد بالعهد القديم تدعيماً لقصته عن الولادة من عذراء، ولذلك، وحتى لو فرض أن هذه الحجة صحيحة، فإنها تؤثر في قصة متى فقط وليس في قصة لوقا.

ثانياً: إذاً، فإنه حقاً، وبلا ريب، أن السبب الوحيد الذي حمل متّى على قبول واستخدام النسخة اليونانية بدلاً من النص العبري هو أنه كان مناسباً بالأكثر لقصده بخلاف النص العبري. غير أن هذه سمة عامة من سمات إنجيل متّى. فكثيراً ما يختار متّى نصوصاً من العهد القديم ويقول إنها تحققت في حياة يسوع وخدمته وبطريقة تبدو لنا غير ذات صلة وعديمة

الأهمية. وهذا أمر شبه مؤكد لأنه كان يكتب أساساً للقرّاء اليهود.

وكان اليهود يعتقدون بأن مسيح الله سوف يحقق وعوداً معينة في العهد القديم، وهكذا كان متّى يشير إلى العهد القديم بأكثر مما فعله كتبة الأناجيل الآخرون. وذلك ليقنع القرّاء اليهود بأن يسوع كان حقاً المسيا الذي كانوا ينتظرونه.

ثالثاً: من المحتمل تماماً ألاّ يكون كاتب إنجيل متّى الحقيقي هو الذي اختار هذه الآية بالذات من النص من سفر إشعياء، وهناك دليل كاف يشير إلى أن الكنيسة في مرحلة مبكرة جداً من تاريخها بدأت تجمع معاً نصوصاً من العهد القديم بدت لها أنها تتنبأ عن بعض النواحي من حياة يسوع. وهذه هي مجموعة النصوص التي يطلق عليها باحثو العهد الجديد اسم "شهادات". وربما كانت هناك مجموعات عديدة مختلفة بعد موت يسوع بزمن ليس بطويل. ومفهوم الولادة من عذراء كان غير مقبول بالمرة من اليهود الأرثوذكس، ونحن نعرف أن كثيرين من أعضاء الكنائس الأولى ظلوا يهوداً صالحين بعد أن أصبحوا مسيحيين. وبالنظر إلى أنه ما من أحد سوى اليهود المقتنعين سوف يهتم بإثبات أنه في يسوع تحققت نبوّات العهد القديم، فمن غير المحتمل على الإطلاق أنهم اكتشفوا هذه الفكرة هناك ما لم يكونوا يعرفون أساساً تاريخياً لذلك.

فما الذي نتوصّل إليه إذاً عن ميلاد يسوع من هذه القصص الواردة في إنجيليّ متّى ولوقا ؟ من المؤكد أنه بمقدورنا أن نعرف بالتأكيد أنه حين نطبّق عليها القواعد العادية للبحث التاريخي، فإن الموضوع لن يكون واضح المعالم كما يبدو حين ننظر إليه من وجهة نظر فلسفية ونسأل ببساطة: هل من الممكن أن تكون قد حدثت مثل هذه المعجزة ؟ ومن الواضح أن متّى ولوقا كانت لديهما بالأحرى تقاليد مختلفة عن ميلاد يسوع. ومع ذلك فإنهما يتفقان من ناحية أن مريم كانت عذراء حين حبلت به، ويجب علينا ألاّ ننسى أن الإنجيلين الآخرين لا يعرضان لميلاد يسوع إطلاقاً. والقصص لم تتضمن ادعاءات لاهوتية، ومع أن فكرة الولادة من عذراء لم تُذكر في أي موضع آخر في العهد الجديد، فإنه لا يوجد شيء يناقضها في أي موضع.

وفضلاً عن ذلك فالتقليد الخاص بالكنيسة المسيحية بجملته بدءاً من القرن الثاني وما بعد ذلك يؤيد الاعتقاد بأن يسوع وُلد من عذراء، بل إنه حتى في أناجيل الأبوكريفا التي صدرت في تاريخ لاحق لا توجد قصة أخرى عن ميلاد يسوع. وعلى هذا

يبدو أن أغلبية المحاولات التي استهدفت إنكار أي طابع تاريخي لقصص الإنجيل بالنسبة لهذه النقطة قامت على افتراضات لا تفسح المجال للأمور الخارقة للطبيعة، وليس على أساس فحص الدليل من الناحيتين العلمية والتاريخية.

هل استغرقنا وقتاً طويلاً دون أن نثبت شيئاً ؟ إذا كانت المحصلة الوحيدة لبحثنا هي أن نبيّن أن يسوع قد وُلد دون أب بشري، فإننا لم نقل شيئاً عميقاً جداً، أو له صلة بالموضوع. لكن المسيحيين الأوائل أرادوا أن يقولوا ما هو أكثر من ذلك. ويسوع نفسه أراد أن يقول أكثر من ذلك بكثير، وهذا ما سوف نلمسه في الفصل التالي.

هل كان يوحنا عضواً في جماعة قمران ؟

بالنظر إلى التشابهات بين ما نعرفه عن يوحنا المعمدان وأنشطة جماعة قمران، لم يكن ثمة مفر من أن نسأل هل كانت هناك علاقة بينهما ؟ وهناك تشابهان رئيسيان بينهما نجد أنه ينبغي علينا النظر فيهما.

في برية اليهودية :

طبقاً لما ذكره لوقا، عاش يوحنا المعمدان في البرية حتى بدأ خدمته العلنية (لـو ١: ٨٠، ٣:

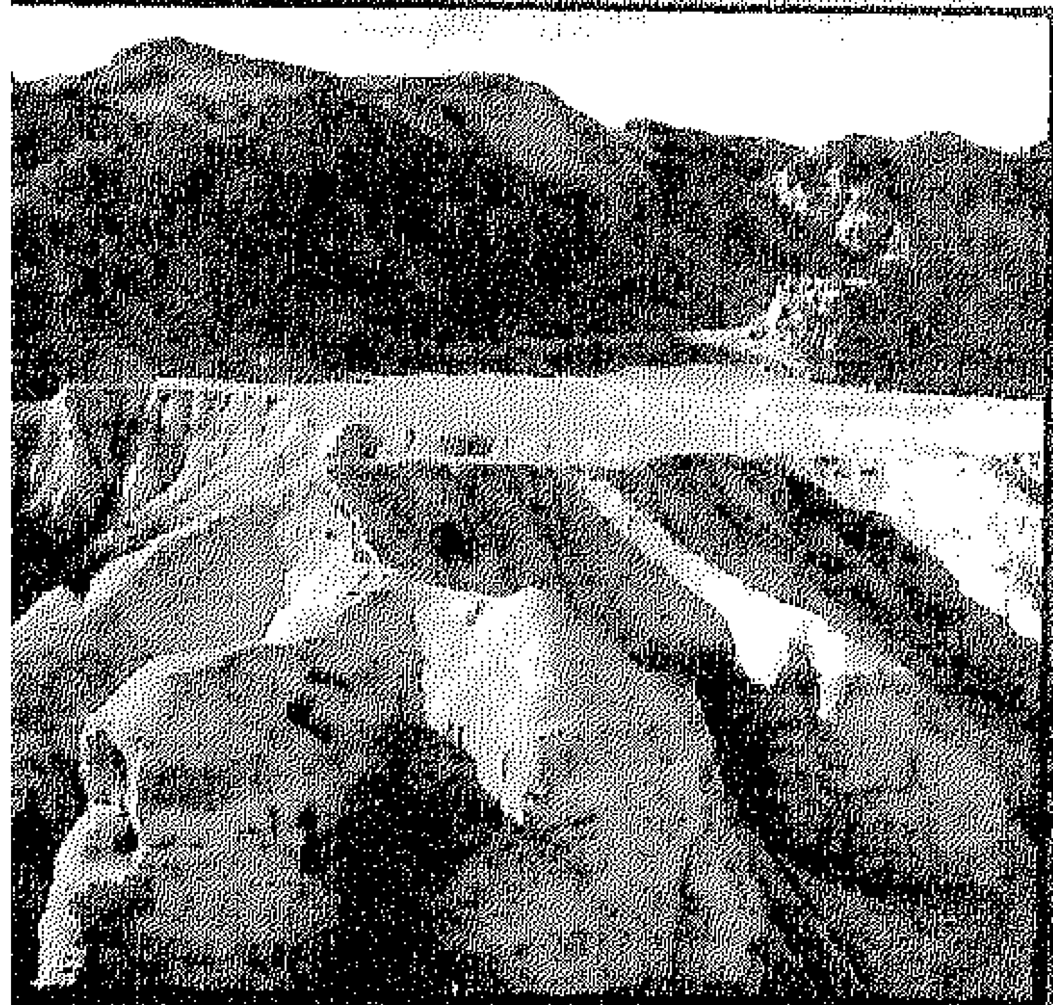
الصورة المقابلة لواحد من أكثر الاكتشافات المثيرة الشاملة لمصادر الكتاب المقدس القديمة في بعض كهوف قمران بالقرب من البحر الميت. فهناك اكتشاف بالصدفة لأحد الصبية الرعاة كان من شأنه أن قاد علماء الآثار إلى المنطقة، وبدأت الحفريات عام ١٩٤٧. وقد تم اكتشاف ما يزيد على أربعمائة مخطوطة يعود تاريخها إلى القرن الأول. فقد وُجدت هناك كل أسفار العهد القديم باستثناء سفر أستير. كما وُجد أيضاً الكتيّب الذي يتضمن كل أحكام مجتمع الأسينيين ومعتقداتهم وهم الذين عاشوا زمن المسيح. وهذه الجماعة انفصلت عن مجموعات يهودية أخرى كي تكون الدير الخاص بها. وكانت اللفائف مخبأة في جرار الكهوف لحمايتها من الجيش الروماني الذي كان يهاجم اليهود سنة ٨٦م. وصورة الخلفية تبين مدخل الكهف رقم ٤، حيث اكتُشفت معظم اللفائف.

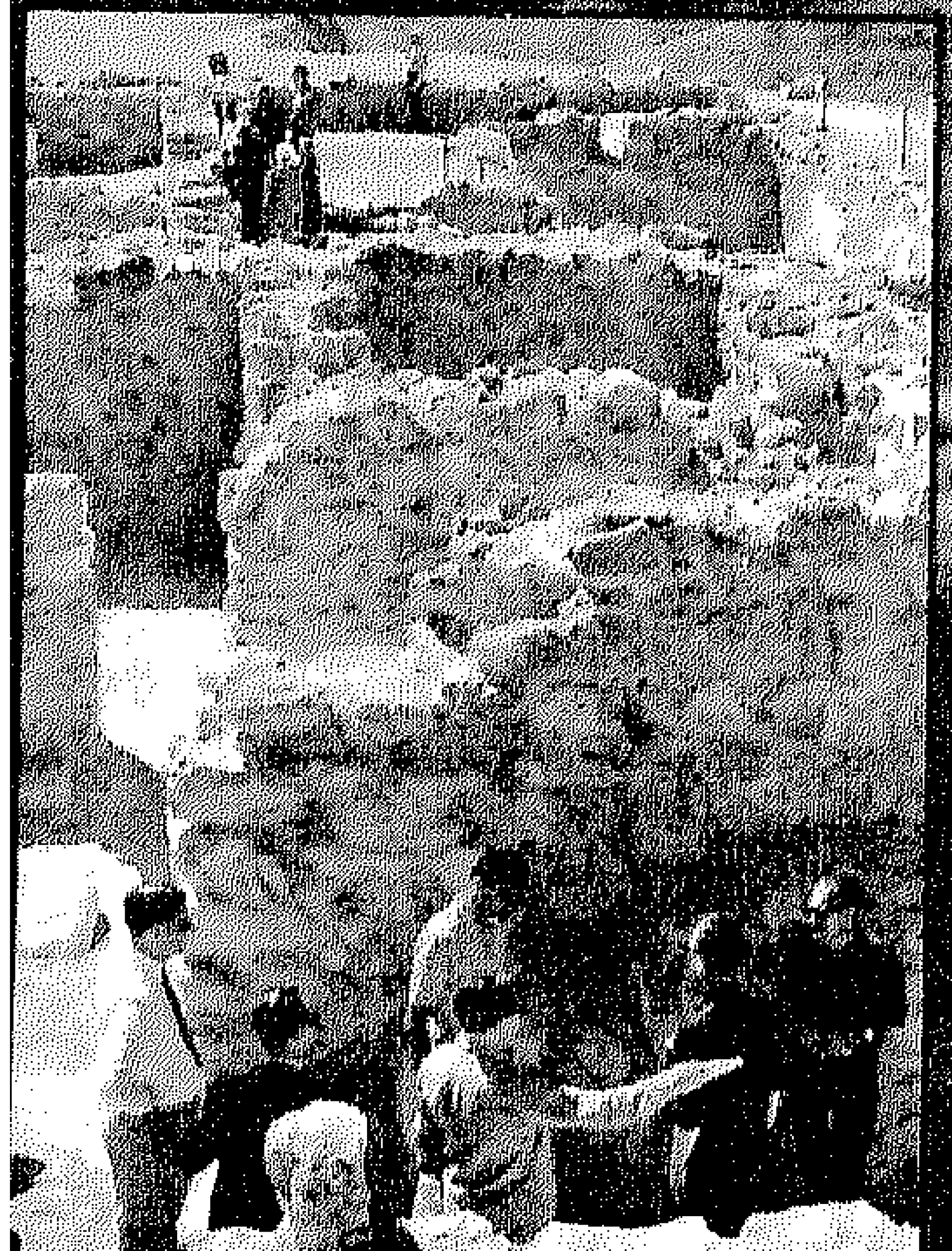
– الصورة في أعلى اليسار : تبيّن كهوف قمران .

– الصورة في أسفل الجهة اليسرى : تبيّن أن بمقدور السيّاح الآن أن يزوروا مباني الحفريات حيث عاش الأسينيون.

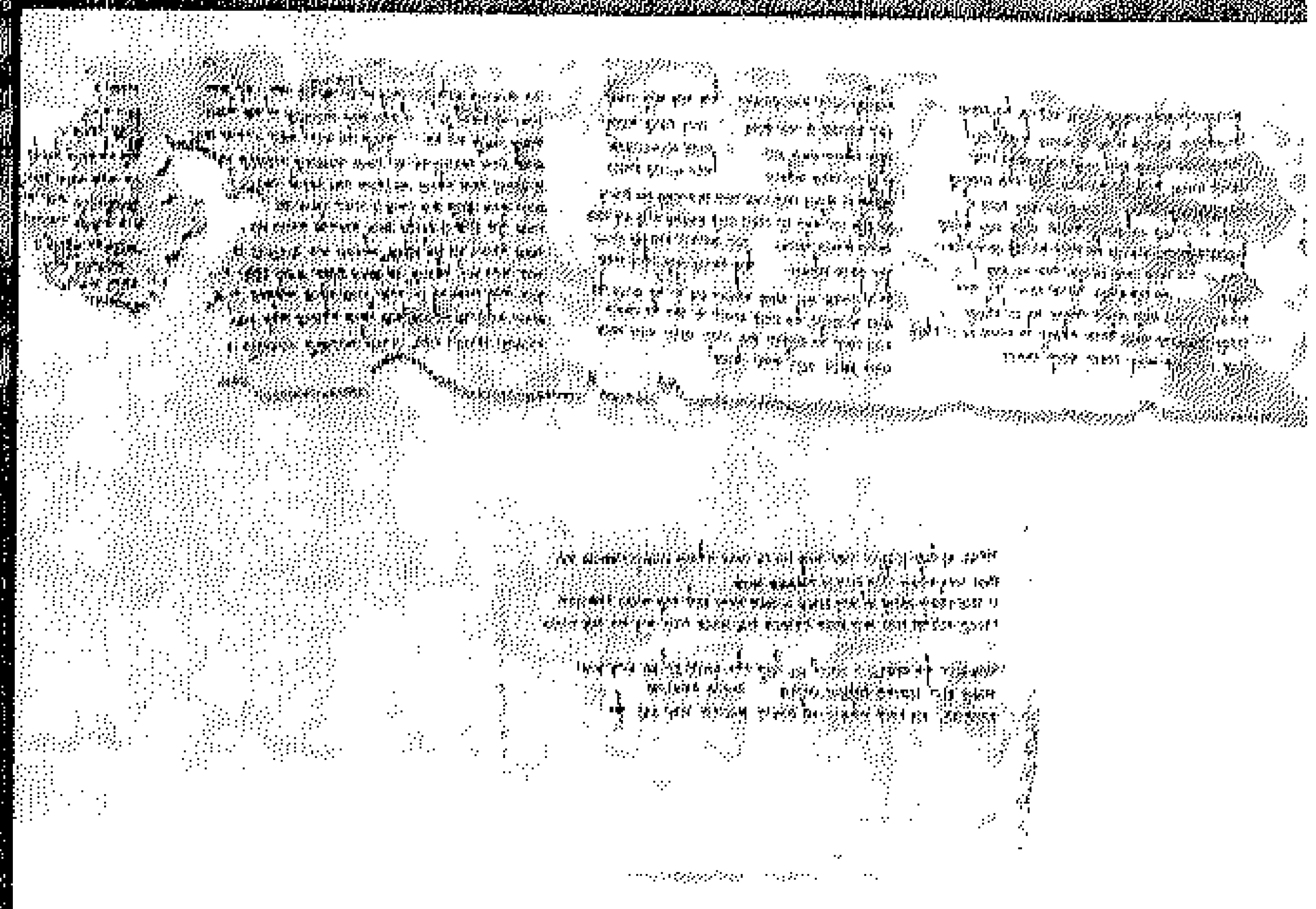
– الصورة التي في المنتصف : تبين اثنين من الجرار التي كانت تحوي اللفائف.
وهي الوحيدة من نوعها في العالم التي وُجدت كاملة.

– الصورة التي جهة اليمين : جزء من اللفائف الخاصة بسفر التثنية .









٢). وبالنظر إلى أنه كان يعمّد في نهر الأردن، فإنه من الطبيعي افتراض أن البرّية المشار إليها هي برية اليهودية المحيطة بالبحر الميت، والتي يتدفق فيها نهر الأردن. وهذا يعني أنه ربما كان يعيش في نفس البرية التي كان يعيش فيها أهل قمران، وفي نفس الفترة تقريباً. ومن حيث أن ديرهم لابد وأنه كان من الأمكنة القليلة التي يمكن أن يعيش الإنسان فيها في البرّية، فقد قيل إن يوحنا ربما كان على معرفة جيدة بهم، بل وربما كان عضواً في جماعتهم.

ومن المؤكد أنه ليست هناك صعوبة في الاعتقاد بأن يوحنا كان يعرف بوجود الدير في قمران. إلا أن البعض قالوا إنه كان عضواً في هذه الجماعة، وأنهم قاموا بتربيته منذ حداثته. وقد أقاموا حجتهم هذه على ما جاء في (لو ١: ٨٠) من أنه كطفل كان "ينمو ويتقوى بالروح" وأنه كان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل" وهذا القول يمكن أن يضاف إلى معلومة ذكرها يوسيفوس عن الأسينيين. فقد قال إنهم كثيراً ما كانوا يتبنون أبناء الآخرين لتلقينهم أفكار شيعتهم، ولكن وجهة النظر هذه تكتنفها صعوبات كثيرة :

- الكلمات اليونانية المستعملة في لوقا١: ٨٠، ٣: ٢ لا توحي بالضرورة أن يوحنا نشأ بالفعل كصبي في البرّية يتأمل عمل حياته، وذلك قبل قيامه بتعميد الناس مباشرة، إذ أن المضمون الطبيعي لقصة ميلاده يُظهر أنه تربّى بالطريقة العادية على يديّ والديه.
- كما أنه من غير المحتمل أيضاً أن يكون والداه قد سمحا لجماعة مثل جماعة قمران بأن تتبني ابنهما. ولا يرجع ذلك إلى أنهما كانا يتلهفان بأن يكون لهما ابن، بل لأن أباه زكريا كان كاهناً ــ ومن بين المعتقدات البارزة لجماعة قمران أن كهنة أورشليم كانوا فاسدين.

ومن الصعوبة الاعتقاد بأن والديّ يوحنا قد قدّما ابنهما لجماعة كانت تعادي كل ما كانا

أنه ليس من الأسهل عمل ذلك استناداً إلى طقوسهم الدينية. ونحن نعرف أن يوحنا وأهل قمران أيضاً استخدموا الماء في طقوسهم الدينية، إلا أنه ليس هناك ما نستطيع قوله أكثر من ذلك. والواقع أنه توجد اختلافات كبيرة بين مفهوم المعمودية عند يوحنا، والغسلات الطقسية التي كانت تمارس في قمران :

● كان هناك اختلاف بالنسبة للناس الذين كانوا يشاركون فيها. فيوحنا كان يعمّد الذين أرادوا أن يغيروا من أسلوب حياتهم. أما جماعة قمران فلم يمثلانه.

● علينا أيضاً أن نتذكر أن برّية اليهودية كانت شاسعة وليس من الضروري أن كل من يعيش فيها كان لابد وأن يعيش في قمران. ذلك أن الشواطىء المحيطة بالبحر الميت عامرة بالكهوف التي تصلح لتكون مأوىً مثالياً للنسّاك، مثلما كانت بالنسبة للغيورين الذين كانوا يقاومون الرومان بعد تدمير أورشليم سنة ٧٠م. بل إن يوسيفوس يقول لنا كيف أنه ذات مرة انضم إلى رجل اسمه (بانوس Bannus)، كان يعيش عزلة في البرية. وإغراء مثل هذه النوعية من الحياة كان دائماً قوياً بالنسبة لأناس لهم ميول معينة. وبمقدورنا أن نكون واثقين تماماً من أنه لابد وأنه كان هناك أفراد كثيرون يعيشون هكذا في البرية المحيطة بالبحر الميت.

المعمودية :

من الصعوبة إيجاد أية علاقة بين يوحنا والأسينيين على أساس أسلوب حياتهم، ومن المؤكد



كان يوحنا ينظر إلى المعمودية على أنها رمز للتوبة. ولا يزال المسيحيون يمارسونها للإشارة إلى الإيمان بالمسيح سواء بالنسبة للأطفال أو للكبار المتجدّدين.

تكن تقبل إلا الذين يستطيعون إثبات أنهم قد غيّروا بالفعل أسلوب حياتهم. والذي يريد الانضمام إليهم كثيراً ما كان عليه أن ينتظر مدّة سنة أو سنتين قبل أن يُسمح له بالاشتراك في الغسلات الطقسية في قمران، في حين أن يوحنا كان على استعداد لأن يعمّد فوراً أي شخص كان يريد التوبة.

● طابع الطقس كان مختلفاً. فالذي يعمّده يوحنا، لم يكن في حاجة إلى أن يتعمّد مرة أخرى على الإطلاق. أما في قمران، فالغسلات الطقسية كانت تُكرر مراراً كثيرة. والواقع أن البروفسور راولي H.H.Rowley أشار إلى أن "المعمودية" بالمعنى الذي نفهمه نحن في العادة ليست هي الكلمة الصحيحة لوصف ما كان يحدث في قمران. فمعموديات الأسينيين كانت وسيلة للطهارة الطقسية لحياة أعضاء هذه الشيعة، وليست طقساً يجب أن يُمارس كشرط للقبول فيها.

● معنى الطقس كان مختلفاً. فمعمودية يوحنا كانت تُجرى كجزء من الاستعداد لمجيء المسيا المنتظر. لكن غسلات قمران لم يكن لها علاقة بانتظار المسيا، أو أي شخص آخر. بل كانت مجرد وسائل للتعبير رمزياً عن النقاء الأخلاقي والروحي الذي كانت الجماعة تأمل حفظه بين أعضائها.

إذاً، هل كان يوحنا عضواً في جماعة البحر الميت ؟ يبدو أن أفضل إجابة هي أنه لو كان عضواً بها في أي وقت فمن المؤكد أنه كان قد غيّر نظريته بصفة جذرية حين بدأ خدمته العلنية. ولكن الحجج التي تؤيد ذلك ليست قوية، ومن المؤكد أننا سنكون في حاجة إلى دليل آخر لو حدث وتبين في أي وقت من الأوقات أنها كانت حججاً سليمة بشكل مؤكد.

الفصل الثالث

من هو يسـوع ؟

بعد أن تقابل يسوع مع يوحنا واعتمد منه، قضى معظم حياته كمعلم ديني. وكان من الطبيعي تماماً لمعلّمي اليهود الدينيين، أو "الربيين" كما كانوا يسمونّهم، أن يعيشوا حياة الترحال، حيث يتجّولون بين مكان وآخر، وفي غالبية الأحيان يصحبون معهم تلاميذهم. ومن الواضح أن يسوع أتّبع هذا النهج. فقد كان له تلاميذه، وكثيراً ما كان يُخاطب بلقب "معلم". ومثل غيره من المعلمين اليهود كان ينجز معظم عمله في المجمع، وهو المكان الذي كان اليهود يجتمعون فيه للعبادة كل يوم سبت. وكان أيضاً يتحدّث إلى الناس أينما قابلهم. وقد دعا أول تلاميذه من قوارب صيدهم، وكثيراً ما كان يعلّم في الخلاء حيث كانت الجماهير العريضة تستطيع أن تلتف حوله .

يو ١: ٣٨، ٣ : ٢، ٩ : ١٢

مر ١: ٢١، لو٤: ١٦، ٦:٦، مر١: ١٦ – ٢٠

وتعليم يسوع هو الذي أسر في الواقع قلوب الشعب. لأنهم فيما كانوا يسمعونه، أدركوا أنهم ليسوا أمام معلم عادي. فلم يكن مجرد تلميذ لمعلّم آخر، يقول للشعب ما سبق أن سمعه من آخرين. بل كان يتحدّث عن أمور جديدة تماماً عن الرجال والنساء وعلاقتهم با لله. وكان يقول ذلك بطريقة لم يكن معها مفر بالنسبة لأي واحد من أن يتخذ قراره بشأنه.

وكان لابد لمن يستمع إليه من أن يقبل حكم الكثيرين من الناس العاديين بأنه "كان يعلمهم كمن له سلطان"، أو يقبل رأي الفريسيين بأنه كان مدّعياً دينياً من أسوأ النوعيات .

متى٧: ٢٩، مرقس٢:٧

والتعليم الذي تسبّب في هذا الانقسام الحاد بينه وبين سامعيه كان بخصوص موضوعين. فمن ناحية قال يسوع أشياء عظيمة وجسورة عن شخصه وأهميته. وكان يعتقد بكل وضوح أنه هو نفسه المخلّص الموعود الذي كان اليهود ينتظرون أن يُرسل لهم من قبل ا لله. فهو وحده المسّيا الذي يستطيع أن يقيم المجتمع الجديد. ومن ناحية أخرى، فإلى جانب ما قاله يسوع عن مصيره وأهميته، نجد الأقوال التي تحدّث بها عن الطبيعة الحقّة للمجتمع الجديد ومعناه، ذلك المجتمع الذي اعتقد يسوع أنه جاء ليبدأه. ولسوف نستعرض بعض أقوال يسوع عن المجتمع الجديد في الباب الثاني. ومن المهم أولاً وقبل كل شيء أن نتأمل فيما قاله يسوع عن نفسه. ذلك أن أفكاره عن مجتمع ا لله الجديد، ومكانه في حياة البشر لن تكون ذات معنى ما لم نفهم ما قاله يسوع عن أهميته الشخصية في خطّة ا لله .

ابن الإنسان : إلى هنا، رأينا كيف أن الشعب اليهودي كان يتطّلع إلى ا لله لكي يرسل لهم المخلص الموعود، المسيا، الذي يبدأ المجتمع الجديد. ومن الطبيعي أن تعبير "المخلص الموعود به من ا لله" لم يُستخدم في الأناجيل : ولقد استخدمته هنا لمحاولة أن أوصّل للقارىء بلغة الحياة اليومية العادية شيئاً عن مفهوم الشعب اليهودي لكلمة المسيح (المسيا).

غير أنه مما يدعو للدهشة أن تطلّع على الأناجيل وترى كيف أنه في مرّات قليلة استخدمت فيها لفظة "المسيا" (أو ترجمتها اليونانية: "المسيح") لوصف يسوع. ولنأخذ، على سبيل المثال إنجيل مرقس. وربما كان هذا أول ما كُتب من الأناجيل، ولقد استُخدمت فيه كلمة "المسيا" (المسيح) سبع مرّات فقط. منها مرة في عنوان الإنجيل، ومن

مرقس ١:١ بين المرّات الست الأخرى، ثلاث مـرّات فقـط يمكـن أن تؤخـذ علـى أنها تشير إلى يسوع على أنه المسيا أو المسيح. وفي مـرّة واحـدة فقـط قال يسوع عن نفسه بصفة مباشرة إنه المسيح. وما يلفت النظر أيضـاً

مرقس٨ : ٢٩، ٩:١، ٤١، أنه في الفقرة الوحيدة الـتي قـال فيهـا يسـوع عـن نفسـه صراحـةً إنـه

١٤: ٦١-٦٢ المسيح، إذا به في الحال يستطرد ليتكلم عن شـخص مختلـف، ويعـرّف

مرقس ١٤: ٦٢ المسيح على أنه شخص يسميه "ابن الإنسان".

إذاً، من هو ابن الإنسان ؟ من غير الممكـن أن تتـأمل أيـاً مـن القصـص الـتي تتنـاول حيـاة يسـوع دون أن تـدرك أن لقـب "ابـن الإنسان" هذا يشكّل مفهومـاً في غايـة الأهميـة عـن يسـوع. والتعبـير الحالي استُخدم أربع عشـرة مـرة في إنجيـل مرقـس، أمـا في قصّـة متّـى الأكثر طولاً فقد ورد ما لا يقل عن إحدى وثلاثين مـرة. والواقـع أن "ابن الإنسان" هو التعبير الذي كثيراً ما اسـتخدمه يسـوع ليصـف بـه نفسه وعمله. إذاً ما معنى هذا التعبير ؟

قد يقول البعض إنه حين كان يسوع يتحدّث عـن نفسـه علـى أنه "ابن الإنسان"، فإنه كان يريد ببساطة أن يؤكد على أن جانباً مـن طبيعته كان إنساناً عادياً، في حين أن جانباً آخر منه يمكن أن يوصـف بتعبير "ابن الله". غير أن عبارة "ابن الإنسان" لابـد وأنهـا تعـني أكـثر من هذا. فعلى سبيل المثال، تحدّث يسوع عـن "ابـن الإنسـان آتيـاً في سحاب بقوة كثيرة ومجد" (مـر١٣: ٢٦)، أو "جالسـاً عـن يمـين قـوّة الله" (لو٢٢: ٦٩). ومثل هذه الأقوال لا يمكن أن يُقصد بها التـأكيد على طبيعة يسوع كإنسان بالمقابلة مع أقواله بأن لـه أهميـة خاصـة في خطط الله .

معنى " ابن الإنسان "

المعنى الدقيق لعبارة "ابن الإنسان" كان من أكثر الموضوعات التي أثير حولها جدل عنيف في الدراسات الحديثة للعهد الجديد. وما سنذكره هنا هو ملخص مختصر جداً لما يقوله أحد الباحثين.

وهناك نقطة اتفق عليها جميع المفّسرين وهي أن أفضل سؤال مفيد في هذا الموضوع هو: ما الذي فهمه أولئك الناس الذين كانوا يعرفون يسوع بالفعل حين سمعوه يستخدم تعبير "ابن الإنسان"؟ وبالنظر إلى أن أول مستمعيه كانوا من اليهود، فإنه من الأفضل أن نبحث في الديانة اليهودية عن الجواب. ومن المفيد دائماً أن نرجع أولاً إلى العهد القديم. وهنا نجد أن تعبير "ابن الإنسان" قد استخدم بطريقتين.

في أغلب الأحيان، يأتي هذا التعبير للتمييز بين الله والإنسان. وفي هذا السياق، فإنه يؤكد عادةً ضعف البشر وفقرهم بالمقابلة مع قدرة الله وقوته (عدد٢٣: ١٩، أيوب٢٥: ٦، مز ٨: ٤، ١٤٦: ٣، إشعياء٥١: ١٢). وهناك نبي أو اثنان من أنبياء العهد القديم خاطبهما الله بعبارة "ابن الإنسان"، (أي يا ابن آدم) وكان هذا في معرض التأكيد على الفرق بينهما وبين سيدهما (حزقيال٢: ١، دانيال٨: ١٧).

ولكن التعبير استُخدم بطريقة مختلفة تماماً في دانيال ٧: ١٣-١٤. وكان أبعد ما يكون عن الإشارة إلى ضعف الإنسان بالمقابلة مع عظمة الله، مثل عبارة "ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه قدّامه. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة"، "وسلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض".

وبمقدورنا أيضاً أن نطلّع على بعض الأسفار الرؤوية التي ربما كانت سائدة في زمن يسوع. ففي "٢أسدراس"، "وتشبيهات أخنوخ" يظهر "ابن الإنسان" ثانيةً كشخص خارق للطبيعة أرسله الله على اعتبار أنه قاضي البشرية مستقبلاً (٢أسدراس١٣، ١أخنوخ ٣٧-٧١). وليس بمقدورنا التأكد من أن أياً من هذين السفرين الرؤويين كان مكتوباً بالفعل أيام يسوع. ولكن من المؤكد أنهما يعكسان بالفعل أفكاراً كان يعتنقها كثيرون من معاصريه. ونحن في نفس الوقت في حاجة إلى أن نتذكّر أنه لم يكن كل اليهود مهتمين بمثل هذه الأفكار. بل وما كانوا



من بين تفسيرات عبارة "ابن الإنسان" أنها تؤكد ضعف البشر بالمقارنة مع عظمة ا لله. وبالنسبة ليسوع فإن ا لله هو معطي كل ما يتمتع به الإنسان.

جميعهم على معرفة جيدة بالعهد القديم بحيث يستطيعون أن يربطوا بصفة آلية بين هذه الأفكار واستخدام يسوع لهذا التعبير. والواقع أن بعض الباحثين الآراميين المتمكنين قالوا إن الكلمات التي استخدمها يسوع بالفعل ربما لم يكن لها أي معنى محدد على وجه الإطلاق.

ولذلك، فنحن لدينا ثلاث حقائق يجب تأملها قبل أن نقرر ما الذي قصده يسوع حين أطلق على نفسه لقب ابن الإنسان :

● الكلمات الآرامية التي استُخدمت بالفعل في عبارة "ابن الإنسان" ربما كانت لا تعني إلا القليل، وربما كانت عبارة مطولة تعني "إنسان".

● استُخدم تعبير "ابن آدم" (ابن الإنسان) في العهد القديم لوصف البشر واختلافهم عن ا لله.

● في سفر دانيال، وغيره من الأسفار الرؤوية اليهودية استُخدم التعبير للإشارة إلى شخصية سامية تشارك ا لله في سلطانه.

ومن المحتمل جداً أن هذه الحقائق كلها، لها مغزاها. وإذا لم يكن لتعبير "ابن الإنسان" أي معنى واضح محدّد في اللغة الآرامية التي كان يتكلم بها يسوع، فلربما رأى استخدامه بكل بساطة، لأن هذا يعطيه حرية استخدامه بحيث يعني تماماً ما قصده من استخدامه. ولو كان قد استخدم لقب "المسيح" لما سهل عليه أن يفسّر بدقّة دوره حسبما فهمه هو، بالنظر إلى أن الكثيرين كانت لديهم تصورات عديدة مسبقة بالنسبة لهذا الموضوع. وإذ استخدم يسوع التعبير الغامض "ابن الإنسان"، فقد استطاع بذلك تجنّب هذه المشاكل.

وفي ذات الوقت، فإنه بالنسبة لمن لهم القدرة على فهم هذا التعبير، فإن خلفيته تقدم بعض الإشارات المهمة للأشياء التي أراد يسوع قولها

عن نفسه. ذلك أنه أراد أن يثبت أنه كـان إنسـاناً عاديـاً في مـا يختـص بالجانب الإنساني، وأنه أُرسل بصفة خاصة من الله نفسه.

– وكـل مـن هـاتين الفكرتـين يمكـن أن نجدهمـا في استخدام العهـد القديم لعبارة "ابن الإنسان".

ولقـد اسـتخدم يسـوع هـذا الاسم في الواقع بثلاث طرق مختلفة توضح هذا.

• غالباً ما كان يستخدم تعبير "ابـن الإنسـان" عـوض أن يسـتخدم ضمير المتكلم للمفرد "أنا"، وما ذلك بكـل بسـاطة إلا كوسـيلة لوصـف وجوده كإنسان عادي. وفي النقـاط الـتي نجـد أن الأنـاجيل المختلفـة قـد جاءت بنفس الأقوال، نجد أن أحد الأناجيل كثيراً ما يستخدم عبارة "ابن الإنسـان"، في حـين يسـتخدم آخـر الضمير "أنا". قارن على سبيل المثال مرقس١٠: ٤٥، لوقا٢٢: ٢٧، أو مرقس٨: ٢٧، متى١٦: ١٣، أو متى ١٩: ٢٨، لوقا٢٢: ٣٠.

• في أحيان أخرى كـان يسـوع يسـتخدم لقـب "ابـن الإنسـان" في الإشارة إلى مجيئه الثاني على السحاب وإلى ارتفاعه إلى يمين الله. وهذا نفس الاستخدام الـذي نجـده في دانيـال ٧، والكتابات الرؤوية اليهودية.

• غـير أنـه يُستعمل في الغالبيـة بطريقـة جديـدة ومختلفـة، مـع بعـض الإشـارات إلى الآلام والموت اللذيـن كـان يسـوع يتوقّعهمـا كجـزء مـن حياتـه. وفي تسـع مـرات مـن أربـع عشرة مرة استُخدم فيهـا تعبير "ابـن الإنسـان" في إنجيـل مرقـس، كـان يسوع يشير بـه إلى موتـه الـذي كـان وشـيكاً. (مرقـس ٨ :٣١، ٩: ٩، ١٤: ٢١، ومـتى ٢٦: ٢) . وعنـد هذه النقطة أعطى معنىً جديـداً تمامـاً لفكـرة لم تكـن تُعرف إلا قليلاً قبـل أيامه. وكان من سماته أنه يتعّين عليه أن يتحـدّث عـن نفسـه في معظـم الأحيان كابن الإنسان المتألم.

ليس من الممكن عمل جدول كامل عن الأحداث التي تخللت حياة يسوع، ولكن هذا الجدول يحتوي على أهم هذه الأحداث بحسب ورودها في الأناجيل :

حيـــاة يســـوع

المسجلة في الأناجيل المتشابهة

ميلاده وطفولته	متّي	مرقس	لوقا
سلسلة أنساب يسوع	١:١-١٧		٣ :٢٣-٣٨
الوعد بولادة يسوع من مريم			١: ٢٦-٣٨
ولادة يسوع	١: ١٨-٢٥		٢: ١-٢٠
زوّار من الشرق	٢: ١-١٢		
ختان يسوع			٢: ٢١-٤٠
هروب والديّ يسوع إلى مصر	٢: ١٣-٢٣		
يسوع فى الهيكل و هو فى الثانية عشرة من عمره			٢: ٤١-٥٢
في الجليل وما حولها			
معمودية يسوع	٣: ١٣-١٧	١: ٩-١١	٣: ٢١-٢٢
التجربة	٤: ١-١١	١: ١٢-١٣	٤: ١-١٣
أول كرازة فى الجليل	٤: ١٢-١٧	١: ١٤-١٥	٤: ١٤-١٥
رفض يسوع من أهل الناصرة			٤: ١٦-٣٠
دعوة التلاميذ الأوائل	٤: ١٨-٢٢	١: ١٦-٢٠	
تعليم وشفاء فى كفر ناحوم		١: ٢١-٣٨	٤: ٣١-٤٣
صيد السمك الوفير			٥: ١-١١
الموعظة على الجبل	٥: ١-٧: ٢٩		
يسوع يشفى الأبرص	٨: ١-٤	١: ٤٠-٤٥	٥: ١٢-١٦
شفاء المرضى وإسكات الريح	٨: ٥-٣٤		
شفاء المفلوج	٩: ١-٨	٢: ١-١٢	٥: ١٧-٢٦

دعوة متّى ليكون تلميذاً ليسوع	٩: ٩-١٣	٢: ١٣-١٧	٥: ٢٧-٣٢
نقاش حول الصوم	٩: ١٤-١٧	٢: ١٨-٢٢	٥: ٣٣-٣٩
شفاء ابنة يايرس وامرأة عجوز	٩: ١٨-٢٦	٥: ٢١-٤٣	٨: ٤٠-٥٦
شفاء أعميين وآخر مجنون	٩: ٢٧-٣٤		
إرسالية الاثنى عشر	٩: ٣٥ - ١٠: ٤٢	٦: ٦-١٣	٩: ١-٦
يسوع يتحدث عن يوحنا المعمدان	١١: ١-١٩		٧: ١٨-٣٥
تعليم عن السبت	١٢: ١-١٤		
الموعظة في السهل			٦: ٢٠-٤٩
شفاء عبد وإعادة ابن إلى الحياة			٧: ١-١٧
المرأة التي خدمت يسوع			٧: ٣٦ - ٨: ٣
مناقشة يسوع مع القادة الدينيين	١٢: ٢٢-٥٠	٣: ٢٠-٣٥	
أمثال الملكوت	١٣: ١-٥٨	٤: ١-٤١	٨: ٤-٢٥
مجنون كورة الجدريين		٥: ١-٢٠	٨: ٢٦-٣٩
معجزة إطعام ٥٠٠٠ شخص	١٤: ١٣-٢١	٦: ٣٠-٤٤	٩: ١٠-١٧
يسوع يمشي على الماء	١٤: ٢٢-٣٣	٦: ٤٥-٥٢	
تعليم بخصوص التقاليد الدينية	١٥: ١-٢٠	٧: ١-٢٣	
يسوع يشفي مرضى كثيرين	١٥: ٢١-٣١	٧: ٢٤-٣٧	
يسوع يشبع ٤٠٠٠ شخص	١٥: ٣٢ - ١٦: ١٢	٨: ١-٢١	
وتنبأ بموته	١٦: ١٣-٢٨	٨: ٢٧-٣٧	٩: ١٨-٢٧
التجلّي	١٧: ١-٢٧	٩: ٢-٣٢	٩: ٢٨-٤٥
إرسالية السبعين			١٠: ١-٢٤
تعليم عن المحبة والصلاة ومحبة المال			١٠: ٢٥-١٢: ٥٩

شفاء وأمثال			١٣: ١-٣٠
يسوع يغادر الجليل			١٣: ٣١-٣٥
بعض الأمثال الشهيرة			١٤: ١٥ -
			١٦: ٣١
شفاء البرص			١٧: ١١-١٩

يسوع يتوجه إلى أورشليم

يسوع يتنبأ ثانية عن موته	٢٠: ١٧-١٩	١٠: ٣٢-٣٤	١٨: ٣١-٣٤
ابنا زبدى يطلبان ميزة	٢٠: ٢٠-٢٨	١٠: ٣٥-٤٥	
شفاء بارتيماوس الأعمى	٢٠: ٢٩-٣٤	١٠: ٤٦-٥٢	١٨: ٣٥-٤٣
زكا يقابل يسوع			١٩: ١-١٠
يسوع يدخل أورشليم كملك	٢١: ١-٩	١١: ١-١٠	١٩: ٢٨-٤٤
ويطرد التجار من الهيكل	٢١: ١٠-٢٢	١١: ١١-٢٦	١٩: ٤٥-٤٨
أمثلة أخرى	٢١: ٢٨ -		
	٢٢: ١٤		
اتّهام الفريسيين	٢٣: ١-٣٦	١٢: ٣٧-٤٠	٢٠: ٤٥-٤٧
يسوع يتنبأ بخراب الهيكل	٢٤: ١-٣	١٣: ١-٤	٢١: ٥-٧
يسوع يتحدث عن الرؤويات	٢٤: ٤-٣٦	١٣: ٥-٣٧	٢١: ٨-٣٦

موت يسوع وقيامته

التآمر على يسوع	٢٦: ١-٥	١٤: ١-٢	٢٢: ١-٢
يهوذا يخون يسوع	٢٦: ١٤-١٦	١٤: ١٠-١١	٢٢: ٣-٦
التلاميذ يعدّون للفصح	٢٦: ١٧-١٩	١٤: ١٢-١٦	٢٢: ٧-١٣
العشاء الأخير	٢٦: ٢٠-٢٩	١٤: ١٧-٢٥	٢٢: ١٥-٣٨
القبض على يسوع	٢٦: ٣٠-٥٦	١٤: ٢٦-٥٢	٢٢: ٣٩-٥٣
محاكمة يسوع	٢٦: ٥٧ -	١٤: ٥٣ -	٢٢: ٥٤ -
	٢٧: ٢٦	١٥: ١٥	٢٣: ٢٥
صلب المسيح	٢٧: ٢٧-٤٤	١٥: ١٦-٣٢	٢٣: ٢٦-٤٣

موته	٢٧: ٤٥-٥٦	١٥: ٣٣-٤١	٢٣: ٤٤-٤٩
دفنه	٢٧: ٥٧-٦٦	١٥: ٤٢-٤٧	٢٣: ٥٠-٥٦
القبر الفارغ	٢٨: ١-١٠	١٦: ١-٨	٢٤: ١-١٢
يسوع يظهر لأتباعه بعد قيامته	٢٨: ١١-٢٠		٢٤: ١٣-٥٣

" المسيا "

لسنا فى حاجة لإضاعة كثير من الوقت فى التفكير فيما قاله يسوع عن نفسه من أنه هو المسيح . وهذا لم يكن لقباً اتخذه يسوع لنفسه، وفى إنجيل
مرقس ، وهو أول الأناجيل من ناحية الكتابة لا نجد إلا مثالاً واحداً قال يسوع فيه إنه المسيح . ومع ذلك فتوجد أربع مناسبات هامة جدا قال أناس آخرون فيها عن يسوع إنه المسيح ، و يبدو أنه قَبِل هذا اللقب . مرقس ٩: ٤١



القول عن يسوع إنه "ابن الإنسان" يأتى دائماً فى سياق الكلام عن آلامه و موته . وهو عن طيب خاطر جعل نفسه مع الفقراء والمعوزين ، ومثل هؤلاء اللاجئين الآسيويين لم يكن له بيت دائم خاص به.

متّى ١٦:١٦-١٧ • حين أدرك بطرس أخيراً حقيقة ما قاله يسوع عن نفسه و قـال له: "أنت المسيح" أجاب يسوع بأن بطرس قد طُوّب إذ حصل على هذا الإعلان الخاص .

مرقس ١٤: ٦١-٦٢ • ومناسبة أخرى كانت أثناء محاكمته أمام السلطات اليهودية حيث اعترف يسوع أمام رئيس الكهنة أنه هو المسيح .

مرقس ٥: ١-٢٠ • هناك أيضاً القصة التى تتحدث عن كيفية شفاء يسوع لرجل به روح نجس. فهو لم يسمح لهذا الرجل أن يخاطبه على اعتبار أنه "ابن ا لله العلي" فحسب بل قال له أيضاً : "اذهب إلى بيتك و إلى أهلك و أخبرهم كم صنع الرب بك" .

مرقس ١٠ :٤٦-٥٢ • فى مناسبة أخرى كان يسوع سائراً فى الطريق على مقربة من أريحا حين صرخ أحد المتسولين، وكان أعمى اسمه بارتيماوس و خاطب يسوع بقوله: " يا ابن داود " . وعلى الرغم من أن الواضح أن آخريين ممن كانوا واقفين هناك طلبوا منه أن يصمت ، إلا أن يسوع لم يفعل هذا، ومن هنا يبدو أنه وافق أن يطلق عليه هذا اللقب .

ويتضح من هذه الأمثلة الأربعة أنه لم يكن ليسوع نفس الموقف بالنسبة للقول بأنه المسيح "ابن داود" فى كل مناسبة ، وحين جاء الوقت الذى وقف فيه أمام رئيس الكهنة ، كان من الواضح أنه سيدان بأى طريقة ، وعلى ذلك لم يكن هناك ما يمنعه من الاعتراف بأنه المسيح . على الرغم من أنه حتى فى هذا الموقف أخذ يعيد تحديد مفهوم "المسيح" فى إطار لقبه المفضل "ابن الإنسان" . لكنه فى مرحلة سابقة ، حين اعترف بطرس أنه هو المسيح، طلب يسوع منه ومن التلاميذ الآخرين ألا يخبروا أحداً عن ذلك ، بل عليهم أن يحتفظوا بالأمر سراً. أما في المناسبتين الأخريين فيبدو أنه قبل لقب "المسياني" من أناس آخرين دون أن يعلّق على ذلك بشيء. وفي حالة الرجل الذى كان به روح نجس طلب

منه أن يشارك اختباره مع أصحابه وأهله. ومن الواضح أن موقف يسوع من ناحية السماح للناس أن يعرفوا أنه المسيح كان يختلف طبقاً للظروف، وكان الأمر يعتمد إلى حد ما على ما إذا كان يجب أن يُخفى هذا الأمر أو يذاع . فما الذى نفهمه من كل هذا؟ يبدو أن هناك تفسيرين محتملين لهذا الموضوع :

• لم يقل يسوع إطلاقاً إنه المسيح . وأحد طرق حل هذه المشكلة هو أن نقول بأن يسوع فى الواقع لم يدّع إطلاقاً أنه المسيح، وأن مرقس وكتبة الأناجيل الآخرين كتبوا قصصهم عن حياة يسوع وتعاليمه وذهنهم مشغول بالأكثر بما يؤمنون به عن يسوع وليس ما يدّعيه هو عن نفسه . وكانوا يؤمنون بأنه المسيح ، لأنهم كانوا على قيد الحياة بعد القيامة . ومن هذا المنظور الجديد أدركوا أنه من المناسب بالأكثر أخذ يسوع على أنه الشخص الذى حقق مواعيد الله المذكورة فى العهد القديم . ومع ذلك، فإنه حين جاء الوقت ليكتبوا الأناجيل أرادوا أن يوضحوا بكل جلاء أن يسوع هو فى الواقع المسيح الموعود . ولذلك سدوا الثغرة بين معتقداتهم الخاصة، و لم يكونوا يعرفون أنه الحقيقة التاريخية ، وذلك بأن ابتكروا فكرة "إبقاء مسيانية يسوع سراً ". وهذه عبارة صيغت لأول مرة بمعرفة أحد المفسرين الألمان وهو "ويلهلم ريد Wilhelm Wrede" . وذلك لتفسير السبب فى أنه حين كان يجيء الحديث عن المسيح وهو يتكلم مع تلاميذه عن وضعه باعتباره المسيح،كان دائماً يطلب منهم إبقاء هذا الأمر سراً . وقد اعتقد "ريد Wrede " أن فكرة "السر المسياني" هذه كانت بجملتها من ابتكار مرقس كاتب أقدم إنجيل .

والصعوبة التى تكتنف هذا الاقتراح هي أنه على الرغم من أنه يتناغم مع جزء من الدليل، إلا أن هناك بعض المعلومات الأخرى التي لم تتفق معه. فعلى سبيل المثال هناك الأحداث التي تضمنت الرجل الذي كان به روح نجس في كورة الجدريين وبارتيماوس في أريحا . ثم أن هناك الحقيقة التي لا يمكن إنكارها وهى أن يسوع فى واقع الأمر حكم عليه بالموت لأنه ادّعى أنه

"ملك اليهود" أى مسيحهم . ومن الصعوبة معرفة كيف ترك مرقس هذه القصص فى إنجيله ،وبهذه الصيغة إذا ما كان مصمماً على جعل فكرة "السر المسيانى" مقنعة .

• كان يسوع على قناعة بأنه المسيح ، ولكنه لم يدّع ذلك إطلاقاً . ويبدو أننا تركنا وعندنا الانطباع أن يسوع كان يعتقد أنه المسيح، غير أنه لم يقل ذلك صراحة . ولكن كيف لنا أن نفسر هذا الغموض؟

هناك ثلاثة أمور يمكن قولها فى هذا الصدد :

أولا :علينا أن نتذكر أن الأناجيل لم تكتب فقط لحفظ قصة حياة المسيح وتعليمه، بل لتكون سنداً بعد ذلك للمسيحيين فى القرن الأول . والمسيحيون الذين قرأوا الأناجيل لأول مرة كانت لهم نفس النظرة التى لدينا الآن . كانوا يعرفون قيامة المسيح ومجيء قوة الله فى حياتهم . وعلى هذا الأساس، لم تكن أمامهم أية صعوبة فى معرفة أن يسوع لابد وأن يكون هو المسيح المخلص الموعود به من الله و الذى أُرسل ليبدأ المجتمع الجديد، فكيف تخامرهم أى شكوك وهم أنفسهم أعضاء فى هذا المجتمع الجديد ؟ وشيئاً فشيئاً بدأت كلمة "المسيا" أو "المسيح" تستعمل كاسم ثان ليسوع ،ولا تزال تستعمل على هذا النحو حتى يومنا هذا . وهذا يفسر لنا السبب فى أن كلمة "المسيح" استُعملت عدة مرات فى إنجيل يوحنا، فى حين أنها نادراً ما كانت تستعمل فى الأناجيل الثلاثة الأخرى . وكان الاعتقاد بصفة عامة أن يوحنا كتب إنجيله فى وقت متأخر عن الآخرين ،وفى ذلك الحين أصبحت الكلمة تقريباً لقباً ليسوع .

ثانيا : الأناجيل نفسها أوضحت أنه كانت ليسوع ومعاصريه مقاصد متعارضة حين كانوا يتكلمون عن المسيح . فبالنسبة لليهود كان المسيا عندهم ملكاً من الناحية السياسية . أما بالنسبة ليسوع فالمسيا معناه عبد متواضع مطيع لمشيئة الله . ولو كان يسوع قد تحدث عن نفسه صراحة بأنه المسيح لكان بذلك قد أخفى المعنى الحقيقى لمجيئه، ولتسبب ذلك فى مواجهة

قبل أوانها مع السلطات الرومانية . فحتى التلاميذ، بما فيهم بطرس الذى أعلن أن يسوع هو المسيح، لم يعرفوا على وجه الدقة من هو يسوع إلا بعد القيامة. فعلى الرغم من علاقتهم الوثيقة بيسوع فقد أظهروا جهلهم بمقاصده في أكثر من مناسبة. ويمكن أن نكون متأكدين من أن هذه صورة تاريخية حقيقية، لأنه حين كتبت الأناجيل كان التلاميذ أبطال الكنيسة، وما من أحد كان له أن يكتب قصصاً تصورهم بمظهر سيئ.

مرقس٨:١٤-٢١،
٩:٣٠-٣٢،
١٠:٣٥-٤٥



كان هناك متسولون كثيرون فى شوارع إسرائيل إبان حياة يسوع وأحدهم بارتيماوس الذي خاطبه باعتباره "ابن داود".

ثالثا : يبدو من المؤكد أن موقف يسوع كان يختلف بالفعل ، وأن حياته كلها وعمله كان مزيجاً من الإعلان و السرية، فقد تم تغطية هذا بالطريقة التى كان يحب أن يُسمى نفسه "ابن الإنسان"، و هو لقب لم يكن له معنى واضح .وهو بالنسبة لأولئك الذين لم يكونوا مستعدين لأن يتأملوا هذا اللقب بعمق، كان اسما بمقدوره أن يربكهم ويخفى ادعاءات المسيح لا أن
مرقس١: ٩-١١ يظهرها . وفى نفس الوقت، فإن أحداثاً كثيرة فى حياة يسوع بما فيها
لوقا٤: ١-١٣ المعجزات، بل وأيضاً مناسبات مثل عماده، والتجربة في البرّية، ودخوله
مرقس١١: ١-١١ أورشليم سوف تفقد معناها لو لم يقل يسوع إنه المسيح . فكثير من الأمور

التىعملها وقالها كانت هى الأمور التى كان من المتوقع أن يعملها ويقولها المسيح حين يأتى .

وأفضل نتيجة نستخلصها من ذلك هى أن يسوع لم يستخدم كلمة المسيح عند الإشارة إلى نفسه لأنه كان يعرف أنها ستوحى لمستمعيه بملك أرضى ودولة سياسية جديدة .ومن المؤكد أنه لم يكن لدى المسيح أية نية لأن يكون "مسيحاً" من هذه النوعية . فلقد سبق و رفض هذه الفكرة بكل حسم حين جُرب من إبليس. ولذلك صاغ خدمته كلها فى قالب يخفى حقيقة أنه المسيح عن أولئك الذين لا يرغبون فى فهم معنى هذه الكلمة بنفس مفهومه هو، ولكنها تكشف عن هويته الحقيقية لأولئك الذين يريدون بالفعل أن يعرفوا .

ابـــن ا لله

إيمان الكنيسة المسيحية منذ نشأتها هو الإقرار بأن يسوع هو "ابن ا لله".
وهذا تعبير مألوف لشعب يسوع فى أيامنا هذه، والشعوب الناطقة باليونانية
كثيرًا ما يستخدمون هذه العبارة للإشارة بها إلى شخصية إنسان نبيل
مت٢٧: ٥٤ يوصف بالبطولة، وحين قال قائد المئة الرومانى عند الصليب " حقاً كان هذا
ابن ا لله" . فلربما كان كل ما يعنيه بهذا هو أن يسوع كان رجلاً عظيماً
حقاً، وقصة لوقا تشير إلى هذا بكل وضوح، حيث أن قائد المئة قال
لو٢٣: ٤٧ "بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً" .

وعلى مثال تعبيرىّ "ابن الإنسان" و"المسيح" استُخدم أيضاً تعبير "ابن
هوشع١١: ١ ا لله" فى العهد القديم ،فأمة إسرائيل كثيراً ما كان يشار إليها بعبارة "ابن
ا لله". وملوك إسرائيل ولاسيما أولئك الذين كانوا من نسل داود كانوا أيضاً
يحملون هذا اللقب. وثمة مزامير كثيرة تشير إلى الملك على أنه "ابن ا لله" على
الرغم من أنه سرعان ما نظر اليهود إلى هذه الفقرات باعتبارها تشير إلى المسيح الآتى .



الجماهير التي كانت تغص بهم شوارع أورشليم منذ ألفي عام مضت على وجه التقريب، كانوا يتوقعون أن يكون المسيح قائدًا سياسيًا يخلصهم من حكم الرومان . بل إن البعض من أقرب أتباع المسيح كانوا يعتقدون ذلك أيضاً.

إلا أنه ليس من شك أن عبارة "إبن الله" فى الأناجيل قد استُعملت للإشارة إلى أن يسوع يقول إنه فى علاقة خاصة مع الله نفسه. وكان يسوع مدركاً تماماً بعلاقته الروحية الثيقة
لوقا٢: ٤٩ بالله باعتبار أنه أبوه. بل أنه وهو فى مقتبل عمره حين كان
مرقس١٢: ١-١١ في الثانية عشرة كان يعتبر هيكل أورشليم بيت أبيه "فيما لأبى". وفى قصة مستأجري الكرم الأشرار أوضح بجلاء أنه ه نفسه أبن المالك الذى أرسله ليضع الأمور فى نصابها .

والادعاءات التى لُمّح إليها فى هذه القصص وضّحها يسوع بشكل تام. لتأخذ على سبيل المثال هذا القول الذى سجله كل من متّى ولوقا "كل
متّى١١: ٢٧ شيء قد دُفع إليّ من أبـي . وليس أحد يعرف الابن إلا الآب . ولا أحد
لو١٠: ٢٢ يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له ". ومن الواضح أن يسوع كان يشير هنا إلى علاقة فريدة مع الله، وأنه فعل ذلك دون أن يترك أى فرصة ولو ضئيلة لسوء الفهم .

ومن المؤكد أنه لا يوجد مجال للقول - كما يفعل كثيرون من غير المسيحيين - أن يسوع كان رجلاً صالحاً، ادّعى فى الواقع أنه ذو طبيعة أسمى من طبيعة البشر . وإذا كان ما قاله يسوع عن نفسه ليس صحيحاً فإما أنه دجّال شرير، وإما أنه أبله مخدوع ـ وليس هناك دليل فى الأناجيل أو الآراء التاريخية العامة تتصوره على أى من هاتين الصورتين .

إذاً ما الذى كان يعنيه يسوع حين قال إنه "ابن الله" ومن الطبيعى أن هذا يوضح أهم الأسئلة التى فكر فيها اللاهوتيون و تحدثوا عنها لعدة قرون . وعلى ذلك ليس هناك ما نستطيع قوله هنا مما يحتمل أن يكون الإجابة الشافية والحاسمة لهذا السؤال، غير أنه توجد على الأقل ثلاث حقائق جوهرية يجب مراعاتها إذا كنا نريد أن نفهم ـ وبوعى ـ ما كان يقوله يسوع والمسيحيون الأوائل حين استخدموا هذا التعبير :

• علينا ألا ننسى إطلاقاً حين نصف يسوع بأنه "ابن الله" أننا نستخدم لغة تصويرية لوصف أمر هو فى حقيقته فوق أى وصف . فقد كان يسوع يستخدم صيغة تشبيهية. وقد أخذ العلاقة البشرية بين الابن وأبيه وقال "علاقتي با لله تشبه هذه العلاقة". ولا يجب أن نأخذ هذا التشبيه بمعناه الحرفي. بل وما كان يشير إلى أن كل ناحية من نواحي علاقتنا بآبائنا تماثل تماماً العلاقة بين يسوع والله. وليس كل واحد فى علاقة سعيدة مع أبويه . وعلى الرغم من أن هناك كثيرين ممن يستطيعون القول بإخلاص "الذى
يكرهنى يكره أبى أيضاً "، إلا أنه ما من إنسان بمقدوره أن يقول :"أنا يو ١٥: ٢٣
والآب واحد" . والواقع أن تعليم يسوع كله، ولاسيما فى إنجيل يوحنا، يو ١٠: ٣٠
يوضح أن هذه العلاقة بين الآب والابن هى علاقة فريدة، وكانت موجودة قبل أن يولد يسوع فى بيت لحم بزمن طويل. فيسوع "كان فى البدء عند
الله" . يو ١: ٢

• ومثل كل الألقاب التى استعرضناها هنا ، فإن هذا اللقب أيضاً أُستخدم فى العهد القديم . وتعبير"ابن..."كان تعبيراً شائعاً في اللغة العبرية . فنجد في العهد القديم -على سبيل المثال- أن الإسرائيليين كانوا يدعون
دائما "بنو إسرائيل" ،على الرغم من أن الترجمات الحديثة تجاهلت هذا التعبير قضاة ١: ١
وكثيرًا ما يُطلق على الأشرار عبارة "بنو لئيم" أو "بنى بليعال" . وبالنسبة تث ١٣: ١٣
لعبارة "الجنس البشري" فإن اللغة العبرية تترجمها "بنو البشر" . صموئيل الأول ٢: ١٢

ولذلك فإننا إذا وصفنا أنفسنا بأننا "بنو بشر"، فمعنى هذا أننا نقول إننا نشارك كل الجنس البشرى الذي كان قبلنا فى نفس سماته وطبيعته . ولذلك فإنه عندما يقول العهد الجديد إن يسوع هو "ابن الله" فهو يقرر هنا أن يسوع يشارك في طبيعة و صفات الله نفسه .وكان يقول إنه حقاً وبالفعل له طبيعة إلهية . وهناك أناس، مثل شهود يهوه -على سبيل المثال- لم

يستطيعوا أن يفهموا هذا، لأنهم نسوا أن يسوع كان يستخدم تشبيهاً حين وصف نفسه بأنه "ابن الله" ثم إنهم تجاهلوا أيضاً تعبير "ابن .." في اللغة التى كان يسوع يتكلم بها .

• فى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا ، وفى سفر الرؤيا ، تم التعبير
عن هذه العلاقة بين يسوع والله بطريقة أخرى .فهناك سُمى يسوع يو ١:١-١٨
"الكلمة" أو كلمة الله (اللوغوس) . وكلمة الله بالطبع هى الطريقة التى رؤيا١٩: ١٣
يتصل بها الله بنا، ولكن عندما يقول العهد الجديد عن يسوع إنه "الكلمة"
فهو يقصد شيئاً أكثر من ذلك . لأن يوحنا يقول "وكان الكلمة الله" . أى يو ١:١
أن رسالة الله للبشرية لم تكن مكتوبة فى كتاب فحسب، بل أظهرت فى
شكل الله نفسه كما قال أيضاً " والكلمة صار جسداً " أى أن الله نفسه يو ١: ١٤
تجسد فى "الكلمة" فى يسوع .

وعلى هذا فإنه حين قال يسوع إنه "ابن الله"، وحين يصف كتبة العهد الجديد هذا بعبارة "كلمة الله" فجميعهم كانوا يقولون هذا لأنه فى المسيح نستطيع بحق أن نعرف الله . ولقد قال يسوع نفسه "الذى رآني فقد رأى
الآب" . وكلنا لدينا أفكارنا عن الله، وهى أفكار تشكلت طبقاً لتحد ـاتـ يو ١٤: ٩



قال يسوع لتلاميذه "ولكنى بينكم كالذى يخدم". وكانت الفكرة مألوفة بالنسبة لهم ،فقد كان فى فلسطين فى ذلك الوقت كثيرون من الخدم والعبيد.

وأفكارنا المسبقة، ولكن إذا كان ما يقوله يسوع عن نفسه صحيحاً، يصبح بمقدورنا الآن أن نضع الصورة الصحيحة عن الله بدلاً من الصورة الخيالية التى اختلقناها عنه . وهذا هو السبب فى أنه من المهم لنا جداً أن نعود إلى ما كان يسوع يقوله ويعمله فعلاً، لأننا من خلال حياته وتعاليمه نستطيع حقاً أن نرى الله ونسمعه .

العبد

ولعلنا نكتشف شبه الله بشكل أوفى فى هذا اللقب الأخير "العبد" الذى يبدو أن يسوع طبّقه على نفسه وعلى عمله . حتى أننا لا نجد فى أى موضع فى الأناجيل أن يسوع استخدم لقب "عبد الله" فى مجال الحديث عن نفسه. ومع ذلك فلقد سبق لنا أن رأينا أنه نتيجة أنه عاش ومات بالطريقة
إشعيا٥٢: ١٣ التى تم التنبؤ بها عن العبد المتألم فى إشعياء، فإن مفهومه عن معنى أن يكون
٥٣: ١٢ المسيح كان مختلفاً للغاية عن نوعية المسيح الذى كان يتوقّعه اليهود فى أيامه.
كذلك نجد إشارات عديدة لقناعة يسوع أنه سيكون من نصيبه أن يتألم وكما سبق ولاحظنا، فإن أبرز استخدامات تعبير "ابن الإنسان" كانت فى إطار أقوال يسوع عن آلامه وموته .

ومنذ أن تعمّد، وربما قبل ذلك، رأى يسوع أن مجرى حياته سيكون عبر
مر١: ١١ الآلام، والصوت الذى سمعه عند عماده، والذى يردد كلمات من إحدى
إش٤٢: ١ الفقرات فى سفر إشعياء عن العبد المتألم أوضح أمامه أن عمل حياته يتركّز
على التواضع وإنكار الذات، و هذه القناعة كانت تتردّد بشكل قوى فى تصرفه إزاء اختبار تجربته فى البرية . وطبقاً لما جاء فى إنجيل مرقس، فقد حذّر يسوع تلاميذه فى مرحلة مبكرة جداً من خدمته أنه قد اقترب اليوم
مرقس٢: ٢٠ الذى سوف يُرفع هو "العريس" فيه، عن أصحابه . وفور أن أعلن بطرس
إيمانه أن يسوع هو المسيح ، أخذ يسوع يكرر "أن ابن الإنسان ينبغى أن
مرقس٨: ٣١ يتألم كثيراً" . وثمة غرض عظيم سوف يتحقق من خلال خدمته و آلامه :

مرقس١٠: ٤٥ "لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين" .

لقد صرفنا وقتاً كثيراً نتأمل فيه الألقاب المختلفة التى وصف بها يسوع نفسه. ومعظمها من الصعب فهمه على وجه التفصيل . غير أن لها كلها مضموناً واحداً واضحاً جداً.فلا ريب أن يسوع باستخدامه هذه الألقاب كان يشير إلى علاقته الفريدة با لله وإلى سلطانه الفريد، ونجد أن سلطانه هذا
مرقس٢: ١-١٢ يتم التعبير عنه فى قوله إن بمقدوره غفران خطايا الناس .

ولقد رأى علماء الدين اليهودي -وكانوا محقين فى ذلك تماماً- أن يسوع يدّعى بهذا أنه يمارس سلطاناً يختص به ا لله وحده . كما أنه طلب من تلاميذه ولاءً وإخلاصاً بشكل لا يمكن أن يكون لأى إنسان عادى الحق فى ادعائه على الإطلاق . ولقد قال لكل من سيؤمنون به مستقبلاً : "ومن لا
لو ١٤: ٢٧ يحمل صليبه ويأتى ورائي فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً" .

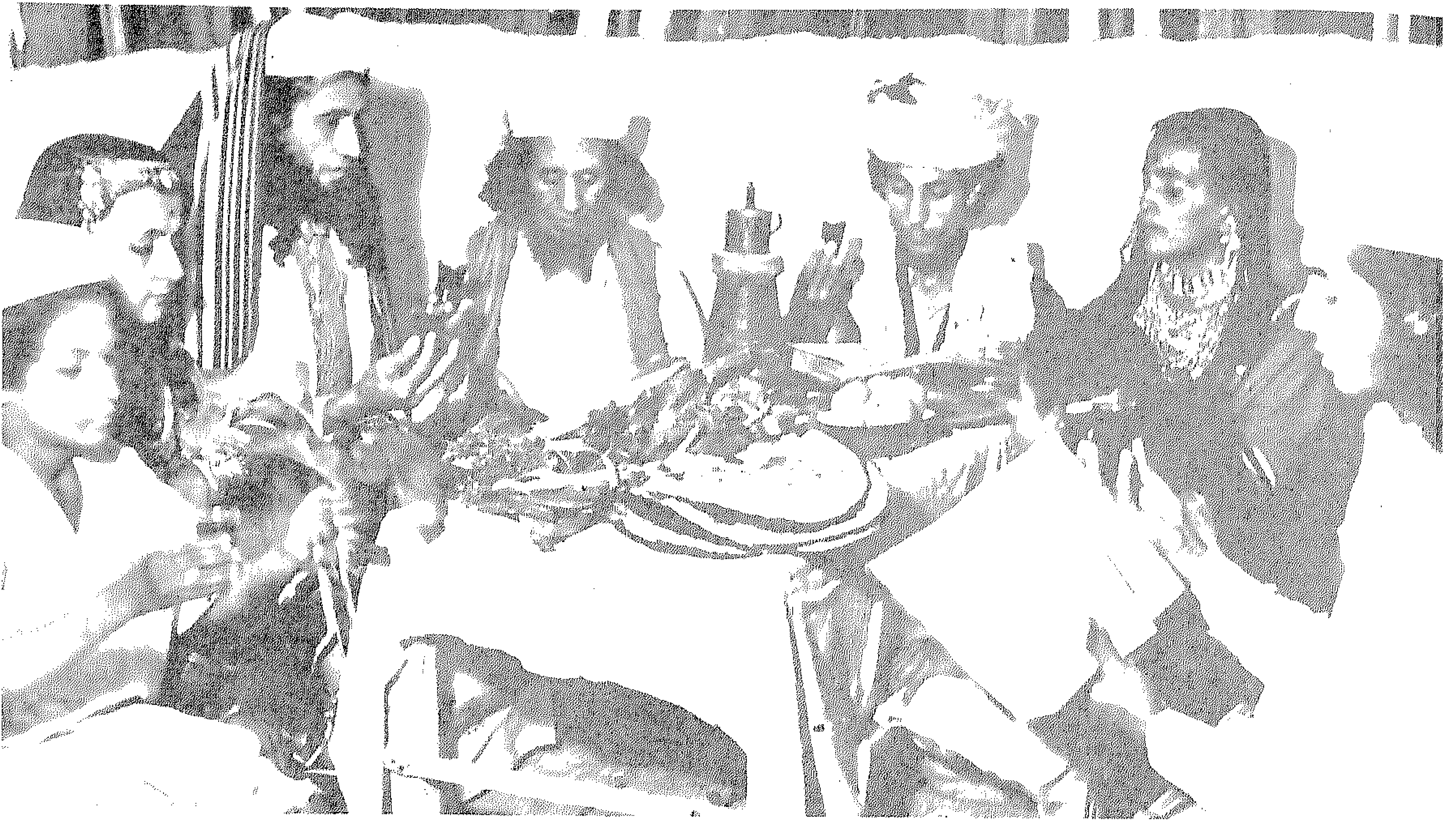
وقول المسيح إن له علاقة فريدة مع ا لله تم التعبير عنه فى إنجيل يوحنا
يو ١٠: ٣٠ بالتساوى التام بين يسوع وا لله " أنا والآب واحد " ونجد نفس هذه الأقوال
مت١١: ٢٧، لو١٠: ٢٢ فى إنجيليّ متّى ولوقا .

وعلى الرغم من هذا فكثيراً ما يقول لنا المؤرخون غير الدينيين إن يسوع عاش كمعلم متجول، بل إنه لم يدّع أنه نبي، وإن الكنيسة الأولى وبولس بصفة خاصة، هو الذى خلع الألوهية عليه . لكن ما قاله يسوع عن نفسه تم التعبير عنه فى نفس المصادر الأولى التى سجلت عنه ، وعلينا ألا ننسى أنه بمقارنة الأناجيل بالكتابات التاريخية الأخرى للعصر ذاته نجد أنها كتبت بعد الأحداث التى وصفوها بفترة قصيرة جداً. وأكثر من ذلك فإن عمل الباحثين الذين فحصوا الطريقة التى تمت بها فعلاً كتابة الأناجيل ومنهم "نقّاد الصيغ"

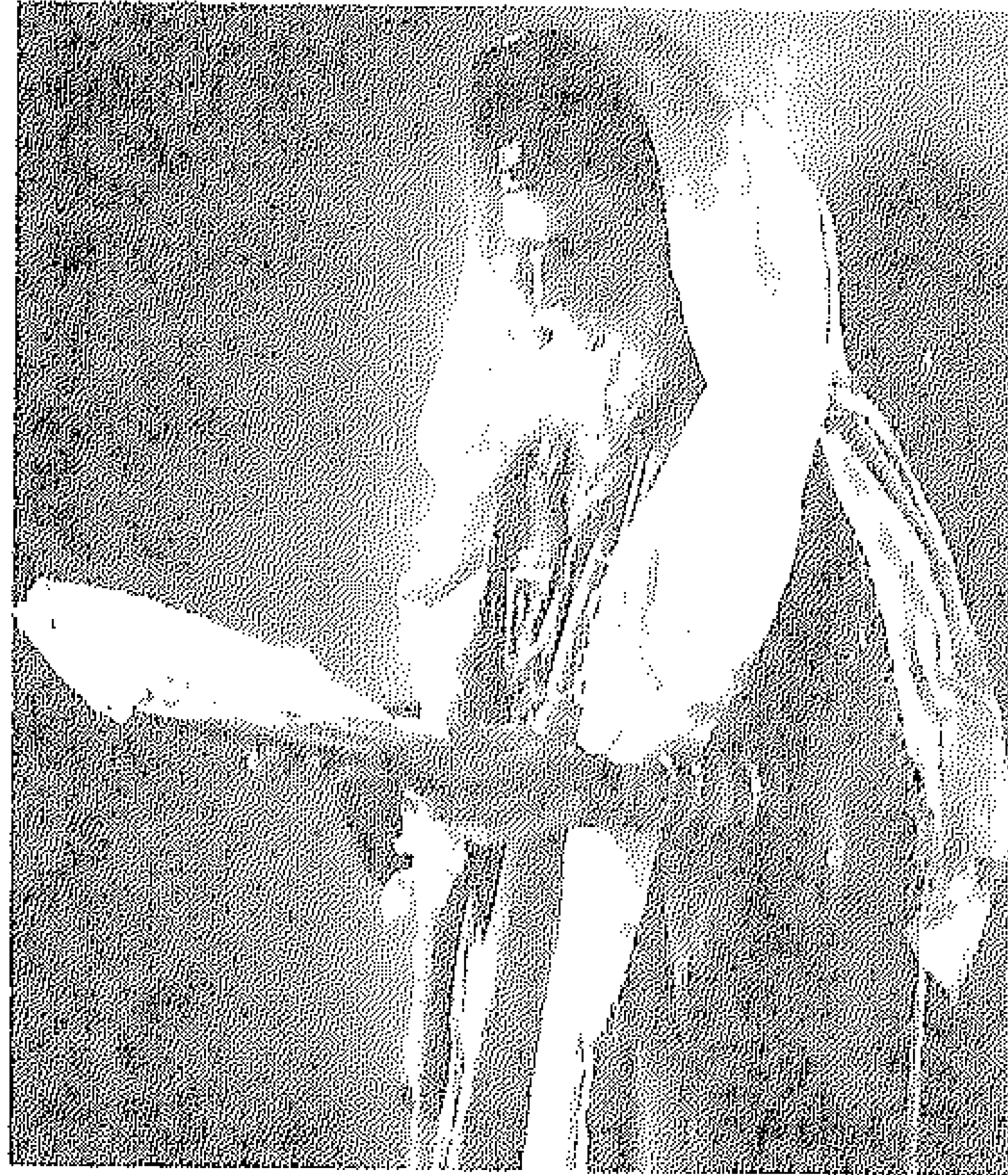
قد أوضحوا أنه لا توجد أية إشارة فى أى موضع فى العهد الجديد إلى وجود يسوع لم ينسب إلى نفسه قوى خارقة للطبيعة .

والواقع أنه يستحيل حقاً الفصل بين شخص يسوع كإنسان "يسوع التاريخى" وبين المسيح الرب المقام المساوي لله وذلك فى الفكر اللاهوتى للكنيسة الأولى .

وإذا كانت ادعاءات يسوع زائفة، نكون والحالة هذه بصدد معلم يهودى تقى كما يحلو لبعض المؤرخين أن يتخيلوا أحياناً، أو نكون بصدد رجل مريض بالوهم، أو مخادع يعرف أنه كذلك . وفى كلتا الحالتين، لا يصنّف يسوع إلا مع المسحاء الآخرين الذين كانوا يظهرون على فترات متقطعة فى القرن الأول، والذين لم يعش تأثيرهم إلا لفترات وجيزة، والذين قد أصبحوا الآن تقريباً فى عالم النسيان، غير أن يسوع لم يُنس . وإذا كان تلاميذه قد ادّعوا فى وقت لاحق ادعاءات جديدة عن أهميته ،فإن هذه الادعاءات راسخة تماماً فى تعاليمه عن نفسه وعن مكانه فى خطط الله .







كثير من العادات الدينية اليهودية ظلت قائمة، ودون تغيير فى الغالب، وذلك منذ أزمنة العهد القديم. فهناك سلسلة من الأعياد تشترك العائلات كلها فى الاحتفال بها على مدار السنة، وهى تذكرهم بالأحداث العظيمة فى ماضى تاريخهم . وعيد الفصح هو أكثر هذه الأعياد أهمية، ويحتفل به كل ربيع كتذكار "خروج" أو هروب بني إسرائيل من مصر.

وبالنسبة للعائلة التى في الصورة العليا، فهذا هو أول عيد للفصح يحتفلون به منذ استقرارهم فى إسرائيل الحديثة.

وطبق الفصح (الصورة الوسطى جهة اليسار) يحتوى على أطعمة تمثل نواح مختلفة لهذا الحدث : بيضة مسلوقة، جزء من ساق الحمل، بقدونس مغموس فى ماء مالح ، جرجير وأعشاب مُرة، خليط من الفاكهة المقطعة، وثمار البندق.

الصورة الوسطى من جهة اليمين : معلّم يهودي يرتدي ملابسه التقليدية، ويغطي رأسه وكتفيه بشال، أو شال خاص بالصلاة، يضع على جبهته وذراعه اليسرى تمائم تحتوى على مقتطفات موجزة من الأسفار المقدسة اليهودية .

الصورة السفلى : حائط المبكى في أورشليم، ويقصده اليهود كثيراً للصلاة، وهو جزء من الحائط الأساسي الذي كان يحمي فناء الهيكل في القرن الأول.



الفصل الرابع

لـمـاذا مـات يـسـوع

لماذا مات يسوع؟ من بين كل الأسئلة التي نستطيع أن نسألها عن يسوع لعله ليس ثمة سؤال آخر غيره ، يمكن الإجابة عليه بطرق كثيرة متباينة . والإجابة عليه تعتمد إلى حد معين على الطريقة التي تتناول بها السؤال . وبمقدورنا أن نرى هذا بكل وضوح حتى في الكتب التي صدرت منذ مدة طويلة خلت، والتي تعود إلى القرن الأول الميلادي.

فإذا أخذنا يوسيفوس ـ على سبيل المثال ـ نجده لا يقول إلا القليل عن يسوع . ولكنه ذكر بالفعل أنه كان المسيح، وأنه حين سمع بيلاطس أن الاتهام يوجه إليه من قِبَل أكثر الناس احتراماً بيننا، حكم عليه بالصلب. ومن الواضح أنه كان على قناعة بأن يسوع مات نتيجة مؤامرة سياسية وتآمر من جانب والى اليهودية الروماني وقادة الشعب اليهودي . إلا أننا إذا راجعنا بعض أجزاء أخرى من العهد الجديد وسألنا : لماذا مات يسوع ؟ سنجد تأكيدات متباينة طفيفة في بعض الإجابات . فطبقاً لسفر أعمال
اعمال ٢: ٢٣ الرسل، فقد قال بطرس فى اليوم الخمسين إنه على الرغم من أن يسوع " بأيدى أثمة صلبوه و قتلوه " إلا أنهم أخذوه "مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق " . ويعبّر بولس عن نفس هذه النقطة، وفى شرحه لأكثر
اكو ١٥: ٣ معتقداته رسوخاً وعمقاً لجماهير المسيحيين فى كورنثوس اليونانية قال : "إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب" .

وهكذا فإنه في العهد الجديد نفسه، كانت هناك إجابتان للسؤال : لماذا مات يسوع؟ إحداهما قامت على أساس الحقائق التاريخية التي أدّت إلى موت يسوع. والأخرى تأسست على ما قاله يسوع عن نفسه، وعلى معتقدات الكنيسة الأولى عن أهميته في خطّة الله للبشر. فنحن والحال هذه،

نتناول موضوعاً يمكن فهمه بطريقتين . فموت يسوع يمكن فهمه كموضوع يخص التاريخ، إلا أنه في الوقت ذاته لا يمكننا أن ننسى أنه في التحليل الأخير، لا يمكن فهم موت يسوع فهماً تاماً إلا على أساس أنه جزء من خطة الله يو١٩: ١٠. وعلى ضوء ما قاله يسوع عن نفسه، علينا أن نقدم نوعاً من تفسير موته كمجرم عادى. لو١٩: ١٠

التاريخ وموت يسوع

ثمة سؤال كثيراً ما يتردد عن الأناجيل في أيامنا هذه من ناحية ما إذا كان القصد منها أن تقدم جدولاً من نوع ما عن حياة يسوع مرتباً ترتيباً زمنياً، أو ما إذا كانت القصص والأقوال الفردية تم حبكها معاً بواسطة كتبة الأناجيل بطريقة تخدم على أفضل وجه أغراضهم الخاصة من كتابتها . ولسوف نتناول هذا السؤال بقدر كبير من التفصيل في الباب الثالث عندما نتعرض للطريقة التي كتبت بها الأناجيل.

مجرى حياة المسيح

بغض النظر عن إجابتنا المفصلة على هذا السؤال، فإنه من الواضح أنه ينبغي علينا أن نكون قادرين على تقديم بعض افتراضات معينة عن عمل يسوع. وبمقدورنا -على سبيل المثال- افتراض أن عموديته على يد يوحنا كانت بالفعل قرب بداية خدمته. كما يمكن أن نفترض أيضاً أن خدمته لم

جمع التين
جمع الكروم
حرث الأرض
زرع الحبوب
النمو في الربيع
فصل الأمطار المبكرة
فصل مطر
أمطار متأخرة
يوم الكفارة
أبواق
السنة الجديدة
المظال
أنوار التكريس
عيد البوريم

أيلول
تشري
8 MARCHESVAN
كسلو
طيبيت
شباط
آزار
نيسان
سبتمبر
أكتوبر
نوفمبر
ديسمبر
يناير
فبراير
مارس

تقتصر فقط على الجليل ، أرض موطنه، بل كانت أيضاً في اليهودية، وهي المنطقة المحيطة بأورشليم. ثم إن هناك أيضاً الحقيقة التي لا جدال فيها وهي أن يسوع صُلب في أورشليم، ومن ثم يمكننا افتراض أنه في مرحلة ما قبل موته مباشرة كان قد قضى بعض الوقت يعلّم في أورشليم نفسها وفيما حولها.

والقصص التي تتحدث عن عمل يسوع في كل هذه الجهات تبين أنه منذ البداية كان من شأن تواجد يسوع أن أوجد انقسامات بين أولئك الذين قابلوه، ويوضح يوحنا هذا بطريقة لاهوتية بقوله إنه حين جاء يسوع جاء نور الله إلى العالم. والناس (من رجال ونساء) إذ ووجهوا بهذا الإعلان الإلهي كان
عليهم أن يتخذوا هذا الجانب أو ذاك : "جانب الله، أو ضده". وقد يو٣: ١٦-٢١
وضع يسوع الأمر على هذا النحو: "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد
ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال". مت٦: ٢٤

وهناك قصص كثيرة عن يسوع تبين أنه كان يتمتع بشعبية عظيمة كمعلم وكشاف للأمراض، ولكنه أيضاً كان يلقى مقاومة من السلطات الدينية والمدنية في ذلك الحين.

وكان الولاة الرومانيون على فلسطين يتشككون دائماً من أي شخص يكوّن له أتباع، مثلما نتشكك نحن من البيروقراطيين الذين يجمعون في أيديهم سلطات كبيرة جداً . ولقد تخلّص هيرودس أنتيباس من يوحنا المعمدان لأنه كان يخشى قيام ثورات سياسية . ولابد أن الأمر كان صعباً بالنسبة للسلطات ألاّ يفكروا في يسوع بنفس الطريقة . وعلى أي حال فقد

يو٦: ١٥ جذب جماهير غفيرة، وفي إحدى المناسبات تجمّع حوالي خمسة آلاف شخص كانوا يريدون أن ينصّبوه ملكاً عليهم لكي يقودهم في ثورة ضد الرومان.

والأناجيل تبين أن يسوع كان يرفض مراراً وتكراراً أن تكون له مثل هذه القوة السياسية. ولكنها تبين أيضاً أنه كان لا يخشى الوقوف ضد

مر١: ٢٢ السلطات الدينية . وقد أعلنت الجماهير منذ البداية أن تعليمه مختلف عن تعليم كبار خبرائهم الدينيين، ولقد تقبّل يسوع رأيهم هذا . أما ما هو أكثر من ذلك ، فهو أنه كان لا يتردد في إدانة الفريسيين والصدوقيين بكل

مت٢٣: ١٦-٢٤ صراحة . فقد كانوا عمياناً يقودون العميان، وكانوا يحرّفون كلمة الله وينكرونها . وعلى الرغم من أنهم كانوا يظهرون متدينين جداً وأتقياء، فقد

مت٢٣: ٢٧ قال إنهم من الداخل كالقبور مملوئين عظام أموات وكل نجاسة .

وفضلاً على ذلك فإن انتقادات يسوع لهؤلاء الناس يبدو أنها كانت

مر١٠: ٣٢-٣٤ تمثل سياسة مخططة وعن عمد . وعلى الرغم من أن يسوع صُوِّر وهو يقضي

مت٢٠: ١٧-١٩ وقتاً قصيراً في مناطق نائية يعلم تلاميذه، إلا أن كل الأناجيل تشير إلى أنه

لو١٨: ٣١-٣٤ كانت هناك لحظة معينة قرر عندها أن الوقت قد حان لمواجهة السلطات

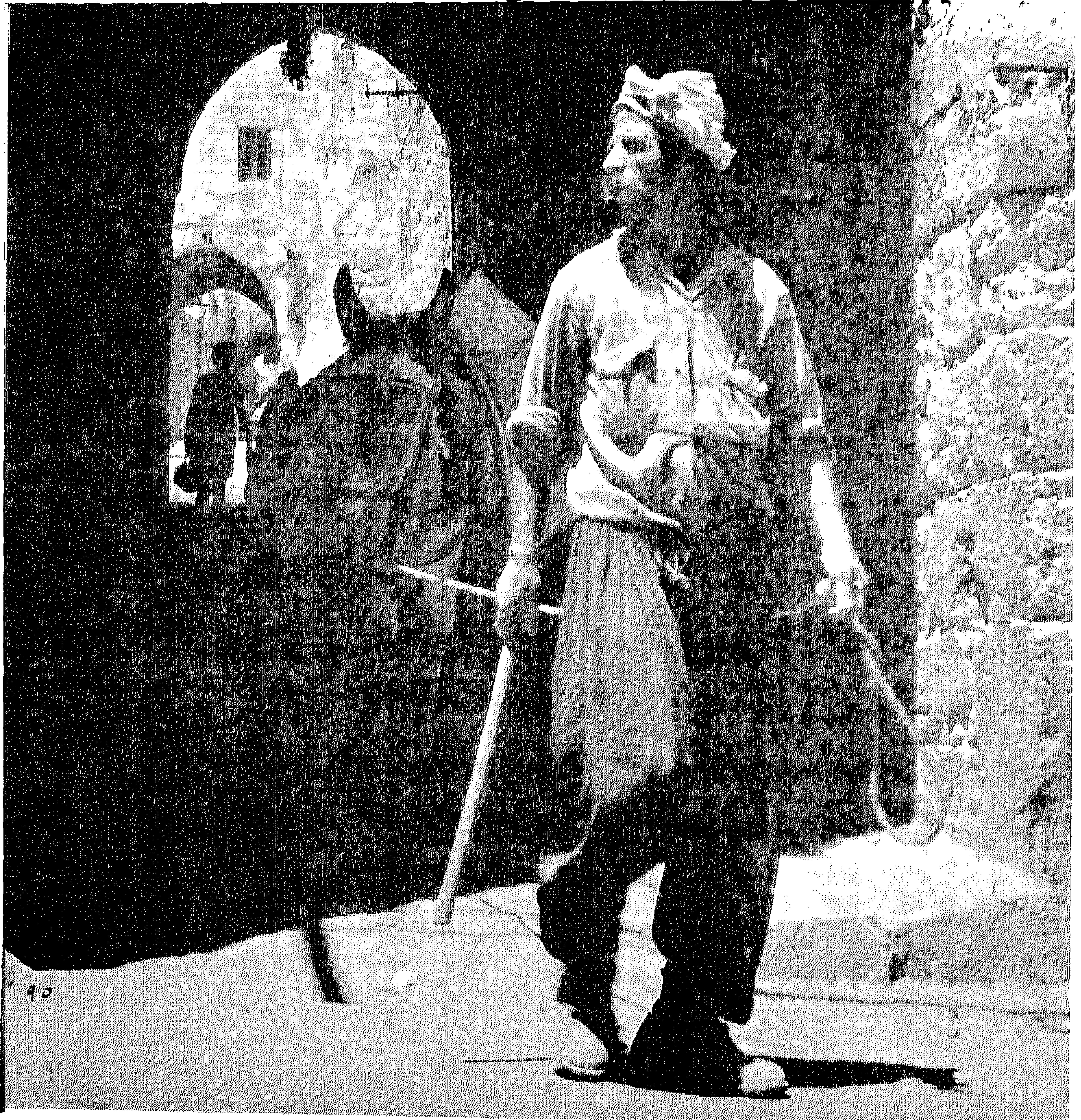
يو١١: ٥٥-٥٧ اليهودية في أورشليم ذاتها . وقد قُدمت تفسيرات مختلفة لهذه الخطوة :

• ومن أقدم هذه الآراء هو الرأي القائل إن يسوع قد أدرك أن ساعة موته قد جاءت، فانطلق ذاهباً إلى أورشليم ليتمم مشيئة الله. وهذا ما يستشف بوضوح فيما قاله يسوع لتلاميذه بحسب رواية لوقا : "ها نحن

لو١٨: ٣١ صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان".

• ويقول البرت شويتزر "Albert Schweitzer" إن يسوع قام بمجازفة متعمدة ولكنها لم تنجح . وطبقاً لما ذهب إليه شويتزر Schweitzer فقد توقّع يسوع من الله أن يتدخل في التاريخ بصورة مثيرة و طريقة عاجلة تقريباً، وما كان توجهه إلى أورشليم سوى محاولة لإرغام الله على التحرك، ولكن الله لم يتدخل، وفجأة وجد يسوع نفسه يموت على الصليب .

. • آخرون يرون أن يسوع توجّه إلى أورشليم بكل بساطة لأنه سبق أن كرز في معظم الأنحاء الأخرى في فلسطين، ومن ثم أراد أن يواصل تعليمه في العاصمة الدينية . وحقيقة أنه تورّط مع السلطات السياسية هناك، كانت نتيجة الظلم الذي يتنافى مع العدالة، وهو أمر لم يكن متوقعاً .



قبل محاكمته وموته بوقت قصير استعار التلاميذ ليسوع جحشاً ليركبه عند دخوله أورشليم. وقد اصطفت الجماهير تهتف له وتنشر سعف النخل في طريقه وتنادي به ملكاً.

ولسوف نتناول نظرية البرت شويتزر فى الفصل السادس . أما التفسيران الآخران المتعلقان بزيارة يسوع لأورشليم فلعل بهما شيئاً من الحقيقة . فليس هناك شك فى أن يسوع أراد بالفعل أن يشارك شعب اليهودية تعليمه، وكذلك بالنسبة للآخرين فى جهات أخرى من فلسطين على الرغم من أنه طبقاً لإنجيل يوحنا، فإنه ربما يكون قد عمل ذلك بالفعل لأكثر من مرة قبل زيارته الأخيرة إلى هناك. إلا أنه إذا اعترفنا أن يسوع كان مدركاً لعلاقته الفريدة مع الله، فيتعين علينا أن نعرف أنه لا يمكن ألا يكون على علم بالمقاومة المتزايدة التي كان يثيرها بين قادة شعبه الدينيين.وزيارته لأورشليم كانت لابد وأن تضعه في مواجهة مباشرة معهم .

وإذا كانت هناك شكوك في السابق تتعلق بحقيقة ما قاله يسوع عن
نفسه، فدخوله المدينة المقدسة جعلها حقيقة واضحة . ذلك أن يسوع دخل
أورشليم بطريقة كانت بمثابة إعلان على أنه هو المسيح . فقد دخلها على
جحش، طبقاً لنبوة وردت في سفر زكريا فى العهد القديم، و قد قبلته مر ١١: ١٠
الجماهير على اعتبار أنه مليكها الذي يدخل العاصمة . و عقب ذلك مباشرةً يو ١٢: ١٢-١٩
توجه إلى الهيكل . و ربما كان يُتوقع من المسيح أن يطرد الأمميين من
أورشليم . ولكن يسوع ـ بدلاً من ذلك ـ قام بعمل رمزي و هو أنه أعاد
الأممين للدار الوحيدة في الهيكل التي كان مسموحاً لهم أن يتعبدوا فيها،
وذلك بأن طرد منها الصرافين اليهود الذين كانوا يستخدمونها كمكان مر ١١: ١٥-١٧
للتجارة .

ومن الواضح أن يسوع كان يعرف ما يفعل، ولم تأخذه الدهشة حين عرف أن القادة اليهود خصصوا مكافأة لمن يسلمه . بل يبدو أنه لم يفاجأ حتى عندما قَبِل أحد تلاميذه النقود التي قدمها رؤساء الكهنة من أجل هذا الغرض . لقد خانه واحد من تلاميذه وسلّمه، فتم القبض عليه وحوكم ليصدر عليه حكم الموت .

محاكمة يسوع

يبدو أن الأناجيل تتحدث عن محاكمتين مختلفتين ليسوع . إحداهما كانت أمام السلطات اليهودية حين نُسبت إليه تهمة دينية . و الأخرى كانت أمام الوالي الروماني بيلاطس البنطي، حيث كانت التهمة سياسية . وربما لم يكن لليهود سلطة تنفيذ حكم الإعدام بأنفسهم، و هذا هو السبب في أنهم كانوا في حاجة لمعونة الوالي الروماني . و لكن العلماء مختلفون حول هذا الأمر، وكذلك بالنسبة لحقيقة علاقة المحاكمتين المختلفتين كل منهما بالأخرى . ويمكن افتراض أن أعداء يسوع كان لهم أن يستغلوا اتهامه بالتجديف أمام محكمة يهودية، ثم يتحولوا بعد ذلك إلى اتهامه من الناحية السياسية بأنه يدبّر للقيام بثورة، لأن هذا الاتهام كان كفيلاً بأن يضمن لهم قيام السلطات الرومانية بإصدار حكم الإعدام ضده .

يو١٨: ١٢-١٤ وطبقاً لإنجيل يوحنا فقد بدأت المحاكمة في بيت حنّان حما قيافا وكان رئيساً للكهنة . و لم يكن حنّان يحتل مركزاً رسمياً، بل كان رئيس كهنة سابق، ومن قادة الصدوقيين . ومن الواضح أنه كان يتمتع بنفوذ كبير . وربما كانت هذه المحاكمة تحقيقاً غير رسمي تم لصياغة الاتهامات ضد يسوع على شكل سليم . و لم يكن بمقدور المحكمة اليهودية العليا - المكونة من سبعين عضواً (مجلس السنهدريم) - أن تعقد جنساتها وبشكل رسمي إلا بعد

مر١٤: ٥٣-١٥: ١ ظهور ضوء النهار، و لكن بمجرد أن جاء الصباح استُدعى الأعضاء إلى بيت

يو١٨: ١٥-٢٧ قيافا .

بعد أن رفض يسوع الإجابة على الأسئلة التي وُجهت له بالنسبة

مر١٤: ٦١ لتعليمه، وفشل الشهود في تطابق شهادتهم، وجّه قيافا ليسوع سؤالاً مباشراً

مر١٤: ٦٢ تحت قَسم "أأنت المسيح ابن المبارك" وعلى هذا السؤال لم يجب يسوع بقوله "أنا هو" فحسب بل أضاف قائلاً : "وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء" (مرقس١٤: ٦٢). وهذا الاعتراف أقنع السنهدريم كله أن يسوع مذنب. إلا أن قول يسوع إنه المسيح لم يكن في الغالب يشكّل السبب الأساسي لإدانته من جهتهم، لأنه من المؤكد أن

كثيرين منهم كانوا سيرحبون به كقائد سياسي يوجه ضربة ضد الرومان. لكن الذى صدمهم واعتبروه تجديفاً هو نوعية المسيح بحسب ما قاله يسوع أنه : "ابن الله" الآتي في سحاب السماء .

وكانت الخطوة التالية هي الذهاب بيسوع إلى بيلاطس . وهنا أسقطت تهمة التجديف. فالاتهام القائم على شكوك دينية يهودية ما كان له أن يلقي قبولاً لدى أي حاكم روماني. ويبدو أن المشتكين على يسوع حاولوا أولاً أن يحملوا بيلاطس على المصادقة على الحكم اليهودي دون ذكر

يو١٨: ٢٨-٣٠ أي اتهام على الإطلاق. إلا أنه حين أصرّ بيلاطس على معرفة ما يتهمونه به.

لو٢٣: ١-٢ هنا لفقوا ثلاث تهم :

١- أن يسوع يضل الأمة اليهودية. وبالطبع كان القادة اليهود يقصدون بذلك أنه يضل الأمة عن سماتها اليهودية، ولكنهم أرادوا أن يأخذ بيلاطس الأمر على أنه يحول الأمة عن ولائها للإمبراطور.

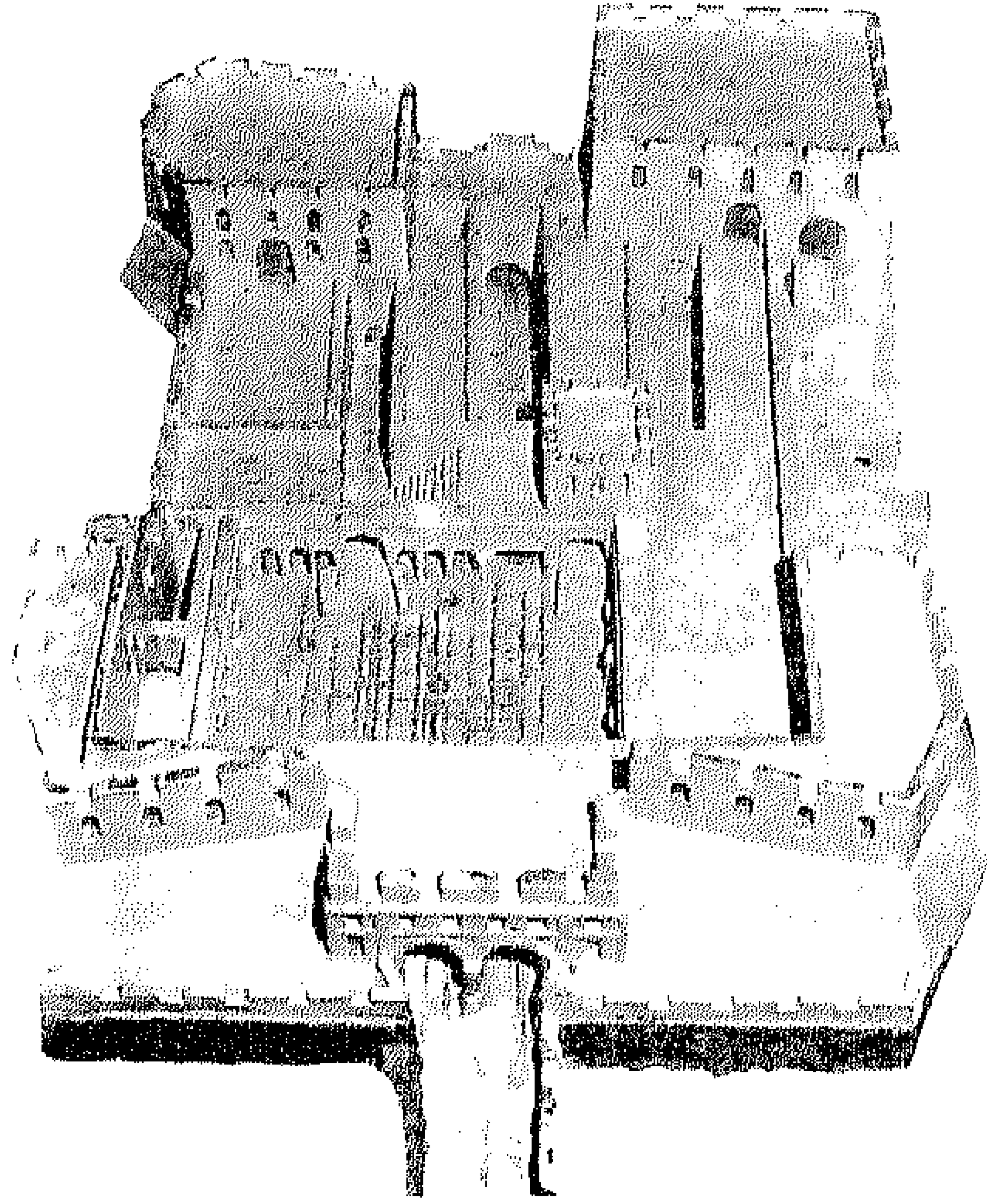
٢- منع يسوع دفع الضرائب. وكانت هذه هي التهمة التي توجه عادةً إلى جماعة الغيورين .

٣- نسب يسوع لنفسه لقب "ملك" ـ وهو أمر لا يمنحه إلا مجلس الشيوخ الروماني .

وبعد أن ناقش بيلاطس يسوع، أدرك أنه على الرغم من أن يسوع ربما يكون قد أثار حساسيات اليهود إلا أنه في الواقع لم يكن مذنباً بارتكاب أية جريمة طبقاً للقانون الروماني . وإذا كان قد ادّعى أنه ملك، فمن المؤكد أنه

لو٢٣: ١٣-١٦ لم يكن من النوعية التي يمكن أن تسلب قيصر سلطانه. غير أن بيلاطس أيضاً أدرك أن إثارة اليهود تعد أمراً خطيراً. لقد وقع بيلاطس في شرك أُعد له ببراعة. فمن ناحية وجد أنه يستطيع أن يأمر بالإفراج عن يسوع، و هنا يخاطر بنشوب أحداث شغب - الأمر الذي سيعتبره رؤساؤه أمراً بالغ الخطورة. ومن ناحية أخرى، بوسعه أن يدين يسوع - وهنا يتعرض لتأنيب

ضميره طوال ما تبقى من عمره. والخوف من ثورة اليهود هو ما أجبره في النهاية على اتخاذ قراره. فحين قالت له الجماهير : " إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر " أدرك بيلاطس أنه ليس بمقدوره مواجهة هذا، لأنه لم يكن يريد
يوحنا ١٩: ١٢ أن يصل إلى روما أية تقارير خاصة بسلوكه .



نموذج من قلعة أنطونيا، التي كانت مجاورة لهيكل أورشليم وفيها استجوب بيلاطس يسوع.

وهكذا صلب يسوع. وكما هو متبع في مثل هذه الحالات، كُتبت
يو١٩:١٩ لافتة وسُمرت على الصليب لتبين تهمته، وكان مكتوباً عليها :"يسوع الناصرى ملك اليهود". وكان اليهود على قناعة بأن الادعاء بأن يكون ملكاً معناه الادعاء بأنه المسيح . وكان الرومانيون بدورهم على قناعة بأن يسوع يستحق الموت على أنه شخص ثوري يقاوم سلطاتهم . وبالنسبة لكليهما كانت عملية الصلب تشكل حدثاً يومياً . والفرق الوحيد بين يسوع وبين الآلاف الآخرين الذين ماتوا بهذه الطريقة، هو أن موته استغرق وقتاً أقل، لم يتعد ست ساعات . وكان على اليهود أن يتخلصوا من جسده بأسرع ما يمكن حتى يكونوا طاهرين طقسياً استعداداً للسبت، الذي كان يبدأ عند غروب الشمس . وفور أن خُتم عليه في القبر، كان بوسعهم أن يعودوا لممارسة عادتهم الدينية التقليدية لتقديم الشكر لله لأنهم تخلصوا من شخص

آخر كان يزعجهم . فهل كان يسوع حقاً كذلك ؟ لقد ذهبنا إلى ما يمكن تصوره من أسباب صلب المسيح من الناحية التاريخية المطلقة . أما بالنسبة للمسيحيين الأوائل، فقد كان هذا يشكّل أيضاً حدثاً له أهميته البالغة من الناحية الدينية .

إدراك مغزى موت يسوع

إن الجيل الأول من المسيحيين شأنه في ذلك شأن بقية المسيحيين منذ ذلك الحين، على قناعة من أن موت يسوع على الصليب كان له تأثير عميق على حياتهم . وكانوا يقولون إن حياتهم أصبحت ذات مغزى وبطريقة جديدة لم يألفوها من قبل نتيجة ما عمله يسوع على الصليب . وقد عبّروا عن ذلك بطرق مختلفة. فالبعض قالوا إن خطاياهم قد غُفرت وآخرون قالوا إنهم وجدوا سلاماً في الذهن أو أنهم تصالحوا مع الله. والجميع كانوا مقتنعين بأن ما حدث لهم نتيجة موت يسوع كان أمراً حقيقياً مثل حقيقة موت يسوع نفسها . والواقع أنهم من ناحية لم يعرفوا ذلك على نحو أفضل، لأنه فيما أنهم عرفوا عن موت يسوع نتيجة سماعهم تقارير أناس آخرين، إلا أن كل واحد منهم اختبر بصورة شخصية هذا التغيير الحيوي في حياته .

ولكن كيف يمكن تفسير هذا الأمر بطريقة يستطيع الآخرون أن يستوعبوها ؟ لأنه إذا كان يسوع حقاً ابن الله، كما قال، فلابد أن يكون هناك شيء عميق وغامض أدى إلى أن يتعرض مثل هذا الشخص للموت، ناهيك عن موته على صليب بين اثنين من المجرمين. وهذا ليس بالأمر الذي يمكن تحليله علمياً، بل كان حدثاً يحتاج إلى أن يوصف ويتم الحديث عنه بلغة تصويرية، باستخدام ما هو عادي ومألوف لوصف شيء غير عادي بالمرة . ولهذا استخدم العهد الجديد تشبيهات مجازية كثيرة لوصف ما كان
اكو ٥: ٧، ١٥: ٣ يسوع يعمله في الواقع حين مات على الصليب . فقد صلب عنا، وتحمل
١تى٢: ٦، غل٢: ١٦ العقوبة الناجمة عن خطايانا . وقد افتدانا وبرّرنا . وكل من هذه الأقوال، وأخرى غيرها، توضح بعض الأمور التي عرفها المسيحيون الأوائل عن موت

يسوع . غير أنه إذا ما تحدثنا عنها، علينا أن نتذكر أمرين :

• علينا أن نعرف أنها صور أو تشبيهات . كما أنه من المهم ألا نفرط في تفسير التشبيهات والصور الرمزية التي كان يسوع يتكلم بها عن نفسه تفسيراً حرفياً، كذلك من المهم أيضاً أن نعرف الطبيعة التصويرية التى كان لابد منها فى لغة العهد الجديد التى استخدمها عن موت يسوع . وإلا سننتهى إلى أمور منافية للعقل .

• يجب أن نتذكر أيضاً أن الفكر اللاهوتي للعهد الجديد يتجه إلى أن يكوّن مشهداً طبيعياً وليس ملامح شخصية. وحيث إن المشهد الطبيعى يتكوّن من أي عدد من المواد المختلفة، فإن تفسير العهد الجديد لموت يسوع يتكون من صور عديدة مختلفة . وبمقدورنا إذا أردنا أن نتأمل أجزاء من المنظر الطبيعى كلٌّ على حدة، وبتفصيل أكثر من الأجزاء الأخرى . إلا أنه من المهم أن ننظر إلى كل تفصيلة في سياقها، أي في إطار الصورة ككل . وكل من التشبيهات التي استُخدمت في العهد الجديد لوصف موت يسوع تتضمن عنصراً من الحقيقة لا يمكن الاستغناء عنه . ولكن إذا أُخذ كل منها على حدة لا نجده يتضمن الحقيقة كلها، ولهذا السبب نحن في حاجة إلى أن نرجع إلى العهد الجديد ككل، ثم نناقش اختبار الكنيسة الأولى بأكمله، وفكرها اللاهوتي ككل .

ومن المهم لنا بصفة خاصة أن نحاول على الأقل أن نفهم خمسة أشياء يقولها العهد الجديد عن موت المسيح على الصليب .

موت المسيح كان معركة

يبين الإنجيل أن حياة المسيح وخدمته كلها كانت بمثابة معركة ضد قوي الشر . وفي تجاربه واجه يسوع عدو الله: الشيطان . ومعجزاته في كثير من الأحيان كانت تهتم بتحرير الناس رجالاً وسيدات من سلطة الشيطان . وكان يسوع يرى حياته كلها كجهد لتحقيق النصر على قوى الشيطان التي
لو ١١: ٢١ الخ كانت تسيطر على العالم، كما كانت ضد الألم والخطية والموت . كذلك

بولس الرسول كان أيضاً ينظر إلى الصيب باعتباره المعركة النهائية والحاسمة ضد قوى الشر . وعلى الرغم مما يبدو وكأنه هزيمة ليسوع، فإن هذه المعركة انتهت بنصر كامل على الخطية والموت بقيامة المسيح . كولوسي ٢: ٨-١٥

يو ١٢ : ٣١ وقد كان يسوع يرى هذا أيضاً، لأنه قال عن موته: "الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً". وصورة الصيب كمعركة ضد قوى الشر من الصور التي كثيراً ما نجدها في ترانيم القيامة. غير أن فهم موت يسوع في هذه الصور فقط يترك لنا سؤالاً هاماً بدون أية إجابة، وهو: إذا كان يسوع قد قهر الخطية وانتصر عليها بصليبه وقيامته، فلماذا إذاً لاتزال كثير من الشرور موجودة في العالم حتى أيامنا هذه؟

والعالم اللاهوتي الفرنسي أوسكار كولمان " Oscar Cullmann " أجاب عن هذا السؤال إلى حد ما . وذلك باستخدام صورة حربية أخرى. فهو يشير إلى أنه في أي حرب توجد دائماً لحظة حاسمة تحدد نتيجتها، وهذا ما يعرف :" بيوم الحسم " ولكن " يوم النصر " يمكن أن يأتي بعد ذلك بكثير . وهو يصف يوم صلب المسيح بأنه "يوم الحسم" بالنسبة لحرب الله ضد الخطيئة . ولكن "يوم النصر" سيأتي بعد ذلك، في تاريخ لاحق حين تخضع كل الأشياء ليسوع، ويُهزم الشر بصفة نهائية . وهذه ليست الإجابة الكاملة لمشكلة الشر، كما سنرى فيما بعد. ولكنها إجابة جزئية حين ننظر إلى موت المسيح على أنه كان أثناء معركة .

موت يسوع كان مثالاً

كثير من الترانيم المسيحية المشهورة تتناول موت يسوع على أنه مثال . وهذا على أساس حقيقة أنه على الصيب كشف يسوع محبة الله للعالم .
رومية ٥: ٨، ويسوع نفسه لم يتحدث عن الصيب إطلاقاً على أنه إعلان عن محبة الله
يوحنا الأولى ٤: ١٠ لكن بولس ويوحنا فعلا ذلك . وقد أشار أيضاً إلى أنه فيما نتأمل آلام

يسوع، أحرى بنا أن يدفعنا ذلك إلى أن نشارك نحن بأنفسنا في هـذه الآلام.
وكاتب رسالة بطرس الأولى استخدم هـذا كحافز قوي يدفع المسيحيين
الذين اضطُهدوا بسبب معتقداتهم: " لأنكم لهذا دعيتم، فإن المسيح أيضاً
تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته " . ١بط٢: ٢١

وهذا مفهوم من السهل تماماً فهمه وتقبله . وبمقدورنا أن نتذكر كثيرين من الناس الذين أنكروا أنفسهم، وضحوا بحياتهم في سبيل قضية عادلة. ونحن نعجب بهم ونحترمهم، وربما نتأثر ونتّبنى نحن أيضاً قضيتهم . ولكن من الواضح أن هذه ليست كل الحقيقة عن موت يسوع، لأن العهد الجديد يوضح أنه ليس مجرد إنسان بريء استشهد في سبيل هدف نبيل . وإذا كان الله -بمعنى من المعاني- هو الذى كان على الصليب، فلن يتبقى لنا إلا معنى محدود بمقدورنا أن نتبناه ونشارك في هذا الاختيار . وهذا هو ما يجعل موت المسيح مختلفاً تماماً عن موت كل ما عداه من الشهداء .

الموقع المحتمل للجلجثة (موضع الجمجمة) المكان الذى صُلب فيه يسوع.

قلعة أنطونيا.

بركة بيت حسدا حيث شفى يسوع شخصاً، كان مريضاً منذ ثمان وثلاثين سنة.

طريق الصليب "طريق الآلام" حيث حمل يسوع صليبه إلى الجلجثة.

قبة الهيكل، التي ورد ذكرها في تجربة يسوع في البرية.

الهيكل

بستان جثيماني

رواق سليمان

وادي قدرون

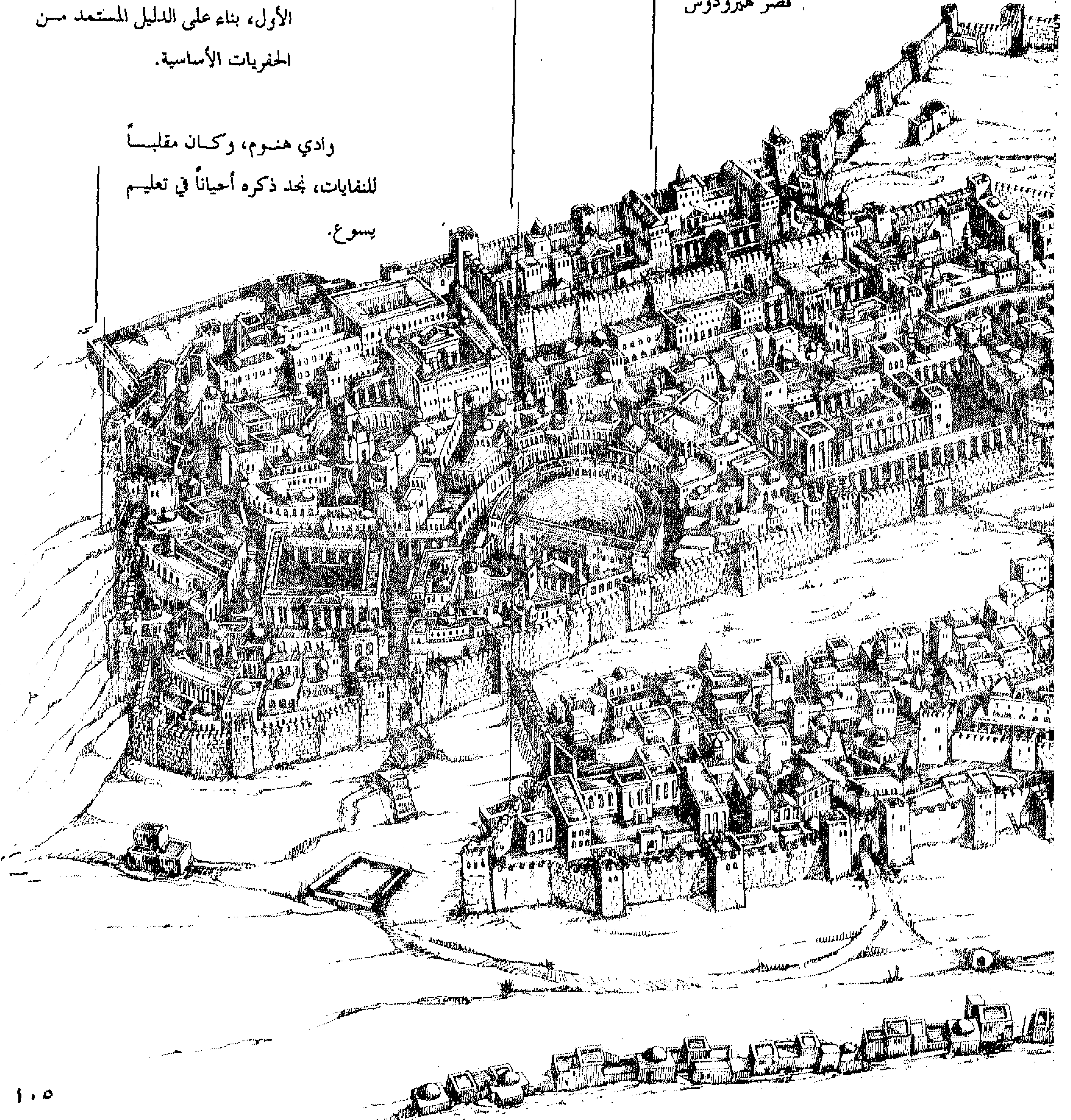
أورشليم :

حوّل هيرودس الكبير أورشليم من مدينة عامرة بالسكان، ولو أنها كانت مركزًا دينيًا غير مشير إلى مدينة إقليمية لها أهميتها. فقد بنى فيها كثيرًا من وسائل الراحة والتسلية بما في ذلك مدرّج كبير، كما أعاد بناء الهيكل. وهذه صورة للمدينة بعد إعادة بنائها في القرن الأول، بناء على الدليل المستمد من الحفريات الأساسية.

بركة سلوام، أرسل إليها يسوع رجلاً ليغتسل فيها بعد أن شفاه.

قصر هيرودوس

وادي هنوم، وكان مقلباً للنفايات، نجد ذكره أحياناً في تعليم يسوع.



موت يسوع كان ذبيحة

كان من الطبيعي للشعب اليهودي أن يستخدم تشبيه الذبيحة . فقد كانت الحيوانات تقدم كذبائح في إطار طقوسهم الدينية . ولغة الذبائح استخدمت في إطار الحديث عن موت يسوع علىمدى العهد الجديد كله. فلقد صاح يوحنا المعمدان حين رأى يسوع قائلاً: " هوذا حمل الله الذي
يو ١: ٢٩ يرفع خطيئة العالم " أما بولس الرسول فيقول : " لأن فصحنا أيضاً المسيح"
كورنثوس الأولى٥: ٧ ويصف بطرس المسيح بأنه مثل " حمل بلا عيب ولا دنس " وكاتب
١بط١: ١٩ العبرانيين لا يدخر وسعاً فى توضيح أن موت المسيح كان تحقيقاً لكل طقوس الذبائح اليهودية .

ومن الطبيعى أن يثور في أذهاننا سؤالان اليوم عن هذا التشبيه .

أولاً، و قبل كل شيء ما هو الحمل الذى شُبه به يسوع ؟

بالنظر إلى أن كتبة العهد الجديد كانوا يدركون أن خطاياهم قد غفرت نتيجة موت يسوع، كان من الطبيعي أن نرى خلفية هذا في "ذبيحة الخطية"
لا ٥: ١٧-١٩ في العهد القديم . ونقرأ عن هذا في سفر اللاويين . إلا أنه كان هناك حدث مثير بالنسبة للفصح الأول، حيث تم خلاص بني إسرائيل من العبودية في
خروج ١٢ مصر، حيث كان لتقديم الحمل كذبيحة دور هام، ويبدو أن يسوع نفسه ربط بشكل مقصود بين موته، والموت السنوي لخروف الفصح (انظر التعليق على موضوع العشاء الأخير) فقد ذكّر تلاميذه أن ما سيعمله على الصليب سوف يكون نقطة تحول عظيمة في حياتهم ،مثلما كان الفصح في حياة أمتهم . وعلى هذا فإنه حين يصف العهد الجديد موت يسوع في إطار التشبيه بحمل يُقدم كذبيحة، لابد وأن المشهد كان يتضمن هاتين الصورتين: حمل ذبيحة الخطية وحمل الفصح .

أما السؤال الثاني فهو أكثر أهمية : ما الذى يعنيه عمل الذبيحة ؟

ربما لم ير معظمنا ذبيحة حيوانية . فهي شيء ليس له أي دور في حياتنا الآن، بل أننا نميل إلى النظر إلى هذا الأمر كطقس وحشي كان يجرى في

الماضي غير المتحضر . ولكن، مهما بدت لنا الصورة فجّة فالأمر المهم الذي يجب ملاحظته يكمن فيما تمثله أو ترمز إليه وليس فيما يحدث .

والمتعبّد الذي كان يقدم ذبيحة في إسرائيل قديماً كان يقبل على ذلك لشعوره بأنه ابتعد عن الله بسبب خطيئته وعصيانه، وكان يعرف أنه في حاجة إلى أن يتصالح مع الله قبل أن تصبح حياته عامرة وحرة . وأول خطوة في عملية المصالحة هذه هي أن يتقدم الخاطىء إلى مذبح الله بذبيحة ثم يضع يده على رأس الحيوان، للإشارة إلى أنه يريد أن يتوحد مع الحيوان، ولذلك فما يحدث للحيوان خارجياً من الناحية البدنية يحدث للخاطىء داخلياً من الناحية الروحية . وبعد ذلك تقع أربعة أشياء :

• يذبح الحيوان . وبهذا العمل يتم تذكير الخاطىء بعاقبة خطيته: فالشر ينتج موتاً وهذا الموت يفصل الإنسان عن الشركة مع الله، الذى لا يعرف الشر أبداً، وهو بهذا يعلن أنه هو نفسه لا يستحق إلا الموت .

• بعد ذلك يأخذ الكاهن من دم الذبيحة (والتي تمثل الآن حياة الخاطىء وقد أُعطيت إلى الله) إلى المذبح . وكان هذا هو عمل المصالحة أو " التكفير " كما يطلق عليه أحياناً . وهكذا تكون قد تمت معالجة الخطيئة وأُعيدت صلة الشركة بين هذا الشخص والله .

• بعد هذا، يوضع جسم الذبيحة على المذبح في الهيكل ، كعلامة على أن الخاطىء الذي غُفرت خطاياه يقدم كيانه كله لله .

• وأخيراً، بعض اللحم الذي ما يزال متبقياً يؤكل في وجبة. وهذا ما يشير ليس إلى أن الخاطىء قد تصالح مع الله فحسب، بل أنه قد تصالح أيضاً مع الناس . وقد استعيدت الشركة مع الله ومع الناس .

وصف يوحنا المعمدان يسوع بأنه "حمل الله الذى يرفع خطية العالم" وخروف الذبيحة في فكر العهد القديم كان وسيلة لرفع إثم الشعب واستعادة علاقتهم مع الله، لكن كتبة العهد الجديد يعتقدون أن موت يسوع أبطل مثل هذه الذبائح . ولا تزال الذبائح الحيوانية من سمات بعض الديانات : ونجد في الصورة أحد المسلمين وقد ذبح خروفاً للاحتفال بالعيد في الباكستان .



وهكذا كان طقس الذبيحة في العهد القديم رمزاً يتصالح الخاطىء من خلاله مع الله . وهذا ما يعنيه العهد الجديد حيث يصف موت يسوع على أنه "ذبيحة" . والواقع أن كاتب العبرانيين ذهب إلى حد قوله إنه كانت هناك علاقة منطقية ما بين مفهوم العهد القديم وموت يسوع . وكما قال يسوع عن موته إنه "تحقيق لرموز العهد القديم " فموته كان الحقيقة، أما الذبائح فكانت الصورة . وفي يسوع يستطيع المسيحيون أن يعرفوا أنهم

تصالحوا مع ا لله . فقد عانى من أقسى آلام الابتعـاد عـن ا لله الـتي يمكـن أن تنتج عن الخطية . والآن أيضـاً إذ "تجـدد النـاس"، يجـب علـى المسـيحيين أن

رومية١٢: ١ يقدموا أنفسهم لله . وهذا هو ما قصده بولس حـين شـجع المسـيحيين: "أن تقدموا أجسادكم كذبيحة حية مقدسة مرضية عند ا لله " .

موت يسوع كان فدية

قال يسوع نفسه بكل وضوح إن قصده هـو أن يكـون" فديـة ". وهـذا تشبيه بلاغي سهل الفهم جداً . وكلنا نعـرف أنـه حـين تُختطـف مجموعـة مـن

مر١٠: ٤٥ الناس بواسطة أناس آخرين، يُرغم طرف ثالث كي يدفع فدية لإطلاق سراحهم .

وخلفية هذه الصورة في العهد الجديد ليست بالطبع خطف الطائرات أو رجال الأعمال الأثرياء . و" الفدية " هي الثمن الذي كان يدفع لتحرير أحد العبيد، وهذه الفدية عادة ما يقوم بدفعها طرف ثالث . وفي العالم الرومـاني، كان على العبد والشخص الذى كان سيدفع الفدية لصاحب العبد أن يذهبـا مباشرةً إلى مقدس الإله المحلي، وفي احتفال ديـني يتـم دفـع الفديـة لصـاحب العبد . ومن الناحية القانونية، يقصد بهذا الاحتفال الإشارة إلى أن الإلـه قـد اشترى هذا العبد، وعلى ذلك لا يمكن لإنسان أن يملكه بعد ذلك .

ومن المؤكد أن هذه الصورة صحيحة تماماً بخصوص موت يسـوع، لأن الشخص الذى يحرّره يسوع قد تحرّر حتـى يسـتطيع حقـاً أن ينتمـى إلى ا لله بالفعل . والعهد الجديد يشدّد باستمرار علـى بيـان أن المسـيحيين هـم ملـك

١بط١: ١٨ لله. فقد " افتديتم ....من سيرتكم الباطلة ". وكثيراً ما يـذكّر بولـــس الرســـول قرّاءه بقولـه " لأنكـم قـد اشـتريتم بثمـــن . فمجـدوا ا لله فـى أجسادكم ". وعلى هذا فربما تكون هــذه أكثر الصـور الـتي اُستخدمت في العهد الجديد لوصف ما عمله يسوع على الصليب: لقد دفع ثمن الخطية .

يســوع مــات عـنـا

عندما نقول يسوع مات كذبيحة، أو فدية عنا، معناه أننـا نقـول أساسـاً إنه مات عنا . وعلى الصليب عمل شـيئاً مـن أجلنـا مـا كـان في وسـعنا أن

١بط ٢: ٢٤ نعمله من أجل أنفسنا . وعلى سبيل المثال ذكر لنا في رسالة بطرس الأولى
مر ١٠: ٤٥ أن يسوع "حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن
الخطايا فنحيا للبر". وقول يسوع إنه جاء "ليبذل نفسه فدية عن كثيرين" لا يمكن أن يكون له معنى آخر. غير أنه من المهم أن نوضح ما نعنيه بقولنا إن يسوع تألم عنا، لأنه من السهل تفسير اللغة التصويرية للعهد الجديد بطريقة لا تعطى أى معنى .



استخدم الرومان الصليب لتنفيذ حكم الإعدام فى المجرمين. وأصبح الصليب الرمز الأساسى للمسيحية لأن المسيح مات على الصليب. وهذا مشهد من فيلم "يسوع المسيح النجم الأسمى".

وخصوم الإيمان المسيحي كثيراً ما أخذوا صورة موت يسوع هذه للإشارة إلى أننا نتحدث عن نوع من المحكمة السماوية . ففي مقعد القاضى نجد الآب، وهو شخصية عنيفة متسلطة، مثل شيلوك في مسرحية " تاجر البندقية " لشكسبير، يطلب رطل اللحم المستحق له . فنحن ينبغي أن نكون في قفص الاتهام، وبالنظر إلى أننا ابتعدنا عن الله نتيجة عصياننا فإننا نستحق أقصى عقوبة . ولكن يسوع هو الذي وقف في قفص الاتهام بدلاً منا، ورغم طاعته التامة فلسوف يصبح الضحية لمطالب الله الشديدة التي لا تلين لأن العدالة يجب أن تأخذ مجراها .

وإذا أخذنا الصورة على هذا النحو، يكون من الصعب جداً قبولها كرواية كاملة لما عمله يسوع على الصليب. وعلى سبيل المثال، هل بمقدورنا أن نقبل أن يكون الله أقل حتى من القاضى الذي من البشر. وكم منا سيعتبر أنه تم إيفاء مطالب العدالة إذا ما عُوقب شخص بريء بدلاً من آخر أثيم ؟ وكم منا سيقول إنه أمر حسن دائماً بالنسبة للخاطىء التائب ألاّ يوقع عليه أي عقاب، وكيف نوفق بين هذا وحقيقة أن الله يدعنا أحياناً أن نتحمل عواقب أعمالنا السيئة . والواقع أننا في بعض الأحيان نقاسي بدون أي سبب واضح على الإطلاق ؟

والحقيقة أننا إذا فكرنا في موت يسوع بدلاً منا في نطاق محكمة، نكون قد غفلنا عن معنى الكثير مما حاول يسوع أن يقوله . واليهود كثيراً ما

ينظرون إلى الله كشخص رهيب مخيف، من المؤكد أنه بعيد عن حياتهم وهو بصفة عامة يهتم بالأكثر بالعقاب أكثر مما يهتم بالغفران . لكن يسوع وصف الله في أكثر من مناسبة بأنه آب محب يهتم بكل فرد في الجنس البشري . ولذلك حين نتكلم عن تحمل يسوع للآلام نيابة عنا، يجب ألا يكون ذلك كما لو كنا في محكمة، بل في إطار عائلي . وتحمّل يسوع للآلام عنا لم يفرضه قاض صارم لاستيفاء مطاليب العدالة، بل كانت معاناة بنفس أسلوب الشخص الذي يتحمل المعاناة من أجل خطأ ارتكبه أحد أفراد أسرته . وعدالة الله في تعامله مع الخطيئة ليست مثل عدالة القاضي الذي يفرض حكماً في المحكمة، بل هي عدالة أب قلبه ينفطر توقاً لاستعادة أولاده إلى مكانهم السليم .

ومع ذلك فإن هذه الصورة تترك الكثير دون شرح، والتشبيه ليس كافياً فى أساسه . فإنه حين يتألم شخص بسبب خطأ آخر، فإن آلامه لا تمحو أو تلغي هذا الخطأ . ولكن العهد الجديد يصر على أن موت يسوع كان من شأنه حقاً أن أزال خطيئتنا، ومن ثم فبواسطة ذلك يمكننا أن ننال الغفران .

وكل من هذه الوسائل الخمس من الحديث عن موت يسوع لها نقائصها، وما ذلك سوى لأنها مجرد صور، وبالنسبة لمعظمنا لايزال الصليب يشكل لغزاً كبيراً . غير أن سر موت المسيح ومغزاه الحقيقي يعني بالفعل أمرين في غاية الأهمية عن الله وعلاقته بالبشر .

• بالنسبة لأناس كثيرين، فإنه من بين أكثر المشاكل الضاغطة في الحياة هي مشكلة الشر . ولو كان الله حقاً إلهاً محباً وغفوراً، فلماذا نجد شراً كثيراً في العالم ؟ وإذا كان الله إلهاً غفوراً لكان من المؤكد أن يرتب الكون بشكل مختلف بحيث إن الأعمال الخاطئة لمخلوقاته الغبية لا تتولد عنها هذه الآلام

الكثيرة لأنفسهم ولغيرهم من الناس . ولا توجد إجابة سهلة لهذه الأسئلة والواقع إني أشك في وجود أية إجابة على الإطلاق، فهي بدرجة كبيرة بسبب الخطيئة حتى إن بولس الرسول استطاع القول إن "كل الخليقة تئن وتتمخض" فيما تنتظر أن تتحرر من آلامها . غير أن الصليب يبين لنا أنه حتى لو كان الله لا يزيل الآلام الناتجة عن خطيئة الإنسان حتى أصبحت الآن متأصلة في الحياة، فمن المؤكد أنه يشاركنا فيها. فالله لم يكن بالقاضي الصارم الذي يصدر حكمًا غير معقول على يسوع البريء . فالله نفسه كان في الواقع يشارك في الصليب العواقب الوخيمة لخطية الإنسان . رومية٨:١٨-٢٥

• الصليب يبين لنا ما الذي تكلّفه غفران الله . إن مغفرتنا لشخص آخر تكلفنا في الغالب كثيراً حتى لو كان هذا الشخص من أفراد عائلتنا .

• هناك أناس كثيرون ينسون هذا حينما يتكلمون عن مغفرة الله.

قال الشاعر الألماني هنريك هين "Heinrich Heine" -وهو من شعراء القرن التاسع عشر- حين كان يلفظ أنفاسه الأخيرة : "الله سيغفر لي، هذا هو دوره".وهذا القول السخيف يبدو أنه يلخص موقف الكثيرين من الناس الذين يأخذونها قضية مسلماً بها، فالله لابد وأن يغفر لهم في النهاية بصورة تلقائية . ولكن المغفرة ليست دور الله، فقد كان الصلب هو دوره، فالله لا يمكن أن يغفر بطريقة عشوائية . وإذا كان له بكل بساطة أن يتغاضى عن الشر الذي يتناقض مع طبيعته ذاتها، إن الأمر يكلفه الكثير لكي يغفر ولو لخاطىء واحد، وثمن مغفرتنا رأيناه على الصليب "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين" . رومية ٨: ٣٢

وكل هذه الأقوال مجرد صور بلاغية وتشبيهات مجازية. ومن منظورنا في القرن العشرين ربما تبدو بعيدة، بل وخارجة عن الموضوع. ومن الطبيعي أن نسأل أنفسنا: ما الذي حمل المسيحيين الأوائل على أخذ موت يسوع بهذا المعنى ؟ لماذا لم يستطيعوا الاكتفاء باعتباره رجلاً باراً لاقى ميتة شنيعة ؟ لماذا اضطروا إلى إضفاء فكر لاهوتي على الأمر كله، ومن ثم جعلوه على هذا النحو من التعقيد ؟

الإجابة على مثل هذه الأسئلة نجدها فيما اعتقدوا أنه حدث بعد

الصلب بثلاثة أيام، لأنهم كانوا مقتنعين أن يسوع قام من الأموات. ولو لم يكونوا قد آمنوا بذلك لما كان للصليب أي معنى عندهم. إلا أنه بسبب إيمانهم بالقيامة، واختبارهم أن المسيح يعمل في حياتهم، أصبح المسيحيون الأوائل على قناعة كاملة أن يسوع كان حقاً كل ما ادّعاه بالنسبة لنفسه. وعلى الصليب حارب وكسب المعركة الفاصلة ضد الشيطان، وجعل الأمر ممكناً لأن يغفر الله للخطاة ويقبلهم في عائلته. وكان يقدم لهم إمكانية أن تكون لهم حياة عامرة بحقيقة وجود الله نفسه فيها.

ولكن هل كانوا محقين؟ وهذا سؤال هام وجوهري بالنسبة لنا الآن وسؤال يجب أن نتأمله بقدر من التفصيل.

هل أدان اليهود يسوع

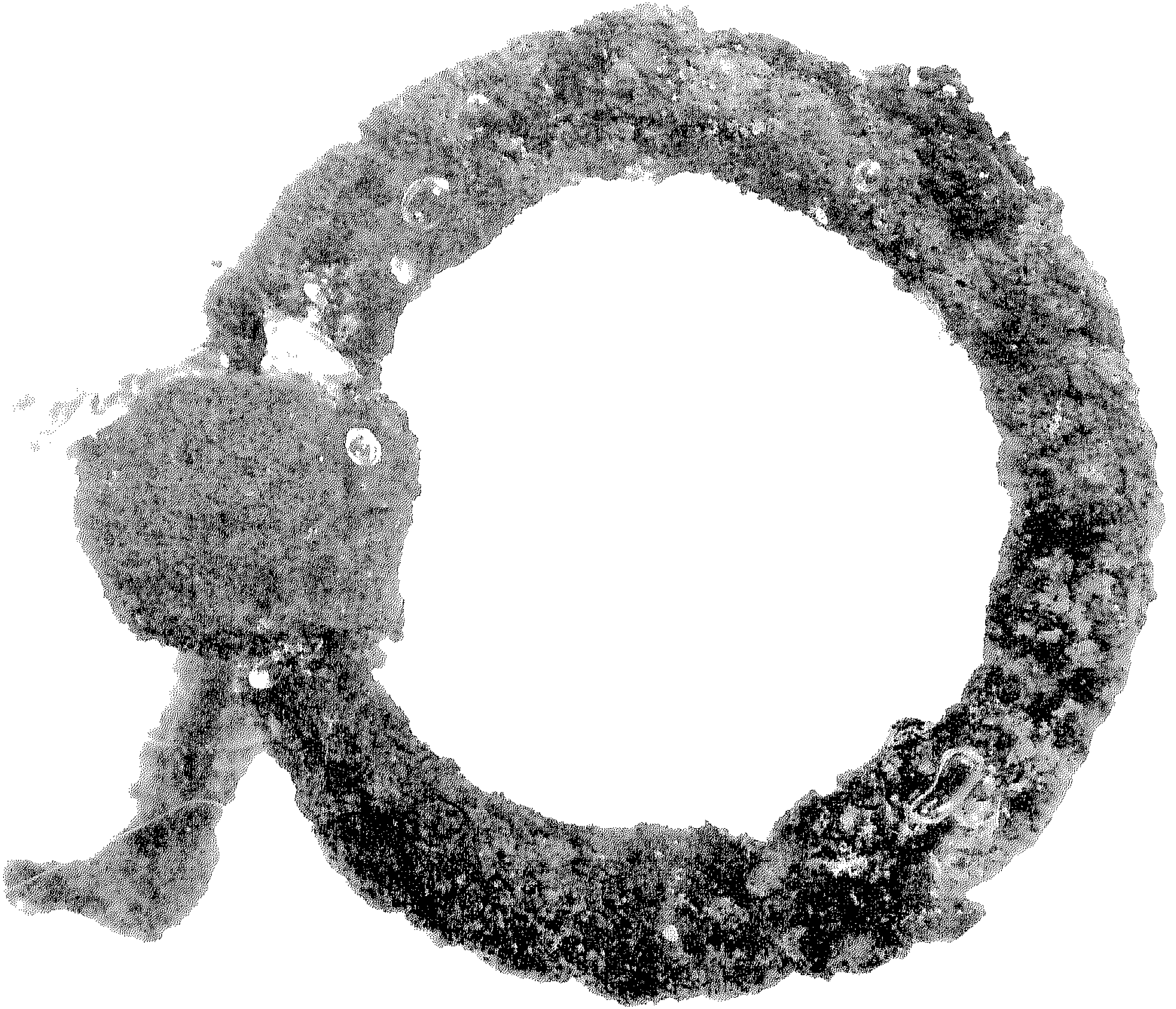
بعض الناس تشككوا في أن محاكمة المسيح التي جرت على أيدي اليهود قد وقعت بالفعل، والمشكلة هي أنه لا يتوافر لنا أي دليل معاصر عن عادات اليهود وممارساتهم في هذا الوقت. ومعرفتنا الوحيدة مستقاة من كتاب الشريعة اليهودي "المشناة" والتي يرجع تاريخها (في صيغتها الحالية) إلى عام ٢٠٠ م. تقريباً.

والمشناة تحتوي على تقاليد أقدم بكثير من الوقت الذي كتبت فيه، غير أنه من غير الممكن معرفة مدى تطبيق هذه القواعد أيام يسوع.

وإذا أقمنا رأينا على أساس هذه المعايير الأخيرة فمن المؤكد أننا سننتهي إلى أن مثل هذه المحاكمة التي وصفتها الأناجيل كانت نادرة. وأعضاء السنهدريم البارزون كانوا يشكّلون هيئة الاتهام (الادعاء)، كما كانوا في ذات الوقت هم القضاة أيضاً، وسبق لهم أن تورطوا في المؤامرة التي دبرت لإلقاء القبض على يسوع. ويبدو أن المحاكمة بدأت بدون أية اتهامات محددة، ولم يُطلب أي دليل للدفاع على الرغم من أن شهود الادعاء كانت أقوالهم متعارضة. وفضلاً عن ذلك فقد تم تجاهل قاعدتين على جانب كبير من الأهمية من قواعد القانون اليهودي. وكانت هذه القواعد تقضي بأنه يتعين مرور أربع وعشرين ساعة بين صدور حكم الإعدام وتنفيذه. وأنه لا يجب إجراء أية محاكمة في اليوم السابق على اليوم اليهودي المقدس، الذي هو يوم السبت.

وبالنظر إلى تجاهل هاتين القاعدتين في المحاكمة التي أوردتها الأناجيل فإن معظم الكتبة اليهود يصرّون على أنه لا توجد حقيقة تاريخية في القصص التي

هذا القيد الذي يُكبل به العبيد يعود تاريخه إلى أيام الرومان. ومن بين الصور التي استخدمتها الأناجيل لتفسير موت يسوع هي أنه "افتدى" أولئك الذين كانوا "مستعبدين" لطرقهم الرديئة.



رواها الإنجيل في هذا الخصوص.

غير أنه لا يوجد سبب مقنع يدعونا إلى النظر إلى هذه المحاكمة على أنها من ضروب الخيال. وعلى الرغم من أن تأثير اليهود على مجتمعهم السياسي كان ضئيلاً، فإننا نعرف أنهم كانوا يدققون في تطبيق شريعتهم طالما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. وهذا الأمر لم يكن قادة اليهود يتخذونه كذريعة نفسية فحسب، بل كانوا أيضًا يستخدمونه

كوسيلة نافعة لكسب تأييد جماهير الشعب اليهودي لسياستهم. فحكم الموت الذي صدر على يسوع طبقاً للقانون اليهودي وبواسطة محكمة دينية، كان من المؤكد أن يكون له تأثير على موقف الناس العادين ضده، ولابد أنه كان من المتوقع أن يشكّل نوعاً من الضغط الأدبي على القاضي الروماني الذي كان له القول الفصل في هذه القضية.

ومع ذلك، فإنه ليس من المحتمل ألا تكون هذه المحكمة اليهودية غير قانونية بالشكل الذي يمكن إظهارها عليه إذا قورنت بأحكام المشناة. سبق أن عرفنا أنه ليس بوسعنا أن نكون متأكدين من أن هذه الأحكام كانت سارية في ذلك الحين. لكن مما له مغزاه أيضاً، أنه على الرغم من كل الاتهامات التي وجهها المسيحيون الأوائل ضد اليهود، إلا أنهم لم يتهموهم إطلاقاً بكسر الناموس لكي يعدموا يسوع. ثم إنه توجد أيضاً حقيقة أن أعضاء السنهدريم لم يكونوا على وجه العموم، أوغاداً أشراراً، بل أن غالبيتهم كانوا من الرجال الذين لهم مُثلهم الأخلاقية العالية. أناس مثل بولس قبل تجدده. وربما كانوا قد اجتمعوا بعد أن كان قد استقر في ذهنهم الحكم الذي كانوا سيصدرونه، وعلى هذا فلم يوفروا ليسوع محاكمة عادلة. إلا أنهم كانوا على قناعة فعلاً بأنهم كانوا على صواب من ناحية نظرتهم للأمور، وأن يسوع لم يكن سوى رجل مشاغب يتظاهر بأنه المسيح.

العشاء الأخير

تقدم الأناجيل الأربعة وصفاً لما اصطلح إجمالاً على تسميته "العشاء الأخير" ليسوع. وتذكر كيف قام يسوع بدور المضيف لتلاميذه في غرفة استعيرت من صديق في أورشليم، وذلك مساء اليوم السابق لصلبه. (مت٢٦: ٢٠-٣٠، مر١٤: ١٢-٢٦، لو٢٢: ٧-٣٩، يو١٣: ١-٣٠).

وأول ما جاء عن هذا العشاء لم يكن في الأناجيل بل في كتابات بولس في رسالة كورنثوس الأولى(١كو١١: ٢٣-٢٦)، إلا أن ما ذكره عن العشاء الأخير يتفق في تفاصيله الأساسية مع القصص التي حوتها الأناجيل المتشابهة (متّى، مرقس، لوقا). إلا أن إنجيل يوحنا يقدم لنا تفاصيل أكثر بالنسبة لبعض نواحي هذه الوجبة، وتتضمن — وهذا أمر لم يذكره كتبة الأناجيل الآخرون - كيف أن يسوع قام بغسل أرجل تلاميذه. وفي ذات الوقت يغفل يوحنا ذكر السمة الأساسية للقصص الأخرى، وهي تأسيس "عشاء الرب".

وفي هذه الأكلة الأخيرة مع تلاميذه، اتبع يسوع التقليد اليهودي المألوف، وشكر الله من أجل هذه الأكلة. وبعد ذلك أخذ يكسر الخبز الذي كان على المائدة، ثم أعطاه لتلاميذه قائلاً :"هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري" (١كو١١: ٢٤، قارن متّى٢٦: ٢٦، مرقس١٤: ٢٢، لوقا٢٢: ١٩). ثم أعطاهم كأساً من الخمر قائلاً: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري" (١كو١١: ٢٥، قارن متّى٢٦: ٢٧-٢٨، مرقس١٤: ٢٤، لوقا٢٢: ٢٠).

العهد الجديد

كان التلاميذ مثل بقية اليهود الآخرين، على معرفة تامة بفكرة "العهد". ولقد جرى العشاء الأخير في نفس الوقت الذي كان اليهود يستعدون فيه للاحتفال بواحد من أهم أعيادهم الدينية وهو "عيد الفصح". وفي هذا العيد يحتفل اليهود بذكرى العهد الذي قطعه الله مع أسلافهم، وكانوا يتذكرون كيف أنه منذ وقت طويل مضى، خلص الله بني اسرائيل من العبودية في مصر، وعرفاناً بهذا الخلاص قدم الإسرائيليون طاعتهم ووفاءهم لله (خروج١٢-٢٣). ومنذ ذلك الحين اعتبروا أنفسهم "شعب العهد". والعهد ببساطة يمثل حقيقة أن الله قد عمل شيئاً من أجل شعبه، وقد قابلوا هذا بالمحبة والطاعة.

وحين شبّه يسوع موته ببداية "عهد جديد" فقد كان في الواقع يقول لتلاميذه إن الله من خلاله كان يقوم بعمل خلاصي، وأن وعداً مماثلاً بالطاعة والإخلاص سيطلب من كل من سيستفيدون من هذا العهد الجديد. فالمجتمع الجديد له طلبات من أولئك الذين يتمتعون به، ويقول الرسول بولس إن أهل كورنثوس عليهم أن يكرروا هذه المائدة باستمرار كتذكار دائم لحقيقة أن حياتهم الجديدة في الحرية قد ربحها لهم يسوع على الصليب. ونتيجة لذلك فهم مدينون له بالإخلاص والطاعة الدائمين.

ومن الطبيعي أن بولس لم يكن بصدد تقديم رواية تاريخية عن "العشاء الأخير"، فلقد جاء ذكره بشكل عارض تقريباً. وإنما قصده الأساسي هو التأكيد على أن "عشاء الرب" (كما أصبح يسمى) كان تذكرة مستمرة للمسيحيين تذكرهم كم هم مدينون لله. إلا أنه بالنسبة لرواية الأناجيل عن "العشاء الأخير" فالموضوع أكثر تعقيداً. فقد كانوا يهدفون إلى تقديم نوع من التفسير التاريخي للعشاء الأخير.

ولذلك فلنا مبرر في أن نوجه أسئلة تاريخية في هذا الشأن. وأكثر هذه الأسئلة أهمية هو ما إذا كان العشاء الأخير هو احتفال بالفصح اليهودي، أم أن يسوع كان يحتفل مع تلاميذه بعيد من نوعية أخرى.

وهناك سؤالان رئيسيان في هذا الصدد:

أولاً : هل توحي تصرفات يسوع أثناء العشاء الأخير بأنه كان يحتفل بالفصح مع تلاميذه ؟

ولسوف نقصر مناقشتنا هنا على ما عمله يسوع وتلاميذه بالفعل، فقد تم تناوله كل على حدة.

من الممكن - في إطار قصص الأناجيل - أن نجد حججاً تؤيد فكرة أن يسوع كان يحتفل بالفصح اليهودي، كما أنه بمقدورنا أن نجد حججاً ضدها. والحقائق التالية ضمن الحجج المؤيدة :

● تم أكل "العشاء الأخير" في أورشليم وليس في بيت عنيا حيث كان يسوع يقيم. (مر١٤: ١٣، لو٢٢: ١٠). ومع المعارضة المتزايدة من جانب القادة الدينيين اليهود، بالكاد يكون هذا وقتاً معقولاً للذهاب إلى أورشليم دون حاجة ضرورية. ولكن إذا كان يسوع يقصد المشاركة في عيد الفصح كان لابد وأن يذهب إلى هناك، لأن الفصح لا يمكن أكله إلا داخل أسوار المدينة. وهذا يمكن أن يفسر لنا التأكيد على اهتمام التلاميذ بإيجاد غرفة في منزل في موقع مناسب (مت٢٦: ١٧-١٩، مر١٤: ١٢-١٦، لو٢٢: ٧-١٣).

● طبقاً لما جاء في يوحنا١٣: ٢٣-٢٥، فإن يسوع وتلاميذه تناولوا أكلتهم وهم متكئون. ولم تكن هذه العادة اليهودية لا تتغير، بل كانت أمراً ملزماً عند الاحتفال بالفصح، والتعليمات الخاصة بالفصح (الهاجاداه) تقول "في جميع الليالي الأخرى نأكل ونشرب إما ونحن جالسون أو متكئون، إلا أنه في هذه الليلة نتكئ جميعاً. وتضيف المشناه Mishnah أنه حتى أكثر الناس فقراً في إسرائيل لا يتوجب عليه أن يأكل الفصح إلا وهو متكئ.

● الأكلة تتم ليلاً. وكانت هذه أيضاً عادة بارزة مرتبطة بالفصح. والعادة الشائعة هي أن تؤكل الوجبة اليومية الرئيسية في وقت متأخر من الأصيل. ولكن أكلة الفصح كانت دائماً في الليل، وهو الوقت الذي وقعت فيه الأحداث التي يحتفل بها.

● غمس اللقمة في الصحفة (مر١٤: ٢٠، يو١٣: ٢٦) كانت وبشكل قاطع عادة تتعلق بالفصح فقط. والقواعد الخاصة بالفصح "الهاجاداه Haggadah" لا تشير إلى خبز يتم تناوله بهذه الطريقة، ولكنها تقول بالفعل في جميع الليالي الأخرى لا

نغمس ... ولو مرة واحدة أما في هذه الليلة فنغمس مرتين".

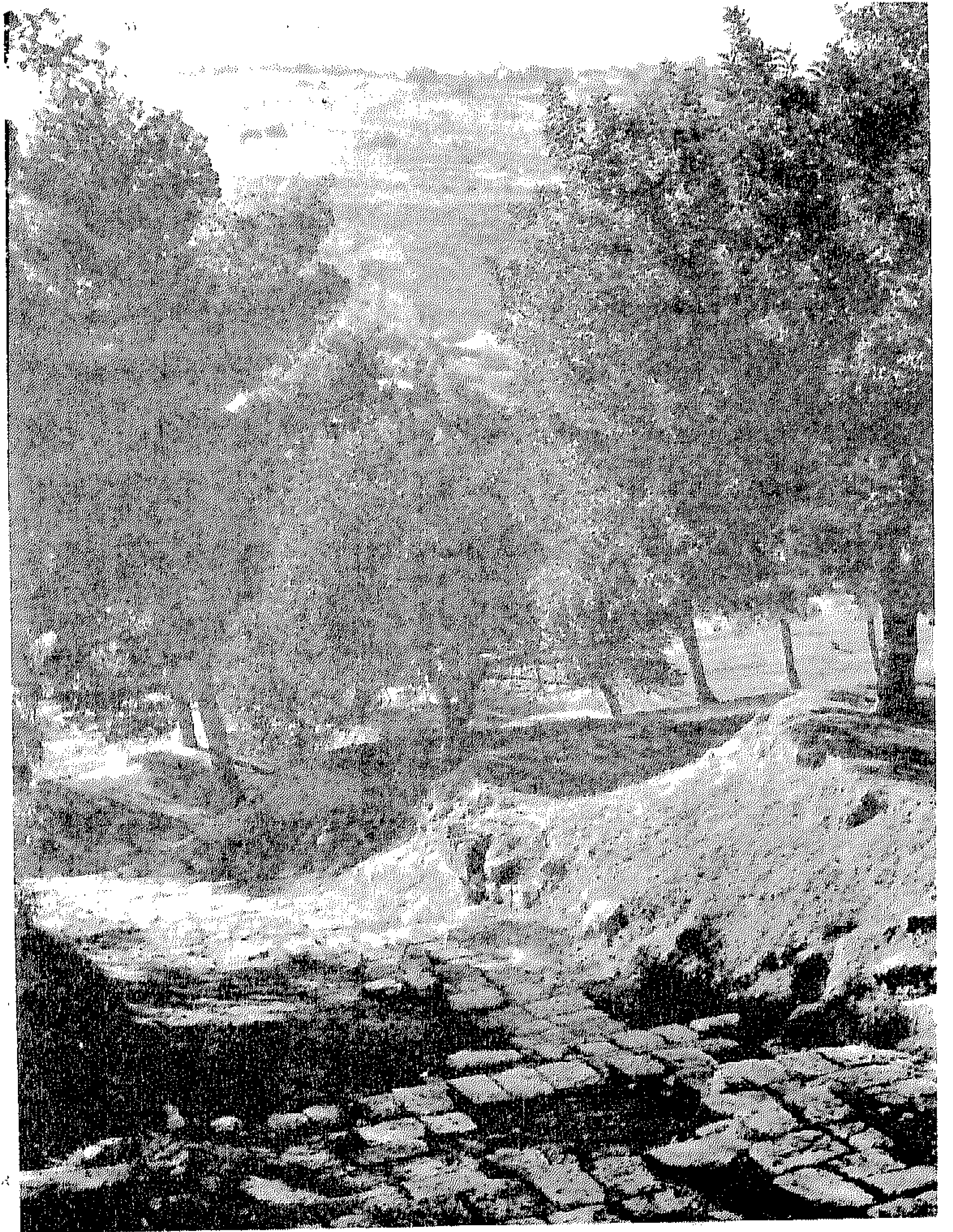
● رنّم التلاميذ قبل مغادرتهم الغرفة (مر١٤: ٢٦) الترنيمات التي تُعرف بمزامير التهليل (المزامير١١٣-١١٨). كانت من السمات المميزة التي تقال في وجبة الفصح.

وعلى الرغم من كل هذه التشابهات بين "العشاء الأخير" و"الفصح" فإنه توجد أجزاء أخرى من قصص الإنجيل توحي بأن العشاء الأخير لم يكن أكلة الفصح.

● من غير المحتمل - وإلى درجة كبيرة - أن يكون يسوع قد حوكم وأُدين وصلب خلال عيد له هذه الأهمية كعيد الفصح. ومن غير المحتمل أن يكون حاكم روماني على هذه الدرجة من الغباء حتى يقدم على مخاطرة كبيرة باشتراكه في الإعدام العلني لشخصية لها شعبيتها وفي وقت كانت فيه أورشليم تعج بجماهير الحجاج. وعمل كهذا يعد تنجيساً ليوم العيد العظيم، وكان من شأن هذا أن يفجر شرارة الثورة بين اليهود.

● كان الأمر سيتناقض مع قوانين اليهود الخاصة بالفصح لو أن يسوع حوكم أثناء العيد. ذلك لأن العمل بجميع أشكاله كان ممنوعاً في الفصح، وهذا يتضمن عمل السنهدريم. وفضلاً على ذلك فإن القادة اليهود كانوا سيتعرضون للنجاسة الطقسية بالتعامل مع بيلاطس بأي شكل في ذلك الوقت (يو١٨: ٢٨). والأمور المتعلقة بالمحاكمات ولاسيما عنصر السرعة فيها، يمكن تفسيرها على نحو أفضل إذا كان الفصح على وشك أن يبدأ، لا أن يكون قد بدأ بالفعل.

هذا الطريق المدرّج في أورشليم يعود إلى القرن السابق لميلاد يسوع وهو يودي إلى بستان جثيماني.



● هناك بعض التفصيلات الثانوية يبدو أنها لا تتناغم مع افتراض أن يسوع كان يحفظ الفصح. فعلى سبيل المثال، لا نجد ذكراً لحمل أو فطير، مع أن هذين من أهم العناصر الرئيسية في أكلة الفصح. ثم إنه سيبدو من الغريب أيضاً أن يجدوا سمعان القيرواني آتياً من الحقول في ذروة عيد هام كهذا، وفي وقت يكون العمل فيه محرّماً بصفة قاطعة (مر ١٥: ٢١). فمن المؤكد أيضاً، ومما له مغزاه أن المسيحيين الأوائل كانوا يحتفلون بعشاء الرب مرة كل أسبوع وليس كل سنة، كما كنا نتوقع لو أن الأمر كان في الأصل يتعلق باحتفال عيد الفصح. وإذا أُخذت مثل هذه التفصيلات على حدة فإنها في حد ذاتها لن تثبت الشيء الكثير. ولكن إذا ما تأملناها مع الدليل الآخر فمن المحتمل أن يكون لها وزنها في الحجة.

وإذ ووجه الباحثون بهذه الأدلة التي تبدو متعارضة، فإن مفسرين على نفس القدر من الشهرة كانت لهم أحكامهم المتباينة.فالعالم اللاهوتي الألماني "يواقيم جيرمياس Joachim Jeremias" على سبيل المثال وقف بقوة إلى جانب الرأي القائل بأن يسوع كان بالفعل يحتفل بالفصح اليهودي. أما آخرون فقد جادلوا وبقوة أيضاً بأن يسوع لم يكن في هذه الواقعة يحتفل بالفصح. وقالوا إن ذلك كان احتفالاً يطلق عليه a Kiddush وهو احتفال يستقبل به اليهود الأتقياء بداية السبت الأسبوعي. كما أنه أُخذ أكثر على أنه احتفال أكثر عمومية يعرف باسم Haburah. وهذه الاحتفالات معروفة تماماً في اليهودية المتأخرة ولا تزال تشكل جزءاً من الاحتفالات اليهودية الحديثة، ولكن لا تتوافر لدينا الأدلة الكافية لتبيان أن مثل هذه الأعياد كانت موجودة في زمن يسوع، بل ولا نقدر بالأكثر أن نذكر ما الذي كان يحدث أثناءها.

وهكذا تظل المشكلة قائمة. وإذا كان لنا أن نصدر حكماً على أساس الدليل الذي استعرضناه حتى الآن وحده، فإن ميزان الحجة يبدو أنه سيكون وبشكل بسيط في صالح الرأي القائل بأن العشاء الأخير لم يكن أكلة عيد الفصح.

غير أنه قبل أن نقول بأن هذا هو الحل الأخير للمشكلة، ترانا في حاجة إلى أن نطرح سؤالاً حاسماً آخر: هل كتبة الأناجيل كانوا يعتقدون أن يسوع كان يحتفل بالفصح مع تلاميذه. وهذا في الواقع هو السؤال المربك حقاً، لأن الأناجيل المتشابهة الثلاثة تقول وبشكل محدد إن العشاء الأخير كان أكلة الفصح ـ مع أنه ـ وكما رأينا ـ أن ليست كل التفاصيل التي

أوردوها عن الأكلة تتناغم مع هذا الافتراض. (مت٢٦: ١٨، مر١٤: ١٢، لو٢٢: ١٥). ومن ناحية أخرى، يقول يوحنا ـ وبدرجة مساوية من الوضوح ـ إن العشاء الأخير لم يكن هو الفصح، ولكنه كان في اليوم السابق على الاحتفال اليهودي ـ ومع ذلك وهنا أيضاً لا تتفق كل التفاصيل التي أوردوها في وصفه للعشاء، مع هذا القول (يو١٣: ١، ١٨: ٢٨).

وهذا واحد من أكثر الأسئلة صعوبة، وقد حاول مفسرو العهد الجديد أن يجيبوا عليه، ومن غير الممكن إعطاء أية إجابة بسيطة، وليس هناك أي احتمال لتوضيحه من نصوص الأناجيل نفسها، ذلك أن متّى ومرقس ولوقا يقولون بطريقة واضحة تماماً إن يسوع كان يحتفل بالعيد، وفي ذات الوقت يقول يوحنا إنه لم يكن يحتفل به في ذلك الوقت.

ومنذ عشرين سنة مضت، كان الأمر سهلاً بالنسبة للباحثين لكي يحلّوا المشكلة بقولهم ببساطة إن يوحنا أخطأ بل وهناك من يتبّنون هذا الموقف الآن، ولكنهم أقلية، لأن هناك فهماً أخذ في الازدياد أنه حتى وإن كان إنجيل يوحنا هو آخر أسفار العهد الجديد من ناحية كتابته فهو ليس بأي حال تلفيق تم في وقت لاحق لحياة يسوع وتعاليمه.

والواقع، وكما سنرى في الباب الثالث، أن الروايات التي حفظها لنا إنجيل يوحنا يسود الاعتقاد الآن بصفة عامة أنها تحتوي على تقاليد مبكرة صادقة ويُعتد بها.

فما الذي بمقدورنا قوله إذاً عن مشكلة مثل هذه، خاصة وإذا كان بمقدورنا أن نفهم طبيعة الصعوبة على وجه الدقة. فمن المعروف أن الترتيب الزمني اليهودي للأحداث يشكّل صعوبة في فهمه، وفي الحالة التي نحن بصددها فإن الأمر أكثر تعقيداً أمام حقيقة أن اليوم اليهودي يبدأ عند غروب الشمس، في حين أن اليوم عند التقويم الروماني يبدأ عند منتصف الليل. (كما هو الحال عندنا). ولذلك وعلى سبيل المثال فإن السبت اليهودي الأسبوعي يبدأ عند الغروب يوم الجمعة مساء. وينتهي عند غروب مساء السبت، لكننا ـ بهدف تسهيل الأمر ـ سنقول إن يوم السبت هو السبت اليهودي.

ويلاحظ أن الأناجيل تتفق كلها على أن يسوع صُلب بعد ظهر الجمعة، وأن قيامته من القبر اكتُشفت صباح الأحد. بين هذين اليومين كان يوم السبت، وهو دائماً يوم مقدس عند اليهود. غير أنه في الأسبوع الذي صُلب فيه يسوع بالذات، احتفل أيضاً

بالفصح، وهذا في حد ذاته يوم مقدس بصفة خاصة. فإذا وضعنا هذه المعلومات مع تلك التي عرفناها من الأناجيل، فسوف يبدو أن كتبة الأناجيل المتشابهة اعتقدوا أن يوم الجمعة كان عيد الفصح، في حين أن يوحنا اعتقد أن الفصح وقع في يوم السبت في تلك السنة بالذات.

	الأناجيل المتشابهة	**يوحنا**
الخميس		
مساء	الفصح	العشاء الأخير
	العشاء الأخير	القبض
	القبض	
الجمعة		
صباحاً	المحاكمات	الصلب
بعد الظهر	الصلب	بداية السبت
مساء	بداية السبت	الفصح
السبت	السبت	السبت
		الفصح
الأحد	القيامة	القيامة

وعلى ذلك لا توجد مشكلة بالنسبة للأقوال التي قيلت عن يسوع نفسه. والمشكلة تتعلق بالترتيب الزمني اليهودي للأعياد الدينية.

وعلينا الحذر من إعطاء إجابة سهلة للغاية عن هذا السؤال. وليس هناك إجابة يمكن القول بأنها لاقت قبولاً عاماً وإجماعاً في الآراء. غير أن عدداً من الباحثين حاول منذ عهد قريب أن يفسر الفرق المربك بين إنجيل يوحنا والأناجيل المتشابهة بافتراضهم أن كلاً منهما كان يستخدم تقويماً مختلفاً، وأن ما جاء في أحد التقاويم على أنه يوم الفصح سيكون يوماً آخر في تقويم مختلف.

وفي أيامنا هذه نجد أنه يستحيل أن يكون هناك اختلاف في الآراء حول شيء أساسي كالتاريخ. غير أنه في نطاق يهودية القرن الأول لا يكون هذا تفسيراً بعيد الاحتمال كما يبدو.

فاليهود كانوا بصفة مستمرة يتأملون في الحسابات المتعلقة بالتقاويم، ووجهات نظرهم المتباينة حول الموضوع تنعكس إلى حد كبير في وجود الحركات العلمانية المختلفة في يهودية القرن الأول.

ومن بين الاختلافات البارزة جداً بين الأسينيين في قمران والفريسيين في أورشليم - على سبيل المثال - كانت تدور حول موضوع تقويمهم الديني. فالتقويم اليهودي العادي كان يقوم على أساس حسابات تتعلق بحركة القمر، في حين أنه يبدو أن جماعة قمران استخدمت تقويماً آخر يقوم على أساس حسابات تتعلق بحركة الشمس.

ونفس التقويم نجده في كتاب "اليوبيل اليهودي"، وطبقاً له كانت أكلة الفصح تأتي دائماً في اليوم الذي يبدأ مساء الثلاثاء. وإذا كان يسوع يستخدم نفس هذا التقويم، هنا يكون قد احتفل بفصح حقيقي مساء الثلاثاء، ولكنه مع ذلك صلب حين بدأ الفصح الرسمي مساء الجمعة. وهذا هو الحل البارع الذي اقترحته المفكرة الفرنسية "أني جوبير Annie Jauber". غير أنه ما يزال يترك عدداً من الأسئلة الحيوية دون إجابة :

● ليس لدينا أي سبب يدعونا إلى افتراض أن يسوع استخدم بالفعل أي تقويم غير التقويم الرسمي. ويبدو أنه تحرك في المجرى الرئيسي لليهودية وليس بحسب أي حركات علمانية، وكثيراً ما كان يوصف وهو يشترك في العبادة في المجمع. وإذا كان كثيراً ما يحضر الأعياد اليهودية الدينية الكبرى في أورشليم - كما يقول يوحنا - فإنه يكون من الطبيعي بالأكثر أن نفترض أنه كان يتبع نفس التقويم الذي تستخدمه سلطات أورشليم، وإلا ما كان قد حضر الأعياد في أوقاتها الصحيحة (يو٧: ١-٣٩). وفضلاً على ذلك فكثيراً ما يتضح أن يسوع كان في نزاع مع الفريسيين حول حفظ الأعياد الدينية مثل حفظ السبت. وكثيراً ما اتُهم بأنه يقوم بأعمال لا يجوز القيام بها في السبت. ومع ذلك فإنه لم يقل إطلاقاً إنه عملها لأنه يستخدم تقويماً مختلفاً. وقد فسر أعماله بالإشارة إلى حقيقة أنه يعتقد في نفسه أنه "هو رب السبت أيضاً".(مر٢: ٢٨).

● كان يتعين من الناحية الطقسية ذبح حملان الفصح في الهيكل، ومن الواضح أن هذا كان يجب أن يتم طبقاً للتقويم الرسمي. لذلك فإنه من الصعب معرفة كيف تسنى أن يكون لدى التلاميذ حَمَل في أورشليم - مساء الثلاثاء - ومع ذلك بدون حمل، لن

تكون هناك أكلة الفصح.

● هذا التقويم البديل سيعني أن يسوع قد تم حجزه مدة يومين قبل صلبه. ومن الصعب التوفيق بين هذا والشهادة الجماعية للأناجيل الأربعة، بأن المحاكمات جرت على وجه السرعة حتى يمكن الحكم على يسوع وإعدامه قبل بداية السبت اليهودي.

لذلك يبدو لي أن هذه النظرية تقوم بالأحرى على أسس واهية. ومن الطبيعي أن يكون أمراً حسناً لو أمكن اكتشاف دليل جديد في نصوص قمران أو في غيرها. أما في الحالة الراهنة فإنه من الصعب ـــ حسب المعلومات المتوافرة ـــ تقبّل هذا التفسير عن الاختلاف بين الأناجيل المتشابهة وإنجيل يوحنا.

وثمة تفسير أكثر احتمالاً قدمه المفكر الأمريكي "ماسي شبرد جونيور Massy Shephered Jr." فقد قال إنه ربما كُتب إنجيل يوحنا من وجهة نظر يهود فلسطين، وأنهم احتفلوا بالفصح يوم السبت في السنة المذكورة. ومع ذلك فإن مرقس، ومن بعده متّى ولوقا، كانوا يتبعون عادات يهود الشتات، وعلى أساس حساباتهم فإن الفصح تم الاحتفال به في يوم الجمعة في السنة التي مات فيها يسوع.

وهناك نظريات تخمينية أخرى قدمت في نفس الموضوع، ويمكن أن يكون أكثر الردود الحاسمة على هذه المشكلة هو الذي قدمه المفكر الأسترالي "د.ليون موريس Dr. Leon Morris" الذي كتب يقول "لا أرى كيف نستطيع أن نكون متفقين في ظل معرفتنا الراهنة، إلا أنه يبدو من المرجح على وجه الإجمال أن التفسير كامن في الارتباك الخاص بالتقويم". ومن الطبيعي أنه يتعين علينا ألا نسمح لهذه النقطة وحدها أن تخفي حقيقة أن الأناجيل الأربعة كلها تتفق تماماً في كل شيء آخر. بل ويجب أن ندرك أنه إذا كنا لا نعرف إجابة في الوقت الحاضر، فإن هذا ليس معناه أنه لا توجد إجابة. إلا أنه إذا كان هناك تفسير في تخمينات القادة اليهود عن تقويمهم، فسوف يشكل هذا عملية طويلة ومملّة قبل العثور على إجابة تُقبل على نطاق واسع.

وعلى أية حال، فإننا لن نجد إطلاقاً تفسيراً كاملاً عن العشاء الأخير إذا ما اقتصر سؤالنا فقط عن نوعية العيد اليهودي الذي كان يحتفل به يسوع. فما كان يعمله يسوع في العشاء الأخير يتناغم مع كثير من العادات اليهودية. وعلينا تقبّل ذلك بأي حال بالنظر إلى أنه وتلاميذه كانوا من اليهود. غير أن طبيعة ما كان يعمله على وجه الدقة،

لا يمكن أن يتناغم تماماً مع أية مناسبة معينة في التقويم الديني اليهودي. ويبدو أنه من غير المحتمل، للأسباب سالفة الذكر، أن التلاميذ كانوا يحتفلون بالفصح اليهودي. إلا أنه يبدو واضحاً في الوقت ذاته أن العشاء الأخير مع يسوع كان يتبع وبصفة وثيقة تماماً الإطار الرسمي لأكلة الفصح.

ولعله ينبغي علينا أن نتيح مجالاً أكثر للأصالة الإبداعية ليسوع نفسه بأكثر مما يكون لمعظم المفكرين على استعداد لعمله. وفي طبيعة الحالة التي نحن بصددها لا نجد خروفاً للفصح، إلا أنه في هذا العشاء الذي كان أقل أهمية، كان يسوع يعرف أن الله قد سبق وأعد "حملاً" وأنه هنا يقدم نفسه بالرمز لتلاميذه على أنه "حمل الله" الذي يرفع خطية العالم (يو ١: ٢٩) وحمل الله كان يسوع نفسه، وكان يعرف أنه سوف يصلب من أجل خطية العالم. ولم تكن مصادفة أنه صُلب في ذات الوقت الذي كانت تذبح فيه رموز خلاص الله السابقة وتقدم ذبائح في دور الهيكل.

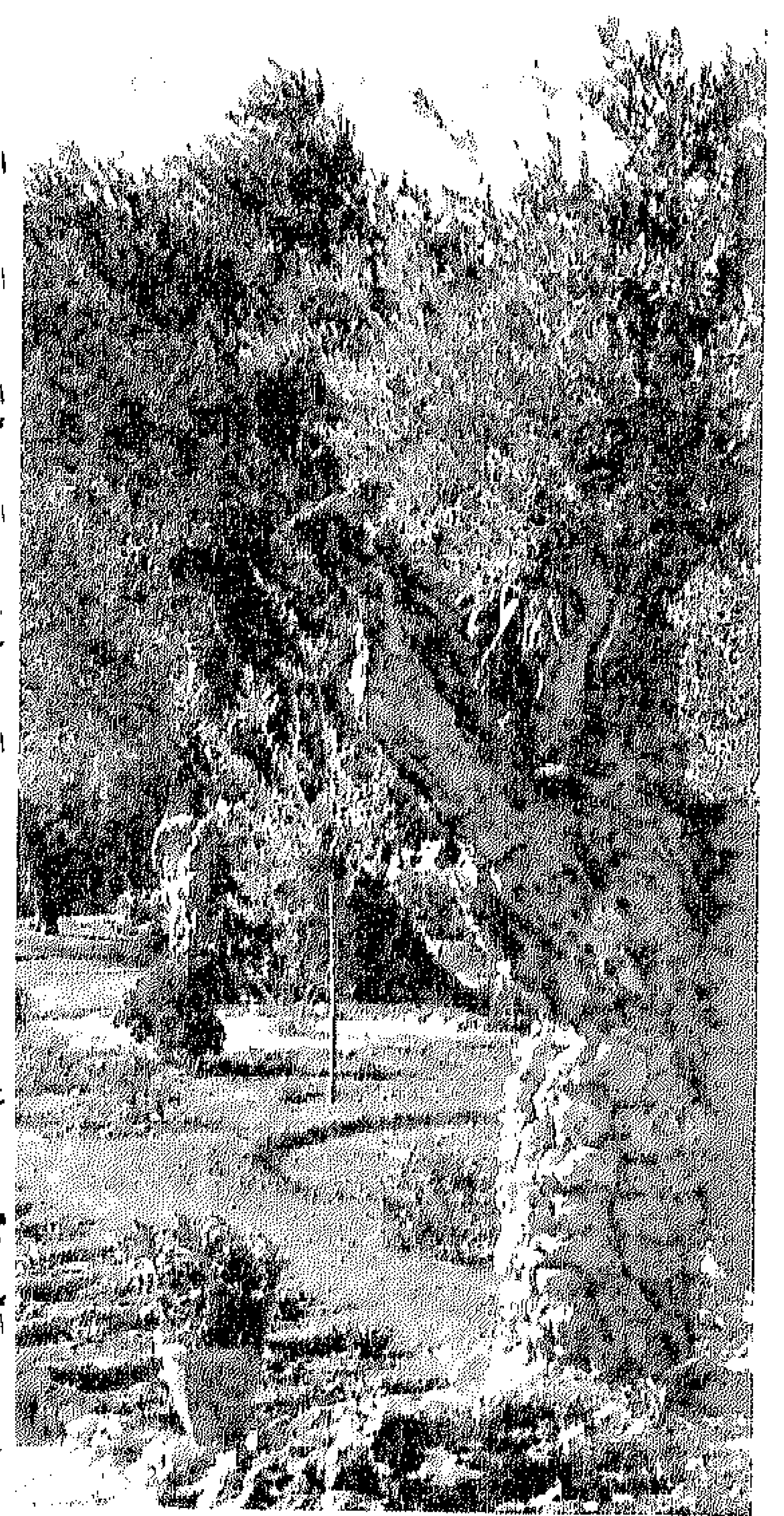
إلا أن ما عمله يسوع على الصليب لم يكن مجرد إعادة تفسير طقسي قديم ذلك أن الله كان مزمعاً أن يعمل أمراً مختلفاً تماماً. سوف يلخص ويحل بدل الأحداث التي كانت مرتبطة بالفصح الأول. فالمجتمع الجديد كان يتم تدشينه، وفي العشاء الأخير المحاط بنواة هذا المجتمع، كان يسوع، وبشكل رمزي، يقدم نفسه في الخبز والخمر من أجل حريتهم. وهكذا صارت هذه الأشياء رموزاً خارجية لهذا الخلاص من الخطية وما يتبع ذلك في الكنيسة. الأمر الذي كان مزمعاً أن يتحقق نتيجة لموت يسوع ابن الله الحبيب.

الفصل الخامس

القيـــــامـــة

اتفق جميع كُتّاب العهد الجديد على أن يسوع أُقيم من الأموات في اليوم الثالث بعد موته . وسيعتمد تصرفنا إزاء هذا بالطبع إلى حد كبير على افتراضاتنا الأساسية المسبقة بالنسبة للأمور الخارقة للطبيعة . فإذا اعتقدنا أن أموراً مثل إقامة شخص ميت تعد مستحيلة، علينا إذاً أن نجد تفسيراً آخر لما اعتقد المسيحيون الأوائل بخصوص قيامة يسوع من الأموات . وإذا كنا على استعداد توقع أمور خارقة للطبيعة ، فبالتالي يستحق أن نفحص بعين الناقد بعض أقوال العهد الجديد.

وفي هذا الكتاب أخذنا الأقوال التي سجلتها الوثائق بالشكل التي جاءت عنيه . وقد اعتبرنا أن تصديق حدوث أمور خارقة للطبيعة يعد أمراً وارداً ومقبولاً . وهذا لا يعني بالطبع أن كل شيء قيل عن يسوع يمكن قبوله على أساس افتراضاتنا . وإنما يعنى أنه بمقدورنا أن نفحص الأدلة دون حرج بنتائج بحثنا، مهما كان ما ستظهر عنيه هذه النتائج .



صلى يسوع في بستان جثسيماني قبل القبض عليه بوقت قصير.

وبالنسبة للقيامة، فإن أهم ما يتعلق بها هو أن المسيحيين الأوائل كانوا على قناعة تامة أن حدث القيامة، أو الأحداث المركّبة، كانت أمراً حقيقياً، تشكّل حدثاً تاريخياً وقع في عالمهم . وكان له تأثير عميق على حياتهم . وسبق أن عرفنا أنه ليس من السهل أن نعرف مدى انتشار الاعتقاد في ولادة يسوع من عذراء . فعلى سبيل المثال، لا نعرف ما الذى كان يعرفه بولس عن هذا. ونحن بكل تأكيد نعرف بالفعل أنه لا هو ولا أي واحد آخر ادّعى أن الإيمان بالميلاد العذراوي كان يشكّل جزءاً لا غنى عنه في كون الإنسان مسيحياً.

ولكن القيامة كانت شيئاً مختلفاً تماماً . ولقد تحدث بولس للكنيسة الأولى كلها حين أعلن أنه إذا أنكر حقيقة قيامة يسوع سوف يصبح الإيمان المسيحي بلا معنى: "وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم" . ١ كو ١٥: ١٧ وبسبب هذا الاعتقاد يواصل بولس كلامه في نفس الفقرة حيث يقدم قائمة بالشهود الذين يستطيعون تأكيد أن يسوع قد قام من الأموات . ومن الواضح أنه كان ينظر إلى حدث القيامة كأمر يمكن تأكيده بواسطة شهود، وهو حدث عام خارجي، وليس اختياراً دينياً خاصاً. ومع ذلك فإنه من اللافت للنظر جداً أن العهد الجديد لا يقدم في أي موضع منه شهوداً لواقعة حدث القيامة من الأموات، بل قدم فقط شهوداً لنتائج هذا العمل في ظهورات يسوع المقام . وحقيقة أن قبره وُجد فارغاً .

والدليل نفسه يمكن ترتيبه في أربعة أجزاء :

إيمان الكنيسة الأولى

إن أقدم دليل متوافر لدينا عن القيامة يرجع في الأغلب إلى الوقت الذي أعقب الزعم بأن حدث القيامة قد وقع . وهذا هو الدليل الذي تضمنته العظات الأولى الموجودة في سفر أعمال الرسل . وهي موجودة في شكلها الحالي في وثيقة جُمعت بعد ثلاثين سنة على الأقل بعد موت يسوع، وربما بعد ذلك بخمسين سنة . وبلا شك أنه في الأصحاحات القليلة الأولى من سفر أعمال الرسل سجّل الكاتب مادة من مصادر مبكرة جداً .

فلقد اكتشف الباحثون أن اللغة المستخدمة في الحديث عن المسيح في هذه الأقوال المبكرة في سفر الأعمال تختلف تماماً عن تلك التي استخدمت في الوقت الذي جمع فيه السفر في صيغته الأخيرة . بل هي مختلفة بالكلية حتى عن رسائل بولس، والتي من المؤكد أنها كتبت قبل سفر أعمال الرسل ولذلك قد نكون واثقين أنه لدينا هنا مصادر مبكرة جداً.

تظهر الأقوال الأولى السمة المنتشرة للمسيحية اليهودية، التي تعتنق مجموعة

من المعتقدات عن المسيح، وتقدم صورة دقيقة بوجه عام عما حدث فعلاً في الأيام الأولى للكنيسة، وطبقاً لهذه الصورة، فإن الملمح الرئيسي لرسالة الكنيسة المسيحية الأولى هي قصة يسوع نفسه، وكيف أنه أتم مواعيد الله وكيف مات على الصليب وكيف قام ثانية . ورسالة المسيحيين الأوائل كانت متناغمة حتى أن البروفسور " دود" استطاع أن يجد نموذجاً منتظماً من الأقوال التي ذُكرت عن يسوع في بداية الأزمنة الأولى . وقد أطلق على هذا النمط من الأقوال اسم "Kerygma " أي الكرازة . وهذه الكلمة يونانية معناها " الإعلان " . وكل قصة حقيقية في الرسالة المسيحية تتضمن هذه الأقوال :

- أوفى يسوع بمواعيد العهد القديم .
- كان الله عاملاً في حياته، وموته، وقيامته .
- رُفع يسوع إلى السماء .
- أعطى الروح القدس للكنيسة .
- سيعود يسوع قريباً في مجد .
- كل من يسمع الرسالة من الرجال أو النساء ينبغي أن يستجيب لدعوتها.

وإذا أبعدنا القيامة من هذا الإعلان (أو الكرازة) لن يصبح لها في غالبيتها أي معنى . ووجود الكنيسة الأولى كله قام على الاعتقاد بأن يسوع لم يعد ميتاً بعد بل هو حيّ .

ويبدو أيضاً طبقاً للدليل المأخوذ من رسائل بولس و من سفر أعمال الرسل أيضاً، أن المؤهل المعترف به للكارز الرسولى هو أن يكون قد رأى يسوع المُقام. ومن الواضح أن هذا جُعل شرطاً حين شرع الرسل في تعيين واحد بدلاً من يهوذا الإسخريوطى . وقال بولس أيضاً إن رؤياه ليسوع في الطريق إلى دمشق يعطيه نفس وضع الرسل الأكبر منه .

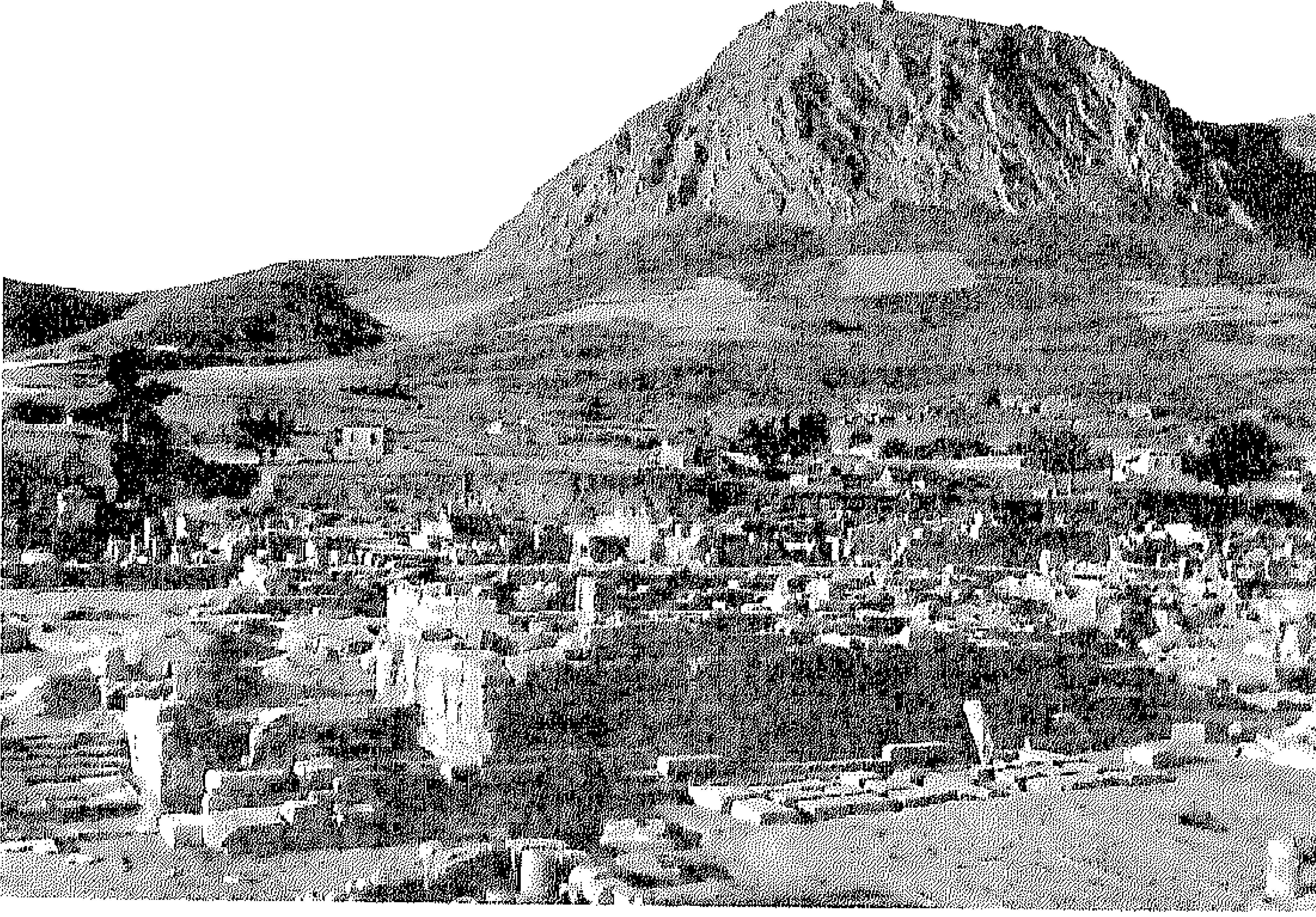
أعمال الرسل ١: ٢١-٢٢
غلاطية ١: ١١-١٧

برهان بولس
(كورنثوس الأولى ١٥)

الجزء الثاني من البرهان الرئيسي على قيامة يسوع قدمه لنا بولس نفسه. وإذا كان هناك مجال لآراء مختلفة بالنسبة لأهمية البرهان الموجود في سفر أعمال الرسل، فليس هناك مجال لمثل هذا في برهان بولس. ومن المؤكد أنه كان يكتب هذه الرسالة ليس بعد أكثر من خمس وعشرين سنة من صلب يسوع، و قد شكلت أقواله أول جزء من الدليل الخاص بالإيمان أن يسوع قد قام من الأموات. وإذا قرأنا كورنثوس الأولى ١٥، وتفحصنا سياقه، سنجد أن قصد بولس الرئيسي لم يكن تقديم حجة مبررة للإيمان بقيامة يسوع، بل كان في الواقع يحاول مساعدة قرّائه المسيحيين على التغلب على مجموعة من المشاكل كانت قد ظهرت في كنيستهم المحلية. والمعلومات التي يقدمها لنا عن كيفية قيامة المسيح من الأموات هي معلومات عارضة تقريباً، وهذا ما يجعلها مثيرة بالأكثر، لأنه يذكّر أهل كورنثوس أن ما يقوله هو شيء كانوا دائماً يعرفونه. ومع ذلك، فهو يفعل ذلك في عبارات قليلة، و يبين أنه في تاريخ مبكر جداً كان المسيحيون - حتى في اليونان - يعرفون تماماً بالقصة الكاملة التي تبين كيف مات يسوع ثم قام من الأموات.

وفي هذا الصدد يشير بولس إلى مناسبة رأى فيها يسوع المقام أكثر من خمسمائة أخ دفعة واحدة، ومعظمهم كان على قيد الحياة حين كتب هذا، وبمقدورهم أن يؤكدوا ما ذكره. كما ذكر أيضاً أنه ظهر ليعقوب، ثم يضمن أقواله لقاءه هو مع الرب المقام والذي كان سبب تجديده. وكان ذلك في مجال ذكره لظهورات يسوع الأخرى بعد القيامة. والأناجيل لا تذكر شيئاً عن ظهورات يسوع المقام هذه. ومع ذلك فربما تكون قد كُتبت في وقت سابق رسالة بولس إلى كورنثوس. ولابد وأن تكون حقيقة قيامة يسوع كانت حقيقة يؤمن بها الناس على نطاق واسع حتى إن الذين كتبوا قصص الإنجيل لم يروا أنه من المهم ذكر كل الدلائل المتعلقة بها. وكما هو الحال بالنسبة لبقية قصصهم لم يستخدموا إلا مختارات قليلة من المادة التي كانت متاحة لهم.

كورنثوس الأولى ١٥: ٦
كورنثوس الأولى ١٥: ٧-٨



كتب بولس رسالته إلى المسيحيين بعد موت يسوع بخمس وعشرين سنة تقريباً موضحاً أهمية القيامة.

تقـــاليــد الإنجيل

حين نفكر في القيامة، من الطبيعي أننا نفكر أولاً في القصـص الموجـودة في خاتمة كل من الأناجيل الأربعة . وهناك بعض السمات البارزة المعينة تتعلق بهذه القصص .

• جميعها تؤكد حقيقتين أساسيتين : أن قبر يسوع وجد فارغاً، وأن يسوع المقام رآه أناس مختلفون، وفي مناسبات مختلفـة . وكـل مـن هذيـن الجزئين مـن الدليل له أهميته . وحقيقة القبر الفارغ في حد ذاته لا تثبت شـيئاً فيمـا عـدا أن جسد يسوع لم يكن هناك . غير أنه بدون القبر الفـارغ، لا تثبـت الـرؤى شيئاً موضوعياً، على الرغم من أنها قد تعطينـا بعـض المعلومـات عـن حالـة التلاميـذ النفسية . إلا أن الجمع بين الحقيقتين، إذا ما كانتـا صحيحتـين بـالفعل، يشـكل دليلاً قوياً لتأييد القول بأن يسوع قام من الأموات .

• وإذا تصفحنا الأناجيل بشـكل صحيـح، نلاحـظ أنـه بالمقارنـة بـالقصص الكثيرة الأخرى عن يسوع، نجد أن القصص المتعلقة بقيامته قد ذُكـرت بشـكل بسيط للغاية . فهي لا تحتوى على أية رموز تتطلب بصيرة خاصة لفهمها . ولا

نجد فيها إشارات للعهد القديم. بل ولا تبذل أية محاولات لتوضيح المغزى اللاهوتي للأحداث التي تصفها. إذا ما قارناها من هذه الناحية مع القصص التي تبين كيف تعمد يسوع فإن الفرق يكون ملحوظاً حقاً.

لماذا تختلف القصص

... على الرغم من حقيقة أن المعلومات الموجودة في الأناجيل ذكرت بطريقة بسيطة، إلا أنه ليس من السهل التوفيق بين قصص الإنجيل المختلفة. ومع أن أناساً كثيرين حاولوا ذلك، إلا أنه في الواقع لم ينجح منهم أحد في تقديم "رأي متفق عليه" عن كيفية حدوث هذا كله. ومن غير المحتمل أن ينجح أحد في ذلك مستقبلاً. فطوال عملهم كان كتبة الأناجيل يميلون إلى الانتقاء، فلم يستعملوا سوى القصص والتعاليم التي تنفع قراءهم الأوائل. وهذا أحد أسباب وجود أربعة أناجيل. ومن الواضح أن عملية الانتقاء هذه طبقت على قصص القيامة، وهذا ما نستطيع أن نلمسه من حقيقة أن بولس ذكر بعض المعلومات التي لم يتضمنها أي من الأناجيل.

رأوا ولا سيما حينما يرون أموراً لا تتفق ومفهوم حياتهم، فالتلاميذ أنفسهم ـ مثلي ومثلك ـ لم يكونوا يتوقعون أن يقوم شخص من الأموات. وطبقاً لما ذكره مرقس (٩: ٩-١٠) لم تكن لديهم أية فكرة عما يمكن أن تعنيه القيامة، فقد كانت أمراً غريباً على أسلوب تفكيرهم. ولذلك ليس لنا أن نبدي دهشتنا أن التلاميذ لم يذكروا قصة منطقية متماسكة. وقصة شخص قام من الأموات سيكون تصديقها أكثر صعوبة لو أن الأناجيل الأربعة ذكرت نفس القصة بالضبط. ومع ذلك وبالرغم من بعض الاختلافات البسيطة في التفاصيل، إلا أنها جميعها تتفق في الأجزاء الرئيسية في القصة. فجميعها تقول بأن القبر كان فارغاً وأن يسوع ظهر للتلاميذ.

وهذا قد يبدو للوهلة الأولى أنه حجة على أن القيامة لم تحدث على الإطلاق. ولكن الحقيقة هي أن هذا دليل قوي على عكس ذلك. فشهود العيان كثيراً ما تختلف أقوالهم بالنسبة لما

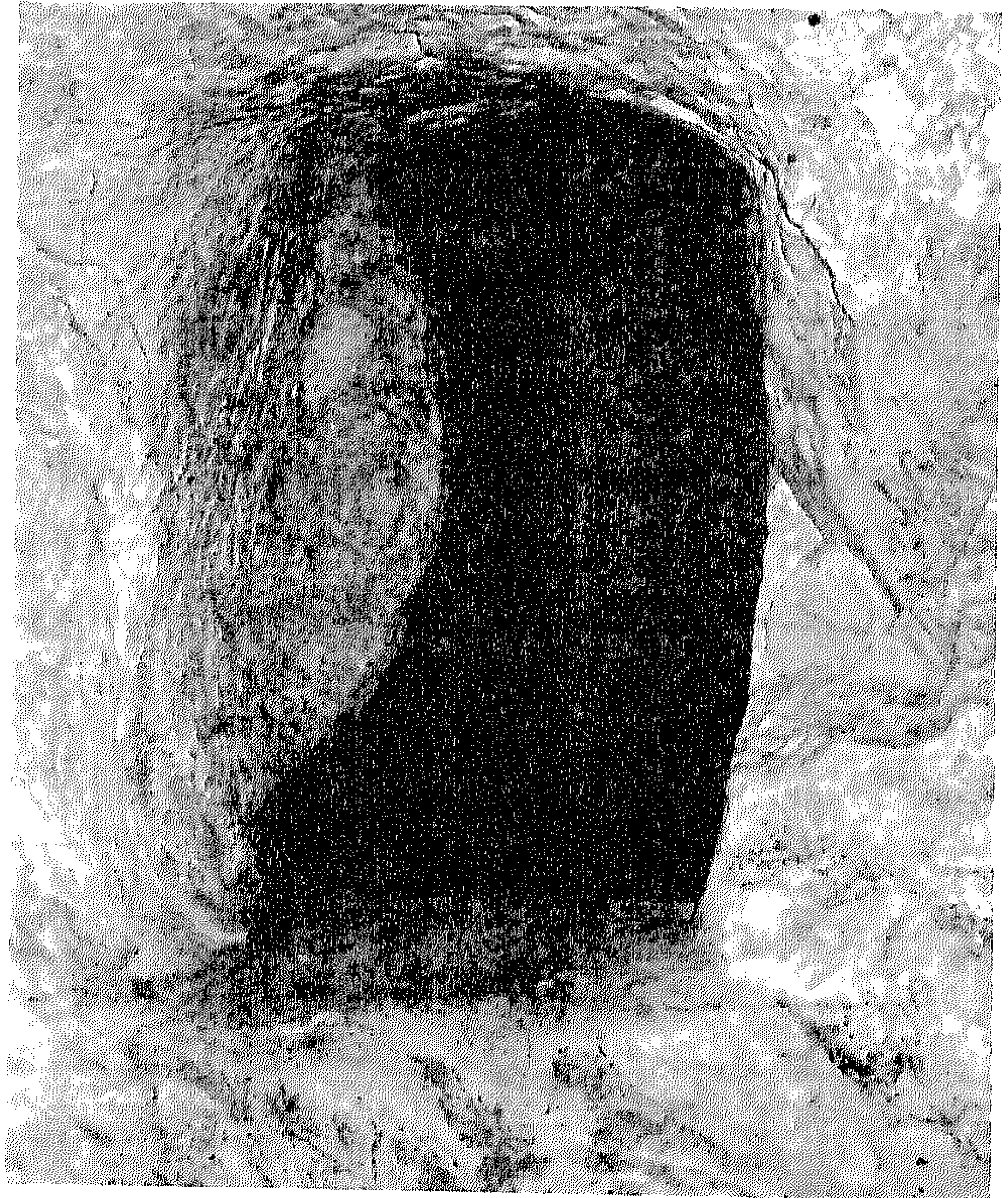
وفي إنجيل مرقس، وهو أقدم إنجيل، تنتهي القصة عند ١٦: ٨، وما تبع ذلك (كما هو في بعض الترجمات الإنجليزية) مثل ١٦: ٩-٢٠، يعد بصفة عامة إضافة لاحقة لكتاب مبتور

بعد صلبه وضع يسوع في قبر منحوت في صخرة. والقبور من هذه النوعية عادة ما يكون لها حجر ثقيل يدحرج على بابها.

أو غير منته بعد. وفي هذه القصة، نقرأ أن بعض النسوة اللواتي أتين إلى القبر صباح الأحد لإتمام تحنيط جسد يسوع وجدن أن كتلة الحجر التي أُستخدمت كباب للقبر الصخري ـ كانت قد دُحرجت (مرقس١٦: ٦-٧). وقد شعرن بالفزع لدى رؤيتهن شاباً جالساً داخل القبر بحلة بيضاء. وقال هذا الشاب: "لا تندهشن. أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام ليس هو ههنا. هذا هو الموضع الذي وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه كما قال لكم" وقد هربت النسوة من عند القبر وهن مذعورات وبسبب خوفهن لم تخبرن أحداً بما رأين أو سمعن.

ونقرأ في إنجيل لوقا أن تلميذين كانا في الطريق إلى قريتهما "عمواس" قابلا يسوع المقام دون أن يعرفاه. وتحدثا معه عن النسوة اللواتي قمن بزيارة القبر، وأنهن رأين منظر ملائكة أكدوا لهن أن يسوع حيّ (لو٢٤: ٢٢-٢٤). ولا نجد هنا إشارة إلى الرسالة المطلوب إرسالها إلى الجليل. ولعل النسوة لم تسلمن الرسالة الخاصة بالجليل لسبب بسيط كما ذكره مرقس: هو أنهن كن خائفات من الذهاب إلى هناك لأنهن اعتقدن أن ملك تلك الجهة وهو هيرودس أنتيباس، سيكون الآن على استعداد للتخلص من أي من أتباع يسوع ممن يجدهم هناك.

أما "متّى" فيكرر قصة مرقس مع إضافة بعض التفاصيل، مثل الزلزلة العظيمة التي حدثت صباح الأحد، والرعدة التي تملّكت حراس القبر. (متّى٢٨: ١-٤). وقد تركت النسوة القبر ومشاعرهن ممزقة بين الخوف والفرح، وقد قابلهن يسوع نفسه، حيث كرر لهن الرسالة الخاصة



بالذهاب إلى الجليل (متّى٢٨: ٥-١٠). وطبقاً لما ذكره متّى، يبدو أن التلاميذ نفذوا هذه الرسالة في الحال، وعلى جبل الجليل كلفهم يسوع بالكرازة بالإنجيل لجميع الأمم وتلمذتهم (متّى٢٨: ١٦-٢٠). وظهور يسوع هذا يبدو أنه ليس نفس قصة الصعود التي ذكرها لوقا. وعلى الرغم من أن يسوع ذكر بعض الأقوال المماثلة، إلا أن الصعود لم يتم في الجليل، بل على مقربة من أورشليم (لو٢٤: ٤٤-٥٣، أع١: ٦-١١). ويأتي متّى بالقصة التي بدأها مرقس إلى غايتها المنطقية: ظهور يسوع في الجليل وتكليفه التلاميذ بإعلان الأخبار السارة عنه.

وتختلف قصة لوقا عن قصة مرقس في بعض أشياء معينة :

كان هناك ملاكان في القبر. كما جاء ذكر الجليل، ليس على أنه المكان الذي سيتقابل فيه يسوع مع تلاميذه في وقت لاحق، بل على أنه المكان الذي سبق أن تنبأ فيه أساساً عن موته وقيامته (لو٢٤: ١-١١). وحين أخبرت النسوة التلاميذ بقصتهن، لم يصدقوهن. وفي بعض المخطوطات القديمة لإنجيل لوقا، نجد عند هذه النقطة قصة تبين كيف زار بطرس ويوحنا القبر للتأكد من صحة ما قالته النسوة. إلا أنه ربما كان هذا جهداً تم في وقت لاحق للتناغم بين قصة لوقا والحدث الذي سُجل في يوحنا٢٠: ١-١٠ . وبعد الإشارة إلى كيفية تقابل يسوع مع التلميذين في الطريق إلى عمواس، ثم بعد ذلك مع كل التلاميذ في علية في أورشليم. (لو٢٤: ١٣-٤٣). ويواصل لوقا كلامه فيسجل الصعود على الطريق إلى بيت عنيا، كما لو كان ذلك بعد القيامة مباشرة (لو٢٤: ٤٤-٥٣). أما في سفر الأعمال فهو يوضح أن الصعود تم بعد فترة بلغت أربعين يوماً (أع١: ٣). ولم يذكر أي ظهور ليسوع في الجليل.

ومن ناحية أخرى نجد أن إنجيل يوحنا يصف ظهورات يسوع سواء في أورشليم أو في الجليل. وبالنسبة للنسوة التي ذُكرت في الأناجيل الأخرى أنهن اكتشفن القبر الخالي، فلم يُذكر منهن في إنجيل يوحنا سوى مريم المجدلية (يو٢٠: ١). إلا أن حقيقة أن مريم تكلمت بصيغة الجمع في وصفها الحدث لبطرس توحي بأن الأخريات كن معها (يو٢٠: ٢). لقد وجدن القبر خالياً ثم عدن ليخبرن التلاميذ. بعد ذلك توجه بطرس ويوحنا إلى القبر ووجدا الأكفان موضوعة دون أن يمسسها أحد، وهذا دليل على أن القبر لم يسرق (يو٢٠: ٣-١٠). وعند هذه

النقطة رأت مريم ملاكين في القبر، وحيّاها يسوع الذي اعتقدت خطأ أنه البستاني (يو٢٠: ١١-١٨). بعد ذلك تأتي قصة ظهور يسوع مرتين لتلاميذه في أورشليم. وفي أول هذين الظهورين نفخ يسوع في التلاميذ وأعطاهم الروح القدس (يو٢٠:١٩-٢٩).

والأصحاح الأخير من يوحنا،والذي يعتبره كثيرون من الباحثين أنه إضافة لاحقة ــ أضافها نفس الكاتب ــ تصف ظهور يسوع للتلاميذ على شاطىء بحيرة الجليل، وكيف أنه تناول طعام الإفطار معهم قبل أن يعيد تكليف بطرس.

التلاميذ

يتمثل الجزء الرابع والأخير من البرهان على صحة حدث القيامة في الحقيقة التي لا تقبل الجدل، وهي أن جماعة صغيرة من التلاميذ خائري الهمة، والذين بحسب كل معايير الاحتمالات التاريخية لابد وأنهم كانوا حزانى محبطين نتيجة صلب سيدهم، وفي خلال سبعة أسابيع صاروا ضمن جماعة شهود تتميز بالقوة والشجاعة، وتحوّلوا إلى نواة كنيسة . وجوهر حقيقة شهادتهم هي أن يسوع كان حياً وعاملاً ولم يعتريهم أي تردد في أن ينسبوا التغيير الذي حدث في حياتهم إلى قيامته من الأموات . ومن الواضح أنهم هم أنفسهم كانوا على قناعة أن هذا هو ما وقع بالفعل . لأن القيامة لم تكن مجرد شيء يتحدثون عنه، بل هو أمر كانوا على استعداد للموت في سبيله . والناس ليسوا على استعداد للموت من أجل شيء إلا إذا كانوا موقنين بصحته .

الحقائق والإيمان بالنسبة للقيامة

وبعد أن ذكرنا الكثير عن الدليل، ما هو موقفنا نحن منه ؟ ولكي ندرك أهميته ، علينا أن نتذكر ثلاثة أشياء :

• لا يوجد دليل على أن يسوع المقام ظهر لأي أحد خلاف تلاميذه، مع أنه يحتمل أنه فعل ذلك . والذين كتبوا الأناجيل كانوا يكتبون لقرّاء معينين . وفي كل حالة كانوا يوجهون كلامهم إلى قراء مسيحيين . وكان اهتمامهم الأول مركزاً على ما حدث حين قابل

المسيحيون ربهم المقام .

•الدليل المتعلق بشخص ظهر ثم اختفى في حجرة كانت مغلقة، من الواضح أنه ليس بالدليل الذي يتناوله المؤرخون، وهو لا يتناغم مع القواعد العادية المتعلقة بالأدلة .

• حقيقة أن مريم المجدلية، والتلميذين الآخرين اللذين كانا في الطريق إلى عمواس، والتلاميذ على شاطيء بحيرة الجليل، قد أخفقوا في التعرف على يسوع، على الرغم من أنهم كانوا يعرفونه جيداً، وكانوا قد رأوه منذ أيام قليلة مضت، توحي بأن مظهره البدني قد تغير، بطريقة من المؤكد أنها كانت مربكة لأي شاهد عادي عند الإدلاء بشهادته .

فما الذى تم تأكيده فعلاً بعد فحص الدليل ؟ بمقدورنا القول بتأكيد تام بأن الكنيسة الأولى كانت تؤمن أن يسوع عاد إلى الحياة ثانية . وأدرك التلاميذ وأتباعهم أنه قد حدث شيء غيّر مجرى حياتهم بعد صلب سيدهم، وقد فسروا هذا التغيير بإنه جاء نتيجة قيامته من الأموات . وكل قارىء للعهد الجديد عليه أن يتقبّل هذا، لأن حقيقة التغيير في حياة التلاميذ قد ترسخت بشكل لا يقبل أي شك على الإطلاق .

ولكن الكلام عن "إيمان القيامة" شيء، والكلام عن "حقيقة القيامة" شيء آخر مختلف تماماً .وعلاقة الحقائق بالإيمان نوقشت بمزيد من التفصيل في الفصل الأخير من الباب الثالث . أما هنا فلسنا بحاجة سوى أن نذكر أنه لابد وأنه كان هناك "شيء" بوسعنا أن نسميه "حقيقة القيامة " الأمر الذى ولّد في التلاميذ " إيمان القيامة ". ولكن ماذا كان هذا الشيء ؟ وهنا تخطر على الذهن عدة تفسيرات محتملة .



ـبل الزيتون الذي يطل على
مدينة أورشليم كان موقع
ـهور يسوع الأخير بعد
لقيامة، كما كان موقع
معوده .

" حقيقة القيامة " كانت اختباراً شخصياً

رد فعلنا الطبيعي تجاه الدليل الخاص بالقيامة، هو افتراض أن ما أطلق عليه " ظهورات القيامة " لم يكن سوى أمر شخصى تماماً . قد يسميها الأتقياء "رؤى"، أما علماء النفس يميلون أكثر إلى أن يسموها "مجرد هذيان". وإذا استطعنا افتراض أن هذا هو ما حدث، فإن هذا سيحل لنا المشكلة . غير أنه توجد حقائق كثيرة تدحض هذا التفسير.

• حقيقة أن القبر كان خالياً، وأنه لا صديق ولا عدو جاء بجسد يسوع، أكدت الأناجيل وبقوة أن هذا أمر يجب الأخذ به . ومن الواضح أن كل من اليهود والرومان كانت لهم مصلحة كبيرة فى وجود الجسد .

فهذا كان من شأنه أن يحطم الرسالة المسيحية للأبد. لذلك فمن المفترض أنهم لم يأخذوه. وعلى صعيد آخر، كان التلاميذ على استعداد للمخاطرة بحياتهم من أجل حقيقة أن يسوع حيّ، ومن هذه الناحية النفسية كان يستحيل عليهم عمل ذلك لو كانوا هم قد أخذوا الجسد ودفنوه في مكان آخر.

● على الرغم من أن اختباراً فردياً كاختبار بطرس أو يعقوب من



رجع أقرب تلاميذ يسوع إلى الجليل وهم يشعرون بالهزيمة وفتور الهمة نتيجة محاكمة يسوع المفاجئة وصلبه، وعادوا إلى مهنتهم القديمة وهي صيد الأسماك. وكانوا يستخدمون شباكاً تلقى من قارب وفي الصورة تجد أحد الصيادين الجليليين من عصرنا هذا، وهو يسحب الشباك التي ألقاها من الشاطئ.



عاد بعض أتباع يسوع من أقرب المقربين ليسوع إلى الجليل لممارسة حرفة الصيد القديمة، وقد كانوا يستخدمون الشباك التى يلقون بها من القوارب. هنا نرى صياداً جليلياً حديثاً يسحب الشباك التى كان قد رماها وهو يقف على الشاطئ.

" حقيقة القيامة " كانت وليـــدة فكـر لاهـــوتـــي

كان هناك من يحتجون بـأن "إيمـان القيامـة" جـاء نتيجـة أن بعـض التلاميـذ رأوا أن سـبباً لاهوتيـاً تطلـب ذلـك، فبـالنظر إلى أنهـم كـانوا يؤمنون أن يسوع هو مسيح الله، فإنه يكون من الطبيعي لشخص يدّعي لنفسه هذا الوضع أن يقوم من الأموات، و لكـن هـذا التفسـير لا يمكـن قبوله أيضاً .

• ومن بين أسباب ذلك، أنه لا يتوفر لنا أي دليـل مـن أي مصـدر آخر على الإطـلاق يشـير إلى أن المسـيح كـان متوقعـاً لـه أن يقـوم مـن الأمـوات . بـل أن اليهـود كـانوا يتوقعـون أن المسـيا سـيقتل النـاس الآخرين.! فإذا ما تألم ومات هو نفسه، فهو إذاً ليس من نوعية المسـيح الذي كان معظم اليهود يريدون أن يعرفوه .

• يعبّر العهد القديم عن موقف سلبي للغاية بالنسبة لفكرة القيامـة . وكثيرون من اليهود لا يؤمنون ببسـاطة أن هـذا أمـر ممكـن . ويبـدو أن التلاميذ أنفسهم لم يكونوا قد عرفوا ماذا كانت تعنيه القيامة فـي وقـت مبكر من خدمة يسوع . مر٩: ٩-١٠

• من الصعب أيضاً معرفة كيف يمكن أن تكون فكرة القيامـة قـد جاءت من تفسير توقعات العهد القديم، بالنظر إلى أن قصص القيامـة لا نجدها إطلاقاً في الاقتباسات المأخوذة عن العهد القديـم .وبالنسـبة لهـذه النقطة هناك تناقض صارخ مع قصص الصلب، التي نجدها عـامرة بهـذه الاقتباسات .

وقد قدمت اقتراحـات خيـالية كثيرة أخرى بين وقت وآخر لتبرير " حقيقة القيامة " . إلا أن الثقل الغالب للدليـل بأكمله يشير إلى أنـه، مهما كان الوصف الذي توصف بـه اللغـة العلميـة فـإن حقيقـة القيامـة حدث تاريخي واقعي، وما من نظرية أخرى تعطـي دليـلاً مناسـباً لقصـة القيامة .

ماذا تعني القيامة

التحدث عن وصف "حقيقة القيامة" بلغة علمية يأخذنا بعيداً عن نوعية فكر التلاميذ الأوائل . ومن أبرز الأمور المتعلقة بالدليل المستمد من العهد الجديد هو أن التلاميذ لم يكن لهم اهتمام بالمرّة في فحص المبررات والأسباب الكامنة وراء " حقيقة القيامة ". وكانوا يعرفون أنها حقيقة واقعة، وذلك بسبب ما اختبروه عن شخص يسوع المسيح والدليل القائم على القبر الخالي . وهذا كل ما احتاجوا أن يعرفوه. ولذلك لا نجد وصفاً في أي من السجلات عن الكيفية التي تمت القيامة بها فعلاً . وبعض المسيحيين في القرن الثانى اعتبروا هذا نقصاً في العهد الجديد، وقدموا وصفهم الرائع عما كان عليه جسد يسوع، وكيف خرج من القبر، وكيف تأثر أولئك الذين رأوه .

إلا أنه بالنسبة للشهود الأوائل لم تكن هذه التفصيلات موضع اهتمامهم الأساسي . فالقيامة بالنسبة لهم لم تكن مجرد نهاية سعيدة لقصة يسوع، بل كانت الذروة الطبيعية لحياته بكاملها، وتبريراً للأقوال السامية التي قالها عن نفسه أثناء خدمته . ثم إنها أيضاً كانت تشكل ضماناً على أن حياة يسوع وتعليمه لم تكن مجرد فصل في تاريخ التفكير البشري، بل كانت الطريق الذي يستطيع من خلاله الإنسان أن يأتي إلى معرفة الله . وهذا هو السبب في أن حقيقة قيامة المسيح من الأموات أصبحت الجزء الرئيسي من الرسالة التي أعلنها التلاميذ لجميع أنحاء العالم المعروف .

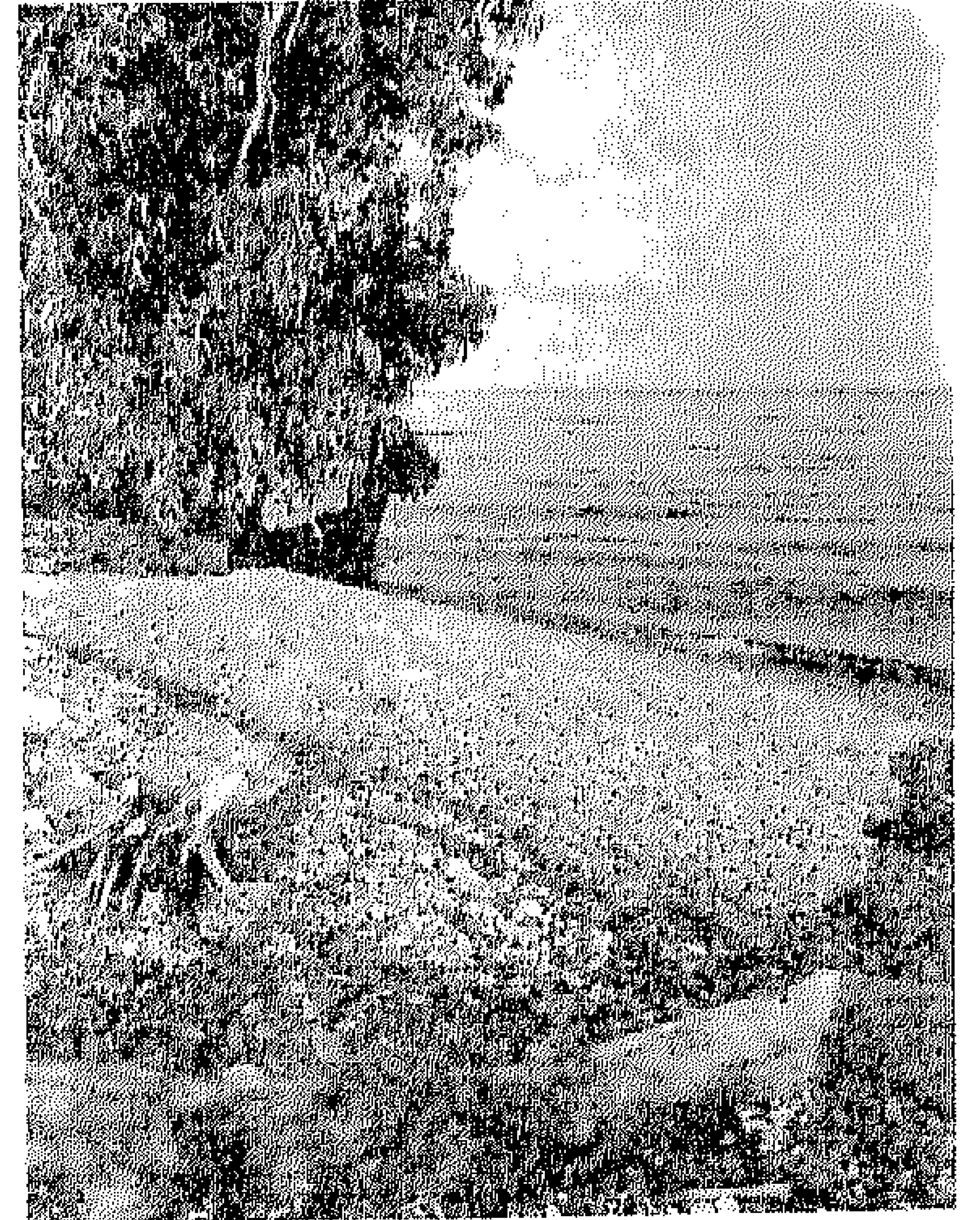
ولكن لماذا كانت القيامة مهمة للغاية ؟ ولماذا قال بولس إنه بدون قيامة يسوع لما كان للرسالة المسيحية بجملتها أي معنى ؟ إن أفضل طريقة للإجابة على هذا السؤال هو أن تضعه بالصيغة الايجابية. علينا أن نسأل ما هو الوضع الإيجابي الذي كانت تتمتع به القيامة في معتقدات المسيحيين الأوائل . فحين نطرح السؤال على هذا النحو نجد أن ثلاثة أمور قد ذُكرت عن القيامة في العهد الجديد .

• بالقيامة ظهرت صحة كل ما قاله يسوع عن نفسه إنه ابـن ا لله .

وقد قال بطرس في يوم الخمسين إن القيامة كانت تشكّل دليـلاً واضحـاً
على أن "ا لله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه ربـاً ومسـيحاً" . وكتـب أع٢: ٣٦
بولس إلى أهل رومية أن يسوع "تعين ابن ا لله مـن جهـة روح القداسة رو١: ٤
بالقيامة من الأموات" . وعلى الرغم من أن يسوع بلا خطيـة، وبـالرغم من السلطان الذي أظهره في تعليمه وفي أعماله، وبالرغم مـن معجزاتـه، وأقواله الواضحة عن دوره الأساسي في خطّة ا لله، فإنه لولا القيامة لربمـا كان يكتفى بالاعتقاد على أنه رجل تقي وعظيم . ولكن بعد قيامته مـن القبر عرف أتباعه – وعن يقين أنه هو بالفعل حسب ما قاله عن نفسه . فبوسـعهم الآن أن يفهمـوا ويقـدّروا كـل حياتـه علـى الأرض بطريقـة جديدة وتامة، باعتبارها حياة ا لله نفسه عائشاً بين الناس .

• غير أن القيامة كانت أكثر من مجرد نور جديد على حياة يسوع المصلوب . فقـد تم التـأكد مـن العهـد الجديـد كلـه ، و بصفـة خاصـة بواسطة بولس ، على أن القيامة و الصليب أيضاً كانا يشكلان جـزءاً لا يتجزأ من عمل ا لله فى إقامته للمجتمع الجديد .

يسجل إنجيل يوحنا على أنه حين جاء الصيادون إلى الشاطىء، كان أمام يسوع جمر نار وسمك وخبز موضوع عليه، فتناولوا الإفطار معاً.



كان المسيحيون الأوائل أناساً عمليين قبـل أن يكونـوا لاهوتيـين.ن وما كانوا يريدونه هو شـيء ينفـع في الحيـاة العاديـة الحقيقيـة . وكـانوا يتطلعون إلى علاقـة مـع ا لله تغـيرهم، فهُـم أرادوا أن يتصـالحوا مـع ا لله بطريقة جذرية وأن يتخلصوا من أنـانيتهم حتى يكونوا أناساً أفـضل.

وأدركوا أنه ليس بمقدورهم تحقيق هذا، سـواء بالممارسـات الدينيـة أو بجهودهم الذاتية لتحسين أنفسهم . والشيء الوحيـد الـذى يمكـن أن يغير المسئولية البشرية هو مركز جديد وقوة حياة جديدة .

ولقد وجد بولس قوة الحياة الجديدة هذه في يسوع – يسوع الـذي قام من الأموات – وكان حياً في العالم الحقيقي، ويعيش بفعالية في حياة

بولس نفسه . وكانت هذه حقيقة رائعة في حياة بولس اليومية حتى إنه استطاع أن يقول : " فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ " . ولم تكن هذه
غل٢: ٢٠ مجرد تقوى دينية، ذلك أن بولس كان يعني حقاً ما قاله: فيسوع كان حينئذ عائشاً فيه بكل ما في هذه الكلمة من معنى حرفي . وكان ذلك بدرجة أن حياة بولس بكل تفاصيلها كان يتم توجيهها ليس بواسطته هو بل بربّه الحيّ .

رو٦:١-١١ وفي محاولته توضيح ما كان يعنيه استخدام بولس صورة شّبه فيها المعمودية بموت يسوع وقيامته . وقال إنه حين يغمر الماء المسيحيين في المعمودية، ثم يخرجون من الماء فإن هذه الممارسة تمثل صورة مادية لشيء يجب أن يحدث لهم داخلياً وروحياً . فإن تغطيسهم في الماء يشبه الدفن (مثل يسوع)، وخروجهم من الماء يشبه كونهم قاموا من الموت ثانية (مثل يسوع) . وجوهر فهْم بولس لهذه الأحداث هو أنه لكي يكون الإنسان مسيحياً، عليه أولاً أن يكون على استعداد لأن " يموت" للتخلص من حياته القديمة التي كانت تتسم بالأنانية . بعد ذلك بمقدورهم أن " يُقاموا " ثانية وقد حصلوا على وجود جديد، وهو حياة يسوع المسيح نفسه عائشاً معهم .

وهكذا كانت قيامة يسوع شيئاً جوهرياً . فلو كان يسوع قد مات على الصليب فقط، فإنه ربما قد يكون عمل بالفعل الأشياء التي إدّعاها اللاهوتيون وهي أنه ربما كان قد مات بالفعل كعقوبة بسبب الخطية، أو ليدفع فدية حريتنا . غير أنه في هذه الحالة ما كان سيصبح لآلامه أية قوة تؤثر فى حياتنا . وكان بولس على يقين تام أنه لولا القيامة لكان الصليب مجرد نقطة لاهوتية مثيرة، ويعجز عن أن يكون له أي تأثير دائم في حياة الناس العاديين . غير أنه بسبب القيامة، اكتشف بولس حياة
فى١: ٢١ جديدة "لأن لي الحياة هي المسيح" . وكان على ثقة من أن هذا سيصبح

الاختبار العادي لكل من هو مسيحي: فيسوع المسيح يعيش بالفعل في أولئك الذين يكرسون أنفسهم له .

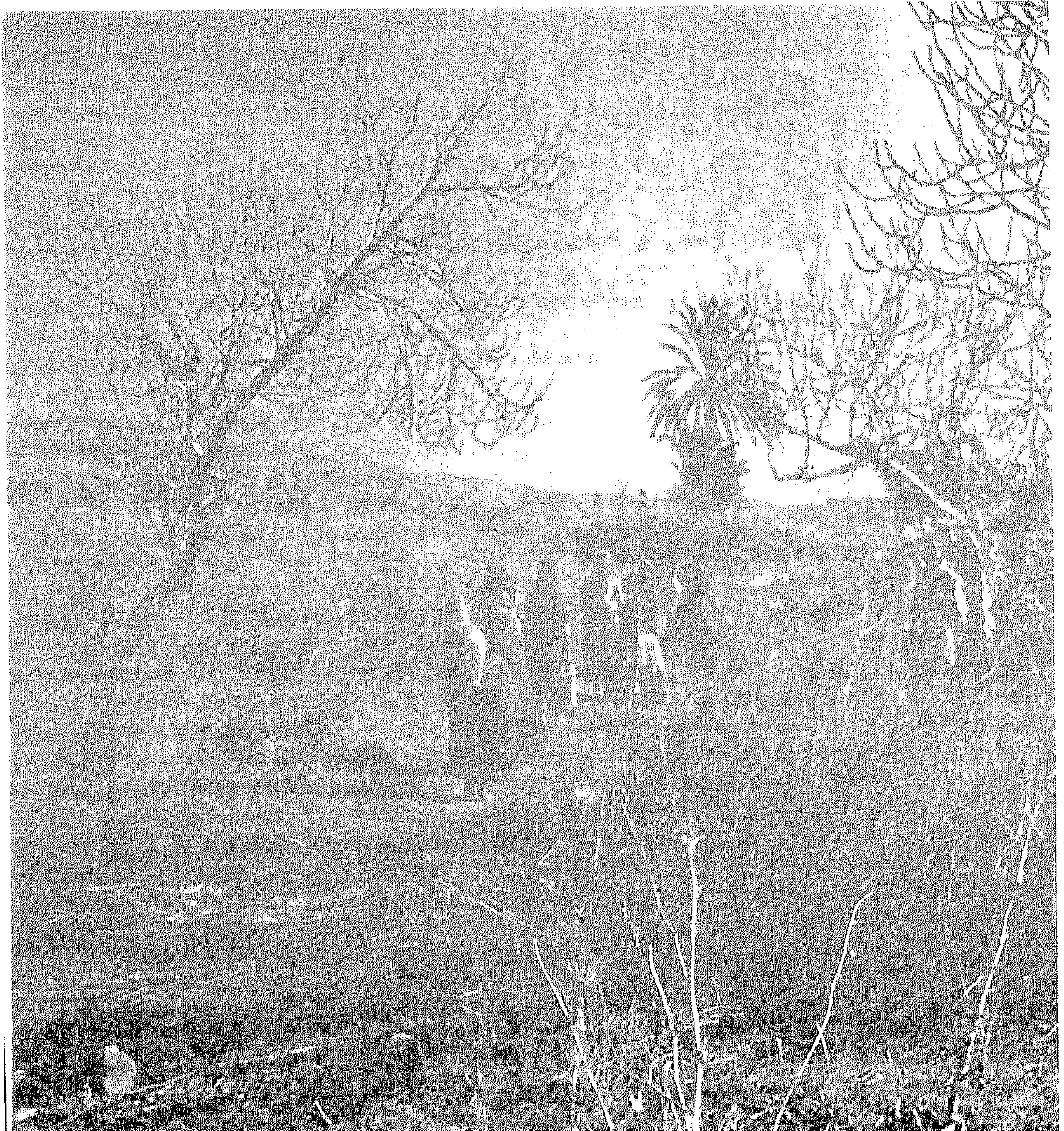
• لكن قيامة يسوع لها تداعيات أخرى بالنسبة لأولئك الذين فيهم حياة المسيح بالفعل. فهناك جزء هام من تعاليم يسوع هو أن تلاميذه
يو٣: ١٥، ٤: ١٤، ١٧: ٣ يشاركون في "الحياة الأبدية" . وهذه الحياة الأبدية تتضمن أمرين: فمن ناحية تشير العبارة إلى أن المسيحيين يتمتعون بنوعية جديدة من الحياة . "فالحياة الأبدية" هي حياة الله . وحين كتب بولس عن اختباره الشخصى كاختبار المسيح الذي يحيا فيه، كان بكل أمانة يفسر تعليم المسيح نفسه .

إلا أنه لكي تكون لك نوعية الحياة التي لله ، فليس هذا معناه أن للمسيحيين فعالية جديدة للحياة في هذا العالم فحسب، بل أن هذا يعني أيضاً أن للمسيحيين حياة لا تنتهي إطلاقاً .وهذا جزء آخر من تعليم
١كو١٥: ٢٠ يسوع دعّمه بولس وأكده بقوله إن يسوع المقام "صار باكورة الراقدين" وهو يقصد بهذا أن قيامة المسيح هي عربون ووعد بأن تلاميذه أيضاً سينقذون من الموت . فالذين يشاركون آلام المسيح وقيامته بمعنى روحي، لهم يقين حياة بعد القبر، وهي حياة يسيطر عليها وجود الله مثل حياتهم الحاضرة . ولكنها ستكون أيضاً حياة مميزة وجديدة، لأن للمسيحيين أن يتوقعوا المشاركة في الحقيقة الكاملة لنوعية
كو١٥: ٥٧ الحياة التي ليسوع الآن –حياة تم فيها قهر الموت والخطية إلى الأبد، واستبدلت بالغلبة التي أعطاها لهم الله "ربنا يسوع المسيح" .

ولكي نفهم المضامين الكاملة لذلك، علينا الآن أن نتأمل تعليم يسوع عن طبيعة مجتمع الله الجديد "ملكوت الله" .

الباب الثاني

مجتمع الله الجديد



الفصل السادس

طبيعة المجتمع الجديد

تحدثنا حتى الآن عن مجيء يسوع فى إطار مجتمع جديد كان المعاصرون له يتوقعون حدوثه . وكانوا يتوقعونه على أنه الوقت الذي تتحقق فيه - وبشكل مثير -وعود العهد القديم فيما يتعلق بوضع إسرائيل في خطط الله وطرد الرومانيين من أرضهم إلى غير رجعة .

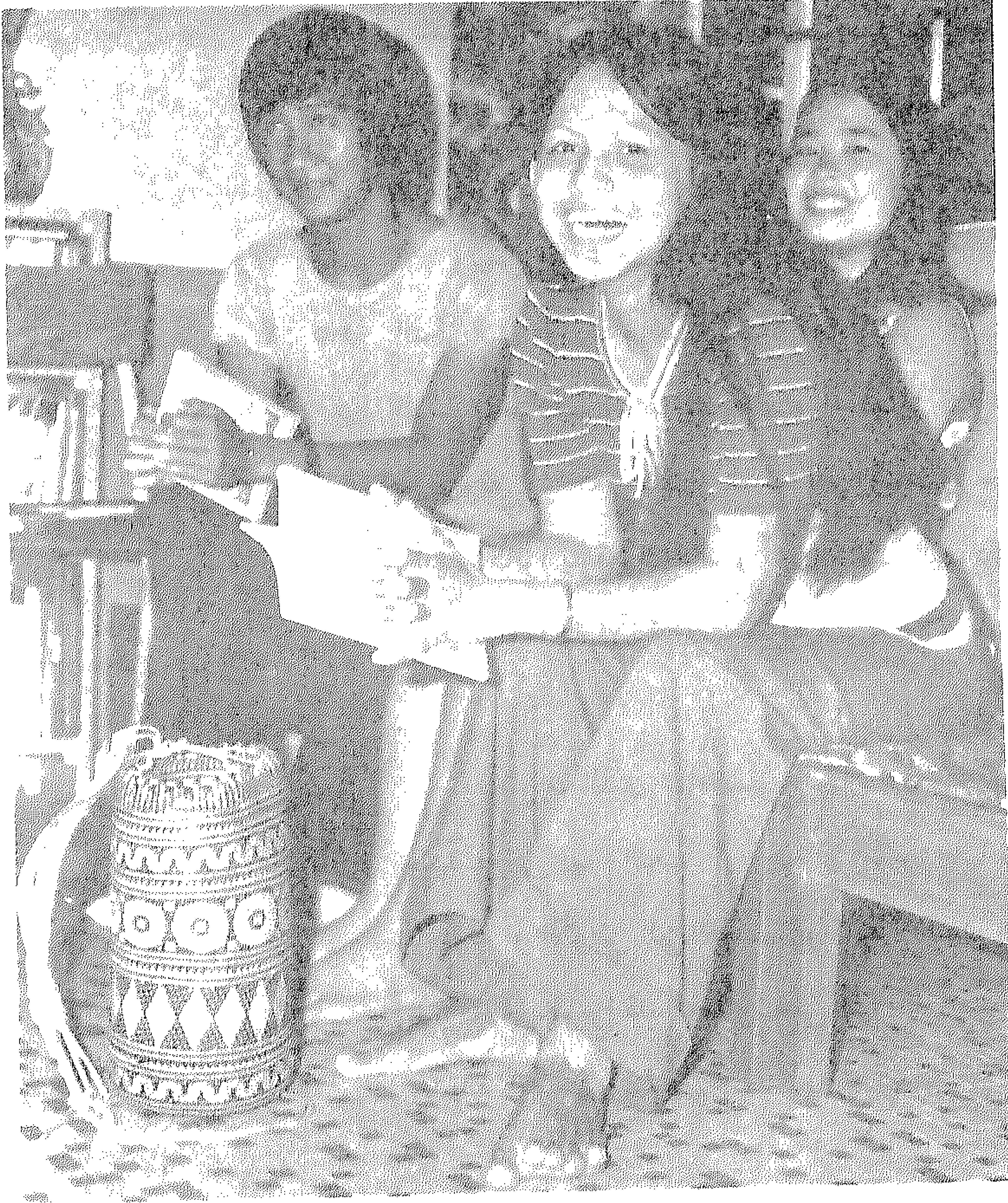
وليس من عجب إذاً أنه حين ظهر يسوع كنبي متجول بعد عماده وبعد
مر ١ : ١٥ التجربة في البرية، وأعلن أنه "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله" أن الناس باختلاف اتجاهاتهم أظهروا اهتماماً كبيراً لما قاله . فهذا هو ماكانوا ينتظرونه : مملكة جديدة لله تسحق إلى غير رجعة مملكة الرومان العتيقة . وأنهم كانوا يتوقعون تماماً (أى الشعب اليهودى) أنه سيكون لهم دور هام في هذه المملكة الآتية تحت قيادة مسيحهم (المسيا) .

ملكوت الله

ولكن ما الذى عناه يسوع حين تكلم عن "ملكوت الله" ؟ وما الذى نقصده نحن بهذا التعبير ؟ . إن القاموس الخاص بي يحدد "المملكة" بأنها "الدولة أو الأرض التي تحكم بواسطة ملك"، وعلى هذا فلعل معاصري يسوع لم يكونوا قد أخطأوا على أي حال فيما ذهبوا إليه: فالله سيقيم دولة جديدة يحكمها بنفسه .

فهل هذا هو ما قصده يسوع حقاً ؟ هل تحدث عن دولة جديدة أم مجتمع جديد ؟ والفرق واضح تماماً، فإذا كان يسوع يتكلم عن دولة جديدة، فلابد أنه نظر إلى نفسه كوكيل ملكية سياسية جديدة، أي أنه كان

من طائفة الغيورين . أما إذا كان يتحدث عن مجتمع جديد، فلابد والحال هذه أن يكون قد اعتبر أن عمله يهتم بصفة أساسية بنوعية الحياة التي يتمتع بها شعبه . والدولة الجديدة سيكون من شأنها ببساطة أن تستبدل النظام الاستبدادى العتيق بنظام استبدادى جديد . أما المجتمع الجديد فلسوف يعطى الشعب حقيقة جديدة ولذيذة عن الحرية والعدل ووجود الله في حياتهم .



علمّ يسوع أن ملكوت الله مختلف تماماً عن أساليب الحياة الأخرى . هذه الفتاة التي وُشّمت كطفلة فى طقس فاس ، أصبحت منذ ذلك الحين من أتباع يسوع.

وعلى هذا ، فما الذى كان يتحدث عنه يسوع حقاً ؟ اعتقد كثيرون من المسيحيين أنه كان مهتماً بصفة رئيسية ببدء مجتمع يحكمه الله، وذلك

كمجتمع مميز عن الدول السياسية التى يحكمها رجال و نساء . وعلى سبيل المثال ، كثيرون من رجال الكنيسة فى العصور الوسطى ، اتبعوا نهج القديس أغسطينوس فى الاعتقاد بأن ملكوت الله الذى كان يتحدث عنه يسوع هو المجتمع المنظم الذى نسميه نحن الكنيسة. وحتى في يومنا هذا، نجد الوعاظ المسيحيين يتكلمون في كثير من الأحيان كما لو أن " الملكوت " هو مجرد كلمة أخرى يُقصد بها الكنيسة، وآخرون يتحدثون عن ملكوت الله كما لو كان نوعاً جديداً من إعلان سياسي . غير أنه هناك اعتراف على نطاق واسع الآن يسود أوساط الذين يدرسون العهد الجديد، بأنه أياً كان ما قصده يسوع بتعبير " ملكوت الله " فإنه لم يكن أياً من هذه الأشياء .

الملكوت والمجتمع الجديد

هناك إشارة إلى ما قصده يسوع حقاً بمقدورنا أن نجدها في اللغة التي تحدث بها . وعلى الرغم من أن يسوع ربما كان بالفعل يستطيع أن يتكلم لغتين أو ثلاثة، فمن المرجح أنه كان فى معظم الأحيان يتكلم باللغة الآرامية وهى اللغة التي كان معظم الناس في فلسطين يعرفونها على نحو أفضل . ولقد كتبت الأناجيل باللغة اليونانية، مثل بقية العهد الجديد بالطبع، ولذلك ليس لدينا أي مستند مباشر للكلمات التي نطق بها يسوع بالفعل باللغة الآرامية . غير أنه حتى الكلمة اليونانية التي ترجمت "ملكوت Basilea" تعني بالأكثر نشاط الملك وليس الأرض التي يحكمها . والكلمة الآرامية التي يعتقد الباحثون أن يسوع نفسه استعملها وهي "Malkutha" من المؤكد أنه كان لها نفس المعنى . ولذلك نجد أنه لدينا من الأسباب ما يحملنا على افتراض أن يسوع كان يتكلم عما يمكن أن نطلق عليه "حكومة الله الملكية" وليس "ملكوته" .

هذا هو السبب الذي حملنا على التفكير في رسالته هنا في إطار "المجتمع الجديد". لأن يسوع كان مهتماً – وبأكثر من أي شيء آخر –

بنوعية الحياة الإنسانية، وعلاقة الإنسان با لله، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان .

ويساعد هذا على تفسير بعض الأمور الأكثر صعوبة التي قالها يسوع،
لو١٧: ٢٠-٢١ وعلى سبيل المثال، قال للفريسيين : "لا يأتي ملكوت ا لله بمراقبة .... ها
مر١٠: ١٥ ملكوت ا لله داخلكم" . وفي مناسبة أخرى قال لتلاميذه : "من لا يقبل ملكوت ا لله مثل ولد فلن يدخله". ومن الواضح أن الأراضي السياسية لا يمكن أن تكون جزءاً من حياة الناس كأفراد، فهم لا يستطيعون "أن يكونوا" دولة بل لا يمكن أن تكون "داخلهم" . لكن يسوع كان يقول إنه منذ اللحظة التي يملك فيها ا لله حياة شخص ما، يكون المجتمع الجديد قد أقبل بالفعل . كان يمكن أن يقول إن ملكوت ا لله داخل سامعيه ، لأنه هو نفسه كان هناك، وكان ا لله يسيطر تماماً على حياته .

ومن المفيد أن "البروفسور و.ج.كوميل Professor W.G.Kummel" يلفت
مر٩: ٤٣-٤٧ الانتباه إلى الطريقة التى قال بها يسوع إن "دخول الملكوت" معناه "دخول
مت٢٥: ٣٤-٤٦ الحياة" . وهؤلاء الناس الذين يرثون الملكوت يرثون أيضاً "الحياة الأبدية"،
مر١٠: ١٧-٢٣، والبوّابة التي تودي إلى الملكوت هي "الطريق الذي يؤدي إلى الحياة". والقصة الشهيرة عن الابن الضال الذي هرب من البيت، تؤكد أيضاً حقيقة أنه كي
مت٧: ١٤، لو١٥: ١١-٣٢ تكون عضواً فى الملكوت معناه أن تشارك فى حياة ا لله، وتعرفه كأب .
١كو٤: ٢٠ وكذلك يذكر بولس قراءه المسيحيين في كورنثوس بأن "ملكوت ا لله ليس بكلام بل بقوة" - قوة ا لله العاملة في حياة أولئك الذين سلّموا أنفسهم لتوجيه ا لله وإرشاده .

وفي ذات الوقت، سنكون على خطأ إذا ما وضعنا التركيز كله على المجتمع الجديد على أنه جزء من علاقة شخصية بيننا وبين ا لله . وهناك أقوال كثيرة في الأناجيل تبين أن يسوع كان ينظر إلى ملكوت ا لله كمجتمع

حقيقي ملموس، كما كان ينظر إليه أيضاً كحكم الله الداخلي في حياة أتباعه . فقد قال -على سبيل المثال- إن الناس "يأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون في ملكوت الله". وفي العشاء الأخير قال يسوع لتلاميذه : "إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي
لو١٣: ٢٩ ملكوت الله" . ويسجل لنا متّى قوله إن أتباعه سيرثون "الملكوت المعدّ لهم
لوقا٢٢: ١٨ منذ تأسيس العالم" . لذلك يبدو أن المجتمع الجديد في مفهوم يسوع كان يتضمن أمرين . من ناحية، إنه حكم الله على حياة الناس الذين يسلمون له
مت٢٥: ٣٤ أنفسهم . ومن ناحية أخرى، فإنه شيء يمكن بل وسوف يظهر للعالم كله .

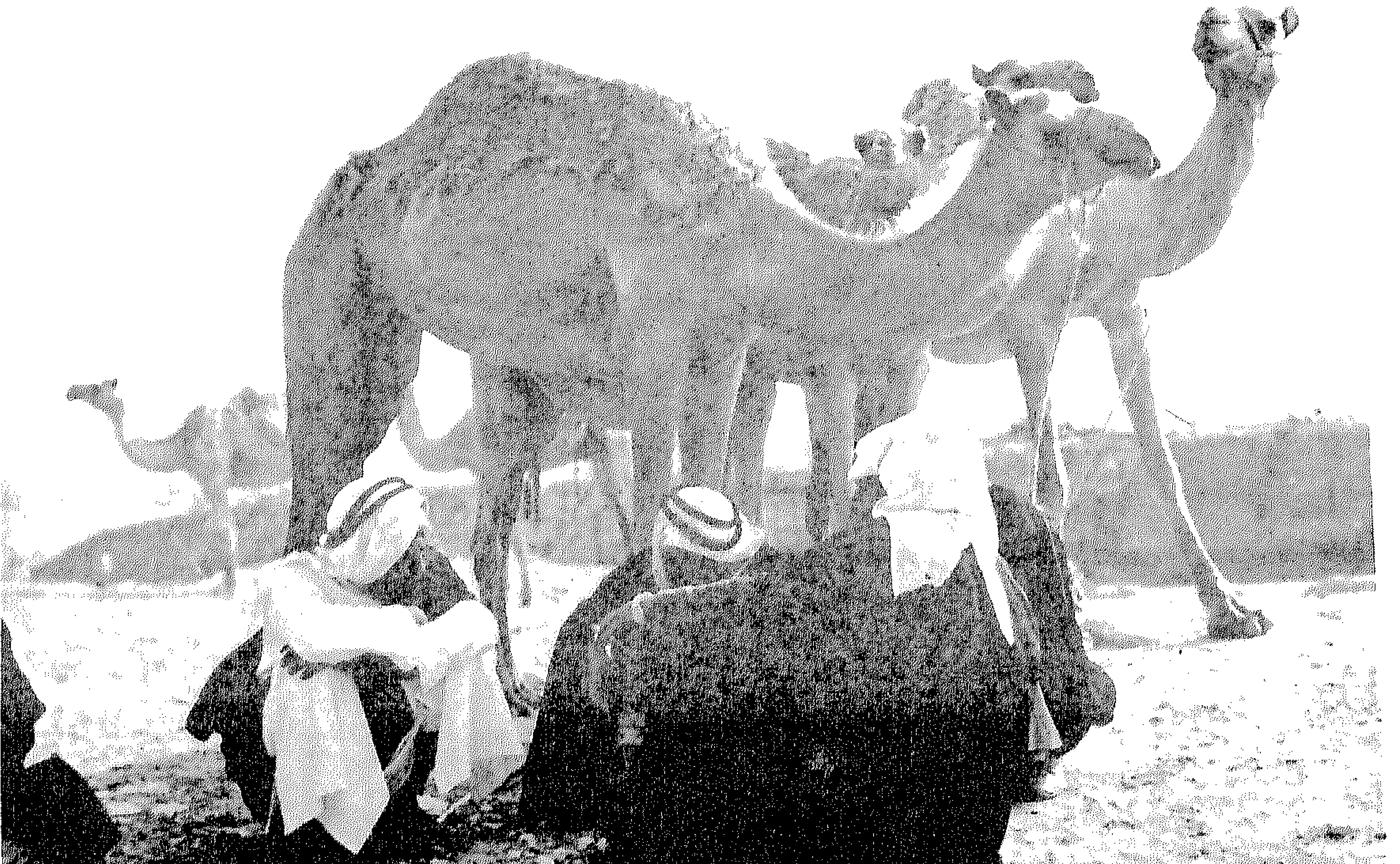
وكل من هذين المفهومين كان انعكاساً صادقاً لتوقّعات العهد القديم. ومن المهم أن نتذكر أنه ليس كل كتبة العهد القديم أدركوا تدخل الله المستقبلي في شئون البشر في إطار نزعة تتسم بالأنانية والقومية كما كان يفعل البعض من معاصرى يسوع . وإنها لحقيقة أنه في بعض أجزاء العهد القديم نجد إدراكاً طاغياً أن سيادة الله على البشر ستظهر في شكل ملكوت منظم سيحل محل إمبراطوريات العالم .

وهذه بصفة خاصة، نظرة الأقسام الرؤوية في العهد القديم . ففي سفر
دا٧: ١٣-١٨ دانيال -على سبيل المثال- أن قديسي "العلي" الذين يمثلهم "مثل ابن الإنسان" تسلموا ملكوت الله وتملكوه إلى الأبد . وهذه نوعية من التطلعات ازدادت وتم تضخيمها ألف ضعف بواسطة آخرين، بمعرفة كتاب رؤويين في وقت لاحق، وكان البعض منهم من معاصرى يسوع. وكانت تطلعات عبر عنها بعض أتباع يسوع حين أرادوا أن يقيموه ملكاً عليهم بعد معجزة إطعام
يو٦: ١٥ خمسة آلاف شخص . وكان هذا موقفاً وُجد حتى بين التلاميذ . فحين طلب يعقوب ويوحنا أن تكون لهما المراكز الأولى بأن يجلس واحد عن يمين
مر١٠: ٣٥-٤٥ يسوع والآخر عن يساره في مجده، فإنهما كانا يفكران في إطار سياسي خالص .

مت١٣: ٣٣ وعلى الرغم من أن يسوع وبخهما حين قالا ذلك، إلا أنه لم يفكر إطلاقاً أن ملكوت الله سوف يؤثر بطريقة ما في المجتمع بالمعنى السياسي، بل
مت١٣: ٣١-٣٢ أنه في بعض الأحيان كان يقول إن ذلك سيتم بطرق غير مثيرة نسبياً، كما تعمل الخميرة في الخبز، أو مثل حبة الخردل التي تنمو في هدوء إلى شجرة كبيرة، إلا أنه كان أيضاً على قناعة تامة أن الله سوف يعمل بحسم وبصفة
مر١٣ مباشرة، ليس في حياة الأفراد فحسب، بل وأيضاً في حياة الأمم السياسية والاقتصادية .

هذا التوتر، أو ما يبدو وكأنه تناقض بين حكم مجتمع الله الجديد في
قض٨: ٢٢-٢٣ حياة الأفراد والتعبير الخارجى عنه في قوى سياسية ملموسة، كان موجوداً في أيام العهد القديم . فقد كان يُنظر إلى الله على أنه "ملك" إسرائيل منذ عصر القضاة، وربما حتى قبل ذلك . والمزامير عامرة بالتعبيرات التى تؤكد
مز٩٦: ١٠، ٩٩: ١، ١٤٦: ١٠ سيادة الله على مجرى التاريخ .

كثيرون اعتقدوا أن ملكوت الله سوف تكون له أراض معينة وتنظيم سياسي . ولكن يسوع علم بأنه سيسمو على الحدود الجغرافية والسياسية.



وكثيرون من الربيين -في زمن يسوع- كانوا يؤكدون على أن سيادة مملكة الله على إسرائيل كانت موجودة بالفعل، حتى أيام الحكم الروماني، وأن الله كان يعمل من خلال الشريعة . وأحياناً كان معلمو اليهود يشيرون إلى أناس "يتثقلون بقيام ملكوت الله" وهم يقصدون بهذا أنهم يقبلون التوراة ويطيعونها كأداة لحكم الله على شعبه .

وإذا تفحصنا بإمعان أجزاء أخرى من العهد الجديد نستطيع أن نلمس أن هذا التوتر موجود دائماً بين ما يستطيع الله أن يفعله الآن في
أولئك الذين يقبلون حكمه على حياتهم، وما سيفعله أساساً من رو١٤: ١٧
خلالهم في المجتمع بصفة عامة . وعلى سبيل المثال، يقول بولس : "لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً. بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس" . وبالنظر إلى أن هذه أمور يمتلكها المسيحيون بالفعل، فأن تكون جزءًا من ملكوت الله، يعنى أن نسمح لله بأن يمارس سيادته المطلقة على حياتنا .

وفي ذات الوقت، نجد أن بولس، على الرغم من ذلك يربط بين وصول
ملكوت الله والأحداث المرتبطة بنهاية العالم : "وبعد ذلك النهاية متى سُلم ١كو١٥: ٢٤
الملك لله الآب متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة" . فقد توقع بكل وضوح أن الله سيدخل التاريخ ويغيّر مجراه -وهذا كان من ناحية
ما مرتبطاً بمجيء مجتمع الله الجديد "الملكوت" .وهذا تم توضيحه تماماً في رؤ١١: ١٥
سفر الرؤيا حيث "صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين" وهذا أيضاً عنصر هام في تعليم يسوع نفسه .

" الأخرويات " والمجتمع الجديد

موضوعات مختلفة نشير إليها حين نتكلم عن مجتمع الله الجديد يسمى "الأخرويات" . وكلمة "الأخرويات" مأخوذة عن عبارة يونانية ترجمتها ' أفكار عن النهاية ' . ولكن الأخرويات لا تتعلق فقط بما قد يحدث عند نهاية العالم . بل أنها بالضرورة تتعلق بملكوت الله، حيث يكون الله ملكاً، وبكل السبل المختلفة التي تجعل مجتمع الله الجديد نفسه محسوماً بواسطتها، سواء في حياة الناس كأفراد، أو في المجتمع، أو في النهاية الأخيرة للأمور .

في حوالي السبعين سنة الأخيرة، قُدمت اقتراحات تدور حول المعنى الحقيقي لتعليم يسوع عن المجتمع الجديد أو "ملكوت الله" .

الأخرويات المستقبلية

أول هذه الآراء أن تعليم يسوع كجزء من "الأخرويات المستقبلية". فنحن نقصد بها المستقبل من وجهة نظر يسوع وليس من وجهة نظر الوقت الحاضر. فهناك مسيحيون كثيرون اليوم ممن يأخذون 'الأخرويات المستقبلية' بمعنى أنهم يتوقعون مجيء ملكوت الله في شكل محسوس في وقت لا يزال في علم المستقبل وكثيراً ما يعرّفون مجيء ملكوت الله بهذه الطريقة على أنه "المجيء الثاني (Parousia) ليسوع نفسه. إلا أنه حين يتكلم المفسرون عن تقاليد الإنجيل، فإنهم يحجزون تعبير "المستقبلي" لتوقعات يسوع نفسه عن المجتمع الجديد، وليس لتوقعات المسيحيين المعاصرين .

وكان "البرت شويتزر المفكر اللاهوتي الألماني، والذي أصبح المرسل الطبي في إفريقيا -هو أول من أضفى الشعبية على الفكرة القائلة إن ليسوع توقعات خاصة بالأخرويات المستقبلية . وكان يعني بهذا أن يسوع يتبنى توقعات مماثلة لتوقعات الكثيرين من الكتّاب الرؤويين اليهود الذين كانوا معاصرين له. وقد أشار إلى أن يسوع اعتقد أن الله كان على وشك أن يتدخل، وبشكل عاجل ومثير في شئون البشر ،و أن عمل حياته هو أن تكون الذروة الحاسمة للتاريخ -وهي ذروة سوف تأتي لذلك أثناء حياة يسوع على الأرض- وهذا، كما قال شويتزر هو ما قصده يسوع حين أعلن أن ملكوت الله قريب.

وقد صوّر يسوع نفسه على أنه المسيا المعين، الذي ستكون له السلطة الكاملة عند مجيئ الملكوت، ولكنه مثل كثيرين من الرائيين، سواء قبله أو بعده، وجد ان حقيقة الحياة مختلفة عن هذه الأحلام المثالية. وتدريجياً بينما تواصل الحياة مسيرتها يبدو كما لو أن الحلم ليس سوى وهم. وفي وقت مبكر من مجرى عمله ـ كما يقول شويتزر ـ كان يسوع واثقاً بما فيه الكفاية ليقول لتلاميذه إن ابن الإنسان على وشك أن يظهر في مجد ، وسيكون



كان ألبرت شويتزر طبيباً في افريقيا. كان لأفكاره عن الملكوت تأثيراً على نطاق واسع.

ذلك سريعاً حتى إنه بمقدورهم أن يتوقعوا وصوله خلال أيام قليلة (مت ٢٣:١٠) ولكن ذلك لم يحدث إطلاقاً، ومن ثم قرر يسوع أن يرغم الله وذلك بالذهاب إلى أورشليم والإلحاح على السلطات هناك فيما يتعلق بهذا الموضوع. وكان من نتيجة ذلك أنه تم القبض على يسوع وحوكم، وبطريقة مأساوية حُكم عليه بالموت. وحتى عمل الإيمان المدهش هذا لم يأت بالنتيجة المرجوة. وعوضاً عن ذلك انتهى بهزيمة وبصرخة يأس على الصليب حيث أدرك يسوع أن الذى يخدمه قد تخلّى عنه. وكما قال شويتزر فى هذا الخصوص:"عجلة القدر لن تدور، ولذلك طرح يسوع نفسه عليها وتُرك حيث مازال معلقاً هناك.

ومع ذلك، وبرغم أن آمال يسوع انتهت إلى الفشل الا أن شويتزر يدّعى أن قوة عظيمة قد نتجت عن هذا العمل الذى لا يُصدق فى الثقة التى لم تكن في محلها إلا أن تأثيرها أعظم مما كان سيحدث لو أن الملكوت الرؤوى كان قد جاء بالفعل. لأن يسوع كمثال لا يزال بمقدوره أن يترك تأثيراً أخلاقياً روحياً كبيراً بالنسبة لأولئك الذين يرغبون فى أن يكونوا مضيفين .

ومن المؤكد أن شويتزر نفسه وضع الدروس التى رآها هنا موضع التطبيق. وليس معنى هذا أنه أخذ تعليم يسوع الفعلي بجدية بالغة، لأنه كان ينظر حتى إلى الموعظة على الجبل على أنها "أخلاقيات فترة فاصلة" لم يُقصد لها أن تطبق إلا لفترة وجيزة للغاية أثناء فترة خدمة يسوع . وبدلاً من ذلك كان يولى أهمية عظمى لأمانة يسوع لمعتقداته. ولقد قال إن هذا شئ لابد وأن يكون له تأثيره على كل من يأخذه بجدية.

ولقد نُشرت آراء شويتزر فى كتاب رائع ظهر لأول مرة فى إنجلترا سنة ١٩٠٩ تحت عنوان "ضالة يسوع التاريخى المنشودة". مازال يعد كواحد من أعظم الكلاسيكيات اللاهوتية. وكثير من بنود حجة شويتزر ما يزال يُنظر إليها على أنها

صحيحة حتى إلى يومنا هذا. ومن الصعوبة أن نجد من لا يتفق مع رأيه بأن تعليم المسيح عن المجتمع الجديد لابد وأنه ظهر مماثلاً جداً للتوقعات الرؤوية للشعب في أيامه. ومن المؤكد أنه يشترك فى كثير من الأمور مع توقعاتهم بأكثر مما يتفق مع الأفكار التى قال بها رجال الكنيسة فى العصور الوسطى فيما يختص بالملكوت والكنيسة، أو مع أنصار اللاهوت المتحرر في العصر الحديث.

ومما لا شك فيه أن شويتزر كان على حق أيضاً فى رؤيته أن عمل حياة يسوع، ولاسيما موته، كان بالضرورة جزءاً ضرورياً من تدخل الله فى حياة الناس العاديين .ومع ذلك، هناك مصاعب كثيرة تكتنف قبول هذا كتفسير لحياة المسيح كلها وتعليمه .وذلك لسبب واحد وهو أن شويتزر دأب على تجاهل الأقوال التى لا ريب أن يسوع قالها عن أهميته، وأنه اقتصر بشكل يكاد يكون تاماً على أقوال يسوع عن ملكوت الله . وسبق أن رأينا أن هذين الجزئين من تعليم يسوع يجب أن يُفهما معاً . ومن المستحيل فهم ما قصده بالنسبة لمجتمع الله الجديد دون أن نأخذ في اعتبارنا تماماً قوله بأن له علاقة خاصة بالله نفسه..

وما لم نكن على استعداد لإنكار كل المصداقية التاريخية لقصص الإنجيل، يكون يسوع كان هو مجيء العهد الجديد بدلاً من الصعوبة الاعتقاد بأن يسوع لم يدرك أهمية موته فى أورشليم إلا بعد فشل كل جهوده السابقة لإقامة المجتمع الجديد . بل ولسنا فى حاجة لأن نشارك شويتزر اعتقاده أن موت يسوع أخفق أيضاً فى غايته المرجوة، و لم ينتج عنه سوى تأثير روحى طفيف على حياة أولئك الذين بذلوا الوقت فى التفكير فيه.

وقد استغل شويتزر الكثير من أقوال يسوع لتلاميذه كتلك التى أدلى بها قبل تجليه " إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يرون ملكوت الله قد أتى بقوة" (مر٩: ١) . وطبقاً لنظرية شويتزر فإن هذا لم يحدث إطلاقاً. ولكنه لم يصل إلى هذا الاستنتاج إلا بسبب موقفه المتشكك فى دليل العهد الجديد . لأن كل اعتقاد الكنيسة الأولى هو أن الله قد تدخل حقاً فى شئون البشر بطريقة قوية ومثيرة بقيامة يسوع وعطية الروح القدس لأتباعه، وأن كلاً من هذين الأمرين كان من النتائج المباشرة لموت يسوع على الصليب ، وحين نتذكر أن الكثير من الكتاب المقدس كُتب فى أقل من جيل بعد وقوع هذه الأحداث، يكون من الواضح أن الدليل المستمد منه لا يمكن دحضه تماماً و بالسهولة التى تخيلها شويتزر .

الأخرويات التي تحققت

على النقيض تماماً من نظرية شويتزر



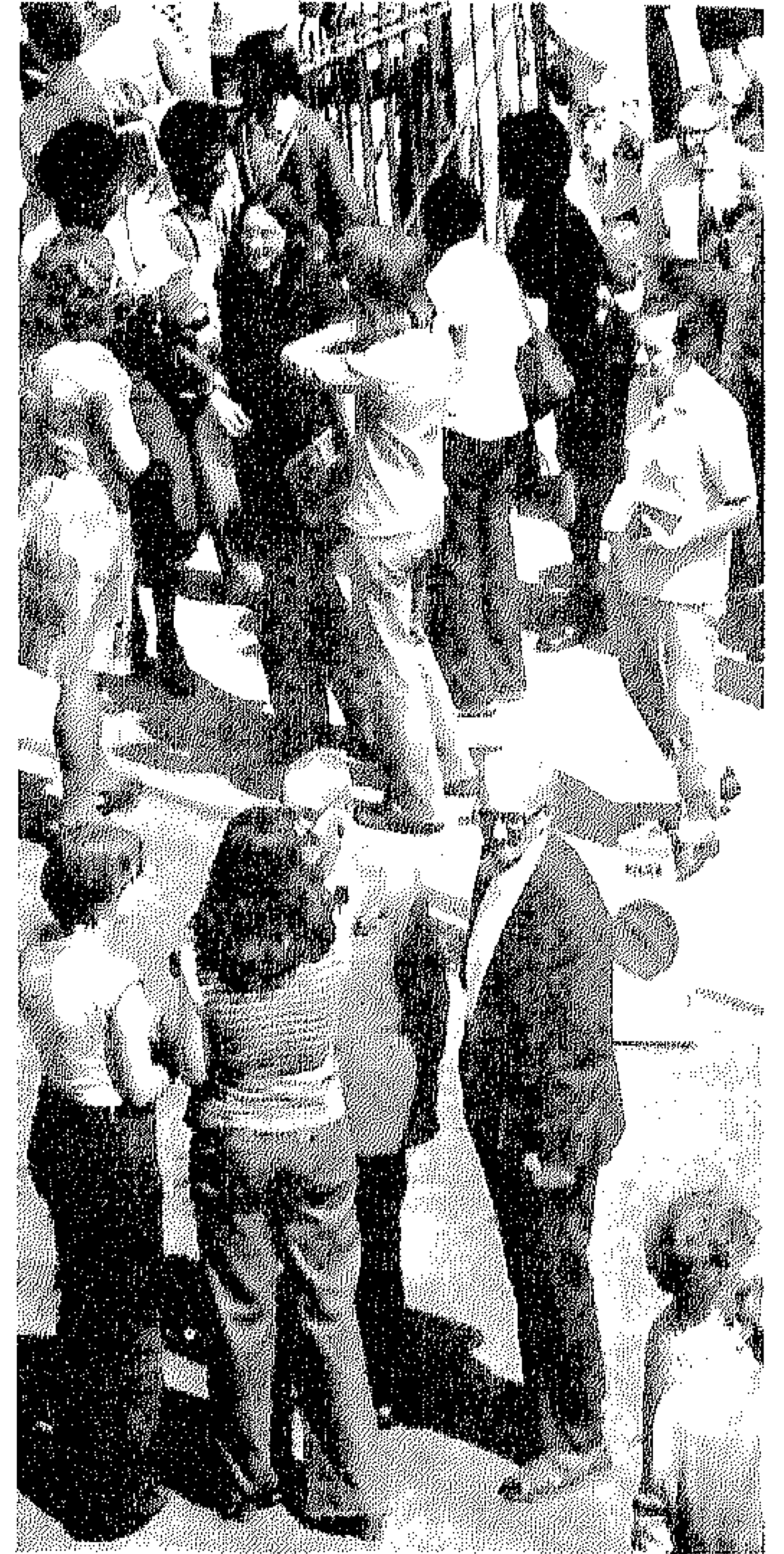
الصورة لمستر "دود Dodd "
اللاهوتى البريطانى الذى قال بفكرة "الأخرويات التى تحققت"

جاءت فكرة البروفسور "دود" بأن يسوع كان لديه ما نسميه " أخرويات. تحققت " وطبقاً لما قاله "دود" المجتمع الجديد قد جاء بالفعل في شخصه . ومن ثم بوسعنا القول إن مجيء يسوع هو نفسه مجيء حكم الله. ومع أن المجتمع الجديد قد يحتاج إلى أن ينمو و يتطور ، إلا أن العمل الأساسي والحاسم قد تم بالفعل ، وهذا رأى له جاذبيته، ولاسيما بالنسبة لمن ينتمون إلى عصر علمى حديث . ونماذج الفكر المألوفة لرؤويين اليهود فى القرن الأول تُعد غريبة بالنسبة لنا فمعظمنا يجد أنه من الأسهل أن يعتقد أن مجيء يسوع كان هو مجيئ العهد الجديد بدلاً من الإغراق فى التخمينات الغريبة التى لا فائدة منها و الخاصة بالمستقبل ، والتى حتى يومنا هذا ما تزال تشغل اهتمام بعض الجماعات المسيحية ذات الآراء الغريبة .

وفكرة أن يسوع رأى حياته و عمله على أنها مجيء بمجتمع الله الجديد تساعدنا أيضاً على أن نفهم بمزيد من الوضوح طبيعة الأحداث التى سجلتها الأناجيل على نحو من الدقة . فالمعجزات ، على سبيل المثال ، من الممكن فهمها بشكل أيسر إذا ما اعتبرناها علامات ودلائل على أن الله كان يعمل بالفعل فى خلق مجتمع جديد. مما لو كنا ننظر إليها بالطريقة التقليدية على أنها أدلة تثبت لاهوت المسيح .

وبالطبع يدرك "دود Dodd" أنه ليس من الممكن فهم كل مواد الإنجيل بسهولة في إطار أخرويات تحققت .فما الذى يمكن أن نفهمه على سبيل المثال، من الصور والأمثلة التى يبدو أنها الدينونة الأخيرة، مثل قصص العذارى العشر أو الخراف والجداء (مت٢٥: ١-١٣ و٣١-٤٦) ؟ ويفسر "دود" هذه القصص على أنها صور وليست دينونة أخيرة ستحل فى نهاية العالم ، بل هى نوع من أنواع التحدى الذى يقابل جميع الناس حينما تقابلهم الرسالة المتعلقة بيسوع والمجتمع الجديد.

ومن المؤكد أنه يوجد دليل كاف على أن يسوع اعتبر إعلان رسالته من ناحية ما كدينونة بالنسبة لأولئك الذين سمعوها و لم يستجيبوا لها . و الإطار الذى أدان فيه يسوع الفريسيين يظهر فى كثير من الأحيان أنهم أبعد ما يكونوا عن أن يخلصوا (مر٣: ٢٨-٣٠،مت٢٣)، وكاتب الإنجيل الرابع من المؤكد أنه يعرض بشكل دقيق على الأقل جزءاً من رسالة يسوع حين يعلق قائلاً : "الذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن به قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد و هذه هى الدينونة، أن النور قد جاء إلى العالم و أحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو٣: ١٨-١٩). وعلى ذلك فإنه ليس من الصعب أن نجد فقرات فى تعليم يسوع يمكن أن تدعم إلى



ملكوت الله فى رأى يسوع يتكون من أناس من كل نسل ومن كل جنسية.

حد ما نظرية "دود". غير أنه ليس بمقدور النظرية أن تشرح كل تفصيلة من تفصيلات البرهان . وهناك عائقان كبيران يتمثلان في الآتي :

● على الرغم من أنه توجد فقرات كثيرة في تعليم يسوع تساند النظرية، إلا أن هناك فقرات كثيرة لا تساندها . وفي كثير من الحالات يشير يسوع إلى ابن الإنسان "آتياً على سحاب السماء" وكل نظرية مصطبغة بلا ريب بنوعية التشبيهات المجازية الرؤوية التي لفت إليها شويتزر الانتباه بطريقة رائعة .

● علينا أن نضع في الاعتبار أيضاً ما تقوله لنا بقية أجزاء العهد الجديد عن معتقدات المسيحيين الأوائل . ولسوف نجد بها خليطاً من الأخرويات "المستقبلية"، والأخرويات "التي تحققت".

وفي الرسالة التي كتبها بولس إلى الكنيسة التي في مدينة تسالونيكي اليونانية في مطلع الخمسينات في القرن الأول، نجد تأكيداً كبيراً على توقعات المسيحيين الأولين بأن يسوع سيجيء ثانية في مجده، ومن الواضح أن بولس نفسه كان يشاركهم هذه التوقعات. ولو أن ذلك ليس بالطريقة المتطرفة مثل التسالونيكيين (١تس٤: ١٣ - ٥: ١١) (٢تس٢: ١-١٢) . وعلى صعيد آخر نجد أن بولس قابل في كورنثوس بعض الناس الذين كانوا يعتقدون أن الأوصاف التقليدية لنهاية الأشياء يجب أن تؤخذ كرموز لاختبارهم الروحي - و قد أكد لهم بولس ثانية اعتقاده أن يسوع سيأتي ثانية في المستقبل (١كو١٥: ٣-٥٧). و لم يكن بولس متحيزاً تماماً في الموضوع، لأنه في رسالة غلاطية، التي ربما تكون أول رسالاته ، اقترح وبمعنى حقيقي جداً أن مجتمع الله قد أتى، وهو يعمل بالفعل في المسيحيين.

وهكذا فإنه إذا كانت نظرية "دود" صحيحة تماماً، وأن يسوع كان يعتقد بالفعل أن المجتمع الجديد قد وصل بالفعل إلى صيغته النهائية ، فإنه يكون من الصعب أن نفهم كيف ولماذا نسي المسيحيون الأوائل هذا التأكيد على هذا النحو من السرعة، وتحولوا بدلاً من ذلك إلى تخمينات عن المستقبل . وهذا بصفة خاصة يعد سؤالاً هاماً للغاية لأن كثيرين من هؤلاء المسيحيين لم يكونوا من اليهود، ومن الطبيعي أنهم لا يفكرون في المستقبل في إطار رؤوي يهودي . كما أنه يتعين علينا أن نتذكر أن تقاليد الإنجيل نفسها حُفظت في الكنائس من أجل أن نستخدمها، ومن المؤكد أنه من غير المحتمل أن عدم التناغم الواضح بين تعليم يسوع والمعتقدات الفعلية للكنيسة لم يلاحظه أحد.

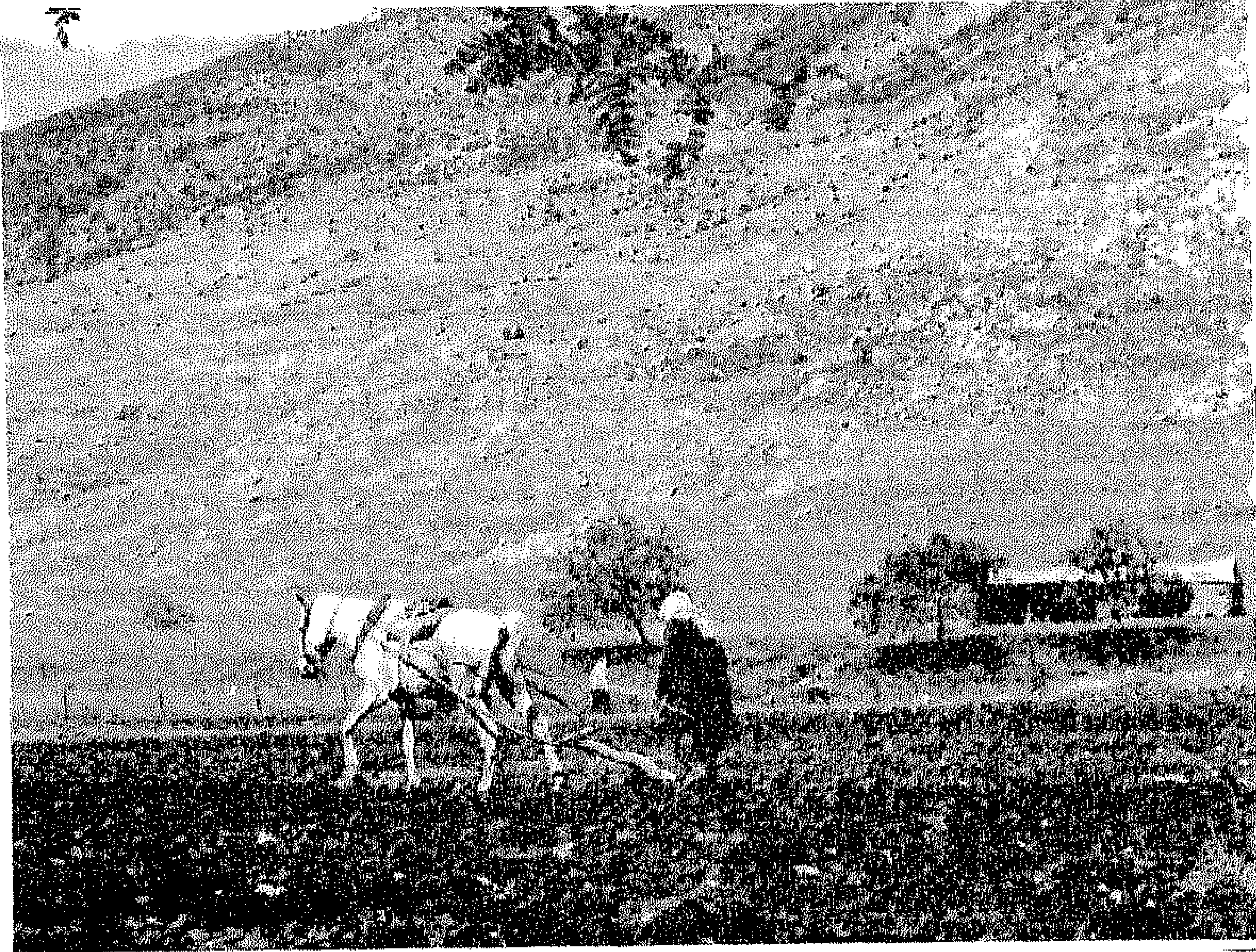
أخرويات بدأت بالفعل:

بسبب الصعاب المتضمنة في كل من

الأخرويات المستقبلية، والأخرويات التى تحققت، حسبما يرى يسوع، فإنه يوجد اليوم تأييد كبير لرأى يحاول أن يأخذ أفضل ما فى النوعيتين. وهذا الرأى يدرك أنه من ناحية ما قد جاء المجتمع الجديد بالفعل فى شخص يسوع لكن اكتماله تماماً لم تتم رؤيته بعد، ولكنه حاضر فى شخص يسوع وتعليمه. ولهذا سميت بالأخرويات التمهيدية وهذا يبدو لي أفضل تفسير للموضوع . وإنه لمن الضرورى أن ندرك مع شويتزر أن خلفية يسوع كانت مكونة من يهودية القرن الأول، وأن تعليمه تضمن وجهة نظر كاملة لمجرى الأحداث فى المستقبل بما فى ذلك الدينونة الأخيرة، والقيامة النهائية كجزء من إتمام مجتمع الله الجديد . وإنه لمن المهم أيضاً أن نعرف أن ما قاله يسوع من ناحية أن المجتمع الجديد قد أتى بالفعل فى شخصه، يُوجب على الناس جميعاً أن يستجيبوا لمتطلبات الله منهم .

وربما يكون بوسعنا أن نوجز هذا الموضوع الذى يبدو معقداً إلى حد ما، بالقول إنه توجد أربع نقاط هامة لفهم ما تعين على يسوع أن يقوله عن مجىء المجتمع الجديد:

- من المؤكد أن يسوع استخدم لغة عصره وشارك آراء الذين كانوا يتوقعون المجىء الوشيك للمجتمع الجديد من خلال تدخل الله المباشر فى شئون الناس.
- اعتقد يسوع أن الطبيعة الأساسية للمجتمع الجديد أُعلنت فى حياته و عمله -وواضح فى الأناجيل أن توقعاته مختلفة تماماً عن توقعات معظم اليهود، فهو لم يعلن عن مجتمع القوة السياسية المستبدة



قال يسوع أن متطلبات ملكوته عظيمة جداً ، و قد قال لشخص كان مزمعاً أن يكون من تلاميذه "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله"

التى تحل محل روما، بل كشف عن مجتمع مُحب يتكون من الذين ولاؤهم لله نفسه.

تدخلّ الله المباشر يُرى ليس فقط فى حياة يسوع وتعليمه، بل يُرى أيضاً فى موته، وفى قيامته، وفى عطية الروح القدس لكنيسته . بل ولعله أيضاً فى هذه الأحداث التى تحققت فيها بعض تنبؤات يسوع عن الأمور الأخيرة – على سبيل المثال – القول إن بعض تلاميذه سوف يرون المجتمع الجديد آتياً بقوة قبل أن يموتوا (مر١:٩).

هنا تنوع كبير فى اللغة التى استخدمها يسوع في وصف المجتمع الجديد حتى إنه من المستحيل فهمها إلا من خلال النظرة الأكثر شمولاً . فالملكوت يجئ سراً مثل الخميرة التى تعمل فى العجين (مت٣٣:١٣)، أو يمكمن أن يأتى بظهور مفاجئ للمسيح في مجد مثل المجئ الثاني المتوقع (مر١٣).

ملكوت الله وملكوت السموات

من بين السمات البارزة في إنجيل متّى أنه يداوم على استخدام تعبير "ملكوت السموات" ليصف موضوع تعليم يسوع والاستثناءات الوحيدة لهذا نجدها فى :

مت٢٨:١٢، ٢٤:١٩، ٣١:٢١، ٤٣:٢١ حيث نجد فيها تعبير "ملكوت الله" وهو التعبير الذى استخدم بصفة دائمة فى إنجيلى مرقس ولوقا.

وعلى أساس هذا الفرق اعتقد البعض أنهم يستطيعون أن يميزوا بين مرحلتين منفصلتين تماماً فى تعليم يسوع أنه ليس هناك شك فى أن التعبيرين يشيران إلى الشئ نفسه. وهذا ما يمكن توضيحه بسهولة تامة بمقارنة نفس الأقوال فى إنجيل متّى والإنجيلين المتشابهين الآخرين. وعلى سبيل المثال- حيث يلخص مرقس رسالة يسوع فيقول : "اقترب ملكوت الله فتوبوا." (مر١٥:١) نجد فى متّى : "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (مت١٧:٤).

والعبارتان وردتا فى نفس السياق تماماً (بداية خدمة يسوع التعليمية) ومن الواضح أنه توجد نسخ مختلفة لنفس هذه العبارة. وهناك أمثلة أخرى كثيرة لنفس هذا التناول فى بقية الأناجيل.

وفسير هذا الاختلاف فى التعبير يرجع إلى أن متّى كان يكتب لقرائه من اليهود، فى حين أن مرقس ولوقا كانا يكتبان لغالبية غير يهودية. ولم يكن اليهود يحبون أبداً استخدام اسم "الله" خوفاً من أن يجدوا أنفسهم قد كسروا دون قصد الوصية القائلة : "لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً (خر٧:٢٠)، ولذلك كانوا يستخدمون كثيراً تعبيرات أخرى بديلة. وكلمة "السماء" كانت بديلاً مفضلاً. ولذلك كان متى يتحدث عن "ملكوت السموات" كى يتجنب مضايقة قرائه. ولكن غير اليهود ليس لديهم هذا التحفظ وتعبير "ملكوت السموات" كان سيشكل لهم تعقيداً ليس له أية ضرورة، ما لم

ما لم يعتبرونه بلا معنى على وجه الإجمال. ولهذا يستخدم مرقس و لوقا عوض ذلك تعبير "ملكوت الله".

ربما يخطر على فكر البعض بأنه نظراً لأن تعبير "ملكوتَ السموات" كان التعبير اليهودى، فلابد أنه التعبير الأساسى الذى إستخدمه يسوع نفسه، ثم اقتبسه مرقس و لوقا فى وقت لاحق لاستخدامه للقراء من غير اليهود. إلا أن الاحتمال الأرجح أن يسوع كان يستخدم تعبير "ملكوت الله" وأن متّى هو الذى استخدم بدلاً منه تعبير "ملكوت السموات" لأسباب ترجع اليه . وهناك سببان لهذا الاعتقاد :

• لم يُظهر يسوع إطلاقاً أى تحفظ عند الحديث عن الله ، و أنه لم يقل إنه يعرف الله بطريقة وثيقة و شخصية فحسب ، بل وتجرأ و قال إنه " أبوه ".

كما سبق ورأينا، أنه توجد أربعة أمثلة في إنجيل متّى استخدم فيها تعبير "ملكوت الله". وهذا يمكن فهمه بسهولة إذا افترضنا أن متّى تغاضى عن ورود الكلمة هذه المرات الأربع،غير أنه من غير الممكن أن نعتقد أنه في هذه الحالات الأربع غيّر عبارة أصلية "ملكوت السموات" إلى "ملكوت الله"من أجل فائدة قرائه اليهود.

ولعل التشكيلة المحيرة التي وُصف بها المجتمع الجديد كانت تستهدف تعليمنا درساً مهماً للغاية عنه، وهو أن ما يستطيع الله أن يعمله بين الناس بواسطة يسوع المسيح هو شيء أعظم بكثير مما يقدر أي واحد منا أن يستوعبه تماماً. فحين يعمل الله فهو يفعل ذلك بطريقة بارزة وهو يعمل ذلك أيضاً بطريقة بسيطة حتى يكون بمقدور كل واحد أن يفهم عنه ما فيه الكفاية لكي يستطيع أن يتجاوب مع الدعوة . وهذا هو السبب الذي حمل يسوع أن يقدم الكثير من تعليمه في شكل أمثال أو صور بسيطة . ولكي نذهب إلى أكثر من ذلك في سبيل فهم مجتمع الله الجديد، علينا أولاً أن نتأمل بعضها .

الفصل السابع

صور من المجتمع الجديد

" الأمثال " هي بعض من قصص يسوع الأكثر شهرة . مثل قصة لو١٠: ٢٥-٣٧
السامرى الصالح، أو الخروف الضال، أو الزارع الذي خرج ليزرع . ولكن مت١٨: ١٢-١٤
إذا تصفحنا الأناجيل وحصرنا الأجزاء المختلفة من تعليم يسوع والتي لو١٥: ١-٧
ُوصفت بأنها " أمثال " فلسوف نجد أنها تتضمن ليس فقط هذه القصص مت١٣: ١-٩
التي صيغت على هيئة أمثال، بل سنجد أقوالاً أخرى من الطبيعي أن نصنّفها مر٤: ١-٩
بالأكثر على أنها تتضمن كل وسائل البلاغة مثل المجاز والتشبيه والرمز بل لو٨: ٤-٨
والأحجيات أيضاً .

الأمثال ومعانيها

والمثل الشعبى مثل "أيها الطبيب اشف نفسك" يسمى مثلاً . وهكذا لو٤: ٢٣
الحال تقريباً بالنسبة للقول الواقعي "كل ما يدخل الإنسان من الخارج لا مر٧: ١٥-١٦
يقدر أن ينجسه ... إن الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجس الإنسان". مت٥-٧
وبعض الأقوال في الموعظة على الجبل من نفس هذه النوعية أيضاً، حيث ترسم صورة حية لشيء مألوف : الملح، النور، المدينة، وبواسطتها يفسر يسوع رسالته .

وكثير من الصور التي تناولها يسوع في إنجيل يوحنا تستخدم أيضاً نفس
النوعية من التشبيهات المجازية لتوضيح رسالته . حيث يصف يسوع نفسه يو١٠: ١-١٨،
بأنه "الراعي الصالح" أو "الكرمة الحقيقية"، ثم يشبه عمل تلاميذه بجني يو١٥: ١-١١
الحصاد، ويشبه نفسه بالخبز وماء الحياة . يو٤: ٣١-٣٨

وتعليم يسوع مليء بأقوال الأمثال المشابهة لهذا، غير أنه عند مناقشة يو٦: ٣٥
تعليم يسوع، فإنه من المعتاد ومن المناسب أن نحتفظ بكلمة "مَثَل" بالنسبة يو٧: ٣٧-٣٩
للقصص الحقيقية التي قالها يسوع .

أمثال أم تشبيهات مجازية ؟

الطريقة التقليدية لفهم قصص الأمثال هذه هي اعتبارها تشبيهات مجازية. والتشبيه المجازي هو قصة مفصلة عن موضوع ما، كُتبت بطريقة تبدو معها وكأنها تتناول شيئاً مختلفاً تماماً .وكتاب "جون بنيان John Bunyan " "سياحة المسيحي"يعد مثالاً شهيراً على هذه النوعية من الكتابة . وفي هذا الكتاب يبدو " بنيان Bunyan " وكأنه يروي قصة رجل في رحلة . ولكن الرحلة غريبة جداً، والشخصيات أكبر بكثير من الحياة، حتى إن هذا لا يحدث إطلاقاً في رحلة . فهو يصف الأمور التي وقعت في حياة شخص مسيحي، منذ أصبح مسيحياً وحتى نهاية حياته .

يو١٥: ١-١١ ونجد مثل هذا التعليم في بعض أجزاء العهد الجديد . ففي إنجيل يوحنا على سبيل المثال، هناك التشبيه المجازى عن الكرمة والأغصان .. وفي هذه القصة يبدو يسوع هنا وكأنه يشرح الوسائل التي من خلالها تثمر الكرمة عنباً، إلا أنه حين بدأ في الكلام عن غصن الكرمة الذي قرر أن يقطع نفسه عن الساق الرئيسي للنبات، أصبح من الواضح أنه لا يعطي درساً عن كيفية زرع العنب، بل كان يتحدث عما يعنيه أن يكون الشخص من تلاميذه .

وعلى الرغم من أنه لا توجد في الأناجيل إلا أمثلة قليلة من الصور المجازية، إلا أن معظم الحالات نجد أن طريقة فهم الناس للأمثال لا هي أمينة بالنسبة للهدف الأساسي الذي قصده يسوع في تعليمه ولا هي مفيدة بالمرة. لنأخذ على سبيل المثال قصة السامري الصالح، فطبقاً لما قاله لوقا فقد قال
لو١٠: ٢٥-٣٧ يسوع هذا المثل في معرض رده على سؤال "من هو القريب ؟" وفي النهاية أخبر يسوع صاحب السؤال بأن يفعل كما فعل السامري في القصة. ومع ذلك، ففي غضون فترة قصيرة كان المسيحيون يفسرون هذه القصة تفسيراً مجازياً، ناسين حقيقة أنها كانت رداً على سؤال عملي .



كثير من الصور البلاغية التي كان يسوع يستخدمها كانت مأخوذة من الحياة الزراعية . وفي أحد الأمثلة يصف صاحب الكرم الذي رفض المستأجرون أن يشركوه معهم في ثمار الكرم.

أين تجد أمثلة يسوع

	متّي	مرقس	لوقا
مثل الزارع	١٣: ١-٢٣	٤: ١-٢٠	٨: ٤-١٥
الزوان فى الحقل	١٣: ٢٤-٤٣		
حبة الخردل	١٣: ٣١-٣٢	٤: ٣٠-٣٢	١٣: ١٨-١٩
الكنز المخفي	١٣: ٤٤-٤٦		
العبد غير المتسامح	١٨: ٢٣-٣٥		
السامرى الصالح			١٠: ٢٥-٣٧
صديق منتصف الليل			١١: ٥-٨
الغني الغبي			١٢: ١٣-٢١
الوليمة العظيمة			١٤: ١٥-٢٤
الخروف الضائع	١٨: ١٢-١٤		١٥: ١-١٠
الابن الضال			١٥: ١١-١٤
وكيل الظلم			١٦: ١-١٣
الغني ولعازر			١٦: ١٩-٣١
قاضى الظلم			١٨: ١-٨
الفريسى والعشار			١٨: ٩-١٤

الفعـــــلة فى الكرم	٢٠: ١-١٦		
مثل الأمناء			١٩: ١١-٢٧
الكرامـــين الأشرار	٢١: ٣٣-٤٦	١٢: ١-١٢	٢٠: ٩-١٩
ولـــــيمة العرس	٢٢: ١-١٤		
العبد الأمـــــين	٢٤: ٤٥-٥١		
العــذارى العشر	٢٥: ١-١٣		
الوزنـــــــات	٢٥: ١٤-٣٠		

الأقوال السبعة في إنجيل يوحنا والتي بدأها يسوع بقوله "أنا هو"، جاءت شبيهة بأمثال وهي :

خـــــــبز الحياة	يوحنا ٦: ٣٥-٤٠
نـــــــــور العالم	يوحنا٨: ١٢-١٣
البــــــــــاب	يوحنا١٠: ٧-١٠
الراعى الصــــــالح	يوحنا١٠: ١١-١٨
القيــــــامة و الحياة	يوحنا١١: ١٧-٢٧.
الطريق و الحق و الحياة	يوحنا١٤: ١-٧
الكــــــرمة الحقيقية	يوحنا١٥: ١-١١

وطبقاً لما قاله أحد مفكري القرن الرابع "اغسطينوس" فإن الرجل الذي نزل من أورشليم إلى أريحا هو آدم . وأورشليم كانت تمثل مدينة السلام الإلهيــة التى سقط منها، وأريحا كانت تشير إلى الموت الذي ورثه الجنس البشرى نتيجة سقطة آدم . أما اللصوص فكانوا يرمزون إلى الشيطان وملائكته، الذين جرّدوه من خلوده . أما الكاهن واللاوي اللذان عبرا من الجانب الآخر فيرمزان إلى الكهنوت وخدمة العهد القديم، واللذان لم يقدرا أن يخلّصاه . أما السامرى الصالح فكان المسيح نفسه، وقيامه بتضميد جروح المسافر يشير إلى كبح الخطية، وأما الزيت والخمر اللذان صبّهما على جراحه فيرمزان إلى تعزية الرجاء

والتشجيع على العمل بجد . أما الدّابة فترمز إلى الجسد الذي جاء بـه يسـوع إلى الأرض، والفندق يشير إلى الكنيسة، وصاحب الفندق هو الرسـول بولـس . أمـا الديناران اللذان أعطيا له فهما وصيتا محبة ا لله ومحبة القريب .

ولا شك أن هذه قصة رائعة ترمز إلى قصـة الخـلاص بأكملهـا، ومـن بـاب الأمانة، علينا أن نتذكر أن أغسطينوس يخبرنا أنه تمتع تماماً بتفكيره في هذا الأمر. غير أننا في المحصلة النهائية علينا الاعتراف بأن مثل هـذا التفسـير لا يتصـل تمامـاً بقصة السامري الصالح . وهذه " المعاني الروحية " ُخلعت على القصة و لم تأت منها . وفي تفسير أغسطينوس لها، لا نجد بأية حال إجابة على السؤال الأساسـي الذي طرحه ذلك الشخص على يسوع .

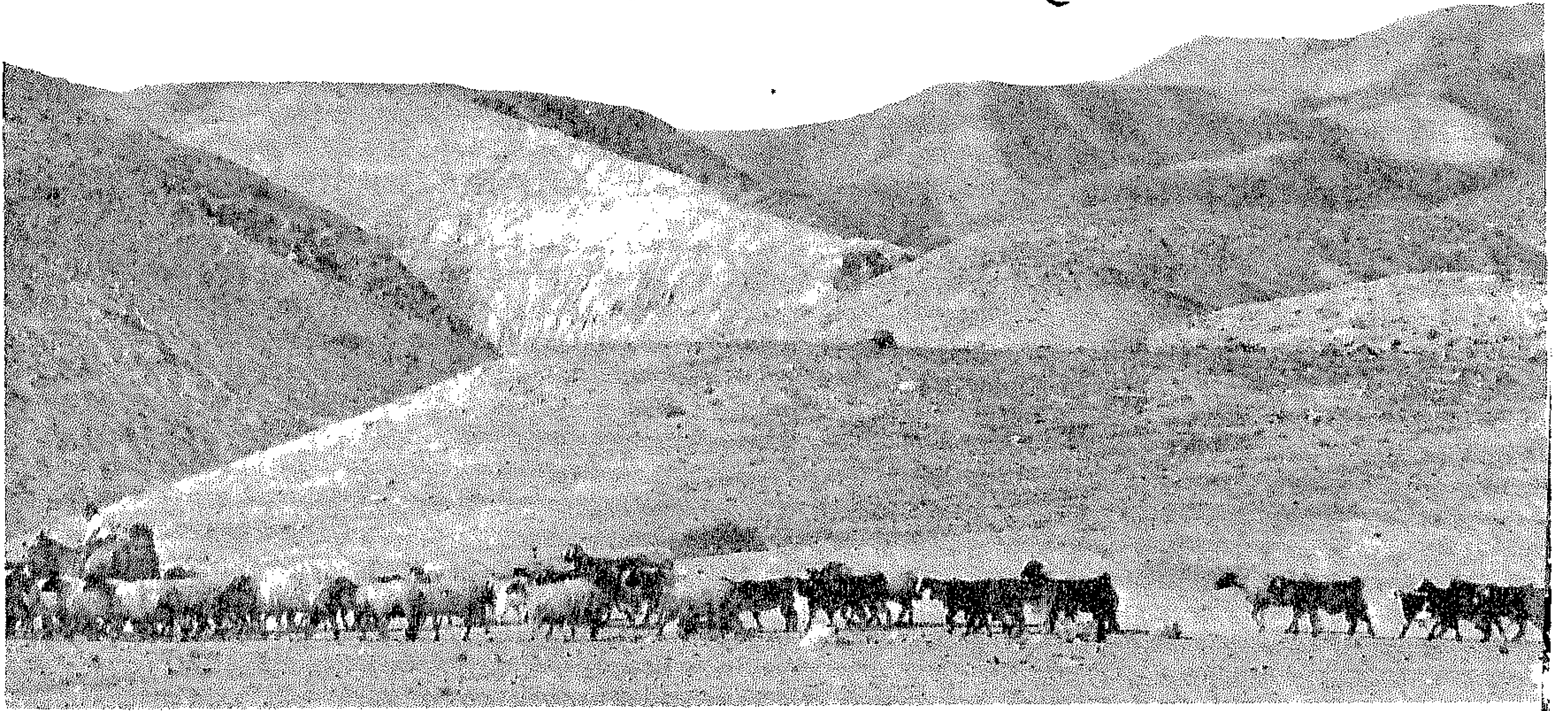
القصـد من الأمثال

قد تتملكنا الدهشة إلى حد ما حين نكتشف أنه قبـل نهايـة القـرن التاسـع عشر لم نكن قد أدركنا تماماً عبثية هذا المنهج من التفسير . وحين بـدأ البـاحثون يقرأون العهد الجديد كوثيقة تاريخية، أدركوا أنه ربما قد استخدم يسوع الأمثـال بنفس الطريقة التي كان يستخدمها معلمـون آخرون في العـالم القديـم . وبعـد مقارنة أساليب يسوع في التعليم بالطريقة التي استخدمت فيها الأمثال في الأدب اليوناني، أشار مفكـر ألمـاني هـو "أدولـف جوليكـر Adolf Julicher" أن يسـوع استخدم الأمثال مثلما يستخدم الوعّاظ في العصر الحديث الرسـوم التوضيحيـة . و لم يكن يقصد أن يصل بهـا إلى معنـى خفـي في كـل تفصيلـة، بـل كـان بكـل بساطة يصور ويوضح نقطة معينة .

وهكذا فإن النقطة الرئيسية في مثل السامري الصالح هي أن الشخص الـذي أثبت أنه قريب حقيقي لم يكن أحد المتدينـين اليهـود بـل واحـد مـن السـامريين المحتقرين المكروهين . وجميع التفصيلات الأخرى التي تضمنتها القصة مثل الدابّة، والفندق، والزيت والخمر، ما كانت إلا تصويـراً مجازيـاً رائعـاً للمشـهد لإضفـاء الواقعية والإثارة على القصـة . و لم تكـن لهـا علاقـة بالنقطـة الأساسـية لمـا كـان يسوع يحاول قوله .

وإذا ما أدركنا هذه الحقيقة، فلسوف نتخلص من بعض مشاكل التفسير الحقيقية . ذلك أنه في بعض الأمثال نجد أن الشخصيات الرئيسية ليست في الواقع من نوعية الناس الذين يشعر المسيحيون بأنه ينبغي تقليد تصرفاتهم . فعلى سبيل المثال، هناك وكيل الظلم الذي حصل على ثناء سيده عندما تلاعب في الحسابات لمصلحته . فهل يسوع يمتدح حقاً مثل هذا التصرف ؟

الإجابة هي لا بالطبع . وحين ندرك أن الغرض الرئيسي من المثال هو أننا ينبغي أن نتمثل ببعد نظره في أن يكون مستعداً لمواجهة أي كارثة في الحياة، هنا نستطيع أن نعرف أن بقية القصة ما هي إلا مجرد تصوير واقعي لموقف تم تخيله.



في أيامنا هذه، وكما كان الحال في أيام يسوع ترعى الخراف والجداء معاً وقد استخدم يسوع صورة الراعي الذي يفصل الخراف عن الجداء ليوضح لنا الدينونة الأخيرة.

وتواصلاً لأفكار جوليكر الهامة بدأ مفكرون آخرون في محاولة اكتشاف المعنى الحقيقي لأمثال يسوع، ومن أشهرهم بروفسور "دود" في إنجلترا، و"بروفسور يواقيم جيرمياس " في ألمانيا، وكلاهما يتفقان مع "جوليكر " في أن الأمثال بوجه عام لا تتضمن سوى درس واحد، على الرغم من أنهم رأوا أيضاً أن موضوع الأمثال لا يتضمن أحد الحقوق الأخلاقية التي يتم تعميمها (كما كان جوليكر يعتقد) بل أن موضوع الأمثال هو مجيء مجتمع الله الجديد . ومع ذلك اقتبس " دود " و"جيرمياس" عن " جوليكر " افتراضات معينة كانت عرضة للتشكيك منذ عهد قريب من قِبَل الباحثين الآخرين للعهد الجديد :

• رغم أنه صحيح بوجه عام أن كل مثل من أمثال يسوع كان يتضمن نقطة رئيسية واحدة، إلا أن الأمر يكون مضللاً عند الإصرار على القول بأنه لم يكن هناك مثل على الإطلاق كانت له أكثر من نقطة واحدة رئيسية . فمن الواضح تماماً أن بعض الأمثال كانت تتضمن أكثر من درس واحد تُعلمه .

مت٢٥: ١٤-٣٠ ففي مثل الوزنات -على سبيل المثال- يبدو أنه كان على الأقل يتضمن
لو١٩: ١١-٢٧ نقطتين بسيطتين . فالقصة تتحدث عن رجل مسافر قسّم نقوده بين عبيده بغية
الاحتفاظ بها في أمان . وحين يعود يكافىء العبيد بطرق مختلفة طبقاً
لاستخداماتهم المتباينة التي استغلوا فيها نقوده . فالنقطة الأساسية لهذه القصة
يجب أن تكون على تأكيد الصلة بين المسؤلية الفردية والدينونة الأخيرة. ولكننا
نجد تشديداً آخر يمكن أن يكون له أهمية مماثلة، لأن السيد لم يتقيد بالتزامه
القانونى أو الأدبي، فقد كان كريماً إذ استأمن عبيده على ممتلكاته . أما مثل
وليمة العرس، يبدو أنه يدور تماماً حول نفس هاتين النقطتين، ومن الطبيعي أن
مت٢٢: ١-١٤ كلاً منهما كان يشكل جزءاً هاماً من تعليم يسوع عن طبيعة أبيه .

لو١٤: ١٥-٢٤
• على الرغم من أنه لا يجب تفسير معظم الأمثال تفسيراً مجازياً، إلا أن
كثيرين من المفسرين يدركون الآن أن هذا لا ينطبق على الأمثال كافة. ومثل
الزارع يتضمن معنى مجازياً : فنوعيات التربة المختلفة قيل إنها تمثل أنماطاً مختلفة
مت١٣: ١-٩ من الناس الذين يسمعون رسالة يسوع . وكثيراً ما يثار جدل بأن هذا التفسير
مر٤: ١-٩ لا يعود إلى يسوع نفسه، بل نشأ في الكنيسة الأرضية، في وقت كان المسيحيون
لو٨: ٤-٨ يحاولون فيه تفسير السبب في أن أناساً قليلين هم الذين يتجاوبون مع وعظهم .
مت١٣: ١٨-٢٣ ولا شك أن مَثَل كهذا يساعد في الإجابة على سؤال كهذا . إلا أنه إذا حذفنا
مر٤: ١٣-٢٠ تفسير المثال هذا على اعتبار أنه لا يتضمن سوى معنى ثانوى، ربما أضيف في
لو٨: ١١-١٥ وقت لاحق، فإنه ستظل أمامنا مشكلة تفسير النقطة الرئيسية بحسب ما تحدّث
عنها يسوع لأول مرة . والحقيقة هي أنه من الصعب جداً معرفة ما هو المعنى
الآخر الذي يمكن أن يتضمنه .

مت٢١: ٣٣-٤٥ وهناك مثال أكثر من هذا يلفت النظر نجده في حالة مَثَل الكرامين الأشرار.
مر١٢: ١-١٢ والقصة تتحدث عن رجل قام بتأجير كرمه لكرامين نظير إيجار يتضمن جزءاً من
لو٢٠: ٩-١٩ محصول العنب السنوي . ومع ذلك ، عندما أرسل عبيده ليتسلموا نصيبه من المحصول قام المستأجرون بضربهم وقتلهم . وبعد أن تكرر حدوث هذا عدة مرات، أرسل الرجل ابنه، معتقداً أنه سيقابل باحترام أكبر. ولكنه لاقى أيضاً نفس المصير . ولذلك حين جاء صاحب الكرم أخيراً إلى الكرم، كان من المحتم أن يهلك هؤلاء الكرامين الأشرار . وفي هذه القصة فإن التفسير المجازي يبدو أنه المعنى الوحيد الممكن . وإذا لم تكن إسرائيل هي الكرم، والأنبياء لم يكونوا هم العبيد الذين أرسلهم سيدهم (الله)، ويسوع نفسه هو الابن، فلسوف لا يكون للمثل كله أي معنى .

وعلى هذا فيبدو أنه من الحكمة تبنيّ موقفاً أكثر مرونة، وندرك أنه برغم أن الأمثلة لا تحتاج عادة إلى تفسير مجازى، إلا أن بعضها قد يحتاج إلى ذلك .



في مثل الزارع شبه يسوع استجابة سامعيه بزرع البذار، فالبعض منها وقع على الأماكن المحجرة.

• يؤكد كلٌ من "دود " و"جيرمياس" أهمية فهم الأمثال في سياقها التاريخي الأساسي . ولأنهما يصرّان على هذه النقطة فقد بذلا جهداً كبيراً لمحاولة اكتشاف المعنى الحقيقي لأمثال يسوع لسامعيه، وبعد ذلك بالنسبة للمسيحيين الذين كانوا أول من كتبوها . إلا أن مفسرين آخرين بدأوا الآن يدركون أن هناك بُعداً مخفياً في الأمثال يعطيها مذاقاً مميزاً لا نجده في بقية العهد الجديد .

وبصفة عامة نستطيع أن نقول إنه قبل أن يكون بمقدورنا أن نتأكد ما الذي يعنيه العهد الجديد بالنسبة لنا في أيامنا هذه، نحن في حاجة إلى معرفة ما الذي كان يعنيه بالنسبة لأولئك الذين قرأوه أولاً . ولكن الأمر في الحقيقة ليس هكذا بالنسبة للأمثال . لأنها تشبه عمل إنسان عظيم بأكثر مما هي عمل لاهوتي واع بذاته . ثم إن سماتها وأوضاعها لها في المقابل طابع شامل يمكن أن يفهمه أي شخص، ذلك أنها تتناول الاحتياجات الضرورية للإنسان . ولسنا بحاجة إلى أي بصيرة خاصة لفهم مثل الابن الضال، أو الوزنات، أو العمال في الكرم . فإن معناها ودعوتها تتضح لنا عند قراءتها .

الأمثال ورسالتها

ولكن ما هي رسالة الأمثال ودعوتها ؟ في معناها الأوسع، موضوع الأمثال هو مجيء مجتمع الله الجديد، أو "الملكوت". وهذا ما تشير إليه بوضوح كثير من الأمثال التي تبدأ بعبارة "يشبه ملكوت السموات...". وبسبب هذا، فإن المعنى الدقيق الذي نراه في الأمثال يعتمد إلى حد ما على ما نعتقده بالنسبة لما سيكون عليه المجتمع الجديد . فإذا ما اعتقدنا – مع البرت شويتزر – أن تدخّل الله المثير والعاجل في شؤون المجتمع الإنساني هو أهم شيء فيها، فمن الطبيعي والحالة هذه أننا سنرغب في فهم التعليم التي تقول به الأمثال في هذا السياق . ومن ناحية أخرى، فإننا إذا اتبعنا منهج " دود " فإننا نجد صعوبة في أن نجد في الأمثال آثاراً لأمور أخروية قد تحققت .

مت١٣: ٢٤ و٣١ و٣٣ و٤٤

إلا أن رسالة الأمثال الحقيقية هي أكثر تعقيداً من أي من هذه البدائل . فإذا ما تأملناها معاً كمجموعة فسوف يتضح أن رسالتها تهتم بأربعة موضوعات رئيسية، كل منها يفسر بعض الحقائق الهامة عن مجتمع الله وتأثيره في حياة أولئك الذين يشكلون جزءاً منه .

المجتمع وسيده

معظم المجتمعات تتأثر تأثيراً كبيراً بشخصية قائدها أو قادتها . فالحاكم المستبد لن يجد صعوبة في حمل شعبه على تبنّي نفس المواقف . أما القدوة التي توجد في حاكم متحرر رحوم فهي دائماً ما تشجع شعبه على أن يشاركوه في وجهة نظر مماثلة . والمجتمع الجديد الذي أقامه الله ينطبق عليه هذا الكلام . فهو يستمد طابعه وشكله من الله الذي هو سيده .

لوقا١٥: ١–٧
متى١٨: ١٢–١٤

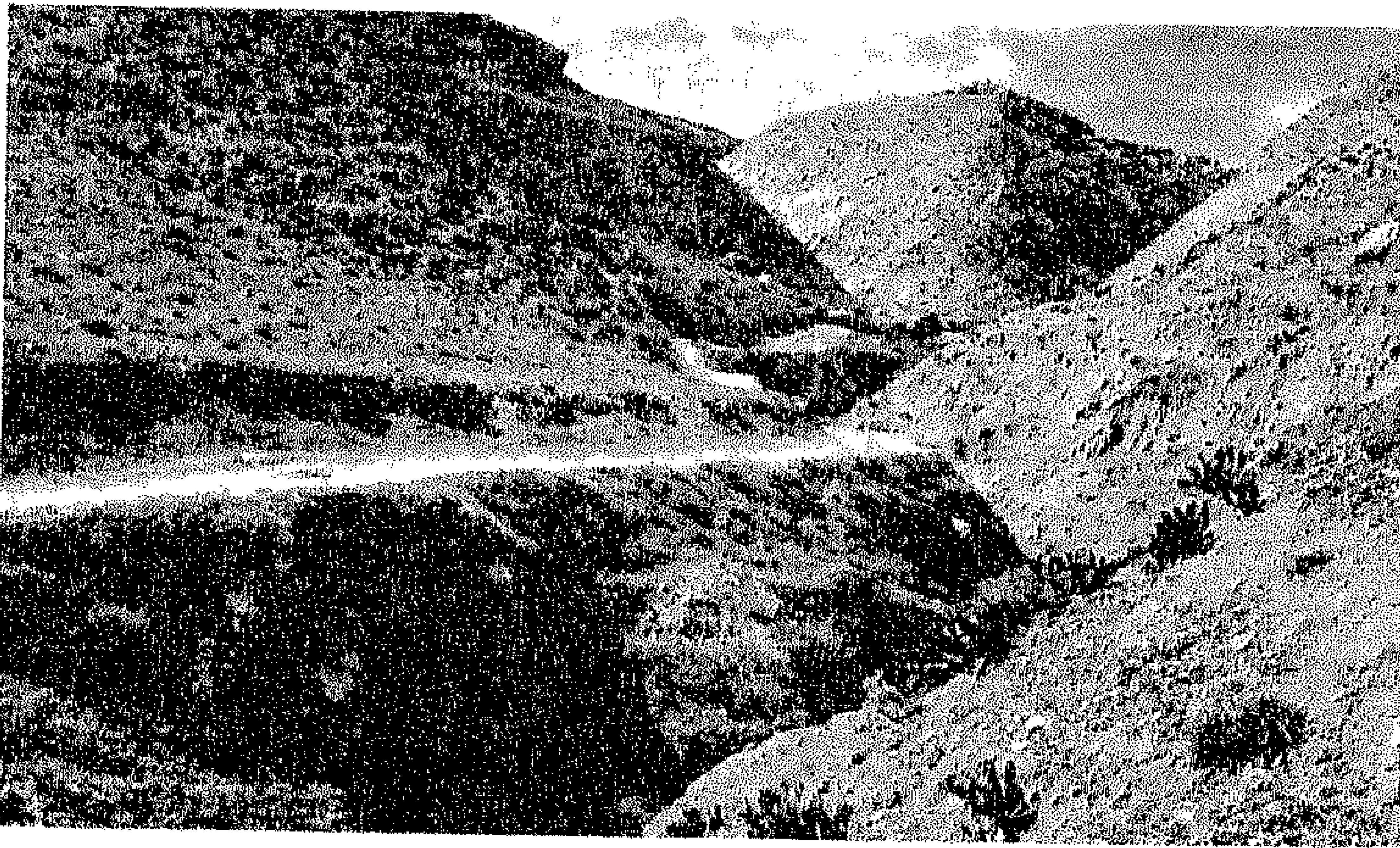
وعلى هذا، فلا تأخذنا الدهشة حين نجد أن عديداً من الأمثال تخبرنا بأمور هامة عن طبيعة الله نفسه. فقصة الخروف الضال تشرح لنا الحقيقة الجوهرية وهي أن الله إله نعمة : فهو يأخذ المبادرة في إيجاد وإعادة أولئك الذين بسبب الخطية أصبحوا في تنافر مع مشيئته . وهو يهتم بكل واحد من مخلوقاته ضل طريقه في الحياة، وتراه يبحث عن هذا الضال حتى يستعيده. والأمثال الأخرى

لوقا ١٥: ٨-١٠ في لوقا ١٥ - الدرهم المفقود والابن الضال تؤكد أيضاً محبة الله للخطاة.

لوقا ١٥: ١١-٣٢ ومحبته التي لا نستحقها عظيمة جداً حتى إن الله يعمل كل ما في وسعه كي يجدنا، ولن يقنع حتى يستعيدنا تماماً، مثل الابن الضال.

متى ٢٠: ١-١٦ ويتضح مدى كَرَم الله على وجه الدقة في قصة عمال الكرم. حيث يتحدث فيها يسوع عن سيد استأجر رجالاً ليعملوا في كرمه. وقد بدأوا العمل في أوقات مختلفة من النهار. وحين جاء وقت استلام أجورهم لم يكن بعضهم قد عمل سوى ساعة واحدة، في حين أن آخرين قد عملوا النهار كله، ولكن السيد أعطاهم كلهم نفس الأجر. ولم يغش أحداً منهم، لأن أولئك الذين بدأوا العمل من أول النهار وافقوا مقدماً على الأجر الذى سيتقاضونه. لكن السيد كان كريماً مع الذين بدأوا العمل في ساعة متأخرة من النهار. وقال يسوع إن ملكوت السموات يشبه هذا. والله بالطبع، هو سيد هذا الملكوت، وهو كريم بلا حدود. والذين ينضمون إلى مجتمعه في اللحظة الأخيرة يلقون ترحيباً كبيراً مثل أولئك الذين كانوا أول من طرقوا بابه.

وقد يبدو لنا من هذا أن الله غير عادل إلى حد ما، لأنه من المؤكد أن الذين جاءوا مبكراً يستحقون أكثر من الذين بدأوا العمل في وقت متأخر من النهار.



قصة السامرى الصالح أشارت إلى طريق أريحا سيىء السمعة، حيث يخترق منطقة منعزلة، الأمر الذي يجعله مأوى مثالياً يختبىء فيه اللصوص.

وهذا هو السؤال الذي حاول جوليكر أن يجيب عليه حين قال إن المثل في العادة لا يدور إلا حول نقطة واحدة - وفي حالة المثل الذي نحن بصدده لا شك أنه كان على حق- لأنه توجد أقوال أخرى كثيرة ليسوع تبين أن الله يستجيب دون حدود لحاجات كل شعبه . وهناك - على سبيل المثال - قصة الصديق الذي جاء ليطلب طعاماً في منتصف الليل، والتي استخدمها لوقا ليؤكد
أن الله راغب تماماً في الاستجابة لصلواتنا . "اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . لوقا١٨:١-٨
اقرعوا يفتح لكم". وهناك مثال آخر نجده في قصة قاضي الظلم والتي تؤكد نقطة لوقا١١:٥-٨
مماثلة . لوقا١١: ٩

ثم إن هناك الأقوال التي تضمنتها الموعظة على الجبل، والتي برغم أنها ليست قصة أمثلة، إلا أنها دون شك تُعد أمثلة بكل ما في الكلمة من معنى . "انظروا إلى طيور السماء . إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن . وأبوكم السماوي يقوتها . ألستم أنتم بالحري أفضل منها.. ولماذا تهتمون
باللباس . تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو . لا تتعب ولا تغزل ... فإن كان مت٦:٢٦-٣٠
عشب الحقل ... يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان". فالله يهتم بشعبه، بل ويهتم حتى بأقل التفاصيل . لأنه أبوهم .

وهذا التأكيد على العلاقة الشخصية الوثيقة القائمة بين الله والذين يقرون بسيادته على حياتهم، يشكل واحداً من أكثر الأجزاء الرائعة الأساسية في
تعليم المسيح . ويسوع نفسه يخاطب الله باعتباره أباه . وفي إنجيل يوحنا، كثيراً مر١٤: ٣٢-٣٦
ما أُستخدمت علاقة الله بيسوع، والتي هي علاقة أب بابن لتأكيد طبيعة يسوع يو١: ١٤و١٨، ٥ :٤٣،
الإلهية، غير أنه في الأناجيل الثلاثة الأخرى كثيراً ما يتم التشديد على طبيعة هذه ٨: ١٩
العلاقة . فالله أب ليسوع ولذلك يمكن أن يُخاطب ويُعرف بنفس الأسلوب الوثيق الذي يخاطب به الابن أباه الجسدي . فيسوع كان يخاطب الله على هذا النحو . وقد دعاه " أبا " الآب، وهي الكلمة الآرامية بمعنى "أب" والتي تستعمل
في البيت، وقد سمح لتلاميذه أن يفعلوا نفس الشيء حين يخاطبون الله في الصلاة. مت٦: ٩، لو ١١: ٢

وهذه الطريقة في مخاطبة ا لله هي طريقة جديدة تماماً . وعلى الرغم من أن اليهود كانوا يخاطبون ا لله أحياناً "كأب"، إلا أنهم لم يستعملوا اللغة المألوفة التي كان يستعملها يسوع، وكانوا في العادة يبررون ذلك بالإشارة إلى قداسة ا لله وعظمته . لكن "إله" أمثلة يسوع ليس بعيداً أو خارج نطاق الاتصال بالعالم، ومن المؤكد أنه "قدوس"، وهو مختلف تماماً عن البشر في طبيعته . ولكنه ا لله الذى نستطيع أن نعرفه في علاقة شخصية كأبينا . والأكثر من ذلك أنه "أب" محب . وهو يسهر على كل الذين ينتمون إليه، ويهتم بأقل التفاصيل في حياتهم.

المجتمع والفرد

وأن نكون جزءاً من المجتمع الجديد الذي تحدث عنه يسوع، لا يعطينا ميزة معرفة ا لله بطريقة وثيقة وشخصية فقط، بل إن ذلك يضع علينا كذلك بعض المسئوليات . وهناك عدد من القصص التي قالها يسوع تؤكد على نوعية الاستجابة المطلوبة إذا كان لنا أن "ندخل الملكوت" .

في بداية إنجيل مرقس نجد أن الاتجاه الرئيسي لتعليم يسوع لُخص في
مر١: ١٥ الشعار: "فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"، ثم إن كثيرًا من القصص التي رواها يسوع تؤكد أهمية الابتعاد عن الخطية أي ممارسة التوبة كي تصبح عضواً في مجتمع
لو١٥: ١١-٣٢ ا لله. وقصة الابن الضال-على سبيل المثال- لا تؤكد فحسب على صلاح الآب وكرَمه بل أنها تبرز أيضاً أهمية أن يدرك الابن حماقته، وأن يكون راغباً في تغيير أسلوب حياته .

و لم تكن التوبة أبداً فكرة رائجة، لأنها تتطلب منا إقراراً بأننا ارتكبنا خطأ. وتعني وجود قدر معين من الخجل، وفقداناً لشيء من مكانتنا الأدبية. لكن يسوع أوضح تماماً أن أولئك الذين هم ليسوا مستعدين لتقبّل هذا لا يمكن أن
لو١٨: ٩-١٤ تكون لهم صلة حية مع ا لله . وأمامنا قصة الفريسي والعشار اللذين توجها للصلاة في الهيكل في نفس الوقت . وقد أخذ الفريسي يفتخر بإنجازاته الأخلاقية والدينية - قال هذا لله ، ومن ناحية أخرى، نجد أن العشار كان

مدركاً تماماً لعدم استحقاقه أن يتكلم إلى الله ، وكل ما استطاع أن يعمله هو أن يصرخ قائلاً : " اللهم ارحمني أنا الخاطىء " ولكن يسوع قال إن " العشار " وليس الفريسي، هو الذى " نزل إلى بيته مبرراً " من الله، لأنه أدرك أنه خاطىء، وجاء إلى الله دون أية إدعاءات روحية . وقد وضّح يسوع نقطة مماثلة في الغني الغبي، الذي اعتقد أن ثروته ستجعله في موقف طيب أمام الله . وقد
جعل تعليم هذه الأمثال واضحاً تماماً في قوله إن سيادة الله على حياتنا يجب أن   لوقا١٢: ١٣-٢١
تتقبلها في ثقة الأطفال "من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله" .   لوقا١٨: ١٧، مر١٠: ١٥

لكن التوبة والمغفرة ليستا نهاية المطاف . والواقع أنهما ليسا سوى بداية حياة تُقضى تحت سيادة الله نفسه . لأنه في مجتمع الله الجديد نتمتع بنوع جديد
من الحياة -"حياة أبدية" - أو الحياة الأفضل كما كان يسوع يطلق عليها في   يو٣: ١٥،٦: ٥٤،
بعض أقواله التي سجلها إنجيل يوحنا . فالحياة في مجتمع الله هي حياة يوجهها   ١٠: ٢٨،١٧: ٣
الله ويسيطر عليها . والذين دخلوا الملكوت بالتوبة ومغفرة خطاياهم يتوجب   مت٢٢: ٣٧-٣٨
عليهم أن يحبوا الله من كل قوتهم . ويجب أن يخدموه على أنه سيدهم الوحيد   مر١٢: ٢٩-٣٠
حتى إلى درجة إعطائه السيطرة المطلقة على حياتهم لأن هناك نتائج عملية هامة   مت٦: ٢٤،لو١٦: ١٣
سوف تظهر في طريقة حياتهم اليومية، ذلك أنهم يهتمون برأي الله وليس برأي   مت١٦: ٢٤-٢٦
الناس فيهم . وهذا نراه بصفة خاصة في مواقفهم تجاه الأمور الدينية . وعلى   لو٩: ٢٣-٢٥
الرغم من أن البعض قد يقبلون سيادة الله على حياتهم على مضض، إلا أن   مت٢١: ٢٨-٣٢
إخلاصهم أفضل من ذاك الذى يأتي أمام الناس بمظاهر كثيرة على عظم عبادته لله مع أنه في الحقيقة هو على خلاف ذلك .

وشعب الله يجب أن يعبده بروح تلك الأرملة التي وضعت في الخفاء فلسها   مر١٢: ٤١-٤٤،
الأخير في صندوق التقدمات في الهيكل فلا يجب أن يسلك في مظاهر زائفة حتى   لو٢١: ١-٤
يراهم الآخرون ويمتدحون صلاحهم . فهم يصلون ويصومون في الخفاء " فأبوك   مت٦: ٥-٦،١٦-١٨
الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية " .

• ولكن هذا ليس حجة لأن لا تعمل شيئاً . فالذين يقبلون سيادة الله في   مت٦: ٤

مت٢٥: ١٤-٣٠ حياتهم يجب أن يحسنوا التصرف فيما أعطاه الله لهم . عليهم التصرف
لوقا١٩: ١١-٢٧ كملتزمين، فيستعملون الخير الذي أعطاه الله لهم بطريقة ترضي الله، وعلى
لوقا ١٦:١-٨ مثال وكيل الظلم، عليهم أن يكونوا مستعدين للقاء سيدهم .

متى١٣: ٤٤ • والواقع أن طموحهم الأساسي في الحياة يجب أن يتعلموا المزيد عن الله وطرقه . وهناك اثنان من أقصر الأمثلة يوضحان ذلك، وهما المثلان اللذان
متى١٣: ٤٥ يتحدثان عن الكنز المخفي واللؤلؤة كثيرة الثمن . فالإنسان الذي يجد حقلاً فيه كنز مخفي لن يتراجع عن بيع كل سلعة كي يشتري هذا الحقل . وعلى مثال ذلك، إذا كان يبحث عن لآلىء جميلة، وتصادف أن رأى لؤلؤة رائعة فريدة، فلسوف يضحي بكل شيء كي يحصل عليها، وملكوت الله تشبه ذلك، فهي تستحق التضحية بكل ما نملك حتى نستمتع بعمل الله الحقيقي في حياتنا .

وهذا هو ما قصده يسوع حينما قال لتلاميذه : "ها ملكوت الله داخلكم".
لو١٧: ٢١ فقد مارس الله فعلاً قوة سلطانه على حياة أولئك الذين عرفوه كأب، والمجتمع الجديد يمكن أن يكون حاضراً في حياة الشخص الذي يعرف حقوق الله في حياته .

المجتمع والشركة

وفي ذات الوقت نكون مخطئين لو اعتقدنا أن رسالة يسوع قاصرة على النواحي الشخصية من ناحية معتقدات الفرد وحياته الدينية . فإن جزءًا كبيراً
مت١٨: ٢١-٣٥ من تعليمه يتناول علاقة شعب الله بالعالم ككل، وببعضهم البعض . والواقع أنه في مثل العبد غير المتسامح يبدو أن يسوع يشير إلى أن الطريقة التي يتعامل بها
مت٢٢: ٣٩،مر١٢: ٣١ الله معنا تعتمد من ناحية ما على الطريقة التي نعامل نحن بها الآخرين . وهناك أيضاً قول يسوع بأن محبة القريب تأتي في المرتبة الثانية في الأهمية بعد محبة الله.



الرعاة في مناطق التلال الوعرة في إسرائيل يحمون قطعانهم من الحيوانات المفترسة واللصوص. وقد أطلق يسوع على نفسه لقب "الراعي الصالح" الذي يهتم كثيراً بخرافه حتى إنه مستعد للموت عنهم.

وهذا معناه أن الذين يقبلون سيادة الله على حياتهم عليهم أن يسلكوا مثل أبيهم الذي في السموات . وكَرَم الله يشمل حتى المنبوذين في المجتمع، ويجب على أتباعه ألا يسلكوا بطريقة مختلفة . عليهم أن يسلكوا مثل السامري الصالح
لو ١٠: ٢٥-٣٧ في المثل الذي قاله يسوع . وقد طبّق يسوع هذا بنفسه، إذ حمل رسالة الله إلى المنبوذين في المجتمع . وهذا ما جعل التلاميذ يدركون أن ملكوت الله كان في الواقع الأمر حالاً في شخصه، وأنه بوسعهم أن يتمتعوا ببركاته الآن في الحياة الحاضرة .

وبالنسبة لأولئك الذين قبلوا بالحقيقة سيادة الله على حياتهم، فإن هذا الاختيار الجديد ينتظرهم . فهم لا يشاركون في علاقة جديدة مع الله نفسه، بل أنهم يلتزمون أيضاً كلّ تجاه الآخر في شركة جديدة من الاهتمام والمحبة المتبادلين.

وأخيراً يشير عدد من الأمثال إلى مجيء ملكوت الله في المستقبل . وهي تشير إلى مجيء يسوع كابن الله السمائي ذي القدرة الخارقة للطبيعة، كما تتحدث عن دينونة الإنسان الأخيرة . وقد ظن البعض أن هذه لم تكن سوى طريقة رائعة لتقديم التحدي الذي تمثله رسالة يسوع حين يسمعها الناس لأول مرة . إلا أنه بالنظر إلى اللهجة الرؤوية القوية التي تتسم بها غالبية اللغة التي أُستعملت، فإنه من الصعب عدم استنتاج أن يسوع كان يفكر في وقت ما في المستقبل حين يباشر الله سلطانه وحقيقته كملك بطريقة مرئية . وفي ذلك الحين، سيكون هناك يوم عظيم للحساب . فالذين يعلنون فقط أنهم يخدمون الله ولكنهم في واقع الأمر لا يفعلون ذلك سوف يُفرزون ويُبعدون عن أولئك
مت١٣: ٤٧-٥٠، الذين ينفذون حقاً مشيئة الله . و هذا هو الدرس الأساسي الذي نتعلمه من
١٣: ٢٤-٣٠، ٢٥: أمثلة شبكة الصيد المطروحة في البحر . ومَثل الحنطة والزوان، ومَثل الخراف
٣١-٣٣ والجداء .

وفي أمثال أخرى صُورت الذروة المستقبلية للملكوت كوليمة . وهذه نوعية من اللغة المجازية كثيراً ما كان اليهود يستخدمونها لوصف البركات الآتية في العصر المسياني . لكن صور المسيح الخاصة بالملكوت، توضح أنه ليس كل أحد
لو١٤: ١٥-٢٤ سيستطيع الدخول . والواقع أن مَثل العشاء العظيم يشير إلى أن المبتدئين
مت٢٢: ١-١٤ التقليديين لن يكون لهم مكان فيه على الإطلاق . فالذين سيشاركون في بركاته سيأتون من الشوارع وليس من المقادس .

وهناك تأكيد عظيم في إنجيل متّى على المسئولية الملقاة على عاتق أولئك
مت٢٤: ٣٦-٤٤،قارن الذين يعلنون أنهم شعب الله . وبالنظر إلى أنه ما من أحد يعرف اليوم أو
مر١٣: ٣٢-٣٧ وانظر الساعة التي سيتم فيها ذلك، علينا أن نكون في حالة استعداد دائم مثل العذارى
أيضاً مت٢٥: ١-١٣ اللواتي انتظرن وصول العريس .

وهذا العنصر في تعليم يسوع يسمو على الفروق الحادة التي نحب أن نصورها بين ما سيحدث في المستقبل وبين ما هو قائم الآن بالفعل .

وبالنظر إلى أن يسوع قد جاء، فقد أقبل أيضاً مجتمع الله الجديد بالفعل . وأولئك الذين يقبلون سلطان الله يشكلون الآن جزءاً من ملكوته . وأياً كان ما يُكشف عنه في المستقبل من أمور أخرى، فهو لن يكون بداية جديدة، بقدر ما سيكون تنفيذاً نهائياً لمضامين شيء سبق أن وُجد هنا بجوهره . وعلى الرغم من
مت١٣: ٣١-٣٢ أن مجتمع الله الجديد كانت له بدايات صغيرة ضئيلة، إلا أنها هي نفس نوعية
مر٤: ٣٠-٣٤ البداية التي لابد وأن تؤدي إلى نمو مذهل، ونموه سيكون على مثال حبة الخردل
لو١٣: ١٨-١٩ " وهي أصغر البذور " في العالم، ولكنها متى نمت تكون أكبر البقول .

الأمثال وسامعوها

قضى بعض الباحثين وقتاً طويلاً محاولين اكتشاف الموقف الحياتي (Sitz im Leben) لكثير من الأمثال، حيث كانوا يعتقدون أن عملهم هذا سيسهل لهم الوصول إلى معانيها المباشرة . غير أنه في معظم الحالات لم يكن في الإمكان التعرف بدقة على المواقف الحقيقية التي قال فيها يسوع بعض قصص معينة . لأنه، وعلى مثال الأجزاء الأخرى من الأناجيل، سُجلت الأمثال ليس باعتبارها جزءاً من سيرة يسوع الذاتية، تم ترتيبها ترتيباً زمنياً، بل سُجلت كرسالة تفسر تعليم يسوع واستمرارية علاقته لاحتياجات العالم والكنيسة .

وفي كثير من الأحيان تأتي الأمثلة وقد تضمنت كل منها قصة، وقد يشكل هذا إشارة ما إلى وضعها الحياتي الأصلي في خدمة يسوع . ولعله لا يتشكك أحد في أن مَثَل السامري الصالح قد قيل إجابة للسؤال "ومن هو قريبي" والذي وجهه إلى يسوع أحد القادة الدينيين اليهود . وهكذا أيضاً نجد أن المثال الذي قيل عن العبد غير المتسامح قاله يسوع رداً على سؤال بطرس عن عدد المرات
مت١٨: ٢١-٣٥ التي يسامح فيها شخصاً أساء إليه . كما أن يسوع قال أيضاً قصة الغني الغبي
لو١٢: ١٣-٢١ رداً على سؤال حول أفضل طريقة لتقسيم الميراث .

وهناك أمثلة قيلت في سياقات مختلفة وأناجيل مختلفة. فمثل الخروف الضال
لو١٥: ١-٧ نجده في إنجيل لوقا إلى جانب مثليّ الدرهم المفقود والابن الضال وكان ذلك في

مت١٨: ١٢-١٤ معرض الرد على شكاوي الفريسيين من أن يسوع يخالط الأشرار . وفي إنجيل متّى ذُكر نفس المثال لتشجيع التلاميذ على أن يكونوا "رعاة " أمناء للكنيسة . ومن الطبيعي أن يكون مفهوماً أنه ربما قال يسوع نفس القصة أكثر من مرة، واستخلص دروساً مختلفة في كل مناسبة منها . وكثيرون من الوعاظ يعيدون استخدام التوضيحات الجيدة .

ولكن الحقيقة هي أن هذه الأمثال تتميز بعدم وجود أية معلومات عن خلفيتها . فلا نعرف شيئاً عن الظروف التي قال فيها يسوع معظم الأمثال لأول
متّى ١٣ مرة . وهذا ما تؤكده حقيقة أنها ذُكرت في مجموعات في الأناجيل المختلفة .
مرقس٤ فإنجيل متّى يضم أصحاحاً كاملاً خصصه كله للأمثال وإنجيل مرقس يحتوي على
لو١٣: ١٨-١٦: ٣١ مجموعة مماثلة (برغم أنها ليست مطابقة) في حين أن لوقا يخصص جزءاً كبيراً تسود على غالبيته الأمثال .

لكي يوضح رسالته لمن جاءوا يستمعون إليه، كان يسوع يستخدم توضيحات مستمرة من الحياة اليومية.

بل وليس من المفيد حقاً، أن نحاول اكتشاف كيفية استخدام الأمثال في الكنيسة الأولى . فطلاب ما يسمى "بنقاد التنقيحات" وهو علم (دراسة السبب الذي من أجله كُتبت الأناجيل). فحصوا الطرق التي استُخدمت بها الأمثال المتباينة في الأناجيل المختلفة . وعلى سبيل المثال، يمكننا أن نعرف أن إنجيل متّى يحتوي على عدد من الأمثال التي تشير إلى مجيء ملكوت الله في المستقبل - وأننا نظن أن هذا الموضوع كانت له بعض الأهمية في الكنائس التي كان متّى يكتب لها. ومن ناحية أخرى يحتفظ لوقا بعدد من الأمثال، لا نجدها في الأناجيل الأخرى تتحدث عن مكان الشعوب غير اليهودية (الأمم) في مجتمع الله الجديد. والملاحظات التي من هذا القبيل بوسعنا أن نعرف منها أشياء قيّمة عن متّى ولوقا وقرّاء كل منهما. غير أنها تخبرنا القليل من ناحية أصل الأمثال نفسها أو معناها.



والمعنى الحقيقي للأمثال يجب أن يكون مرتبطاً بشكل وثيق بالدعوة التي توجهها لأولئك الذين يقرأونها أو يسمعونها . فهي تعطينا صورة عن الله

ومجتمعه الجديد، وهي تدعونا إلى أن نكرس أنفسنا دون قيد أو شرط لتقبّل مشيئته . وحين نعرف أننا نشبه الخروف الضال، أو المستأجرين الأشرار، أو الرجل الذي اكتشف كنزاً مخفياً في حقل، هنا فقط نكون قد شعرنا بتأثيره الكامل فينا . وفي التحليل الأخير، نجد أن الأمثال لا تخرج عن أن تكون التعبير عن حق الله في حياة البشر فهم يحتاجون إلى الميل إلى الفهم، والإرادة للطاعة .

لماذا علّم يسوع بالأمثال

هناك قول في إنجيل مرقس (مر٤: ١١-١٢) يبدو أنه يوحي بأن يسوع قال الأمثال وكان يتعمد أن يأتي تعليمه في أسلوب غامض بالنسبة لأولئك الذين لم يصبحوا بالفعل تلاميذه، وذلك على مثال ما قاله إشعياء "لكي يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم" وهذه الفكرة تأتي على النقيض من كل ما نعرفه عن يسوع، ومن ثم يتطلب الأمر بعض التوضيح. وهناك اقتراحات كثيرة قُدمت في هذا الصدد، نقتصر على ذكر اثنين منها.

● طبقاً لما يقترحه "دود" (وآخرون ممن يتبنون آراءه) هذا القول لم يصدر حقاً عن يسوع. بل أضافته الكنيسة الأولى لبيان سبب رفض الشعب اليهودي ليسوع. وكان ـ كما يقولون ـ جزءاً من حكمة الله نفسه، وعنايته الإلهية حيث قصد لهذا أن يحدث دائماً، ومع ذلك هناك حجتان ضد هذا الرأي.

أولاً : من المحتمل أن الجيل الأول من المسيحيين هم فقط الذين كانوا يهتمون اهتماماً بالغاً برفض اليهود ليسوع. و لم تكن المسحة اليهودية ظاهرة في الكنيسة إلا في مرحلة مبكرة جداً من نموها، وبعد دمار أورشليم على يد الرومان سنة ٧٠م، اختفى المسيحيون اليهود تقريباً من الكنيسة. ومن المؤكد أن ذلك لم يكن له إلا تأثير بسيط على الكنيسة بوجه عام. وهذا معناه أن المشكلة كانت في أقصى حدّتها ليس بعد الأحداث التي شهدها يسوع في حياته بالجسد بوقت طويل . وكلما اقتربنا من فترة حياة يسوع نفسه، قلّت الفرصة المتاحة للكنيسة للقيام بإضافات وتغييرات في تعليمه.

ثانياً : يتضمن إنجيل متّى قولاً مماثلاً، حيث اقتبس نفس الفقرة من إشعياء، وبالنظر إلى معرفتنا أن متّى كان بصفة خاصة مهتماً بالوضع النسبي لليهود والمسيحيين، فكنا نتوقع منه أن يحتفظ بنفس الكلمات تماماً مثل مرقس، إذا كان هذا القول يتعلق بالفعل برفض اليهود ليسوع. ولكن الحقيقة أن هذا القول في إنجيل متّى له مضمون مختلف بشكل طفيف. فهنا يقول يسوع :

"من أجل هذا أكلمهم بأمثال. لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون" (مت١٣:١٣).

● وهناك تفسير ثان يتناغم مع هذا القول في إنجيل متّى. وعلى أساس هذا الفهم لنا أن نفترض أن الكلمة المترجمة "لكي .. يبصروا" في إنجيل مرقس، قُصد بها في الواقع أن تكون بداية قول حقيقي، تماماً مثلما جاءت في متّى. والدليل الذي يؤيد هذا الرأي يمكن استخلاصه من مقارنة اللغة اليونانية التي كتب بها مرقس، بالأقوال الآرامية التي ربما كانت في خلفيتها. وهكذا فإن هذا القول لا يصف "الغرض" من التعليم بأمثال، بل العواقب التي لابد أن تحدث نتيجة عمل ذلك. فقد كان يسوع يشير إلى أن الأمثال لابد وأن تفصل بين أولئك الذين ينصتون إليها ببصيرة روحية عن أولئك الذين هم عميان من الناحية الروحية.

وهذا هو التفسير المرجح لأنه يتناغم مع ما رأيناه في أصحاح سابق عن موقف يسوع من حفظ مسيانيته سراً. كما أنه يتسق تماماً مع طبيعة الأمثال نفسها. فعلى الرغم من أنها لا تتطلب مجهوداً ذهنياً كبيراً، إلا أنها تتطلب درجة معينة من الالتزام وذلك لفهم ما يقوله يسوع.

والأمثال ليست أقوالاً فلسفية عن الحقائق المتعلقة بالله. فهناك معنى تُخفى فيه الحقيقة، لأن الأمثال تدعو سامعي يسوع إلى أن يفكروا بأنفسهم ما هي مضامين رسالته. وأولئك الذين لم يكونوا مهتمين بصفة خاصة، كان يمكن أن يسمعوا المثل، ثم لا يفهمون منه شيئاً سوى أنه مجرد قصة. إلا أنه إذا فكرنا قليلاً، فإن نفس القصة يمكن أن تكون صورة لله ومعاملاته مع البشر في المجتمع الجديد الذي جاء يسوع ليقيمه .

هل قصد يسوع تأسيس الكنيسة ؟

كثيراً ما تساءل الناس ما إذا كان يسوع قد قصد إقامة كنيسة. ونجد بالفعل في إنجيل متّى قولين يبدو أنهما يشيران إلى أنه فعل ذلك(مت١٦: ١٨-٢٠، ١٨: ١٧). غير أن بعض الباحثين يعتقدون أن هذه الأقوال وضعها متّى نفسه، ولم تأت مباشرة من تعليم يسوع."فألبرت شويتزر"، على سبيل المثال، وجد أنه يستحيل عليه التفكير في أن يسوع قصد أن يقيم كنيسة، لأنه كان يعتقد أن يسوع كان يتوقع نهاية سريعة للعالم. للعالم. لكن، حتى هؤلاء الذين لا يشاطرونه هذا الرأي كثيراً ما عارضوا فكرة أن يسوع كان مصمماً على أن يشرع في تأسيس كنيسة. أما "أدولف فون هارناك Adolf Von Harnack" واللاهوتيون التحرريون، فكانوا يرون أن يسوع مجرد مُعلّم أخلاقي بسيط. ولأنهم يعتبرون أن مفهوم الكنيسة لا يتناغم مع هذا، فقد انتهوا إلى أنها إقحام غريب تم في وقت لاحق على الإنجيل الذي كان في أساسه بسيطاً.

وبالرغم من أن قليلين في يومنا هذا هم الذين يوافقون على وجهة النظر هذه، إلا أنها تلفت بالفعل انتباهنا إلى حقيقتين هامتين يتطلب الأمر أن نتذكرهما حينما نتحدث عن يسوع والكنيسة :

● "الكنيسة" لا تعني بالضرورة نوعية الهيئة الدينية التي برزت في القرن الثاني والتي نألفها اليوم في المسيحية كمؤسسة، ولقد تحدث يسوع عن شخصين أو ثلاثة يجتمعون باسمه (مت١٨: ٢٠).

● وبالمعنى الدقيق، فإن وجود "الكنيسة" أثناء حياة يسوع يشكّل مفارقة تاريخية.

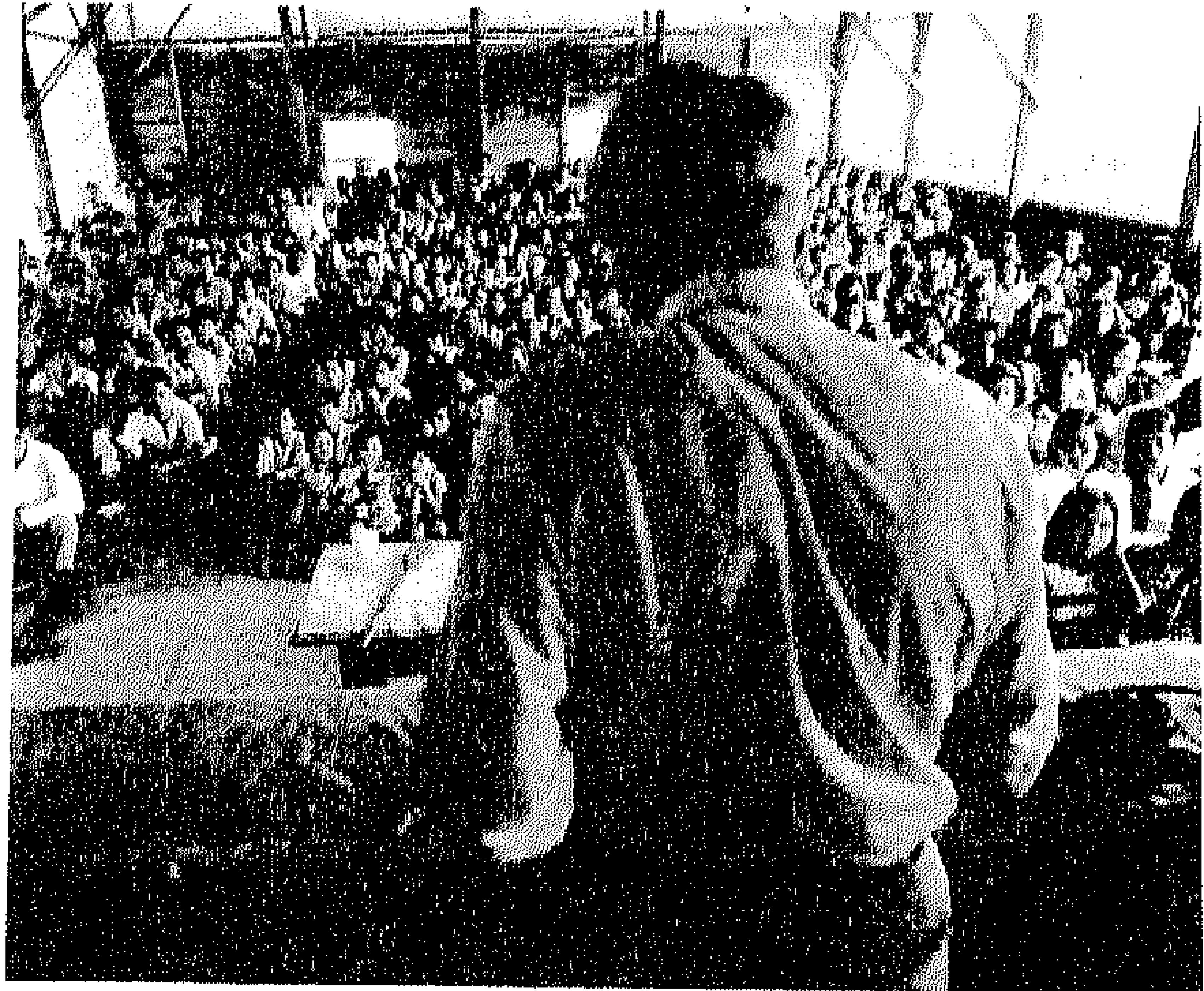
فالكنيسة في أسفار العهد الجديد ليست مجرد تجمّع من أناس لهم فكر متماثل نُظموا كمجتمع ديني. إنها شركة حية لأولئك الذين يشاركون في الخلاص الذي أعده الله من خلال حياة وموت وقيامة المسيح نفسه.

ولذلك هناك معنى ظهرت فيه الكنيسة إلى الوجود، ولكن بعد موت يسوع وقيامته. ويصف العهد الجديد انسكاب الروح القدس يوم الخمسين، على أنه اليوم الحقيقي لتأسيس الكنيسة (أع١: ٨، ٢: ١-٤).

ولذلك نحن في حاجة إلى إثبات صحة أي قول عن قيام يسوع بتأسيس الكنيسة. غير أنه توجد في الوقت ذاته دلائل قوية في الأناجيل بأنه من المؤكد أنه قصد تكوين جماعة من أولئك الذين كانوا يتبعونه.

● كل الأناجيل تصف يسوع بأنه الشخص الذي تحققت فيه كل الوعود المسيانية التي في العهد القديم، فالمسيّا الذي تحدث عنه العهد القديم قد جاء في المسيح. وهناك عنصر له أهميته في تطلعات العهد القديم تمثل في الاعتقاد بأنه حين يأتي المسيّا فلسوف يقيم مجتمعاً جديداً، وفي هذا المجتمع يتمتع شعب الله بعلاقة جديدة ووثيقة بينهم وبعضهم البعض. وكما سبق ورأينا، هناك مبرر قوي للاعتقاد بأن جوهر إدعاءات المسيح على الأقل يمكن أن نرجعه إلى تعليم يسوع نفسه، وإذا كان قد رأى في نفسه أنه المسيح فلسوف يكون من الطبيعي جداً أن يتصور تأسيس ما يمكن أن يطلق عليه صفة "مجتمع" بين أتباعه. والاسم الذي اعتاد يسوع أن يطلقه على نفسه باستمرار وهو "ابن الله" يحتوي أيضاً على هذا المعنى. وقد لا يكون من الصواب القول ـ كما يفعل البعض ـ أن كل مرة استخدم فيها يسوع هذا الاسم كان يقصد أن يضم

أتباع يسوع الأوائل لم ينخرطوا في أي تنظيم كنسي، إلا أن تجمع المسيحيين معاً للعبادة والتعليم أطلق عليه "كنيسة



تلاميذه معه. غير أنه ليس هناك شك أنه في سفر دانيال في العهد القديم نجد أن "ابن الإنسان" لم يكن فرداً بل كان عضواً يمثل "قديسي العلي" (دانيال٧: ١٣-١٨).

● حين نتأمل طرق وصف يسوع لعمله، وعمل ملكوت الله، كثيراً ما توحي كلماته أنه يتحدث عن جماعة من الناس ارتبطوا ليس بالله فقط، بل ومع بعضهم البعض أيضاً. فهو - على سبيل المثال - يتكلم عن نفسه كراعٍ، الأمر الذي يُستشف منه أنه لابد وأن يكون له قطيع (يو١٠: ١-١٨، لو١٢: ٣٢). وحين شبّه نفسه بالكرمة وتلاميذه بالأغصان كان من الواضح أنه يقصد أن يشير إلى أن الأغصان لها علاقة بين بعضها البعض، وأيضًا مع الساق الرئيسية (يو١٥: ١-١١). وكثير من الأشياء التي يقولها يسوع عن الملكوت ستكون صعبة الفهم ما لم نفترض أنه كان يدور في ذهنه صورة لمجتمع ما ظاهر مرئي (مت٢٣: ١٣، لو١٦: ١٦). ومن الثابت أن تعليمه الأخلاقي يختص بالحياة بين أتباعه في إطار شركة أو جماعة (مت٥: ٢٢، ٧: ٣-٥).

● أما الأكثر روعة، فهي حقيقة أن بعض الأمثال توحي بأن ملكوت الله لن يكون مجتمعاً جديداً فحسب، بل سيكون مجتمعاً مرئياً أيضاً. فأمثال من قبيل مَثَل حبة الخردل (مر٤: ٣٠-٣٢)، الحنطة والزوان (مت١٣: ٢٤-٣٠)، شبكة الصيد (مت١٣: ٤٧-٥٠)، العمال في الكرم (مت٢٠: ١-١٦)، ووليمة العرس (مت٢٢: ١-١٤) من الواضح أنها توحي بمجتمع منظم.

وعلى هذا يبدو من المعقول أن نستنتج أنه كان يدور بفكر يسوع تكوين مجتمع مستمر من أتباعه، وأن نوعية الكنائس التي جاء الحديث عنها في بقية العهد الجديد، أعطت صورة للمجتمع الذي قصد يسوع أن يقيمه.

الفصل الثامن

قـوة المجتمع الجديـد

مر ١: ٢٩-٣٤ من أكثر أجزاء الأناجيل روعة تلك القصص التي تتحدث عن يســوع.
مر ٤: ٣٥-٤١ وهو يعمل ما نسميه " المعجزات" فقد شفى المرضي، ومـارس سلطاناً على
مر ٥: ٢١-٤٣ قوى الطبيعة . وكان يقيم الموتى . ومن بين كل الموضوعات التي عرضت لها
لو٧: ١١-١٧ الأناجيل، فإن هذا الموضوع هو الذي يشكل لنا صعوبات كثيرة الآن .

يو ١١: ١-٤٤ ولا نجد عادة صعوبة حقيقية في فهـم تعليـم يسوع عـن الله، ومجتمعه الجديد. فحتى أولئك الذين لم يستطيعوا قبول تعليم يسوع على أنـه الحقيقـة الكاملة والختامية عن الله والعالم، فإنهم على الرغم من ذلك يحـترمون مُثُله، وكثيرون من غير المسيحيين يبذلـون جهـداً حقيقيـاً ليضعوا بعضهـا موضـع التنفيذ . ومعظم الناس، بما فى ذلك عدد من المسـيحيين، يجدون صعوبـة في الاعتقاد أن المعجزات التي سـجلتها الأنـاجيل قـد حدثـت بـالفعل . ولعلهـا تكون خرافات قديمة أو قصصاً خيالية، إلا أنه يوجد شعور على نطاق واسع أنه من غير المستحيل تمامـاً بالنسبة للنـاس في العصـر الحديـث أن يتقبلوهـا كحقائق فعلية .

وسبق أن لاحظنا عنـد تنـاول موضوعـات مثـل مـيلاد يسـوع أنـه مـن السهل تماماً اتخاذ مثل هذه الافتراضات المسبقة كذريعة لعدم تصديـق طبيعـة الدليل الحالي على مصداقية هذه الأحداث الرائعة . فهناك عدد كبير جداً من الناس يجدون صعوبة فى تقبـل إمكانيـة التدخـل الخـارق في العـالم الطبيعـي. ولكن الأسئلة التي تطرحها معجـزات يسـوع مـن الصعوبـة الإجابـة عليهـا. حيث أننا نميل مسبقًا نحو عدم الإيمان بالمعجزات . وهنـاك اعتبـاران آخـران لهما أيضاً أهميتهما :

بعض معجزات يسوع التي سجلتها الأناجيل

	متّى	مرقس	لوقا	يوحنا
شفاء حماة بطرس	٨: ١٤-١٥	١: ٢٩-٣١	٤: ٣٨-٣٩	
تحويل الماء إلى خمر				٢: ١-١١
صيد السمك الوفير			٥: ١-١١	
شفاء عبد قائد المئة	٨: ٥-١٣		٧: ١-١٠	
إسكات الريح	٨: ٢٢-٣٧	٤: ٣٥-٤١	٨: ٢٢-٣٥	
شفاء مجنون كورة الجدريين	٨: ٢٨-٣٤	٥: ١-٢٠	٨: ٢٦-٣٩	
شفاء المفلوج	٩: ١-٨	٢: ١-١٢	٥: ١٧-٢٦	
شفاء ابنة يايرس	٩: ١٨-٢٦	٥: ٢١-٤٣	٨: ٤٠-٥٦	
إقامة ابن الأرملة			٧: ١١-١٧	
إطعام الخمسة آلاف	١٤: ١٣-٢١	٦: ٣٠-٤٤	٩: ١٠-١٧	٦: ١-١٤
المشي على الماء	١٤: ٢٢-٣٣	٦: ٤٥-٥٢		
إطعام الأربعة آلاف	١٥: ٣٢-٣٩	٨: ١-١٠		
شفاء الأعمى في بيت صيدا		٨: ٢٢-٢٦		
شفاء المولود أعمى				٩: ١-١٢
شفاء ولد مصاب بالصرع	١٧: ١٤-٢١	٩: ١٤-٢٩	٩: ٣٧-٤٣	
شفاء عشرة برص			١٧: ١١-١٩	
إقامة لعازر من الموت				١١: ١-٤٤
شفاء بارتيماوس الأعمى	٢٠: ٢٩-٣٤	١٠: ٤٦-٥٢	١٨: ٣٥-٤٣	

أولاً : وقبل كل شيء، يجب أن نسأل أنفسنا ما إذا كانت قصص المعجزات تنسجم مع تعليم يسوع نفسه، ولاسيما التعليم الذي قدمه عن شخصه هو . وليس هناك شك في أنه إذا كانت الادعاءات التي فحصناها في الجزء الأول كانت في الواقع صحيحة، فإننا لن نجد أية صعوبة في قبول مصداقية قصص المعجزات . وليس معنى هذا أنه قد تم حل المشكلة بجملتها. فلا يستطيع المؤمن أن يثبت صحة المعجزات بمجرد الإشارة إلى افتراضاته المسبقة، مثلما لا يستطيع غير المؤمن أن يرفضها بالإشارة إلى اختلاف مفاهيمه المسبقة. فإنه من الضروري أن نستوعب استيعاباً تاماً الدليل نفسه.

المعجزات والدليل

واضح أنه من المهم أن ننظر بعين الناقد لكل مصادر معلوماتنا قبل نبدأ حتى في تأمل المشاكل الأكثر عمومية المتعلقة بفهم ما نسميه "المعجزات" .. لأنه إذا أمكن إظهار أنه لا يوجد دليل يُعتد به للإيمان أن يسوع قام فعلاً بعمل هذه الأعمال، فإننا بمقدورنا أن ننسى أمر كل الأسئلة الأخرى عن المعجزات .

قُصد بمعجزات يسوع أن تكون دعوة للإيمان . لقد رفض تحويل الحجارة إلى خبز ، لكنه استخدم خمسة خبزات وسمكتين لإطعام ما يقدر بخمسة آلاف شخص قضوا النهار كله يستمعون إليه.





عندما نبحث في التاريخ القديم يلفت نظرنا بشدة أن الدليل المستمد منه يدعم بوضوح بأنه كان هناك اعتقاد واسع النطاق بأن يسوع قام بأعمال رائعة من نوعية تلك التي ذكرتها الإناجيل . وهذا الدليل لم يأت من الأناجيل نفسها فحسب، بل وأيضاً من المصادر التاريخية غير المسيحية .

التاريخ اليهودي

قال يوسيفوس عن يسوع ما يلي: "في مثل هذا الوقت ظهر يسوع، وهو رجل حكيم، وإذا كان من المشروع حقاً أن نقول إنه إنسان، لأنه كان يقوم بأعمال عجيبة، وكان معلماً لأناس كانوا يسعدون بتقبل الحق . وقد جذب إليه كثيرين سواء من اليهود أو من الأمم . كان هو المسيح، وحين حكم عليه بيلاطس بالموت على الصليب، بناء على كلام رجال بارزين بيننا، فإن أولئك الذين كانوا يحبونه لم يتوقفوا عن محبته، لأنه ظهر لهم حياً في اليوم الثالث . وسبق للأنبياء المقدسين أن تنبأوا بهذا، وبعشرة آلاف شيء رائع عنه . وحتى يومنا هذا فإن جنس المسيحيين الذين تسموا باسمه لم ينقرض" .

وهذه الفقرة تثير مشكلة معينة، ولدى المفكرين آراء متباينة من ناحية مقدار ما كتبه يوسيفوس بصفة مباشرة مما جاء فيها . والمشكلة تتمثل في أن فقرة تقول صراحةً عن يسوع " إنه هو المسيح" . ولكننا بالطبع نعرف أن يوسيفوس لم يكن مسيحياً، وإنه لأمر رائع أن يصدر هذا القول الواضح عن شخص يهودي - حتى وإن كان مرتداً . وربما تكون هذه العبارة قد وُضعت في قول يوسيفوس بواسطة محرر مسيحي في وقت لاحق . وإما أن يكون يوسيفوس قد كتب في الأساس أن يسوع " دُعي المسيح" ثم عُدّل النص بناء على ذلك لكي تصبح إشارته أكثر وضوحاً . غير أنه على الرغم من هذا، فإنه لا يداخل معظم المفكرين أي شك بالنسبة لصداقية بقية ما جاء في وصف يوسيفوس ليسوع، والذى تضمن قوله إنه "كان يأتى أعمالاً عجيبة" .

وهناك دليل آخر استُقي من مصدر يهودي ورد في التلمود البابلي، حيث جاء به أن يسوع أُعدم لأنه كان يمارس الشعوذة وكان يضل الشعب. وهذا دليل مثير يماثل الدليل المستمد من الأناجيل، والذي يشير إلى أن اليهود لم تكن لهم أية خصومة مع يسوع بالنسبة لحقيقة قدرته المعجزية على الشفاء، وإنما كانت الخصومة حول مصدر هذه القدرة . فقد اعتقد خصومه اليهود أنه كان يعمل تحت سيطرة الشيطان "بعلزبول" – ولكن يبدو أنه لم يتوافر لهم سبب للتشكيك في حقيقة ما كان يعمله .

كرازة المسيحيين الأوائل

وهناك مصدر ثان للمعلومات (من المعترف به أنه هزيل) يتمثل في الدليل المستمد من كرازة الكنيسة الأولى، بحسب ما أعاد ترتيبه بروفسور "دود" . ومن بين عناصر الإعلان المبكر للإيمان المسيحي هو أن وعود العهد القديم قد تحققت في حياة يسوع وموته وقيامته . وفي مواضع عدة وُضعت خدمة يسوع بكل وضوح على أنها عمل المعجزات . فعلى سبيل المثال نجد
أع٢: ٢٢ أنه في اليوم الخمسين ُذكر عن بطرس أنه كان يتكلم عن "قوات وعجائب وآيات صنعها ا لله"بواسطة يسوع . وفي عظته لكرنيليوس وأهل بيته، نرى
أع١٠: ٣٨ إشارة إلى كيف أن يسوع "جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس لأن ا لله كان معه" .

ولسنا هنا في حاجة إلى الدخول في الموضوع المعقد الخاص بمصداقية نسبة هذه العظات إلى بطرس، لأنه بغض النظر عما إذا كان هو أساساً قائل هذه العظات، فإنها تشير بالفعل إلى أنه في مرحلة مبكرة كان المسيحيون يعتقدون أن يسوع قام بعمل معجزات . ثم إنه كان بمقدورهم اللجوء إلى مصادر غير مسيحية على أساس هذه المعجزات . فإذا أخذنا هذا مع الدليل المستمد من المصادر اليهودية، يبدو من الواضح أن معظم من كانوا يعرفون شيئاً عن خدمة يسوع كانوا يعتقدون أنه جاء بأعمال باهرة . وهذا الاعتقاد ليس له علاقة بما إذا كانوا هم أنفسهم مسيحيين أم لا .

قصص المعجزات في الأناجيل

إنه حين نأتي إلى الأناجيل نفسها نجدنا نواجه بعضاً من أصعب المشاكل المتعلقة بمعجزات يسوع، ويجب هنا مناقشة ثلاثة موضوعات رئيسية.

● بعض نقاد الصياغة، وهم من العلماء الذين يدرسون كيف كُتبت الأناجيل، يقولون إن قصص المعجزات في صياغتها الأدبية بالشكل الذي جاءت به في الأناجيل كثيرًا ما تجدها مشابهة لقصص موجودة في الكتابات الهيلينية. وهناك عدد من الباحثين لفتوا الانتباه بصفة خاصة إلى التشابهات بين قصص الإنجيل وقصص راءٍ وصانع معجزات كبد وكي يرجع تاريخها إلى القرن الأول، وُجدت في كتاب "حياة أبولونيوس Life of Apollonius" بقلم كاتب يعود إلى القرن الثالث اسمه "فيلوستراتوس Philostratus". وهذا بالطبع ما يمكننا توقعه، لأن قصص معجزات يسوع كُتبت أولاً بمعرفة أناس يتكلمون اليونانية، كان من الطبيعي أن يستخدموا الصيغ الأدبية والمصطلحات التي كانت مألوفة بالأكثر لهم. وليس مستغرباً أن أدباء يكتبون عن نفس النوعية من الأحداث وفي نفس الوضع الثقافي أن يستخدموا لغة مماثلة.



كان يسوع في سفينة مع تلاميذه في بحيرة الجليل حين هبت عاصفة. وقد تحول خوف التلاميذ إلى دهشة حين رأوا يسوع يسكت الريح. وكانت أول معجزة له تبين سلطانه على قوى الطبيعة.

وزيادة على ذلك، "فالتشابهات" التي قيل إنها موجودة بين أبولونيوس ويسوع تؤيد أصالة تقاليد الإنجيل. فالقصص الهلينية لا ترجع إلى تاريخ لاحق للعهد الجديد فحسب، بل أنها نُشرت بهدف صريح وهو نقض إدعاءات المسيحيين عن المسيح. وإذا كان هناك اعتماد لأي من الجانبين على الآخر، فإنه من السهولة بالأكثر افتراض أن الكتّاب اللاحقين صاغوا قصصهم وعن عمد على نمط قصص الإنجيل، وليس العكس. وعلى أية حال، فإن تشابه الصيغ الأدبية لا يمكنه أن يثبت شيئاً بالنسبة للحقائق التاريخية (انظر المناقشة بمزيد من التفصيل في الجزء الثالث).

● وهناك حقيقة تاريخية معروفة وهي أنه بمرور الزمن يميل الناس إلى نسبة المعجزات إلى أشخاص لهم تقديرهم العظيم لأسباب أخرى. ونستطيع أن نرى هذا الميل في ما جاء في الأساطير التي تُحاك حول حياة كثيرين من قديسي العصور الوسطى. ومما لا

يمكننا إنكاره أن الشيء نفسه حدث لقصص يسوع. وبمقدورنا معرفة ذلك من الاطلاع على ما يسمى "بالأناجيل الأبوكريفية" التي كُتبت في القرن الثاني. فهي تروي عن يسوع جميع نوعيات قصص المعجزات الغريبة. وهناك أيضاً قصص معجزات معينة في العهد الجديد في إنجيلي متّى ويوحنا شبهها بعض الباحثين بالقصص الموجودة في هذه الأناجيل الأبوكريفية. على أنه يُوجد بوجه عام دليل حاسم يشير إلى أن العنصر المعجزي الأساسي لأناجيل العهد الجديد لم يُستمد من هذه النوعية من الأفكار.

وفي المقام الأول، وطبقاً لبعض التأريخات الحديثة للأناجيل، فإن أول سجلات مكتوبة عن حياة يسوع قد يرجع تاريخها إلى سنة ٤٥م.، أي أنه لم تكن قد مرّت سوى خمس عشرة سنة على وفاته. حتى التاريخ التقليدي الذي ينسب إنجيل مرقس إلى الفترة ٦٥-٧٠م لا يبعدنا عن الأحداث التي سجلتها الأناجيل إلا بخمس وثلاثين سنة. ومن المؤكد أن عملية نسج الأساطير عن عمد تحتاج إلى وقت أطول من هذا، وفي الوقت الذي بدأت الأناجيل تظهر فيه، لابد وأنه كان هناك كثيرون من شهود العيان الذين رأوا الأحداث التي وصفتها. وبلا ريب أنهم كانوا سيصححون أية قصة لا تتمشى مع طبيعة يسوع كما عرفوه.

ثم إن هناك أيضاً اختلافاً ملحوظاً بين قصص المعجزات في العهد الجديد، وتلك التي رويت عن "قديسين" هيلينيين، أو حتى تلك التي قيلت عن يسوع في أناجيل الأبوكريفا. وعلى سبيل المثال لا يوجد شيء في العهد الجديد يشابه تلك القصة الشاذة التي تضمنها ما يُسمى "بإنجيل الطفولة العربي"، والتي جاء بها أن يسوع خلق ثلاثة أطفال من بعض الماعز التي وجدها في أحد الأفران. وحتى القصة الموجودة فيما يُسمى



قدرة يسوع على الشفاء أصبحت معروفة حتى إن الجماهير كانت تتبعه أينما ذهب. وخدمات الشفاء والإرساليات الطبية ظلت جزءاً من النشاط المسيحي.

"بإنجيل الطفولة لتوما" والتي تقول إن يسوع حوّل اثني عشر عصفوراً من الطين إلى عصافير حقيقية في يوم سبت نجدها من طبيعة مختلفة تماماً عن القصص الواردة في العهد الجديد. فالقصص الأسطورية عن المعجزات نراها دائماً تهتم بالعرض التفاخري لقوى معينة. أما في الأناجيل الأربعة فلا يوجد شيء من هذا القبيل. والواقع أنه توضح تماماً أن المعجزات التي يعملها يسوع لم تكن تهتم بإشباع الأفكار التافهة الخاصة عن القوى الخارقة للطبيعة. وحين طلب الفريسيون من يسوع أن يعمل معجزة لإقناعهم قال لهم بحسم إن هذه النوعية من المظهرية أبعد ما تكون عن عمله (مت١٢: ٣٨-٤٢، مر٨: ١١-١٢، لو١١: ٢٩-٣٢).

ومن المهم أن نذكر أيضاً أن يسوع قد وُصف بأنه صانع معجزات حتى في البدايات الأولى من تقاليد الإنجيل ذاتها والتي بمقدورنا أن نتتبعها. فالمصدر (Q) وهو مصدر مجهول لإنجيليّ متّى ولوقا (انظر الباب الثالث) عادة ما يُنظر إليه على أنه مجموعة مبكرة من أقوال يسوع، غير أن هذه المادة تذكر أيضاً إحدى المعجزات وهي الخاصة بشفاء عبد قائد المئة الروماني (مت٨:٥-١٣، لو٧:١-١٠). كما تذكر أيضًا أنه كان من عادة يسوع عمل المعجزات. وفي هذا المصدر المذكور جاء أيضًا أنه طلب من تلاميذ يوحنا أن يخبروه بالمعجزات التي رأوها (مت١١: ١-١٩، لو٧: ١٨-٣٥)، وقد أُدينت مدن الجليل لأنها لم تتب على الرغم من المعجزات التي عُملت بها (مت١١: ٢٠-٢٤، لو١٠: ١٣-١٥).

ولعل أقوى سبب لتمييز معجزات الإنجيل عن كل من قصص الوثنيين وقصص المسيحيين في وقت لاحق، يكمن في حقيقة أن المعجزات في العهد الجديد كانت تعني شيئاً. ولم تكن مجرد عرض للقوى الخارقة للطبيعة لمجرد التفاخر. بل كانت تُشكّل بالأحرى جزءاً من رسالة يسوع عن مجيء مجتمع الله الجديد.

● ومع ذلك، هناك أيضاً ناحية أخرى. كثيراً ما أشار المتشككون أن يسوع في تجربتين على الأقل من تجاربه في البرية رفض بحسم إغراء القيام بعمل معجزات (مت٤: ١-١١، لو٤: ١-١٣). فقد جُرّب بأن يحول الحجارة إلى خبز، وأن يطرح نفسه من على جناح الهيكل دون أن يُجرح، وقد رفض يسوع عمل أي منهما. فهل من المحتمل إذاً أن يقوم أثناء خدمته بعمل معجزة مثل إطعام الخمسة آلاف شخص، والتي نتج عنها أن حاولت الجماهير أن تنصّبه ملكاً عليها ؟ (يو٦: ١-١٥، مت١٤: ١٣-٢١، مر٦: ٣٠-٤٤، لو٩: ١٠-١٧).

وهذه لا تعد مشكلة على النحو الذي يبدو لنا للوهلة الأولى. وهي لا تبرز في الواقع إلا إذا اعتبرنا يسوع أنه ـ قبل أي شيء آخر ـ صانع معجزات فحسب. فالعالم

القديم كان عامراً بالسحرة الذين كانوا يمارسون سحرهم كوسيلة لإظهار قدراتهم الشخصية وأهميتهم. غير أن لهجة قصص الإنجيل بجملتها مختلفة تماماً. فلقد اتسم عمل يسوع، ليس بسعيه وراء القوة، بل بخدمة الله والناس بكل تواضع. وقد رفض أثناء اجتيازه التجارب إمكانية حصوله على طاعة الناس من خلال قيامه بعمل المعجزات، وتبين لنا الأناجيل كيف أنه حتى معجزاته أُخضعت لهذا الغرض. ذلك أن معجزاته على مثال تعليمه وكرازته، ما كانت سوى دعوة إلى الإيمان والطاعة، موجهة إلى الذين كانوا يشهدونها.

ولذلك يبدو أن جوانب البرهان العديدة كلها تحمل نفس المضمون. فكل من المصادر اليهودية والمسيحية تشير إلى أن يسوع قام فعلاً بعمل معجزات. ومع أنه من الواضح أنه يوجد مجال لإصدار أحكام مختلفة بالنسبة لمعجزات متباينة، إلا أنه ليس بمقدورنا أن نتخلص بشكل معقول من عنصر المعجزات كله الموجود في تقاليد الإنجيل. وفي الوقت ذاته، يجب مقاومة إغراء اعتبار المعجزات غاية في حد ذاتها. فأهميتها الحقيقية، شأنها في ذلك شأن أجزاء كثيرة أخرى في خدمة يسوع، تكمن فيما تعلمه لنا عن الله.

المعجزات ومعناها

لكي نفهم معنى المعجزات تماماً، يجب أن نضعها في سياقها الصحيح في إطار خدمة يسوع ككل. فالأناجيل تعرض حياة يسوع وعمله بالمقابلة مع مواعيد الله في العهد القديم. فهذه المواعيد تمت في يسوع، والمجتمع الجديد أو "الملكوت" الذي طال انتظاره قد أقبل بالفعل.

وهذا معناه أننا في حاجة إلى أن نبدأ فهمنا للمغزى الحقيقي لمعظم تعليم يسوع بالرجوع إلى العهد القديم. وعلى سبيل المثال، فإن وصفه لنفسه أنه "ابن الإنسان" سيكون فهمه صعباً إن لم يكن مستحيلاً دون معرفتنا لمعناه في العهد القديم من سفر دانيال. ورسالة يسوع عن ملكوت الله ستكون غامضة إلى حد ما، ما لم نربطها بمواعيد العهد القديم. ونفس الشيء ينطبق على المعجزات.

في العهد القديم، كان من الثابت أن المعجزات لم تكن تعني شيئاً . فما يقوله الله كثيراً لم يكن يرتبط بما يعمله . والواقع أن الكلمة العبرية "Dabar"
خر١٠: ١-٢ يمكن أن تعني كلمة أو عملاً، والاثنان كانا مرتبطين معاً بشكل وثيق في الفكر العبري . فما يعمله يتطابق بالضرورة مع ما يقوله . و لذلك ، فإنه في زمن الخروج مثلاً، لم تعمل المعجزات التي عملها موسى أمام فرعون من أجل التفاخر. بل كانت هي نفسها وسيلة توصيل رسالة الله، كانت دلالات حية على صدق أقوال الله .

إش٢٠: ١-٦ وهذه الفكرة تبنّاها أنبياء العهد القديم بصفة خاصة، فكثيراً ما كانوا يقومون بأعمال رمزية لتوضيح رسالتهم وتدعيمها، فإشعياء على سبيل المثال، سار حول أورشليم عرياناً وحافياً كرمز إلى اعتقاده أن حلفاء يهوذا سوف يتم
حز٤: ١-٣ تدميرهم سريعاً على أيدي أعدائهم . ورسم حزقيال صورة لمدينة محاصرة على قالب من اللبن كصورة لما سيحيق لمدينته أورشليم . ومع ذلك فقد كانت هذه الأعمال أكثر من مجرد رموز أو إيضاحات . ذلك أنها كانت جزءاً من رسالة الله عن طريق الأنبياء، وكانت مرتبطة بشكل وثيق بمعنى أعمال الله في تاريخ شعبه .

وحين أطلق العهد الجديد على معجزات يسوع اسم " علامات " فإن هذه النوعية من الإيضاحات الفعالة ، كانت وراء هذا الاسم . والكلمة الإنجليزية "علامة" تتضمن معنى دلالة أو مؤشر ، ولذلك فمن السهل علينا افتراض أن المعجزات لم تكن سوى دلالات اُتخذت كوسيلة لإثبات أن يسوع هو المسّيا ، أو أن المجتمع الجديد قد جاء . ولكنها في نفس الوقت تتعدى هذا الإطار ، فعلى مثال " العلامات " التي يعطيها الأنبياء ، تُعد المعجزات أيضاً جزءاً من رسالة يسوع . فهي امتداد بالأعمال للتعليم الذي أعطاه يسوع بالأمثال. فهي على مثال ذلك التعليم، تصف مجتمع الله الجديد وتقدم دعوته للناس .



كانت مجدل مدينة للصيد على الشاطئ الغربي لبحيرة الجليل. ومن هذه البلدة كانت مريم المجدلية التي كانت من بين الذين حررهم يسوع من قبضة الشيطان.

وحين نتأمل المعجزات في هذا الإطار بمقدورنا أن ندرك أنها تلفت الانتباه إلى ثلاثة أنواع من المجتمع الجديد، أو "ملكوت الله".

اقتراب الملكوت

مر ١: ١٥

حين بدأ يسوع خدمته التعليمية، كان المضمون الرئيسي لرسالته هو "لقد اقترب ملكوت الله" والمعنى الدقيق الذي نعطيه لعبارة "اقترب" يعتمد على رأينا بالنسبة للأخرويات التي تحدث عنها يسوع. غير أن معظم الباحثين يتفقون على أن هناك دلالة واحدة على الأقل في هذا التعبير تشير إلى أن الملكوت قد جاء بالفعل إلى الوجود بمجيء يسوع نفسه. وهذا ما اتضح تماماً في معجزات يسوع حيث أعلن وصول الملكوت وتم شرحه.

في إحدى المناسبات أرسل يوحنا المعمدان بعضاً من تلاميذه ليسألوا يسوع إذا كان حقاً هو المسيا الذي يفتتح مجتمع الله الجديد أم لا. والإجابة التي رد بها يسوع كانت على النحو التالي: "اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران. العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى

مت ١١: ٤-٥، لو٧: ٢٢

اش٣٥: ٥-٦ يقومون والمساكين يبشرون". وهذه الكلمات التى خاطب بها يسوع يوحنا كانت اقتباساً من سفر إشعياء فى العهد القديم، وكان الاعتقاد السائد بصفة عامة أنها إشارة إلى العصر المسيانى في المستقبل . كان يسوع بذلك يخبر يوحنا أن معجزاته كانت علامة على أن المواعيد القديمة قد تحققت .

وفي إنجيل يوحنا كانت المعجزات تسمى "العلامات" وبواسطة المعجزات لم يدرك الناس أن المجتمع الجديد قد أتى فحسب، بل وأن يسوع هو الشخصية الرئيسية فيه . وفي المعجزة الأولى التي سجلت في إنجيل يوحنا (تحويل الماء إلى
يو٢: ١١ خمر) نجد أن يسوع "أظهر مجده" "فآمن به تلاميذه" . وبعد ذلك كانت إقامة
يو١١: ٤ لعازر من الموت "ليتمجد ابن الله". ومع ذلك لم يستخدم يسوع المعجزات لتحقيق مكسب شخصى . وفي مقدمة إنجيل يوحنا عرفنا أن مجد يسوع لم يكن
يو١: ١٤ مجداً لذاته، بل كان مجدًا لله، مجداً شاركه فيه باعتباره ابن الله. ونفس الموضوع برز في عدد من قصص المعجزات، حيث كان يسوع يطلب أن يُعطى المجد لله وليس له. وفي المعجزات، كان الله يبين قدرته حتى يدرك الناس أن ملكوته الذي انتظره الناس طويلاً قد أقبل بمجيء يسوع .

نطاق الملكوت

لم تعلن المعجزات مجيء الملكوت بمعنى عام فحسب، بل أن رسالتها تماثل أيضاً تعليم المسيح الواضح في كثير من الوجوه . وليس هناك صعوبة لنرى كيف أن نوعيات المعجزات المختلفة التي عملها يسوع قُصد بها أن تؤكد، وبطريقة رائعة، الأشياء المتباينة التي قالها في الأمثال عن المجتمع الجديد. والمعجزات تقع في ثلاث مجموعات رئيسية، كل مجموعة تعبر عن ناحية مختلفة من تعليم المسيح، وكل منها توضح معنى الملكوت للناس كأفراد، وللعالم ككل، وفي المستقبل .

• **الملكوت والفرد** . فى إحدى تجاربه ادّعى الشيطان أنه سيد ممالك
مت٤: ٨-١٠، لو٤: ٥-٧ العالم. وأناس كثيرون فى أيام يسوع كانوا يوافقونه على إدّعائه هذا . ذلك أنهم فيما يتأملون حياتهم وحياة الناس الآخرين، يرون الألم والمرض والموت

كعلامات على أن حياتهم تأثرت بعمل قوات الشر في العالم . وكان الاعتقاد السائد أن المرض يسببه أعضاء شيطانيون ينتمون إلى عالم روحي شيطاني يعملون في العالم المادي الطبيعي . والخطية والشر يسببان المرض، ليس بالمعنى
يو٩: ١-١٢ الشخصي الذى أشار إليه الفريسيون الذين قالوا بأنه نظراً إلى أن شخصاً كان أعمى أنه هو وعائلته من كبار الخطاة، بل بمعنى كوني، ولذلك فإن مرض الإنسان اُعتبر جزءاً من السقوط الكلى لخليقة الله .

وقد سبق أن عرفنا أن جزءاً هاماً من تعليم يسوع هو أن الإنسان يمكن أن يتحرر من سلطان الخطية فى حياته . ففى إخراج يسوع الشياطين وفي معجزات الشفاء الأخرى ، أصدر يسوع هذا الإعلان بأكثر طريقة مثيرة ممكنة. كما أنه أظهر أهمية جزء آخر من تعليمه ، لأن المعجزات فى كثير من الأحيان كانت تشمل أُناساً كانوا منبوذين من المجتمع منهم البرص الذين لم يكن
مت٨: ١-٤، لو١١:١٧-١٩ يلمسهم أحد حتى لا يتنجس من الناحية الطقسية. وقائد مئة رومانى لابد وأن
مت٨: ٥-١٣، لو٧: ١-١٠ كثيرين من اليهود كانوا يكرهونه. وأولئك الذين كانوا عاجزين عن مساعدة
مر٥: ٢١-٤٣ أنفسهم. وهؤلاء هم الناس الذين كانوا يولون تعليم يسوع ومعجزاته أهمية بالغة .

• **الملكوت والعالم** . إذا كانت معجزات الشفاء تظهر المسيح وهو يحرّر الناس كأفراد من سلطان الخطية، فإن " معجزات الطبيعة تبين يسوع وهو يعمل الشيء نفسه للخليقة كلها . فقوة الشيطان كان لها تأثيرها، ليس فقط على
يو١٢: ٣١ حياة الأفراد، بل على حياة الطبيعة أيضاً . وكان هناك شعور حقيقي بأنه رئيس
مر٤: ٣٩ للعالم، وقد جاء يسوع ليطرحه بعيداً خارج كل جزء تابع لسيادته . ولذلك
مر١: ٢٥ "انتهر الريح" وكذلك الأمواج بنفس الطريقة التي ينتهر بها الشياطين الذين لهم تأثير مؤذ في حياة البشر .

وكان جزءاً هاماً من رسالة يسوع أنه قد جاء ليخلص الناس في كل بيئتهم. وفي معجزات الطبيعة نجد إعلاناً صارخاً عن المجال الكونى لعمل يسوع.

مت٨: ١١، لو٢٢: ٣٠ • **الملكوت في المستقبل** . إنه لمن المثير أن نجد البعد المستقبلى لتعليم يسوع
لو١٤: ١٥-٢٤ عن المجتمع الجديد أيضاً فى المعجزات .وملكوت الله حسب الفكر اليهودى
مت١٤: ١٣-٢١، كثيراً ما يصور كوجبة ، ويسوع نفسه وصفه كوليمة . ومعجزة إطعام الخمسة
مر٦: ٣٠-٤٤ آلاف، والأربعة آلاف إنما كانت تمثيلاً لهذه الصورة، حيث أظهر فيها يسوع
لو٩: ١٠-١٧ نفسه كمسيا الله وهو يطعم شعب الله . وطبقاً لإحدى الروايات عن معجزة
مت١٥: ٣٢-٣٩ إطعام الخمسة آلاف، أن الشعب تأثر جداً بما حدث واعتقد أن يسوع كان
مر٨: ١-١٠ يقصد أن يسمح لهم بأن يتخذوه لهم ملكاً في التوّ واللحظة .

يو٦: ١٤-١٥ وهناك أيضاً ثلاثة أمثلة أقام يسوع فيها أناساً من الموت . وهذه المعجزات
مر٥: ٢١-٤٣ ما هي إلا تعبير عملي لتعليمه بأن أتباعه سيكون لهم "حياة أبدية"، وبواسطتها
لو٧: ١١-١٧ يكون بمقدورهم أن يتوقعوا في الحاضر، البركات المستقبلية للملكوت المسيح
يو١١: ١-٤٤ (الملكوت المسياني) .

دعوة الملكوت

حين عرضنا للأمثال، وجدنا أنها طريقة لحمل الناس على أن يفكروا في المضامين الكاملة لمجتمع الله الجديد في حياتهم، وقد لاحظنا أنه بدون توبة وإيمان يختفى المعنى الكامل لكثير من الأمثال . والدعوة إلى سيادة الله قُدمت تماماً في نفس الإطار الذي قُدمت فيه المعجزات .

مر٥: ٣٤، ١٠: ٥٢ ويبدو أنه كان للإيمان أهميته في معجزات الشفاء التي عملها يسوع .
لو١٧: ١٩ وفي ثلاث مناسبات قال يسوع : "إيمانك قد شفاك" .
وطبقاً لمرقس فإن غياب الإيمان كان يقف عقبة أمام عمل المعجزات.
مر٦: ٥ والواقع أنه بدون الإيمان لم يكن ممكناً إدراك أن المعجزات كانت علامة من الله
تعمل عملها، وأن عدم الإيمان أدّى إلى القول بأن يسوع كان متحالفاً مع
مت١٢: ٢٤ الشيطان .

يشير بعض باحثي العهد الجديد إلى أنه فى العلاج النفسى الحديث، كثيراً ما يكون الإيمان عاملاً هاماً في تحقيق الشفاء ، ويقولون إن هذا قد يقدم لنا


تفسيراً ما لمعجزات الشفاء التي عملها يسوع. ولا ريب أن ملاحظات من هذا القبيل، ساعدت أناساً كثيرين على قبول صدق روايات الإنجيل.وبنفس القدر .

لايوجد سبب للقول بأن يسوع، الذي كان يعرف خبايا النفوس، لم يكن
يو٢: ٢٣-٢٥ ليستطيع أن يكون له السبق في استخدام بعض الوسائل المستعملة الآن في
العلاج النفسي الحديث .

لكن الإيمان الذي يطلبه يسوع كان يختلف في الواقع عن نوعية الإيمان الذي يطلبه الأطباء النفسانيون . فما كان يطلبه يسوع لم يكن استعداداً مسبقاً لقابلية الشفاء، بل قبولاً غير مشروط لسيادة الله . وأن تطلب من يسوع الشفاء فإن هذا يعتبر علامة على هذه النوعية من الإيمان، أي الإيمان بحسب معناه في
مت٨: ١٣، ١٥: ٢٨ الأمثال، وهو الثقة في الله وفي يسوع كابنه الوحيد، حتى يمكننا أن نشارك في
مزايا المجتمع الجديد .

والغرض من المعجزات، بناء على ذلك، يمكن أن يكون نافعاً مثل الغرض من الأمثال. فهي بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في الاتكال على الله تعتبر إعلان إلهي أما بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في الاتكال على الله تعتبر وسيلة إعلان إلهي. أما بالنسبة لأولئك الذين أغلقوا أذهانهم فحتى المعجزة لن تتيح لهم
لو١٦: ١٩-٣١ إمكانية الاستنارة .

كانت بيت عنيا مدينة مريم ومرثا
ولعازر. وهنا أقام يسوع لعازر من
الموت وهى معجزة أثارت الجماهير
حتى أن القادة اليهود بدأوا يتآمرون
ليقتلوا يسوع.



الفصل التاسع

مجتمع الله في فعله



معظم تعاليم يسوع كانت في الخلاء على التلال، أو في الأماكن المزدحمة في الأسواق. وكثيراً ما اتبع المسيحيون نهجه وكانوا يعلنون إيمانهم في الأماكن العامة.

كل مجتمع - سواء كان بدائياً أو متحضراً - وجد أنه من الضرورة أن تكون له أحكام وقواعد تحكم سلوك أعضائه . وهذه الأحكام بكل بساطة تأتي نتيجة الخبرة التي اكتسبوها عن أفضل الطرق لعمل الأشياء . وأحياناً، كما هو الحال بالنسبة لقليل من مجموعات قوانين الشرق الأوسط قديماً، تنبع القوانين من المعتقدات الدينية .

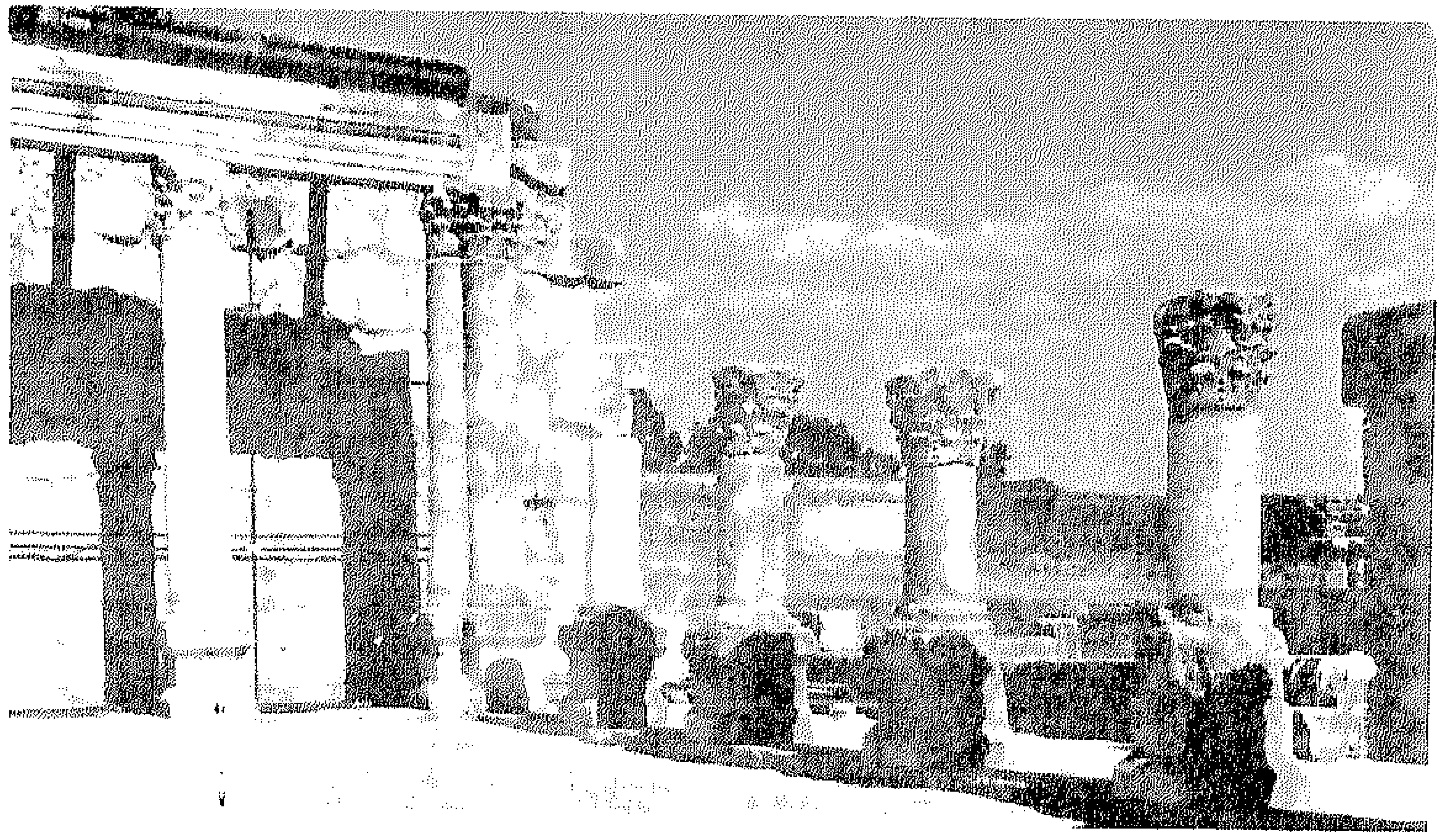
وبين آونة وأخرى، كما هو الحال في العهد القديم، نجد خليطاً بين الناحيتين . وليس معنى هذا أن العهد القديم بدا على هذا القدر من البساطة بالنسبة لأولئك الذين حاولوا أن يتبعوه أيام يسوع . لأنه في ذلك الحين كان العهد القديم قد صار معقداً نتيجة إضافة تفسيرات وتطبيقات مفصلة - إلى الدرجة التي كان يتطلب الأمر معها أن يكون الإنسان متخصصاً في الدراسات اللاهوتية . والأصعب من ذلك هو أن يحفظها .

وموقف يسوع من السلوك كان مختلفاً تماماً عن ذلك . وفي مناسبات عديدة تحدّي القواعد التي كان يضعها الفريسيون . فعلى سبيل المثال، فإنه بالنسبة لموضوع السبت، أعلن يسوع قناعته بأن "السبت إنما جُعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت "فهو يوم جُعل ليستخدمه الناس بحيث يتمتعون فيه، لا لأن يكون يوماً مُملاً كئيباً يُقضى في محاولة يائسة لعدم تدنيسه. وكان الفريسيون مستاءين طبعاً لتجاهل ناموسهم، لأنه على أية حال كان الغرض المعترف به منه هو مساعدة الناس على إرضاء الله، وكيف يتسنى لهم ذلك إلا عن طريق إطاعة متطلباته ؟

وفيما نقرأ الأناجيل يتضح لنا أن يسوع كان يقصد أيضاً أن يساعد الناس على معرفة الله . لكن الإله الذى تحدث عنه تم تصويره بشكل مختلف . فلم يكن

المجمع

كانت المجامع هي مراكز العبادة اليهودية، وكثير منها كان يعمل كمدارس أيضًا. وهذا الرسم يعبر عن انطباع أحد الفنانين عما كان عليه مثل هذا المبنى أيام يسوع، وذلك على أساس الأطلال الموجودة في كفرناحوم وكثير من المجامع لم تكن على هذا النحو من الفخامة مثل هذا المجمع. وتبين الصورة الأطلال الخاصة بالمجمع بكفرناحوم. ويرجع تاريخ المبنى ربما إلى نهاية القرن الثاني الميلادي، إلا أنه كان على نفس الموقع الذي يعلم فيه يسوع.



الفناء، مع فسقية توفر الماء ليتمكن الناس من غسل أيديهم وأرجلهم.

التابوت أو خيمة الاجتماع، حيث تُحفظ أدراج من الأسفار المقدسة العبرية.

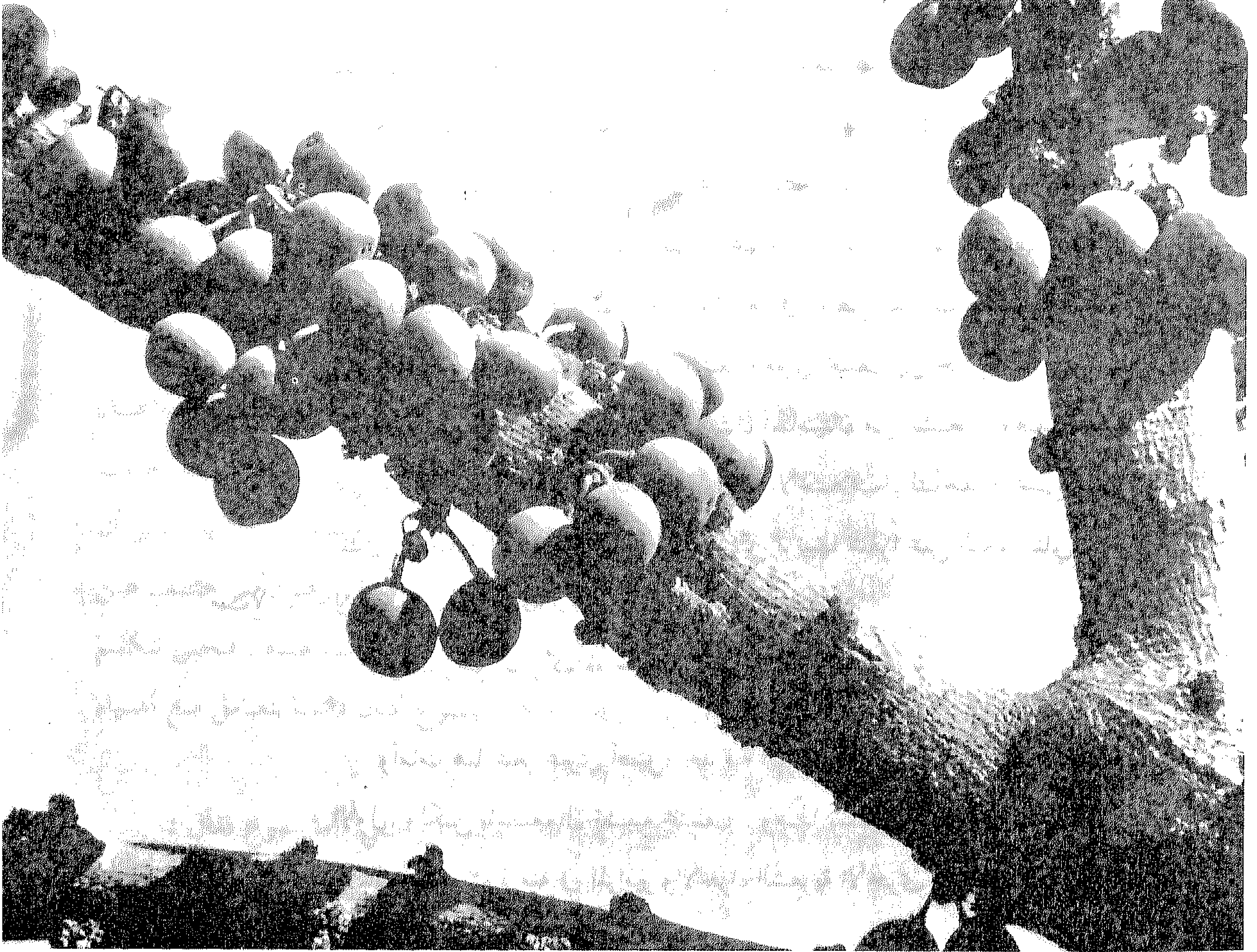
كان يُفصل بين النساء والرجال في المجامع اليهودية. ونجد هنا رواقًا كان مخصصًا لهن.

المنبر في وسط المجمع، وكان يُصنع من الخشب. هنا تُقرأ الأسفار المقدسة، وتُلقى العظات.

هو الإله الذي يطلب الالتزام بعدد كبير من التعليمات المستحيلة، بل هو الله الذي يمكن للإنسان أن يكون في علاقة شخصية معه كأب. فأبو يسوع إله غفور، يعتني بالناس حتى وهم في نقصهم الأخلاقي. ولكنه يهتم بأن يعرفوه بشكل أفضل حتى تنطلق قوته لتغير حياتهم.

سبق أن عرفنا مضامين كل هذا في الأمثال التي قالها يسوع، كما لاحظنا أيضاً بعض النتائج الأخلاقية لتعليمه. فالذين يعيشون في شركة مع الله يجب أيضاً أن يحبوا قريبهم. وعليهم أن يهتموا بالمنبوذين، وأن يهتم كل منهم بخير الآخر. ولكن لماذا ينبغي على شعب الله أن يسلك على هذا النحو؟ ما هو أساس التعليم الأخلاقي؟ أي - التعليم الخاص بالسلوك - الذي علّم به يسوع، وكيف يمكننا فهمه؟ هذه هي الأسئلة التي سنحاول الإجابة عليها في هذا الفصل.

أخبر يسوع سامعيه أن يكونوا واعين للمعلمين المزيفين الذين يخدعون أنفسهم بالطريقة التي يعيشون بها (الشجرة الجيدة لا تُثمر ثمرًا رديئًا والشجرة الرديئة لا تُثمر ثمرًا جيدًا). الأشجار المثمرة هي أشجار التين التي تنمو بوفرة في إسرائيل.



ليس من السهل أن نتكلم عن الأخلاقيات التي علّم بها يسوع بمعزل عن بقية تعليمه ذلك أن كل تعليمه عن الله وعن مجتمعه الجديد يتضمن بُعداً
متّى ٥-٧ أخلاقياً . والموعظة على الجبل والتي تُعد بصفة عامة أكبر مجموعة شاملة من التعاليم الأخلاقية في الأناجيل ، تجدها أيضاً عامرة بالفكر اللاهوتي. ومع ذلك، فإن هذه الموعظة تعطينا فكرة طيبة عن وضع الأخلاقيات في المجتمع الجديد الذي جاء يسوع ليفتتحه .

قبل أن نلقي نظرة على المضمون الفعلي للعظة على الجبل، نحتاج أولاً إلى التفكير في أفضل وسيلة لفهم ما يقوله يسوع فيها . وهذا أمر له أهميته، لأنه من الواضح أن الطريقة التي يعطى بها يسوع تعليمه هنا، تختلف تماماً عن نهج كتب الأخلاقيات الحديثة، بل وتختلف بالكلية عن الطرق التي يعبر بها الناس العاديون عن نفس الأفكار . وكمعلم صالح، كان من الطبيعي أن يستخدم يسوع صيغاً من اللغة والتعبيرات التي يفهمها أولئك الذين سمعوه لأول مرة . وهناك على الأقل ثلاث طرق مختلفة استخدمها يسوع في تقديم تعليمه :

• معظم العظة كُتب شعراً، على الرغم من أنه لو لم يتم لفت انتباهنا إلى ذلك فلربما ما كنا نعرف أنها شعر . والشعر في بعض اللغات يعتمد في تأثيره على القافية ونبرة التوكيد . غير أن الشعر العبري مختلف إلى حد ما، فهو يعتمد في تأثيره على تناغم الفكر، وهناك نوعيتان أساسيتان من الشعر . وهذا يعتمد على ما إذا كان التناغم في التماثل أو في الاختلاف . لنأخذ - على سبيل المثال - العبارة التالية من متّى . وهذه يمكن ترتيبها شعراً على النحو التالي :

مت٧: ٦ لا تُعطوا القدسَ للكلاب .
ولاتطرحوا درركم قدام الخنازير .

وأمامنا هنا شعر عبري أصيل، نجد فيه أن الشطر الثاني يكرر فكرة الشطر الأول، ولكن باستعمال تشبيه مختلف . وهذا يسمى "التوازي المترادف" . وهناك أمثلة كثيرة منه في المزامير والأجزاء الشعرية الأخرى في العهد القديم .

وهناك نمط آخر من الشعر العبري نسميه "التوازي المعكوس"وفي إنجيل متّى أيضاً نموذج منه :

هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة

مت٧: ١٧ وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً رديئة

وهناك درس مماثل تعلمناه من كل شطر، لكن الفكر تم التعبير عنه باستخدام المفاهيم العكسية تماماً . وهذا الأسلوب نجده كثيراً في العهد القديم .

مت٦: ٩-١٣ حتى الصلاة الربانية يمكن ترتيبها شعرياً . قد وضعها هنتر A.M.Hunter

مت٦: ٢٤ على النحو التالي :

أبانا الذى في السموات	ليتقدس اسمك
ليأت ملكوتك	لتكن مشيئتك
كما في السماء	كذلك على الأرض
خبزنا كفافنا	أعطنا اليوم
واغفر لنا ذنوبنا	كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا
ولا تدخلنا في تجربة	لكن نجنا من الشرير

(مت٥: ٢٩ beside the line "كما في السماء")

• هناك ملمح عام آخر في تعليم يسوع، وهو استخدام الصور البلاغية. والتي تأخذ شكل قصص الأمثال، وفي أحيان أخرى تكون مجرد توضيحات رائعة من الحياة اليومية . وكثير من الأمثال تعلّم بالطبع دروساً أخلاقية، غير أن العظة على الجبل تستخدم صوراً من الحياة الواقعية . وهذا أمر يختلف عن الطريقة التي تميل إلى رفع المستوى الأخلاقي بها في أيامنا هذه . فنحن نتكلم عن الأخلاقيات بطريقة مجردة ، ولكن يسوع كان دائماً يتعامل مع أشياء حقيقية . فعلى سبيل المثال، قد نقول :

"إن المادة يمكن أن تشكل عائقاً أمام النمو الروحي".أما يسوع فقال :

"لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ..... لا تقدرون أن تخدموا ا لله والمال"

مت ٦:٢٤ • كان يسوع يتكلم بطريقة حيوية . وكثيراً ما كان يستخدم المبالغة المفرطة لتوضيح هدفه . فقد قال على سبيل المثال : "إنه خير لك أن تقلع عينك من أن تزني، وأن تقطع يدك بدلاً من أن تغضب

مت ٥:٢٩ ا لله" . ومن الواضح أنه لم يكن يقصد أن نعمل ذلك حرفياً، لكنه استخدم لغة المبالغة هذه لكي يؤثر في سامعيه ويقنعهم بجدية رسالته .

وفيما نقرأ الموعظة على الجبل، نحتاج إلى أن ننتبه إلى هذه الأساليب المختلفة التي اعتاد يسوع أن يستخدمها في رسالته . فمعرفة الصياغات المختلفة تساعدنا على فهم ما الذي كان يسوع يعنيه بما يقوله .

إذاً، ما هي نوعية الأخلاقيات التى نادى بها يسوع؟ ما هي مبادىء العمل التي يجب أن ترشد الذين قبلوا سيادة ا لله على حياتهم؟ هناك ثلاثة أمور تميز أخلاقيات مجتمع ا لله الجديد عن معظم النظم الأخلاقية الأخرى .

يسوع يعلن معايير ا لله

تعليم يسوع الأخلاقي جزء لا يتجزأ من تعليمه عن سيادة ا لله في حياة البشر. وما لم نفهم هذا، فمن الصعوبة أن نفهم معنى الموعظة على الجبل .

وكل النظم الأخلاقية لها مقدمة منطقية أساسية يقوم عليها كل شيء آخر. وتعليم يسوع الأخلاقي يقوم على أساس الإعلان بأن ا لله الذي خلق كل الأشياء، والذي عمل في التاريخ في اختبار إسرائيل الذي سجله العهد القديم، يمكن أن يُعرف بطريقة واقعية وشخصية . وسلوك أتباع المسيح هو نتاج طبيعي لارتباطهم الشخصي مع ا لله، أبيهم .

وهذا المبدأ كان له دائماً موضع أساسي في اليهودية . فالعهد القديم نفسه كان قائماً على مقدمتين منطقيتين بسيطتين كانتا أساسيتين أيضاً في تعليم المسيح في العهد الجديد .

صلاح الإنسان يستمد طابعه من الله

يتمثل الجزء الأساسي لأحد أقسام ناموس العهد القديم في عبارة: "تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم" . والمعايير الأخلاقية التي كان يحتاج إليها شعب الله لم تكن أقل من انعكاس طبيعة الله نفسه عليهم . وقد أوجز
لا ١٩: ٢ أحد الباحثين ذلك بأن وصف الأخلاقيات الكتابية بعبارة "علم السلوك الإنساني، كما حدده السلوك الإلهي" . فالإنسان يجب أن يسلك كما يسلك الله.

ومن أروع سمات أعمال الله كما اختبرته إسرائيل رغبته في العناية بأناس لا يفكرون فيه ، فقد دُعى إبراهيم من بلاد ما بين النهرين وأُعطى وطناً جديداً، و لم يكن ذلك لتميزه من الناحية الأخلاقية أو الروحية، ولكن لمجرد أن محبة الله اتجهت نحوه . ولقد خرجت إسرائيل من تجارب الخروج المحبطة وما تبعها، ليس بسبب كمالهم الأدبي، بل بكل بساطة بسبب عناية إله محب . وعلى أساس أعمال لطف الله هذه التي لم يكونوا يستحقونها، كان لله طلبات معينة من شعبه .

وتبدأ الوصايا العشر بعبارة : "أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر
خروج٢٠ :٢ من بيت العبودية ...". وهذه هي الفرضية المنطقية التي قامت عليها الوصايا . فلأن الله صنع شيئاً لشعبه، فإن عليهم مقابلة ذلك بمحبة وطاعة . ونفس النموذج نجده في موضع آخر في ناموس العهد القديم : "واذكر أنك كنت عبداً
تث١٥ :١٥ فى أرض مصر ففداك الرب إلهك "لذلك" أنا أوصيك بهذا الأمر اليوم" .

وأخلاقيات العهد الجديد لها نفس أساس هذه القاعدة . فعلى سبيل المثال، فإنه لم يلفت النظر أنه حين أراد بولس أن يوقف النزاع الذي كان قائماً في
فى٢: ٥-١١ كنيسة فيلبي، لم يلجأ إلى المنطق العادي لحل هذه المشكلة بل إلى نفس هذه الناحية بالذات من سمات الله التي رأيناها في العهد القديم . لقد أخذ مثال الطريقة التي بذل بها الله نفسه من أجل خلاصنا في المسيح، وأخذ منه الأساس الذي أقام عليه مناشدته الأخلاقية لقرائه . ولأن يسوع تخلي عن كل شيء

لأجلنا، فيجب علينا أن نكون مستعدين أن نضحى بأنانيتنا لكى نرضيه .

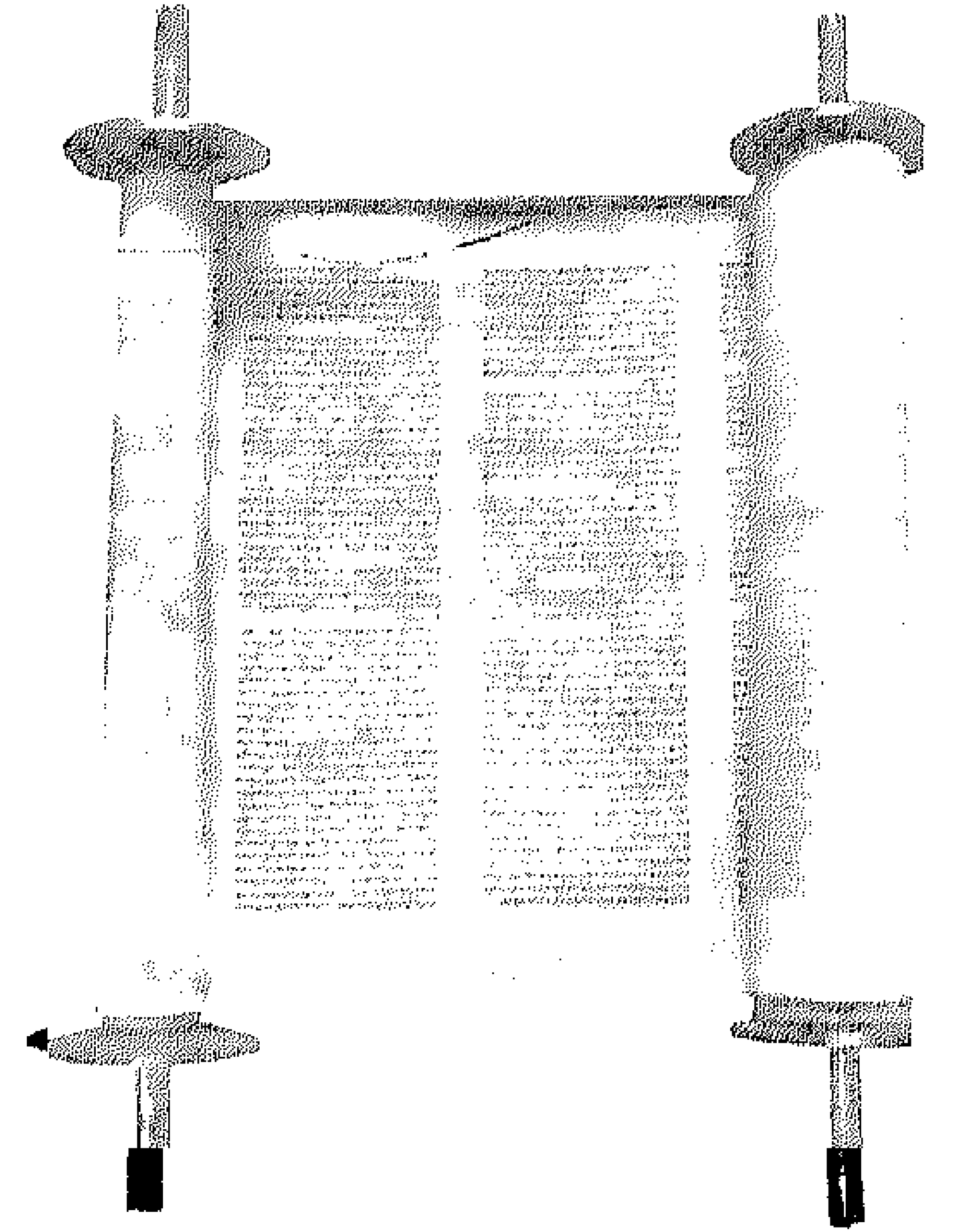
والحقيقة أن شخصية الله كإله قدوس وكأب محب هي أساس تعليم الكتاب المقدس بالنسبة للسلوك، له على الأقل ثلاث نتائج عملية هامة...

• هذه النتائج أعطت اليهود والمسيحيين على السواء إحساساً كبيراً بخطورة الخطية . فحين يُواجه الناس بإله قدوس مستعد أن يبذل نفسه تماماً بمحبة لمنفعة أولئك الذين لم يهتموا به أو يوقرّوه، هنا يدركون كيف أن طبيعتهم تختلف عن طبيعة إلههم . فعلى سبيل المثال، حين تأثر إشعياء بالمعنى الحقيقي لقداسة الله كان رد فعله الفوري هو أنه أدرك – وربما للمرة الأولى – المدى الكامل لخطيته. ونفس الشيء لابد وأنه كان ينطبق على معظم الناس الذين تقابلوا مع يسوع . وفي حالات كثيرة غفر يسوع خطايا أولئك الذين أتوا إليه، وهو نفسه يذكرنا أن أولئك الذين يدركون حاجتهم هم فقط الذين يمكن أن يُغفر لهم.

إش٦: ١–٨

قال يسوع إن تعليمه لم يُقصد به أن يحل بدلاً من ناموس العهد القديم بل لتكميله. وهذا الدرج يشكل جزءاً من التوراة (الناموس).

• وصلاح المسيحى له طبيعة روحية غير عالمية تتجاوز متطلبات المنطق العادي. فطبيعة الله كما أعلنها يسوع تبين محبته الباذلة، وهذا ما دأب يسوع على امتداحه بشكل عملى فى تعليمه . فقد قال للشاب الغني: "اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء ....". وفي الموعظة على الجبل قال يسوع لتلاميذه أن يذهبوا ميلين إذا سخرهم الرومانيون على حمل حقائبهم لميل واحد. وعليهم أن يحوّلوا الخد الآخر ويقابلوا الشر بالخير . وكثيراً ما تبدو لنا هذه الأشياء غير معقولة على الإطلاق، بل وقد يعتقد البعض أنها سخيفة . ولكننا إذا ما نظرنا إليها في ضوء ما بذله الله من أجلنا، فلسوف تظهر لنا بشكل مختلف.



• يجب أن تكون الرغبة العارمة لشعب الله هي إرضاء الله ومقابلة محبته بطرق تعكس طابعه . وهذا هو ما يحفزهم على إطاعة وصايا يسوع . علينا أن نحب أعداءنا ليس من أجل أن نلفت الأنظار إلينا، لكن "لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات" .

مت ٥: ٤٥

الصلاح المسيحي والمجتمع

الموضوع الرئيسي للعهد القديم هو الإيمان بأن الله قد عمل، وبشكل حاسم في تاريخ شعبه إسرائيل، وأنه دخل معهم في علاقة وثيقة من خلال عمل عهد معهم. وهذا معناه أن الفرد الإسرائيلي، لم يكن إطلاقاً مجرد فرد، بل عضواً في شعب الله. ونتيجة ذلك فالصلاح الذي يتطلبه الله يجب أن يظهر ليس في أفراد أتقياء فحسب، بل في مؤسسات الحياة القومية.

مت٢٢: ٣٤-٤٠ وبنفس الطريقة أعلن يسوع أنه جاء ليقيم ملكوت الله في حياة أتباعه. ولكن ليس في حياتهم كأفراد فقط، بل كذلك في حياتهم المشتركة وإحدى

مر١٢: ٢٨-٣٤ الوصيتين العظميين هي أن الإنسان يجب أن يحب قريبه كنفسه. والذين يقبلون

لو١٠: ٢٥-٢٨ سيادة الله على حياتهم أُعطوا وصية جديدة لتكون أساس المجتمع المسيحي: "أن تحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً. بهذا

يو١٣: ٣٤-٣٥ يعرف الجميع أنكم تلاميذي إذ كان لكم حب بعضاً لبعض".

الالتزام بوصايا يسوع الأخلاقية

تعليم يسوع قُصد به فقط أن يكون أسلوب حياة بالنسبة لأولئك الذين يُخضعون حياتهم لسلطان الله. وهذه هي النقطة التي غالباً ما أُسيء عندها فهم الأخلاقيات التي نادى بها يسوع. والذين يدّعون أنهم يستطيعون تقبّل الموعظة على الجبل، ولا يقبلون ما ادّعاه يسوع بالنسبة لشخصه يكونون قد أساءوا فهم جوهر تعليمه. وذلك أنه من المستحيل تماماً أن يُفصل فكره اللاهوتي عن أخلاقياته، ومن يحاول ذلك يدمرهما معاً.

في مقدمته للموعظة على الجبل، يخبرنا متّى أن التلاميذ هم الذين كانوا يشكّلون جانب المستمعين للعظة، وأن عناصر العظة المختلفة من الواضح أنها موجهة لأناس معنيين ملتزمين وليس لكل الناس. هذا ما فهمه المسيحيون الأوائل.

ومن المؤكد أن العظة استُعملت بالشكل الذي نعرفها نحن به، لكي تعلم المتجددين حديثاً في الكنائس التي كان متّى مرتبطاً بها في القرن الأول . وفي إطار حياة يسوع، وكذلك في إطار الكنيسة الأولى، كانت التعاليم الأخلاقية للموعظة تُسبق بالكرازة بالرسالة المسيحية وقبولها .

حذر يسوع أيضاً أتباعه من أن البعض منهم سيُضطهدون بسبب عقيدتهم . ومن المعتقد أن رئيس الأساقفة ينانى لووم قد اغتالته السلطات الأوغندية لمعارضته للظلم.

عاشت الأم تريزا سنيناً طويلة في كلكتا تعتنى بالمرضى واليتامى. ويسوع أوصى أتباعه بصفة خاصة أن يساعدوا المحتاجين.



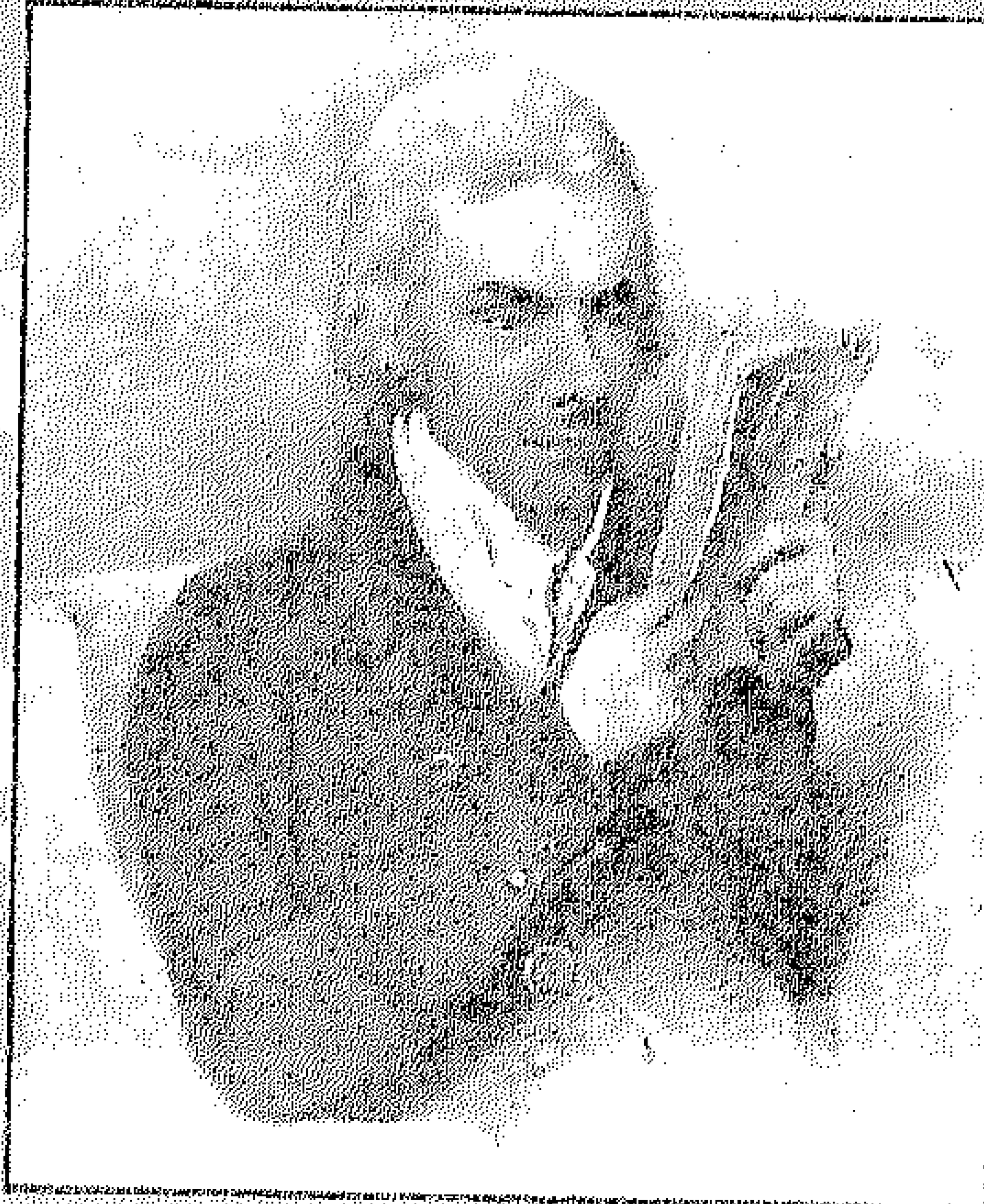


وقد أوضح "دود"، أنه يمكن التمييز بين خطيّن من التعليم المسيحي الأول في العهد الجديد، ومن المثير أن نجد أنهما يتناغمان مع النموذج العام الذي لاحظناه في تعاليم العهد القديم الأخلاقية . فمن ناحية هناك نوعية التعليم التي يسميها "الكرازة Kerygma" وتمثل هذه في الأساس إعلاناً عما فعله الله للبشر من خلال حياة يسوع وموته وقيامته.

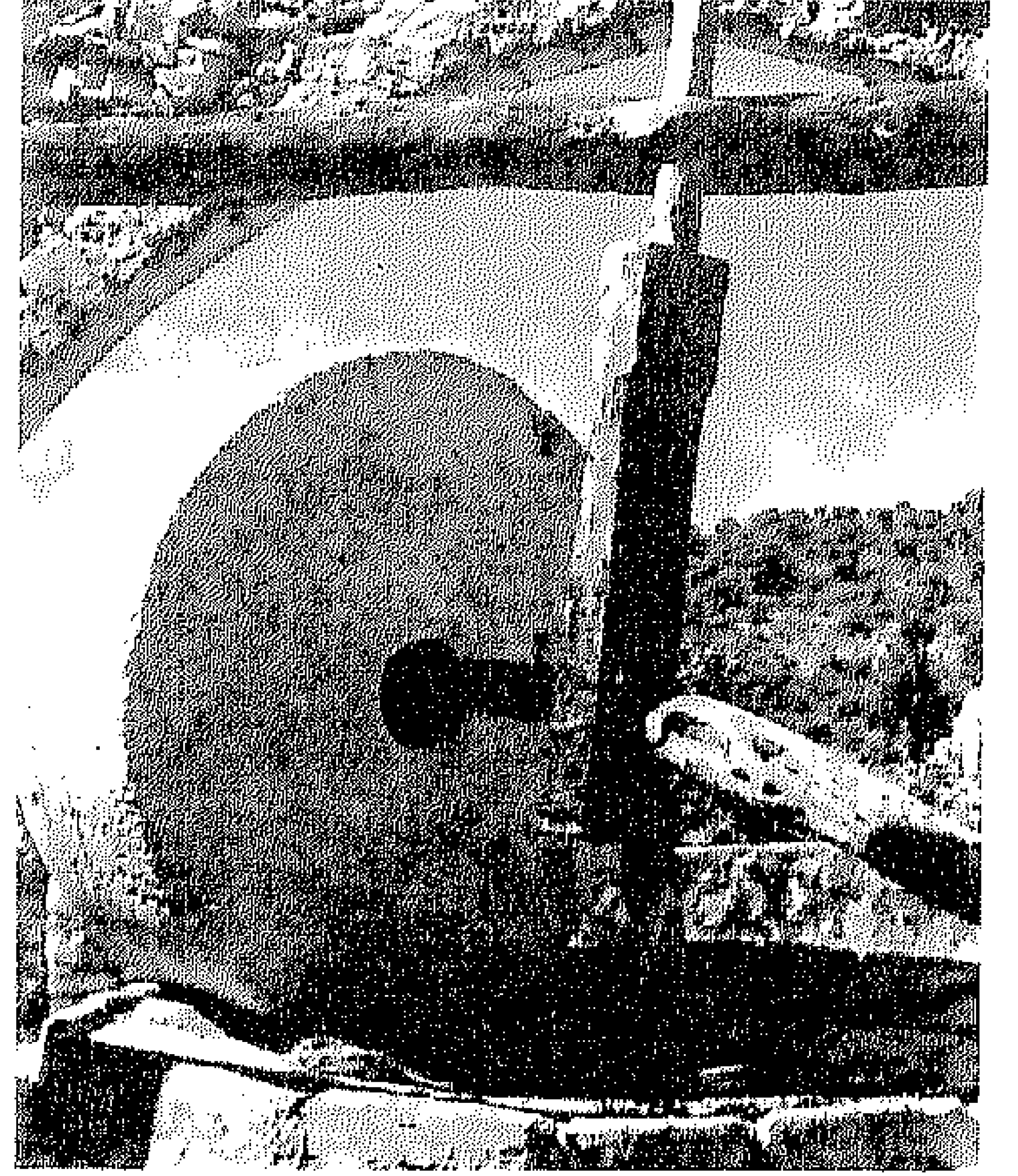
قال يسوع : "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ" وكان تعليمه الأخلاقي مصدر إلهام للكثيرين. وأسلوب حياة الأفراد، بل ومجتمعات بأكملها تغير بتطبيقه من قبل مسيحيين مخلصين.

وليم ويلبرفورس William Wilberforce كان سياسياً مسيحياً في القرن التاسع عشر، وقد قام بحملة استغرقت سنين كثيرة لإلغاء تجارة العبيد.

كذلك الايرل شافتزبري Earl of Shaftesbury حارب أيضاً أثناء القرن الأخير من أجل ساعات عمل أقل، وتحسين ظروف العمل في المناجم والمصانع الإنجليزية.







وهذا يماثل الطريقة التي دُعي بهـا إبراهيـم وذريته وأُقيمـوا كأمـة في العهـد القديم.ولقد عمل ا لله مـن خـلال المسيح ليس كنتيجة لأي قيمـة أخلاقيـة في الشعب الذي أصبح من أتباعه، ولكن بدافع من محبته غير المُستحقة ـــ وهـذا مـا يسميه المسيحيون "نعمة" . وكما دُعيت إسرائيل لإطاعة الناموس على أساس ما فعله ا لله. فهكذا أيضـاً أعطـى المسيحيون الأوائـل نصائح وتحذيرات أخلاقيـة وروحية .

وأطلق البروفسـور "دود"على هـذا الخط وصـف "تعليـم : didache" . وبوسعنا أن نرى هذين الخطّين بوضوح تام في بعض رسائل بولس. والـتي غالبـاً ما تعرّض للمسائل اللاهوتيـة أولاً ثـم تصور مناشـدة عملية للمسيحيين على أساس الحجج اللاهوتية . غير أن الفرق ليس مهمـاً للغايـة، والواقـع أن الكـرازة Kerygma والتعليـم Didache يلتقيـان في النهايـة معـاً، لأن أخلاقيـات العهـد الجديد لم تكن تتمثل في بعض القواعد التى فُرضت من خـارج، بـل فـى نوعيـة من الحياة أُعطيت للمسيحيين نتيجة ما عمله المسيح من أجلهم .

كـان بإمكـان يسـوع أن يكـون حازماً، كما كان بإمكانه أن يكـون ودوداً مهتماً. وقـد قـال ذات مـرة: "ومن أعثر أحـد هـؤلاء الصغـار المؤمنين بي فخير لـه أن يعلـق في عنقه حجر الرّحى ويغرق في لجّة البحر.

وبإمكاننا أن نوضح هذا من الأقوال المتعلقة بالإنسان كفـرد، والـتي وردت في الموعظة على الجبل، والتي لا يمكن فهـم أي منهـا بمعزل عـن الإيمـان بأنـه في المسيح اقتحم ا لله التاريخ بطريقة حاسمة . فحين قال يسوع لتلاميذه أن يغفـروا

مت٦: ١٤-١٥ للآخرين زلاتهم، فكان ذلك على أساس أنهـم هـم أنفسـهم نـالوا غفـران ا لله.

مت٥: ٤٤ وحين طلب منهم أن يحبوا أعداءهم، فنحن نتذكر فاعلية محبة ا لله الـتي أُظهـرت لهم دون أي استحقاق . وفي كل حالة نجد أن عطية ا لله، ونعمته المجانية، دائمـاً تأتي قبل طلب شيء . وحتى العمل المرسلي الذي قام به التلاميذ كان لابـد أن

مت١٠: ٨ يتم على نفس هذا الأساس . وقد قال لهم يسوع : "مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا".

يسوع يعلّم أخلاقيات الحرية

من بين أعظم الإغراءات التي يتعرض لها قرّاء الموعظة على الجبل، محاولـة تفسيرها كمجموعة من القواعد والتعليمات - كناموس جديد للمسيحيين، يحل

دائماً بدلاً من ناموس العهد القديم العتيق . وهذا شيء برز في وقت مبكر جـداً من تاريخ الكنيسة، ويعتقد بعض الباحثين أنه حتى متّى نفسه اعتبرهـا "ناموسـاً جديداً" سلّمه يسوع على جبل في الجليـل، مثلمـا سُلّم "النـاموس القديـم" بيـد موسى على جبل سيناء .

في الموعظة على الجبل تحدث يسـوع عن أولئك الذين لم يتسع إيمـانهم ليتقوا الله بالنسبة لأمورهم اليوميـة. وقال : "تأملوا زنـابق الحقـل كيـف تنمو "ا لله هو الذى يلبسها. "أليـس بالحرى جداً يلبسكم أنتم".



غير أن تعليم يسوع الأخلاقي لم يُقصد به إطلاقاً أن يكون "ناموساً" بأي حال من الأحوال .

• تعليم الموعظة على الجبل يختلف تماماً عما نعرفه في العادة بأنه "ناموس" فمعظم النواميس تقوم على أساس الكيفية التي يتم بها حساب السلوك المتوقع والذي يمكن قبوله من أغلبية الذين تم وضع القانون من أجلهم، والناموس الذي لا يمكن حفظه هو ناموس سيىء، وليس من فائدة في عمل ناموس للضغط على الناس لكي يصبحوا على ما يخالف حقيقتهم . ولكن هذا بالطبع هو ما يعمله بالضرورة تعليم يسوع . فهو يطلب منا أن نكون مختلفين عما نحن عليه بالطبيعة . ولذلك لا يكفي أن نعتبره كناموس جديد، لأن متطلباته ليست من النوعية التي يمكن لأي إنسان أن يوفيها بمجرد بذل الجهد .

• طوال مدة خدمته كان يسوع في نزاع مع الفريسيين، وهم مشرعو الأمة اليهودية . فقد كانوا مهتمين بالأعمال التي يمكن التحكم فيها بواسطة القواعد . إلا أن نهج يسوع كان على النقيض من ذلك تماماً . فقد كان يهتم بالأكثر بالناس والمبادئ . وسر الصلاح عنده لا يكمن في إطاعة التعليمات، بل في الأعمال التلقائية للطبيعة التي تغيرت . "لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً
ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة" . مت٧: ١٨

وتعليم يسوع ليس ناموساً، بل هو أخلاقيات للحرية . فالذين يقبلون سيادة الله في مجتمعه الجديد يتمتعون بحرية أن يعرفوه في إطار علاقة حيّة كأبيهم. وموعظة يسوع على الجبل لا تقدم أحكاماً وتعليمات بل هي تقدم لنا مبادئ، والمبادئ تهتم بماهية الشخصية أكثر مما تهتم بما يعمله . وليس معنى هذا أنه لا أهمية للأعمال، بل أن يسوع أدرك أن الطريقة التي نسلك بها تعتمد على نوعية الناس التي نحن منها . وبدون الميل و التحفيز الداخلي الصحيح، لن يكون بمقدورنا حتى أن نبدأ في فهم تعليم يسوع الأخلاقي . لأنه كما أوضح "مانسون T.W.Manson" الأمر ببراعة فقال: تعليم يسوع يُعد بوصلة وليس خريطة المعدّات العسكرية، فهو يُقدم لك الاتجاهات لا التوجيهات .

هل ألغى يسوع ناموس العهد القديم

مت٥: ١٧-١٨

هناك قول ورد في الموعظة على الجبل كثيراً ما أثار بعض المصاعب. وهو القول الذي جاء في: " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل".

وقد قُدمت عدة تفاسير لهذا القول:

• أبسطها هو القول بأن هذه العبارة في الواقع لم تصدر عن يسوع، ولكنها جاءت في العظة في وقت لاحق، وهي تعكس موقفاً في كنائس اليهود المسيحيين، والذين كان متّى يكتب لهم إنجيله.

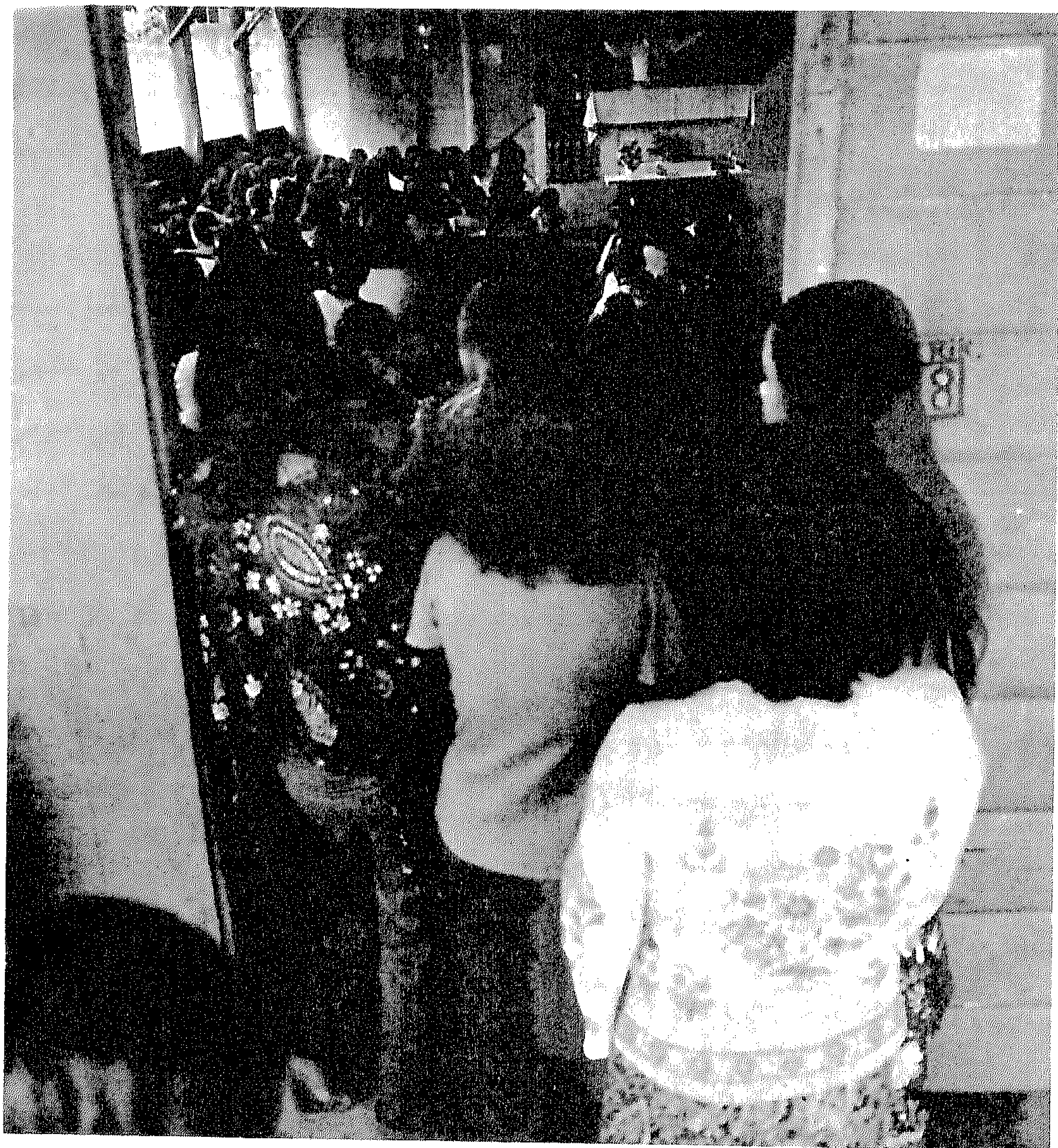
ولعل متّى كان يفكر في الفوضى التي حدثت في بعض الكنائس نتيجة سوء فهم تعليم بولس عن الحرية من قيد الناموس، وربما أراد أن يحول دون وقوع أية حركات مماثلة من قِبَل المسيحيين الذين كان يعرفهم. وربما بدا هذا أنه حل متطرف، لكن هذه الآيات لا تتناغم طبيعتها مع بقية ما جاء في تعليم يسوع بجملته، حتى أن مفكرين كثيرين اعتقدوا أن هذا هو أفضل حل.

• قيل أيضا إنه حين تكلم يسوع عن "تكميل الناموس" فربما كان يعني شيئاً مختلفاً إلى حد ما عما اعتقدنا أنه قصده. فالمجتمع الجديد الذي يتحدث عنه يسوع، عادة ما يُصور على أنه تكميل للعهد القديم، وكان ثمة عنصر هام في العهد القديم وهو أن شعب الله بمقدوره أن يتمتع بعلاقة حية معه. وعلى الرغم من أن الكتبة والفريسيين فرّغوا هذه العلاقة من مضمونها، وضمنوها تشريعاتهم، إلا أنه ربما كان يسوع يشير إلى غايته الأساسية، والتي تطلب بالنسبة لحياة الشخص أن تكون حياة الإنسان مستقيمة أمام الله: "وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك" (ميخا٦: ٨).

• ومن المحتمل أيضاً أن ما قاله يسوع عن استمرارية الناموس لا يجب فهمه حرفياً. ومثل الكثير من تعاليمه، من الممكن أن يكون هذا أسلوب مبالغة للتأكيد على أن إرساليته ورسالته كلها لها أصولها العميقة في الإعلان الإلهي الذي تضمنه العهد القديم.

الباب الثالث

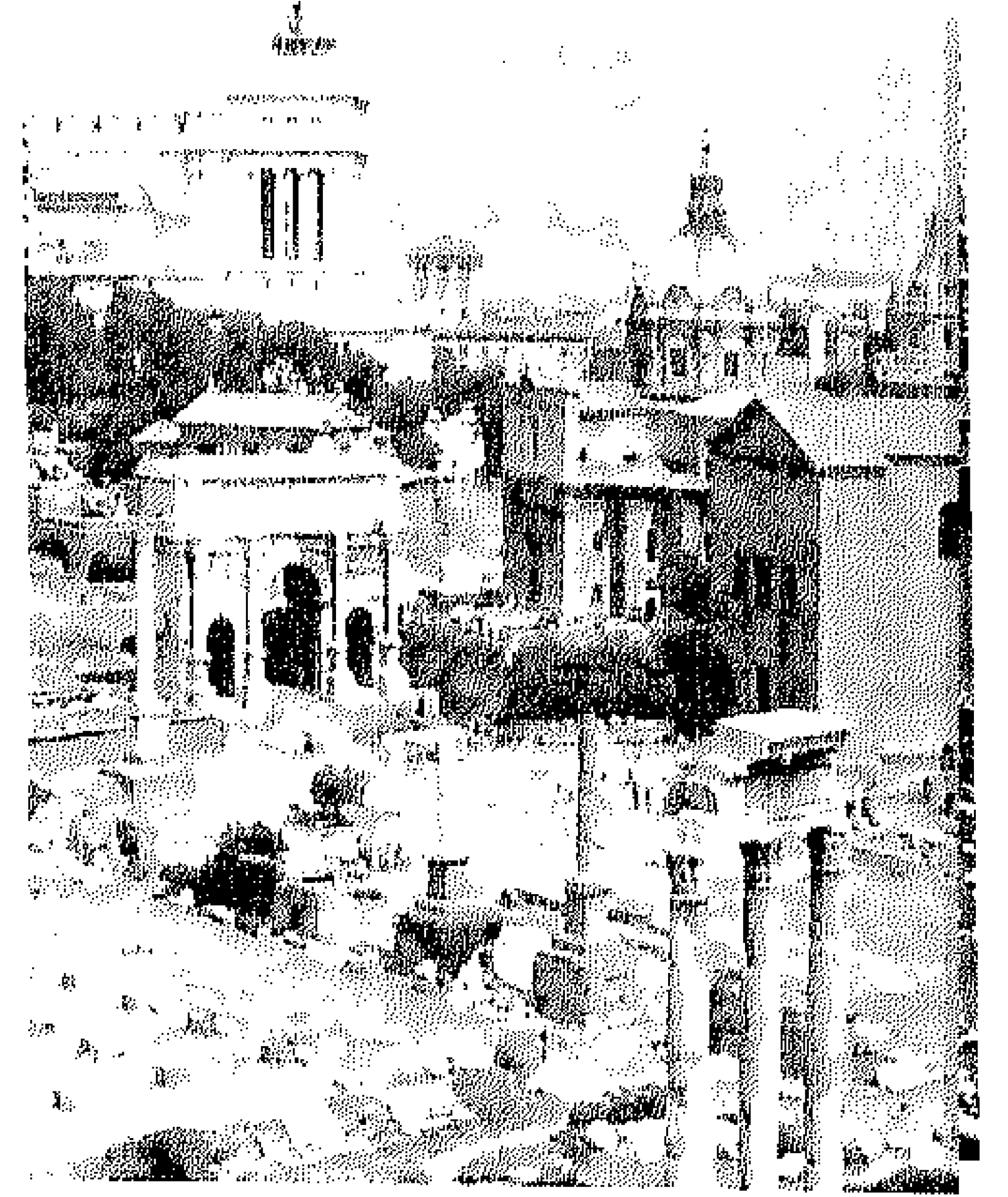
كيف عرفنا يسوع



الفصل العاشر

ما هي الأناجيل

في البابين الأولين من هذا الكتاب، ذكرنا الكثير عن حياة يسوع وتعليمه، ولكننا لم نتحدث إلا القليل جداً عن الكيفية التي عرفنا بها يسوع . ومن الطبيعي أن الصورة التي تخيلناها عنه قامت على أجزاء العهد الجديد التي تحدثت عن حياته وعمله، وهي الأسفار الأربعة التي نطلق عليها "الأناجيل" والتي ترتبط عادة بأسماء : متّى ومرقس ولوقا ويوحنا .



حطام الساحة العامة في روما (ترتبط بلوقا ومرقس).

إلا أنه، يتعين أن يكون واضحاً الآن أنه في فهمنا للأناجيل قمنا بعمل عدة افتراضات، وبشكل أو بآخر، تخيلنا صورة يسوع التي قُدمت هنا . وعلى سبيل المثال، افترضنا أن الأناجيل ليست سيراً ذاتية ليسوع، بقدر ما هي عرض لمختارات من نواحي حياته وتعليمه التي بدت ذات أهمية بالغة لأولئك الذين كتبوها لأول مرة . وعلاوة على ذلك، افترضنا أن هناك الكثير من التداخل والتكرار في الروايات العديدة لحياة يسوع، ولذلك ربما يُستخدم إنجيل لتوضيح أو تفسير التعليم الذي ورد في إنجيل آخر . ثم لّمحنا أيضاً إلى أنه من الممكن في الواقع معرفة شيء عن يسوع من دراسة الأناجيل، وأنه على الرغم من أنها فعلاً من نتاج الكنيسة الأولى، إلا أنها لا تُحدثنا عن كاتبيها فقط، بل عن يسوع نفسه .

وقد حان الوقت الآن لدراسة بعض هذه الافتراضات، بشيء أكثر تفصيلاً، لشرح الأسباب التي دفعتنا على افتراضها، ولاستكشاف تداعياتها .

ما هو الإنجيل

القارئ الحديث الذي يرى أحد الأناجيل لأول مرة قد يعتقد أنه يشبه إلى حد كبير سيرة ذاتية ليسوع . إلا أن لمحة خاطفة لأي منها، ستبين أن الأمر ليس

كذلك . فالسيرة الذاتية الجيدة تبدأ عادةً برواية عن سنوات طفولة الشخصية التي تتناولها، ثم تعرض بالتوالي إلى مرحلة المراهقة ثم البلوغ، كي تبين كيف نما الشخص الناضج استجابةً للتأثيرات المختلفة في بداية حياته و البيئة التي نشأ فيها. وعلى النقيض من ذلك، نرى أن التأكيد الرئيسي في الأناجيل لا ينصب على مجرى حياة يسوع، بل على أحداث الأسبوع الأخير منها على وجه التقريب . وهذه سبقتها تقارير عن تعليم يسوع، ورواية عن بعض الأحداث القليلة ترجع إلى فترة الثلاث سنوات السابقة لوفاته، مع عدم أى ذكر في الواقع لطفولته وفترة مراهقته.ولو كانت هذه سيرة ذاتية، فإنها لا ريب سيرة ذاتية غير عادية .

وبمقدورنا و بمنتهى السهولة أن نعرف حقيقة الأمر بالرجوع إلى الأناجيل ذاتها . وعوض أن نحاول تصنيفها كما يفعل أي أمين مكتبة الآن، علينا أن نسأل، ماذا اعتقد كاتبوها بخصوص ما يفعلون وهم يكتبونها ؟ لنأخذ على سبيل المثال إنجيل مرقس، وهو الإنجيل الذى يُعتقد بوجه عام أنه أقدم الأناجيل
مر ١:١ الأربعة . والكاتب يصف عمله في العبارة الافتتاحية على أنه "بدء إنجيل يسوع المسيح". وهذا القول يأتي كعنوان أو مقدمة لما سيتبعه، ونجد هنا كلمتين هامتين لفهم الغرض من هذا الإنجيل ، والكلمتان هما : "بدء" و"إنجيل" . وكلمة " إنجيل " هي ببساطة ترجمة لكلمة مرقس اليونانية "Evangilion" وقد اختيرت أساساً لأن للكلمتين معنى واحد هو: "أخبار سارة" . إذًا، فقد كان مرقس يكتب عن " بدء الأخبار السارة " .

أع١٢: ٢٥-١٣: ١٣ وماذا يعني هذا ؟ لقد سمع مرقس وكتبة الأناجيل الأخرى "الأخبار السارة"
١٥: ٣٦-٤٠ عن يسوع . ولقد تقبلوا مصداقيتها واعترفوا بيسوع كسيد لحياتهم . ومرقس
كو٤: ١٠ نفسه أصبح بناء على ذلك منخرطاً بشكل عميق في عمل الكنيسة، وتضمن
٢تي٤: ١١ جزءًا هامًا من عمله كلاً من الكرازة وتعليم الرسالة مما غيّر مجرى حياته هو
شخصياً . والكرازة والتعليم المشار إليهما سُجلا فى العهد الجديد، وفي صيغته

الأساسية الخالصة يتكون من أقوال لخصها "دود" في تعريفه في كتابه "الكرازة الأولى". وبالنسبة لمرقس ومعاصريه لم تكن هذه الرسالة مجرد ذكر للحقائق المتعلقة بالإيمان المسيحي، بل كانت بمعنى أهم "الأخبار السارة" لإيمانهم، لأنهم فيما قبلوا دعوتها للتوبة وجدوها اختبار تغيير حياة.

ولذلك حين وصف مرقس إنجيله بأنه "بدء الأخبار السارة" فهو بهذا كان يقول إن هدفه هو أن يصف المرحلة الأولى من تطور الرسالة التي استجاب لها هو وآخرون. والقصة التي يرويها تشكل جزءاً هاماً لا يتجزأ من قصتهم واختبارهم كمسيحيين، وكان للوقا غرض مماثل: فهو يكتب ليعرّف
لو ١: ٤ قراء المضامين الكاملة للرسالة المسيحية التي كثيراً ما سمعوا عنها.
والواقع أن لوقا شعر أنه من الواجب عليه أن يؤكد استمرارية حياة الكنيسة بحياة المسيح، وذلك بكتابة سفر آخر (سفر أعمال الرسل) ليجعل القصة كاملة تماماً.

وحين نطلق على كتبة الأناجيل لقب "إنجيليين" فإننا بذلك نصف قصدهم الحقيقي. لأنهم كانوا مهتمين بالدرجة الأولى بأن يوصلوا رسالتهم عن يسوع إلى معاصريهم، ثم بعد ذلك -بصفة ثانوية- يتناولون الاهتمامات العادية لكاتب السيرة، ولو أنهم لم يهتموا بهذه النقطة الأخيرة. وهذه الحقيقة لها على الأقل ثلاث نتائج هامة لفهمنا للأناجيل التي كتبوها:

يجب النظر إلى الأناجيل على اعتبار أنها تتضمن أقوالاً أو أحداثاً انتقائية تتعلق بحياة يسوع وتعليمه. وفي كرازتهم للرسالة لا ريب أن الرسل وآخرين تحدثوا عن أحداث من حياة يسوع بنفس الطريقة التي قد يستخدم بها الكارز الحديث توضيحات ملائمة لتفسير نفس النقاط اللاهوتية التي يعرض لها. ولا ريب أن مرقس والإنجيليين الآخرين كانوا قد سمعوا عن هذه الأحداث التي استعملت لتوضيح كثير من المواعظ، وضمنوها أناجيلهم لأغراض مماثلة وبشكل أوسع. والواقع أن "بابياس Papias" وهو أحد آباء الكنيسة الأولى زعم أن إنجيل مرقس يتكون من مادة استُخلصت من كرازة بطرس نفسه.

وحقيقة أن المعلومات التي تضمنتها الأناجيل التي استُعملت أولاً لتوضيح رسالة الكنيسة تُفسر لنا أيضاً بعض الصعاب التي كثيراً ما نستشعرها عما يبدو لنا من عدم اكتمال بعض روايات الإنجيل . وإذا جمعنا بين الأناجيل الأربعة معاً فبالكاد تحوي المعلومات الكافية لتسجيل ثلاث سنوات من حياة أي شخص، فما بال أن يكون هذا الشخص نشيطاً كيسوع . إلا أنه إذا ما عرفنا أن المعلومات المتوافرة لنا قد حُفظت بسبب ارتباطها بحياة أولى الكنائس، سنفهم بسهولة السبب فى أن الكثير مما كنا نود معرفته قد تُرك دون تدوين .

وهذا يفسر لنا السبب في أننا لا نجد أى ذكر في العهد الجديد لطفولة يسوع المبكرة، بل ولا أية أوصاف بالنسبة لشبهه أو من أية نوعية من الأشخاص كان . ولوكان الإنجيليون يكتبون لمجرد إشباع فضول الناس ورغبتهم في معرفة كل شيء عن يسوع، لضمنوا أناجيلهم هذه النوعية من المعلومات . ولكن هذا لم يكن قصدهم، لأنهم كانوا مهتمين بصفة أساسية بربح الناس للإيمان بربهم وسيدهم، ولهذا السبب لم تكن مثل هذه التفاصيل تهمهم من هذه الناحية .

• إذا كانت الأناجيل توضيحات للكرازة الرسولية، فهذا معناه أنه ليس بوسعنا النظر إلى محتوياتها على اعتبار أنها قصص بسيطة عن يسوع . فلابد وأن يكون لها صلة وثيقة بالفكر اللاهوتي لكُتّاب الإنجيل . وقد جاء وقت انتشرت فيه فكرة إفتراض أنه من الممكن أن نستخلص من الإنجيل صورة لمعلم جليلي بسيط، غيّرها بولس وآخرون في وقت لاحق إلى رسالة لاهوتية عن ابن الله . إلا أنه أصبح من المعروف الآن، وعلى نطاق واسع أن الأناجيل نفسها هى بذاتها من بين أكثر الوثائق اللاهوتية الهامة للكنيسة الأولى، وأن الحقيقة هي أنه ليس بوسعنا إطلاقاً اكتشاف صورة ليسوع كمعلم بسيط من الجليل . وبقدر ما استطعنا الرجوع إلى المصادر القديمة، فإن يسوع الذى وجدناه على صفحات العهد الجديد هو دائماً شخص يزعم لنفسه أموراً

عظيمة، ويدلي بأقوال محددة عن علاقة الإنسان بالله . وكل تعاليمه، وكل حدث سجلته الأناجيل يتضمن بصفة خاصة شيئاً لاهوتياً يريد قوله لنا .

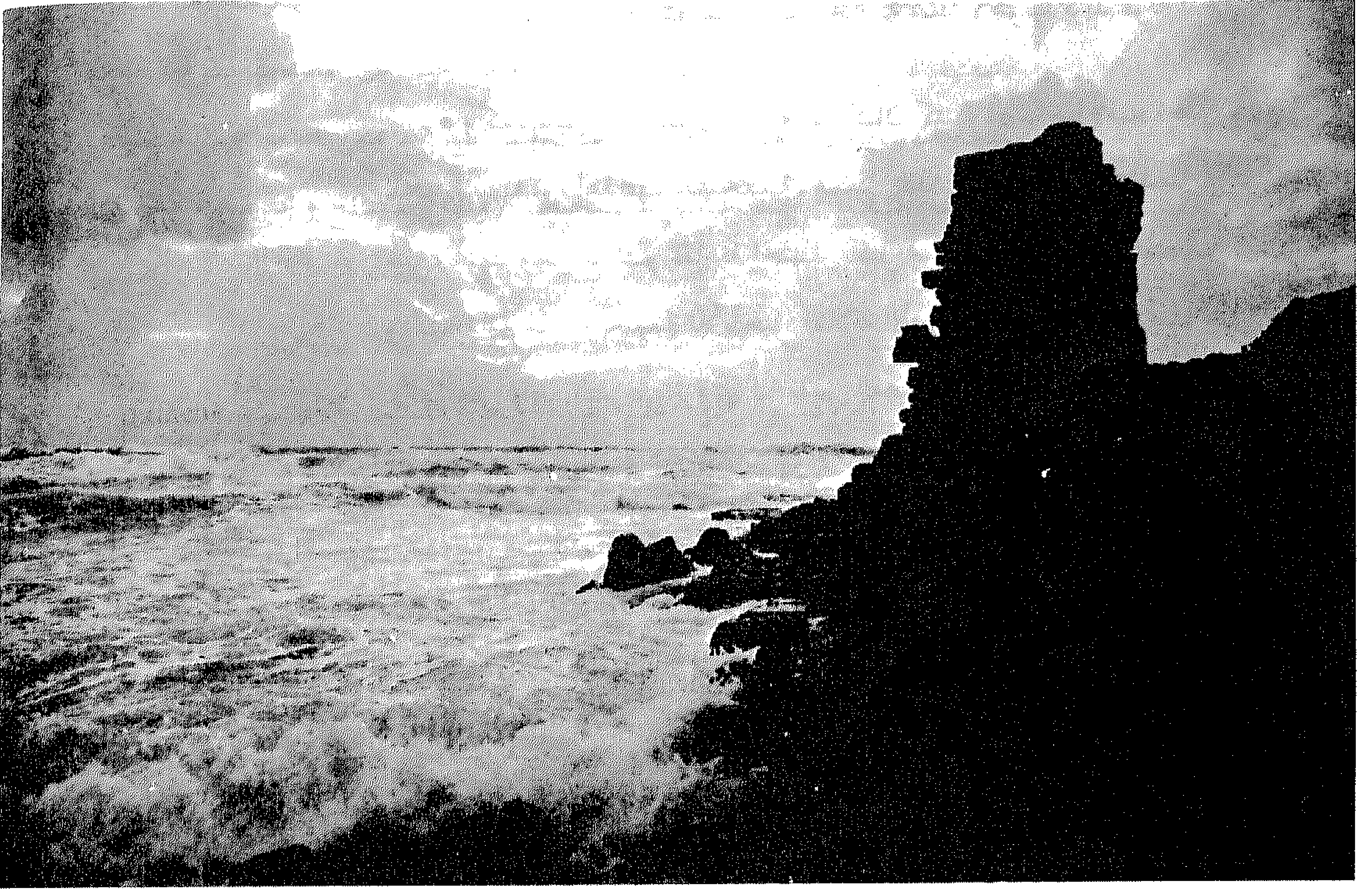
• وكما سبق لنا القول، فإنه إذا كان كتبة الأناجيل قد اختاروا مادة للكتابة ليخدموا أهدافهم الشخصية، فمعنى هذا أنه قد يكون بوسعنا اكتشاف شيء عنهم وعن قرائهم بمقارنة اختيار كل منهم للمعلومات المتعلقة بيسوع واستخدامه لها . وبالنسبة للأناجيل الثلاثة الأولى بمقدورنا عمل ذلك بكل يسر، لأنها على وجه التقريب تروي لنا نفس القصة وبنفس الترتيب، وكل منها يكرر أجزاء كبيرة من المادة التي نجدها في الأناجيل الأخرى . وبمقارنة الطرق المختلفة التي استخدم بها كل من متّى ومرقس ولوقا أعمال يسوع وتعليمه في رواياتهم، يمكننا بسهولة أن نعرف شيئاً عنهم والوضع الذى عاشوا وعملوا فيه .

وعلى هذا، فإنه لكي نفهم الأناجيل فهماً تاماً فإن ذلك يشكّل عملية معقدة. فنحن نحتاج إلى معرفة السبب في أن الإنجيليين كتبوا بالطريقة التي كتبوا بها، ومتى كان ذلك . فإننا سنحتاج إلى محاولة فهم الطريقة التي جمعوا بها مادتهم، ولماذا استخدموها بطريقة معينة دون أخرى . كما أننا علينا أن نتذكر وبصفة دائمة أن أناجيلهم لم تكتب إلا بقصد المهمة الكرازية للكنيسة: وهي لم تُكتب كسيرة ذاتية أو تاريخ، أو حتى كمادة لاهوتية بالمعنى المألوف .

الكرازة والكتابة

هناك سؤال واضح يمكن طرحه فيما يختص بالأناجيل وهو: من أين استقى كُتّاب الأناجيل معلوماتهم، وما الذى عملوه بها ؟ وللوهلة الأولى قد يبدو هذا سؤالاً خارجاً إلى حد ما عن الموضوع ، أو نوعاً من تسلق قمة جبل إفرست بالنسبة للاهوتي، يجب عليه قهرها لا لشئ سوى أنها موجودة. لكنه سؤال مفيد يؤدى إلى فهم مقنع لطبيعة الأناجيل . فتتبع مصادر كاتب ما وفحص أسلوبه في استخدامها يمكن أن يشكل جزءاً هاماً لفهم ما يقوله . فإذا كنا نعرف ما يعمله، فبإمكاننا أن نفهم وبوضوح أكثر، ما الذي يهدف إليه . وإذا

أسأنا فهم طريقته، فمن المحتمل تماماً أننا سنفشل في فهم رسالته الأساسية.



أطلال على شاطئ بحيرة قيصرية مرتبطة بإنجيل لوقا في صيغته النهائية.

وبالنظر إلى أنه من المؤكد أن الأناجيل قد كُتبت في سياق كرازة الكنيسة الأولى، فلنا أن نتوقع وجود بعض إلماحات إلى أصلها، وذلك بفحص رسالة الكنيسة . وهذا ما يتضمن بالضرورة ثلاثة موضوعات رئيسية، **أولاً**: الإنجيل المسيحي مرتبط بالمواعيد المذكورة في العهد القديم . **ثانيًا** : سلسلة من الأقوال عن يسوع وأهميته . **وأخيراً**: كانت هناك دعوة للناس أن يتوبوا أو يقبلوا الرسالة .

نصوص العهد القديم

بدأت الرسالة بالقول إن المواعيد التي تضمنها العهد القديم قد تحققت في حياة يسوع . وفي ملخصات العهد الجديد لهذه الكرازة، كثيراً ما يُقدم هذا القول بطريقة عامة إلى حد ما . إلا أنه في مواقف الحياة الواقعية لابد وأنه كان

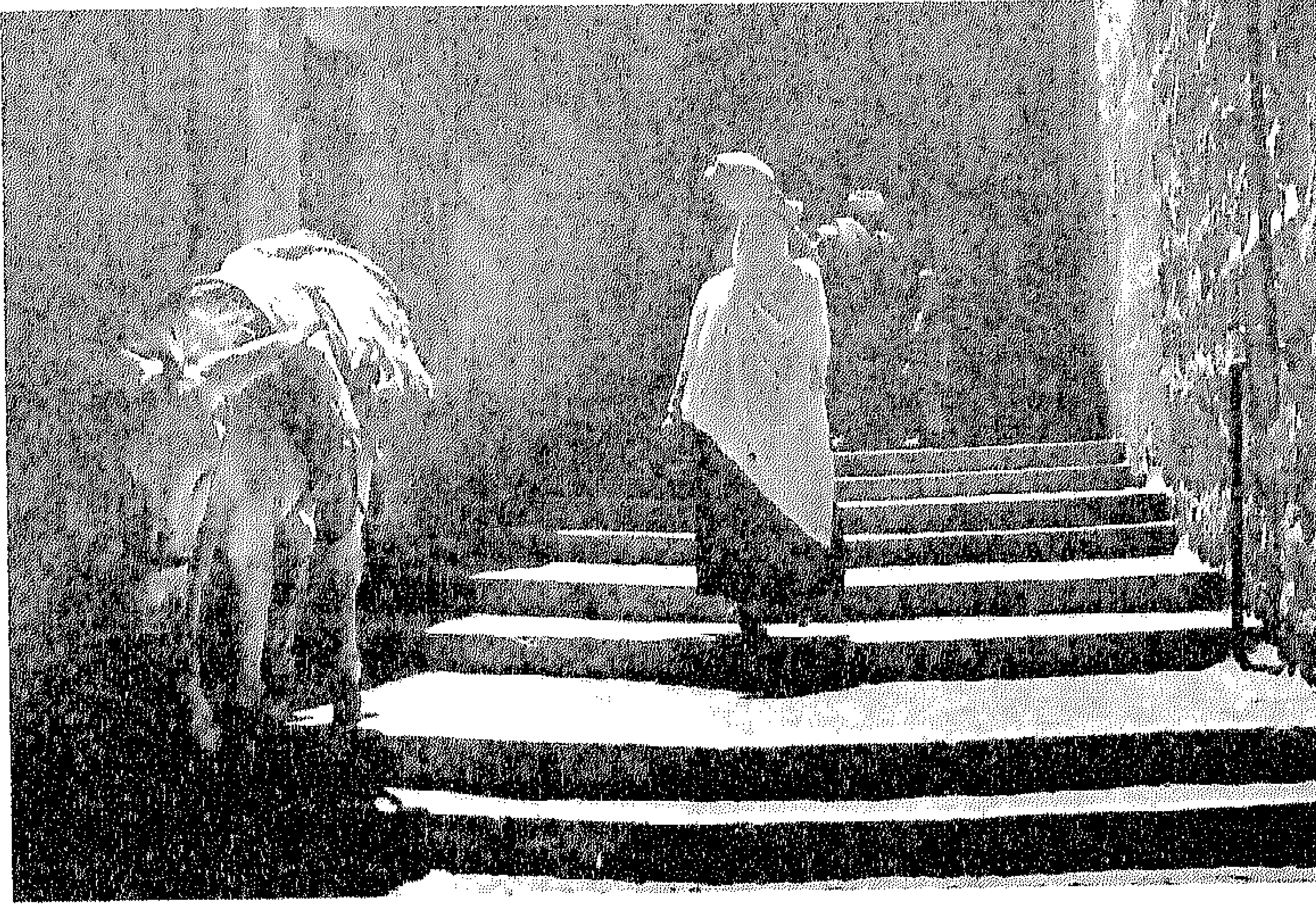
إعلاناً جاء أكثر وضوحاً . فأي شخص ملم بالعهد القديم لن يقتنع إلا بعد أن يعرف تماماً ما هي النبوات التي كان من المفترض أن تتم بيسوع . ونعرف من دليل آخر أن من بين الأعمال المفضلة لدى اليهود هي جمع قوائم لفقرات العهد القديم التي سيتممها المسيّا حين يأتي . وعلى سبيل المثال نجد أن أهل قمران كانوا يحتفظون بمثل هذه القوائم، وهكذا فعلت جماعات يهودية أخرى . وهذه القوائم يشير إليها العلماء عادة بكلمة "شهادات" .

وهناك عدد من الإشارات فى العهد الجديد بأن قوائم النصوص هذه كان المسيحيون يستعملونها بشكل منتظم منذ البداية .فنجد فى إنجيليّ متّى و يوحنا كثيراً من نصوص العهد القديم قد ذُكرت للاستشهاد بها ، مع إشارة إلى أنها تحققت في حدث معين فى حياة يسوع . ومع ذلك و مما هو لافت للنظر أنهما بالكاد يستعملان نفس الفقرات . ولعل ذلك يرجع إلى أنهما كانا يستعملان مجموعات مختلفة من الشهادات . كذلك في بعض رسائل بولس، نجد أيضاً نصوصاً من العهد القديم جُمعت معاً في فقرات متصلة فيما يبدو أنها جاءت عشوائية، ومن المعقول أن نعتقد أن بولس وجدها أساساً وهي مجمّعة معاً تحت نفس العنوان في مجموعة نصوص العهد القديم الخاص به . ولعل جمع هذه النصوص من العهد القديم كان من أوائل النشاط الأدبي للكنيسة المسيحية . فقد كانت من أجل تسهيل عمل الكارزين المسيحيين، حتى يكون بمقدورهم أن يستشهدوا بنماذج معينة منها لدعم أقوالهم بأن يسوع أكمل مواعيد العهد القديم الخاصة بالمسيا .

كلمات يسوع

إن العنصر الرئيسي في الكرازة Kyrgma هو سلسلة الأقوال التي ذُكرت عن يسوع نفسه . ومن المؤكد أنه في الأيام الأولى من وجود الكنيسة لم يكن من المستطاع إعلان الرسالة إلا بإشارة عابرة إلى حياة يسوع وتعليمه . ذلك أن معظم المسيحيين كانوا أصلاً من اليهود، وكانت الكنيسة لا تزال شيعة محلية

فلسطينية، ولابد أن كثيرين في فلسطين قد عرفوا شيئًا عن يسوع، مهما كان قليلاً . إلا أنه لم يمر وقت طويل إلا وكان المرسلون المسيحيون ينتشرون في أماكن خارج فلسطين، حاملين تعليمهم إلى أجزاء الإمبراطورية الرومانية حيث لم يكن أحد يعرف شيئاً عن يسوع . ولابد أنه كان من الضروري في هذه المرحلة، بالنسبة للكارزين بالأخبار السارّة أن يضمنوا رسالتهم بعض المعلومات الحقيقية عن يسوع نفسه، حتى وإن اقتصرت على أحداث موته وقيامته .



شارع في أورشليم (يرتبط بيوحنا).

وما أن يصبح الناس مسيحيين إلا ويحتاجون إلى تعليم بخصوص إيمانهم الجديد . وهذا التعليم يتضمن معلومات عن المعتقدات المسيحية، وكذلك نصيحة عن السلوك المسيحي من النوعية التي كثيراً ما نجدها في رسائل العهد الجديد . ومن مصادر هذا التعليم الواضحة والهامة لابد وأن تكون الأقوال التي يذكرون أن يسوع نفسه قالها . وليس من الضروري أن تقدم هذه كمعلومات عن يسوع، وهذا ما نستطيع معرفته من نصيحة بولس إلى أهل رومية (١٢-١٣) . فالكثير مما يقوله قريب جداً من تعليم يسوع في العظة على الجبل حتى إنه من الصعب الاعتقاد أن الاثنين لم يستندا إلى نفس المصدر . ومع ذلك لم يقل بولس مطلقاً إن نصيحته مستمدة من تعليم يسوع نفسه. وهناك أجزاء

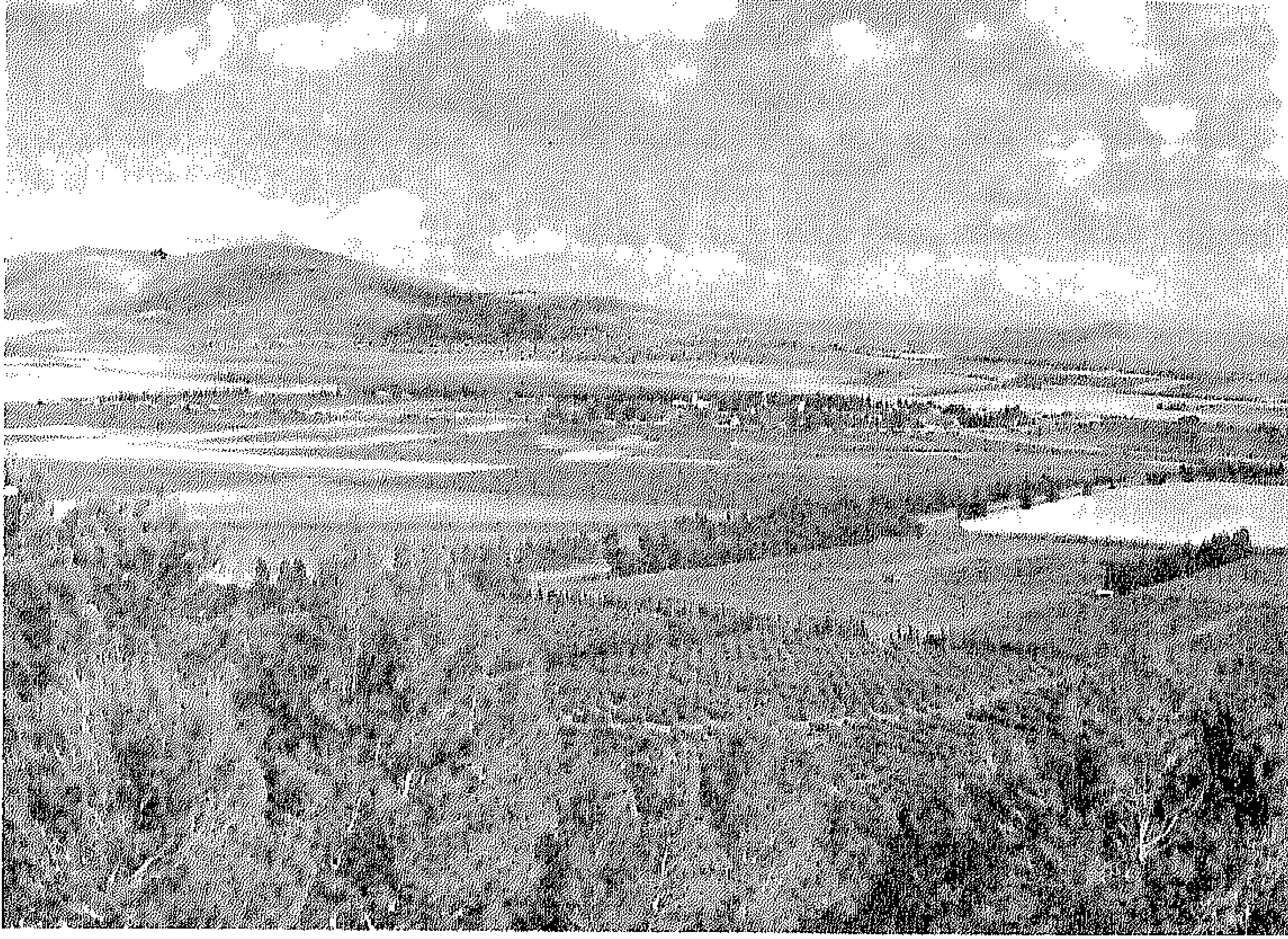
١كو٧: ١٠-١١ أخرى من كتابات بولس تبين أيضاً أن تقاليد تعاليم يسوع كانت معروفة لدى كنائس الأمميين الأولى . لذلك فمن المحتمل جداً أنه قبل كتابة الأناجيل بصورتها الحالية بوقت طويل كانت أقوال يسوع قد جُمعت معاً كدليل لإرشاد المعلمين فى الكنيسة الأولى . ولاشك أنه كان هناك عدد من مجموعات تعليم يسوع هذه، عُملت لأغراض ومناسبات مختلفة في حياة الكنيسة، والدارسون كثيراً ما يطلقون على هذه المجموعات كلمة "Logia" أي أقوال السيد المسيح .

وعلاوة على الاعتبارات العامة السابق ذكرها، هناك العديد من المبررات الأساسية الهامة للاعتقاد بأن هذه كانت من أول أنماط الكتابة المسيحية عن يسوع .

• ونعرف أنه كانت توجد مجموعات لاحقة من هذه النوعية، حتى بعد كتابة أناجيل العهد الجديد بفترة طويلة . وهناك عدد من قصاصات البرديات التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي، والتي وُجدت في البهنسا في مصر، تحتوي على أقوال ليسوع، بعضها مختلف عن تلك الموجودة في الأناجيل . وقد وُجد كتاب كامل لمثل هذه الأقوال مكتوب باللغة القبطية تم العثور عليه في مصر .وقد عُرف باسم "إنجيل توما" . وهو يحتوي على أقوال ليسوع ليست موجودة في العهد الجديد، ومع ذلك قد تكون حقيقية . ومع هذا وسواء كانت حقيقية أم لا، فإن هذه الوثائق لا تظهر بوضوح تام أنه كان من عادة الكنيسة الأولى أن تعمل هذه المجموعات الخاصة بأقوال يسوع .

• وفي الفترة ١٣٠-١٤٠ م، كتب بابياس أسقف هيرابوليس، Papias the bishop of Hierapolis كتاب "شرح أقوال الرب" من خمسة أجزاء . ومع أن معظم هذا الكتاب مفقود الآن، إلا أنه لدينا بالفعل قصاصات قليلة منه على شكل مقتبسات وردت في كتابات أناس آخرين . وإذا كتب بابياس عن "متّى" قال إنه جمع أقوال يسوع "Logia" باللغة العبرية، وكل واحد فسرها بحسب ما

استطاع . والمقصود بهذا القول على وجه الدقة أمر غير مؤكد، لكن معظم الباحثين يعتقدون أن اللوجيا "أقوال يسوع" التى يشير إليها هي مجموعة من أقوال يسوع وليست السفر الذي نعرفه باسم "إنجيل متّى" .



الناصرة كانت بلدة يسوع، ولكنه قال إن افتقار أهلها إلى الإيمان منعه من عمل معجزات كثيرة هناك . وهذه صورة تطل على وادى يزرعيل من الناصرة . وهي تبين موقع مجدو التي شهدت كثيراً من المعارك فى العهد القديم. وأصبحت هرمجدون (تل مجدو) رمزاً في الكتابات الرؤوية للمعركة الأخيرة بين الخير والشر.

• تنظيم المادة في الأناجيل كثيراً ما يشير إلى أن أقوال يسوع جُمعت معاً قبل أن توضع فى سياقها الحالي . وهناك مجموعات كثيرة من الأقوال بينها الصلة ضعيفة، ولا تشكل أي حجة مترابطة منطقياً . على سبيل المثال الأقوال
مر٩: ٤٩-٥٠ عن الملح في إنجيل مرقس، تبدو في الواقع مختلفة تماماً بعضها عن بعض، ولعلها جُمعت معاً لمجرد أنها كلها تذكر الملح .

مت٥-٧ ثم أمامنا العظة على الجبل بكاملها . ولو حاول أي شخص في أي عصر أن يكتشف حجة الموعظة فإنه سيدرك استحالة المهمة، لأنها لا تتضمن حجة مترابطة منطقية . وما لدينا هو مجموعة تعاليم ليسوع جُمعت معاً لأنها كلها تتناول مجموعات أخلاقية . ولكنها لا تتواصل بنفس الطريقة التي يُتوقع أن تكون عليها العظة الحديثة . وطبقاً لما يقوله بروفسور جيرمياس Jeremias، أن السبب في ذلك يرجع إلى أن العظة في الأصل كانت تشكل مجموعة من أقوال

يسوع، نُظمت على هذا النحو لكي تكون سهلة التناول بالنسبة للمنضمين حديثاً في الإيمان المسيحي .

• وهناك سبب قوي لافتراض وجود مجموعات من أقوال يسوع في وقت مبكر من تاريخ الكنيسة، يتمثل في حقيقة أنه كان لدى متّى ولوقا كمية كبيرة من المادة المشتركة بين إنجيل كل منهما، ولكنها لا توجد إطلاقاً في إنجيل
مرقس. وتكاد هذه المادة تتكون في جملتها من تعاليم يسوع، ولكنها تتضمن مت٣: ١٣-٤: ١١
أيضاً قصة عماده . كما تتضمن التجربة وقصة معجزة واحدة هي شفاء عبد لو٣: ٢١-٢٢،٤: ١-١٣
قائد المئة . والتفسير العام المقبول لهذه المادة المشتركة هو أن متّى ولوقا، استعمل مت٨: ٥-١٣
كلاهما نفس مجموعة أقوال يسوع وأدمجها كل منهما في إنجيله . لو٧: ١-١٠

والمفسرون يطلقون على هذه الأقوال المصدر (Q) . وربما كانت وثيقة مكتوبة، أو ربما تكون مجموعة من التقاليد الشفهية . ومن المؤكد أن وجودها في شكل ما أمر حقيقي، ولاسيما أن محتوياته تشابه إلى حد كبير مجموعات الأقوال النبوية التي نجدها في العهد القديم . وإلى جانب كلمات النبي التي تُجمع معاً ويقوم تلاميذه بتحريرها، فإن الأسفار النبوية كثيراً ما تتضمن أيضاً رواية عن دعوة النبي، وحدثاً أو اثنين من الأحداث البارزة في حياته . وهذا هو بالضبط ما نجده في التقليد المسمى (Q) . فنجد قصة معمودية يسوع وتجربته في البرية (اللتان يمكن القول أنهما بمثابة دعوته)، كما نجد توضيحاً لأكثر أنشطته النمطية: معجزة وشفاء .إلا أن التأكيد الرئيسي إنما يكون على تعليمه .

وبناء على الدليل الذي تم جمعه حتى الآن، بوسعنا الاستنتاج أنه من بداية وجود الكنيسة كان اهتمامها الرئيسي منصباً على نوعيتين من الكتابة هما : الشهادة Testimonia وأقوال يسوع Logia . ولعلهم أيضاً كان لديهم مخطط مشترك متفق عليه بالنسبة لمجرى حياة يسوع وتعليمه . إلا أنه قبل وقت طويل بدأت تبرز الحاجة إلى ضرورة جمع كل هذه المادة معاً في صورة تقبل

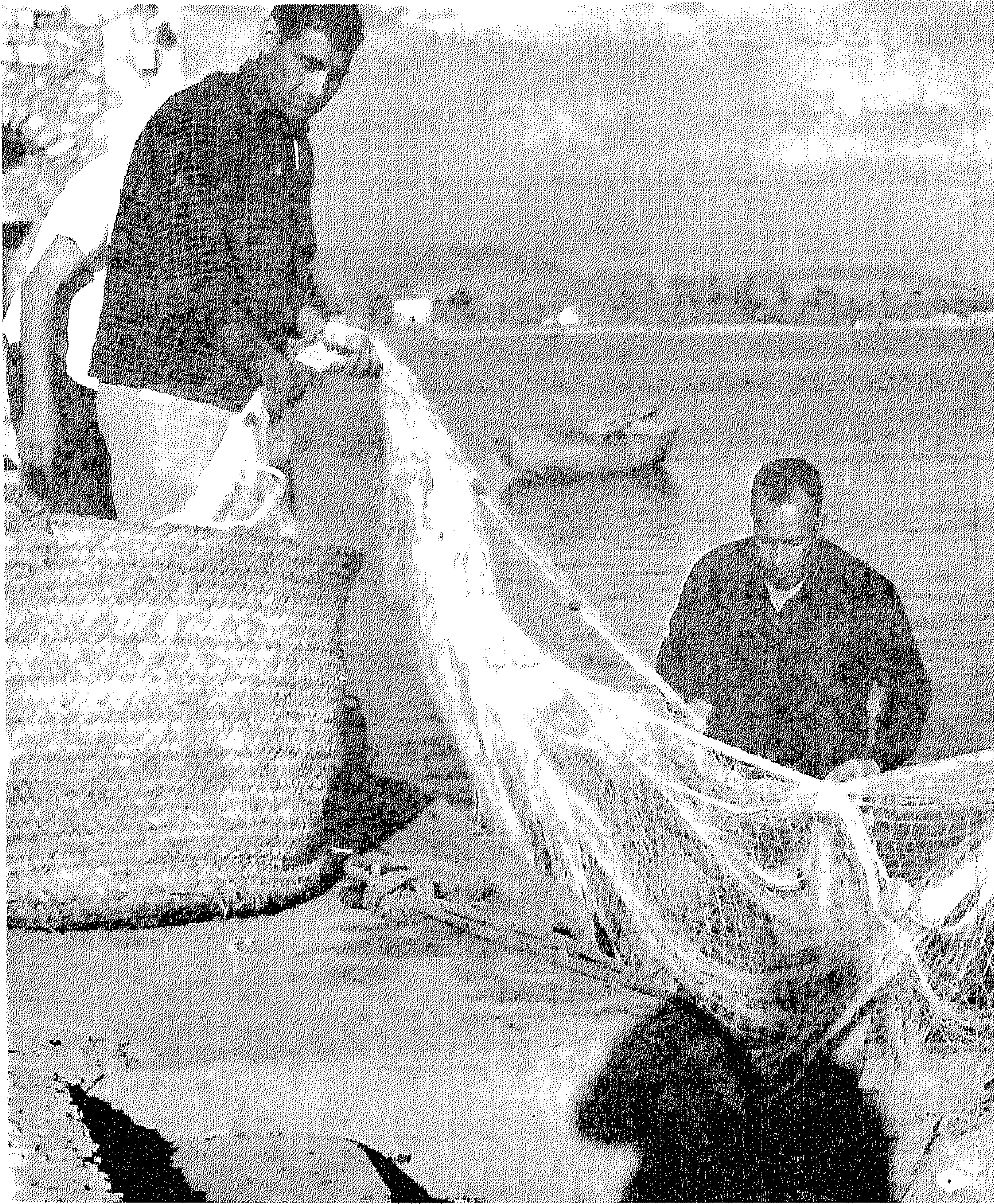
الاستمرارية بشكل أكثر . وهذه العملية لم تتم بالطبع بين عشية وضحاها . والواقع أنها ربما لم تكن في الحقيقة عملية منفصلة على الإطلاق، بل كانت مجرد توسع وإكمال للعمل الذي سبق أن بدأ بعمل مجموعات من "الشهادة" و"أقوال يسوع" . غير أن المحصلة النهائية تمثلت في الوثائق الأربع التي نعرفها الآن بأسماء: إنجيل متّى وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا .

وضع الأناجيل معاً

الأناجيل الثلاثة الأولى تسمى "المتشابهة Synoptics" لأنها تتشابه إلى حد كبير، والطريقة ذاتها التي حول الكتبة بها "أقوال يسوع" إلى أناجيل هي أساس مشكلة التشابه Synoptic Problem .

وهذه الأناجيل في الواقع ما هي إلا ثلاث طبعات مختلفة لنفس المادة الأساسية تقريباً . وكثير من هذه التشابهات يمكن بالطبع تفسيره بافتراض أن هؤلاء الإنجيليين كانوا يستعملون نفس مجموعة الأقوال التى كانت متداولة بين مجموعات مختلفة من المسيحيين . ولكن التشابهات أكثر من ذلك تعقيداً، لأنه توجد أمثلة كثيرة جداً، حيث استعملت الأناجيل الثلاثة نفس اللغة بعينها من حيث مفردات اللغة والتركيبات النحوية، الأمر الذى حمل معظم الباحثين على الاعتقاد بأنه لابد وأنهم كانوا يستعملون نفس المصادر المكتوبة .

أما التفسير الذي قيل بوجه عام فيما يتعلق بهذه التشابهات فيتمثل في "نظرية المصدرين" والتي تفترض أن متّى ولوقا استخدما نفس وثائق المصدرين في كتابة قصتيهما عن حياة يسوع وتعليمه . وكانت هذه هي المصادر التي نعرفها الآن بإنجيل مرقس والمصدر المفترض (Q) . ومن المؤكد بالطبع، أن لوقا على الأقل استخدم مصادر متنوعة في كتابة إنجيله، ذلك لأنه يقول صراحةً إنه فحص عمل أناس آخرين، واختار منها تلك الأجزاء التي كانت تناسب هدفه من الكتابة . وعلى ضوء العلاقات الأدبية الوثيقة بإنجيلي مرقس ولوقا، يبدو أن متّى استخدم نفس الأسلوب في كتابة إنجيله .



أوثق الأتباع صلة بيسوع كان من العمال. وبطرس الذي يُعتقد أنه أمد كاتب إنجيل مرقس بقصص يسوع، كان صياد سمك، كذلك كان أندراوس أخيه ويعقوب ويوحنا.

وإذ توصل الباحثون إلى استنتاج أن متّى ولوقا استخدما إنجيل مرقس كمصدر لهما، فقد حللوا نص الأناجيل الثلاثة المتشابهة مستخدمين على الأقل خمسة معايير مختلفة :

• **الصياغة** : مقارنة الكلمات المستخدمة في نصوص مختلفة تُعد طريقة بسيطة جداً لتحديد العلاقة الأدبية بينها . وأكثر من نصف المفردات اللغوية المستخدمة فعلاً في إنجيل مرقس، نجدها متضمنة في إنجيلي متّى ولوقا، وكلاهما يحتويان على أجزاء متطابقة لا نجدها في إنجيل مرقس .ولذا فإنه من الواضح أنه كان هناك مصدر واحد معروف لهم جميعاً، كما أن هناك مصدر واحد استخدمه متّى ولوقا فقط .

• **الترتيب** : إذا اتفقت ترتيب أحداث في قصة موجودة في أكثر من إنجيل واتفقت الأجزاء التي بها نفس الصياغة، نستطيع أن نخطو خطوة إلى الأمام ونفترض وجود مصدر مشترك اتبع ترتيبه واستخدمت كلماته بواسطة الإنجيليين الثلاثة جميعاً . وهنا أيضاً يوجد دليل كاف على هذا . فإن متّى ومرقس ولوقا اتبعوا كلهم نفس الترتيب العام للأحداث . فهم يبدأون بخدمة يوحنا المعمدان، ثم ينتقلون إلى الحديث عن معمودية يسوع وتجربته في البرية . وبعد هذا تأتي خدمة عمل المعجزات والتعليم في الجليل، والتي بدأت تثير مقاومة من الرؤساء اليهود . ثم يقوم يسوع برحلات صوب الشمال ليعطي تعليماً لتلاميذه على انفراد . وأخيراً يتوجهون إلى أورشليم، ونجد قصة أيامه الأخيرة هناك، محاكمته، صلبه، ثم قيامته .

وفي هذا الإطار العام، هناك أحداث معينة سُجلت أيضاً في كثير من الأحيان بنفس الترتيب .

وسمة الأناجيل المتشابهة هذه، تتضح على أفضل نحو إذا افترضنا أن إنجيلي متّى ولوقا كانا يستخدمان إنجيل مرقس، كمصدر لهما وليس العكس . لأنه مما يلفت النظر أنه حين يخرج متّى عن نهج نظام مرقس، نجد أن لوقا يحتفظ بنفس ترتيب مرقس، وحين يخرج لوقا عن نظام مرقس، نجد أن متّى يتبع نهج مرقس. وهناك حدث واحد يضعه كل منهما بنظام يختلف عن ترتيب مرقس وهو :
تعيين الاثني عشر . فأحياناً يتخلى متّى أو لوقا عن نمط قصة مرقس كي يضيف مر٣: ١٣-١٩
شيئاً جديداً، غير أنهما بعد هذه الإضافة يعودان إلى النقطة التي في إنجيل مرقس، مت١٠: ١-٤
والتي كانا قد توقفا عندها . وهذه من أقوى الدعامات التي تدعم الاعتقاد أن لو٦: ١٢-١٦
متّى ولوقا استخدما إنجيل مرقس وليس العكس .

• **المحتويات** : تحليل محتويات القصص كشف أيضاً عن استخدام مصادر مختلفة . فإذا سجل أحد الكتبة نفس القصة بنفس الكلمات والترتيب الذي استخدمهما كاتب آخر، فإنه يكون بوسعنا افتراض إما أن أحدهما استخدم

عمل الآخر، وهذا ما حدث بالنسبة للأناجيل المتشابهة. فمن بين ٦٦١ آية الموجودة في إنجيل مرقس، نجد في متّى منها ٦٠٦ آيات بنفس صيغتها، ونصفها أيضاً نجده في إنجيل لوقا .

• **الأسلوب** : هذا معيار صعب جداً من ناحية استعماله بطريقة مرئية فأسلوب الكاتب يمكن أن يعتمد على أمور كثيرة، ومنها الوضع الذي يكتب أثناءه، والقرّاء الذين يقصدهم، وما إذا كان يستخدم سكرتيراً أم لا، وهكذا .

ومن المؤكد أن هناك اختلافات بارزة في الأسلوب بين مرقس والإنجيلين المتشابهين الآخرين . وإنجيل مرقس، على وجه العموم، كُتب بلغة يونانية أقل مستوى من اللغة التي كُتب بها الإنجيلان الآخران . على سبيل المثال، تراه كثيراً ما يصف الأحداث بالفعل المضارع التاريخي (يستخدم الفعل الحاضر لتحديث عن شيء وقع فى الماضى) . ومع ذلك نجد أن متّى ولوقا يستخدمان دائماً الفعل الماضي، وهذه بالطبع هي الصيغة الأدبية الصحيحة .

وكثيراً ما ثار الجدل بأن هذا الاختلاف يبين أن متّى ولوقا كانا يستخدمان إنجيل مرقس – وليس العكس – وهي حقيقة مؤكدة أنه إذا كان مرقس قد اطلع على إنجيلي متّى ولوقا لكان يُعد أمراً شاذاً للغاية أن يقوم بتغيير قواعد النحو الجيدة بأخرى رديئة . ولكن هذه الحجة تعتمد على افتراض أن الإنجيليين استخدموا مصادرهم بطريقة خرقاء، حيث كانوا ببساطة ينقلون النص كلمة كلمة . غير أنه ليس هناك باحثون كثيرون ممن يتبعون مصدراً بحذافيره بحيث يسمحوا لأسلوبه بأن يعتم على أسلوبهم . وإذا كان مرقس ضعيف الكتابة باليونانية، فإن قواعد لغته المستعملة ستكون رديئة سواء كان ينقل عن مصدر آخر أم لا .

ولسوف نكون على صواب حقاً حين نلاحظ أنه في ثمان حالات سجل فيها مرقس أقوالاً ليسوع باللغة الآرامية، لا نجد لها مثيلاً في لوقا . ولا نجد سوى مثالاً واحداً لها في متّى . والاحتمال الأكيد هو أن متّى ولوقا حذفا الأقوال الآرامية، إلا أن مرقس تعمد ذكرها .

• **الافكار واللاهوت** : إذا أمكن بيان أن قصة أحد الأناجيل تتضمن فكراً لاهوتياً أكثر تطوراً من قصة أخرى، هنا يبدو من المعقول النظر إليها على أنها أحدث الاثنين . ويبدو هذا اختباراً بسيطاً، غير أنه من السهل تطبيقه من الناحية العملية، فكثيراً ما يكون من الصعب التأكد من أن ما يبدو أنه اختلاف في الوضع يكون بالفعل اختلافاً حقيقياً . وعلى أي حال، من الذي يحدد ما هو "فكر لاهوتى متطور"، وكيف لنا أن نكون واثقين أن هذا لابد وأن ينتمي إلى وقت لاحق ولا يرجع إلى نظرة "أولية" ؟ . وحين نتذكر أن فكر بولس المتطور بدرجة عالية، كان موجوداً بالتأكيد في الوقت الذي كانت تتشكل فيه الأناجيل، وهنا يكون بوسعنا أن ندرك أن تحديد مثل هذه الاختلافات، وعلاقة ترتيبها الزمني بعضها ببعض، لابد وأن يكون أمراً موضوعياً للغاية .

وهناك بالطبع عدد من التأكيدات المختلفة في الأناجيل . إلا أنه من الصعوبة أن نعرف على وجه اليقين ما هي أهميتها من ناحية كتابة الأناجيل. فعلى سبيل المثال، يبدو أن متّى ولوقا عدّلا أو حذفا أقوالاً معينة جاءت في إنجيل مرقس يمكن الاعتقاد أنها تشين يسوع . فقول مرقس الفظ إن يسوع في
مر٦: ٥ الناصرة : "لم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة"، جاء فى متّى على هذا
مت١٣: ٥٨ النحو :"ولم يصنع هناك قوات كثيرة، أما لوقا فقد حذف هذا القول بجملته.
مر١٠: ١٨ ونفس الشيء يقال عن سؤال يسوع في إنجيل مرقس: "لماذا تدعونى صالحاً"،
مت١٩: ١٧ جاء في متّى على النحو التالي: "لماذا تسألني عن الصالح"، بحسب إحدى الترجمات .

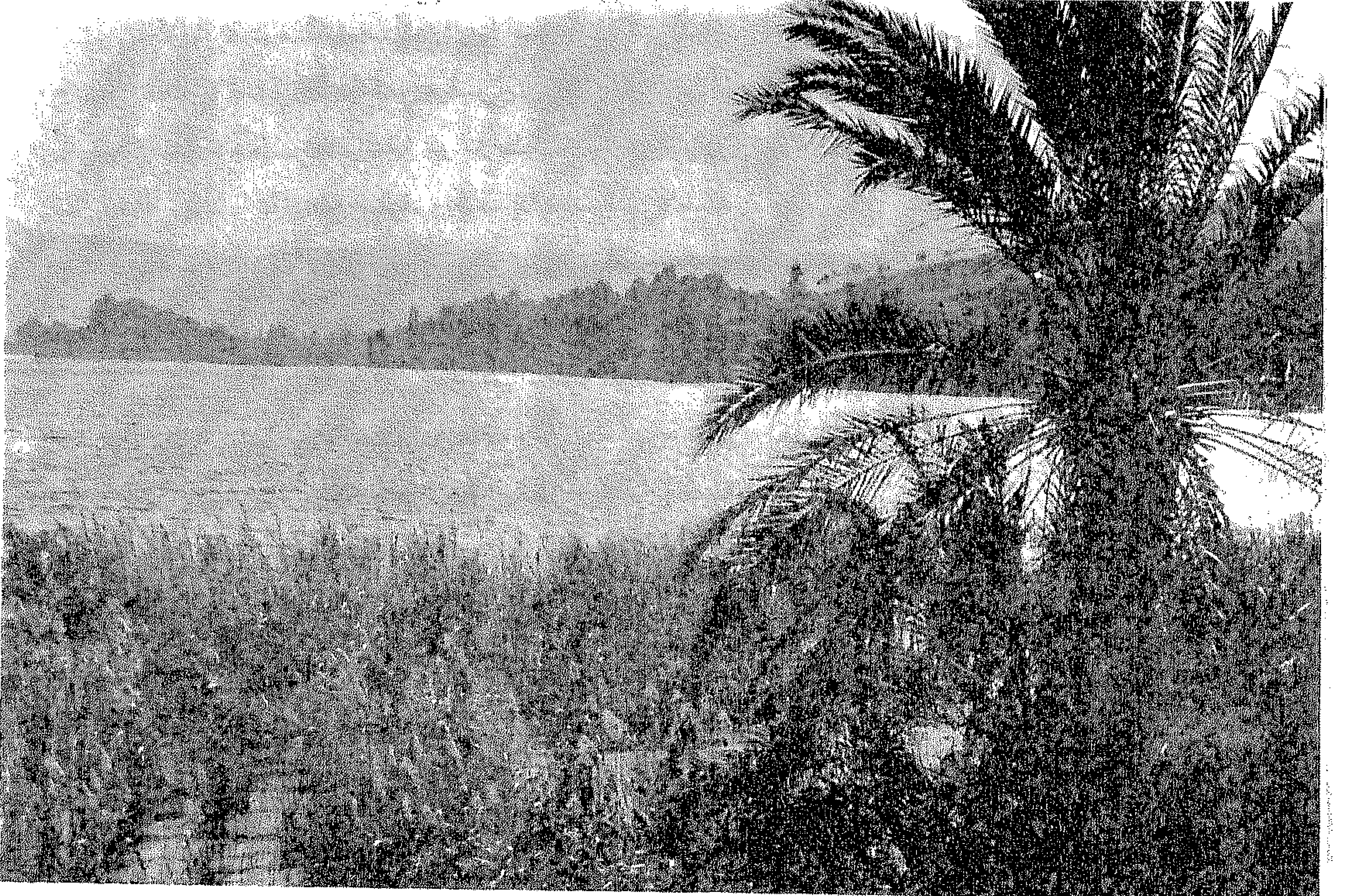
. وهذه النقاط الخمس ليست جميعها على نفس القدر من الأهمية . فهناك صعوبات في تقدير قيمة اثنتين منها على الأقل . ولكنها إذا أُخذت معاً فإن محصلة الدليل الذي تشكله يمكن تفسيره بسهولة إذا افترضنا أن متّى ولوقا استخدما قصة مرقس، إلا أن متّى كان الإنجيل الأساسي الذي لخصه مرقس، والذي اختار منها لوقا بعض المقتطفات .

مـصـدران أم أربـعـة

وما ذكر حتى الآن عن الطريقة التي يمكن أن تكون الأناجيل قد كُتبت بها يمكن أخذه على أنه تقريباً الرأي الذي اتفق عليه باحثو العهد الجديد بشكل عام. وعلى الرغم من أنه قد توجد نقاط اختلاف بالنسبة للتفاصيل، إلا أن أغلبية من الخبراء اتفقوا على الخطوط العريضة للحقائق.

وبالإضافة إلى فكرة أن الأناجيل المتشابهة تعتمد بصفة أساسية على مصدرين: إنجيل مرقس والمصدر (Q) فقد قيل إن هذين لم يكونا المصدرين الوحيدين اللذين اعتمدت عليهما أناجيلنا. وكان "ستريتر B.H.Streeter" هو أول دارس بريطاني يقدم الحجج، على أن متّى ولوقا استخدم كلاهما إنجيل مرقس. ولكنه ذهب إلى أبعد من ذلك، وقال إنه لكي نفهم كل تفاصيل الأناجيل (المتشابهة) فنحن في حاجة إلى نظرية أكثر دقة، لا تتناول مصدرين فحسب بل أربعة مصادر أساسية. فإلى جانب إنجيل مرقس والمصدر (Q) حدد مصدرين أطلق عليهما الحرفين (M) و(L). والواقع أن هذه المادة هي ببساطة ما تبقى من قصص متّى ولوقا بعد استبعاد المادة من مرقس ومادة المصدر (Q). غير أن "ستريتر" قال إن مجموعتي المواد هذه كانت هي نفسها تشكل مصدرين منفصلين ولكن مترابطين منطقياً، ومن أصل مستقل.

معظم الأحداث التي سجلتها الأناجيل وقعت حول بحر الجليل.



مسودة لوقا

يبدأ "ستريتر" ملاحظاته من حقيقة أنه يبدو أن متّى ولوقا استعملا إنجيل مرقس بطرق مختلفة، فمتّى اتّبع بشكل دقيق ترتيب إنجيل مرقس وإطاره العام، مع أنه في ذات الوقت كثيراً ما كان يعيد كتابة المادة الفعلية، وغالباً ما كان يوجز المادة المأخوذة من إنجيل مرقس لإفساح المجال لمزيد من المعلومات الإضافية. كان من شأن ذلك أن إنجيل متّى بدا بالأحرى مثل طبعة جديدة ومبكرة من إنجيل مرقس. أما بالنسبة للوقا فكان الأمر مختلفاً ففي حين أن متّى انتفع تقريباً بكل المادة الموجودة في إنجيل مرقس، نجد أن إنجيل لوقا لا يحتوي إلا على نصف مادة إنجيل مرقس. والأكثر من هذا أن "ستريتر" اكتشف أنه إذا ما نحينا جانباً كل المادة المأخوذة من مرقس من إنجيل متّى نجد أن المادة المتبقية غير مترابطة، وينهار السفر إلى قطع متناثرة. ولكننا إذا فعلنا الشيء نفسه بإنجيل لوقا، فلسوف تتبقى لنا قصة معقولة متماسكة ومتواصلة. وهذا ينطبق بصفة خاصة على القصص المتعلقة بموت يسوع وقيامته في إنجيل لوقا، والتي يبدو أنها دُعمت بمعلومات من إنجيل مرقس، و لم تتخذ قصة مرقس أساساً لها.

ولذلك يرى "ستريتر" أنه قبل أن يُكتب إنجيل مرقس كان لوقا قد كتب مسودة أولى لإنجيله، تقوم على أساس مجموعة الأقوال التي تضمنها المصدر (Q)، والمادة التي أُطلق عليها الحرف (L) والتي تعلمها من الكنيسة في قيصرية حيث أقام بها حينما كان بولس في السجن (أع٢٣: ٢٣-٢٧: ٢). وأطلق "ستريتر" على هذه المسودة الأولى للإنجيل "مسودة لوقا Porto-Luke"، وقال إنه حين كان لوقا مقيماً في روما في تاريخ لاحق بعد ذلك بقليل، تعرف على إنجيل مرقس الذي كان قد كُتب في السنوات التي تخللت ذلك، وقد ضمن مقتطفات منه في مسودة إنجيله التي كانت موجودة معه بالفعل، والتي أطلقنا عليها "مسودة لوقا". وفي الوقت ذاته، ربما كان قد أضاف أيضاً المقدمة (لو١: ١-٤) وقصص ميلاد يسوع في الأصحاحين الأول والثاني.

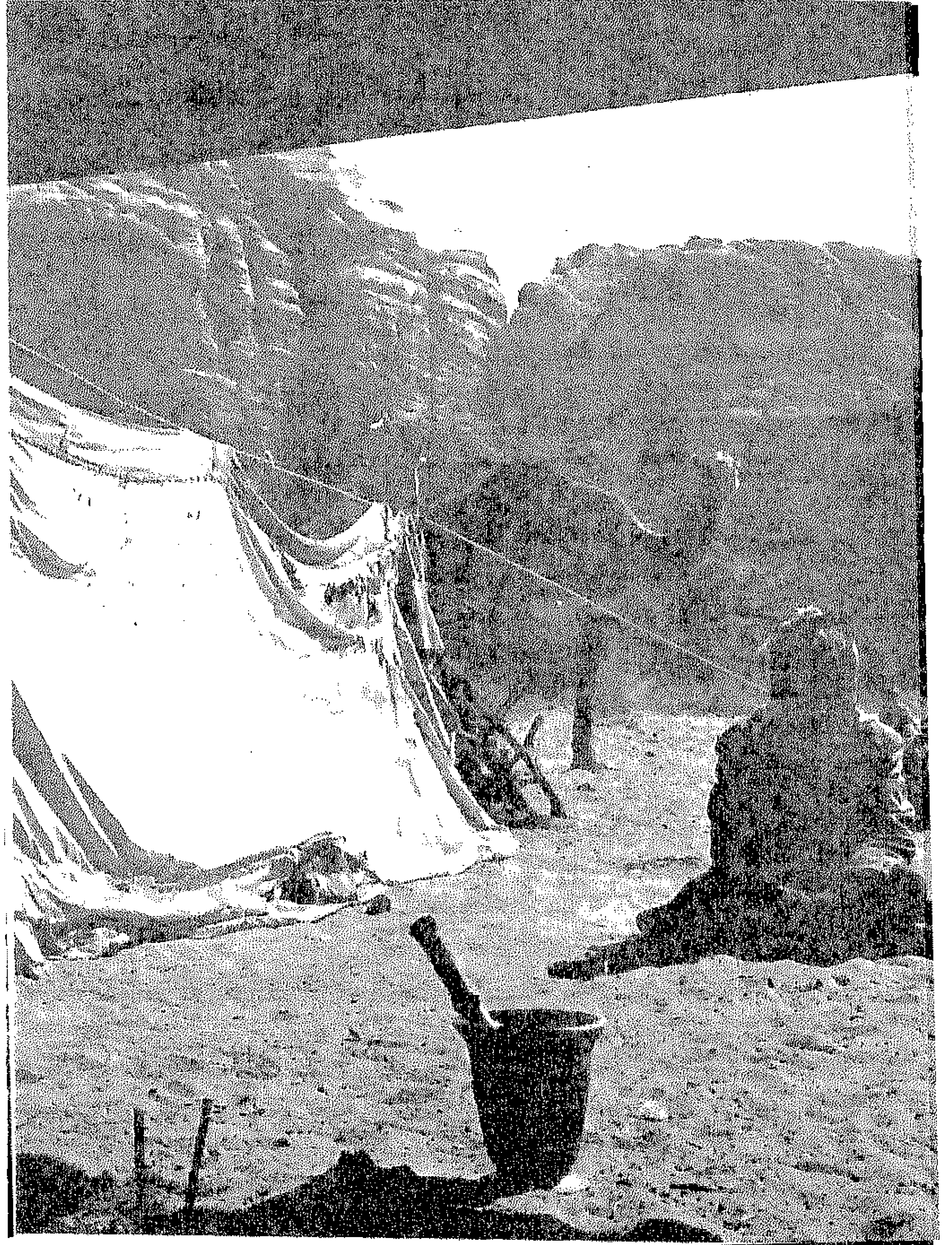
وهناك عدد من الحقائق تتناسب تماماً وهذه النظرية. فعلى سبيل المثال، كثيراً ما يذكر لوقا قصة مختلفة تماماً عن نص القصة الموجودة في إنجيل مرقس. فقصة رفض يسوع في الناصرة تعد مثالاً طيباً لذلك (مر٦: ١-٦، لو٤: ١٦-٣٠). ومن الواضح أن الإنجيليين كليهما يذكران نفس الحدث، غير أن قصة لوقا أكمل بكثير ومن ثم فمن الواضح أنه لابد وأن يكون قد استخدم مصدراً مختلفاً للمعلومات التي ذكرها. ثم إن هناك الطريقة التي وُضعت بها أقسام صغيرة من قصة مرقس وبنفس ألفاظها تقريباً في وسط مادة أخرى في إنجيل لوقا،

وتظهر كما لو أنها وُضعت في وقت لاحق تقريباً. ومما يلفت الانتباه أيضاً أن كمّاً كبيراً من المعلومات التي تضمنها إنجيل مرقس محذوفة بكل بساطة في لوقا. وينادي "ستريتر" بأنه إذا كان لوقا قد عرف بأمر عمل مرقس حين قام بعمل أول مسودة لإنجيله، لكان قد أضاف إليها المزيد من مادة مرقس. كذلك كثيراً ما لوحظ أن إنجيل لوقا يبدو وكأن له بدايتين. هناك بدايته الحالية (١: ١-٤)، ولكن بعد قصص ميلاد يسوع، يبدو أنه يبدأ من جديد في (٣: ١) مع تأريخ لوقا بحرص لخدمة يسوع، التي اتبعها بقائمة أسلافه في (٣: ٢٣-٣٨). ويوضح "ستريتر" هذه السمة غير الطبيعية بافتراضه أن (٣: ١) كان يشكل البداية الأصلية "لمسودة لوقا"، التي استهلها لوقا بعد ذلك بما يُعرف الآن بالأصحاحين ١، ٢ من إنجيله.

وأهمية نظرية "ستريتر" فيما يتعلق بالطريقة التي كتب بها لوقا إنجيله تكمن في حقيقة أنه إذا كان هناك بالفعل ما يُسمى بمسودة لوقا فإنها ستشكل مصدراً مبكراً مستقلاً آخر لمعرفتنا لحياة يسوع وتعليمه. ومع ذلك فإن هذا لم يلق ما يشبه الموافقة الشاملة على الرغم من أن الكتّاب المعاصرين قبلوا وجهة النظر هذه بشكل أو بآخر.

ولعل من أضعف النقاط في هذا الاقتراح هو ما افترضه عن طبيعة تقاليد الإنجيل في الكنيسة الأولى. ذلك أن "ستريتر" افترض أننا نتعامل مع عملية أدبية محددة على وجه حسن. وهو يميل إلى النظر إلى الإنجيليين كمحرري صحف، وقد جلسوا وأمامهم عدداً من المصادر المكتوبة يستخرجون منها أجزاء عديدة من الوثائق المختلفة. وكان هذا يشكل مفهوماً شعبياً في الوقت الذي كتب فيه "ستريتر" اقتراحه (١٩٢٤)، وكان يُطبّق على نطاق واسع على دراسة العهدين القديم والجديد، غير أن البحث اللاحق أثبت أن هذا تبسيط مفرط للموضوع، وربما كان لوقا

المسيحيون الأوائل هاجروا إلى مناطق متباعدة في السنوات اللاحقة لموت يسوع، وذلك نتيجة المقاومة التي لاقوها في أورشليم، وأخذوا معهم قصص يسوع والتي مع مرور الوقت تمت كتابتها تحريرياً.



على معرفة بالمادة المأخوذة من مرقس، ولكن ليس من خلال إنجيل مرقس بشكله الحالي.

وهذا أيضاً يشكل نقطة ضعف في اقتراحات أخرى قدمها "ستريتر"، فقد جادل ليس فقط في أنه يمكن تعريف أربعة مصادر تشكل خلفية للأناجيل المتشابهة، بل قال أيضاً إن كل منها قامت بتقديم تقاليد حياة يسوع وتعاليمه، كما حُفظت في الأماكن الأربعة الأكثر أهمية في المسيحية الأولى : مرقس كُتب في روما، المصدر (Q) كُتب في أنطاكية، والمصدر (M) في أورشليم، والمصدر (L) في قيصرية. ومع ذلك، هناك عدد من الصعاب التي تكتنف هذا الرأي.

● افترض "ستريتر" أن المصدرين M و L مصدرين مترابطين منطقياً. ولكن هذا الأمر يصعب التمسك به. فحين أبعدت المادة المرقسية، ومادة المصدر (Q) من إنجيل متّى، فما تبقى لم يشكل مجموعة مترابطة بأي شكل كان. ونفس الشيء يقال وبدرجة أقل عن المصدر (L)، والذي هو عبارة عن إنجيل لوقا بعد استبعاد مادة المصدر (Q) والمادة المأخوذة من مرقس.

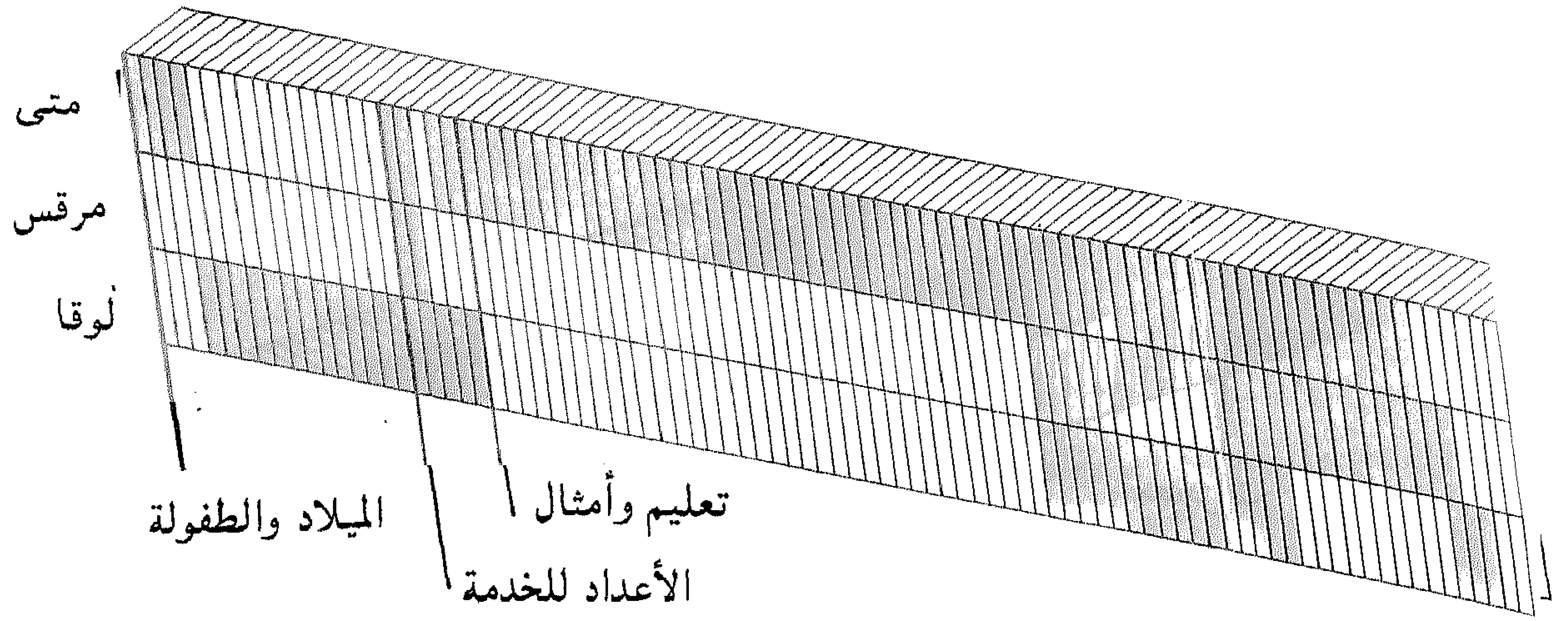
يبدو أن هذه النظرية تفترض نوعاً من التعاقب الخطّي في تطور الأناجيل، والذي بواسطته تقدم التقاليد من أشكال بدائية تقريباً إلى جمع أناجيلنا الأربعة الحالية بتطور أدبي خالص.

إلا أنه أصبح من المعروف الآن وعلى نطاق واسع، أنه ليس بوسعنا أن نتحدث بعد بثقة كبيرة عن هذه النوعية من التطور من قصص بدائية إلى قصص أكثر حنكة.

أضواء جديدة على مشاكل قديمة

كثير من تركيز الدارسين للعهد الجديد الآن ينصب على هجر فكرة التحليل الآلي للأناجيل . ومع أن نظرية المصدرين الخاصة بأصل الإنجيل لا تزال مقبولة على نطاق واسع، الا أن عدداً من الأسئلة الجديدة بدأ يُطرح الآن على الساحة، بعضها قد يكون له تأثير حاسم على فهمنا للطريقة التي تم كتابة العهد الجديد بها .

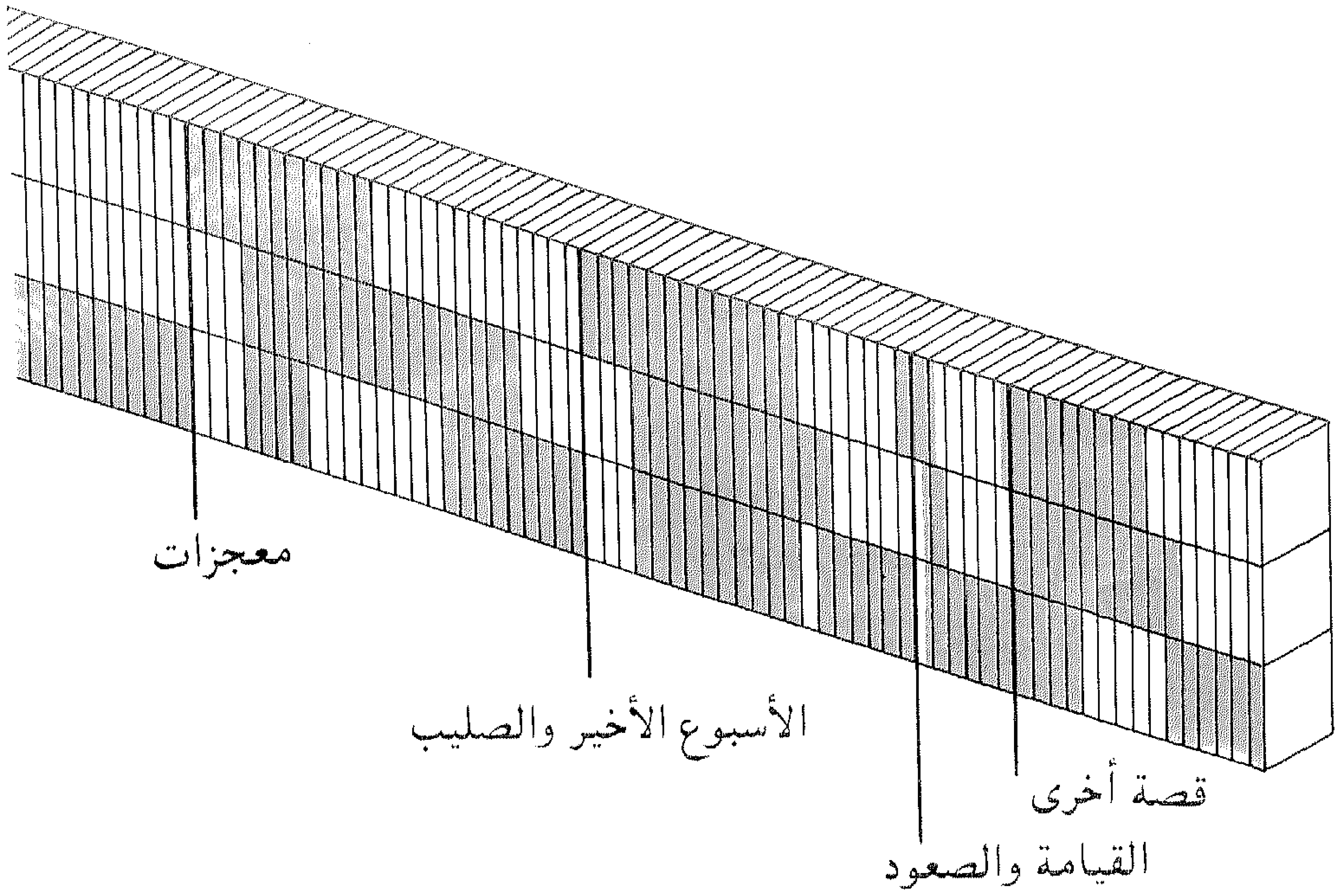
• وبين آونة وأخرى يتواصل طرح الأسئلة حول نظرية المصدرين نفسها، هل كان إنجيل مرقس فعلاً أول ما كُتب من الأناجيل ؟ وهل من الضروري حقاً افتراض أن المصدر Q يمثل مجموعة محددة من أقوال يسوع، أم أنها مجرد مجموعة غير مترابطة من التقاليد التي كانت معروفة لكل من متّى ولوقا؟ وبالنظر



الأناجيل ليست وثائق متماثلة . واختيار المادة فى كل منها يعكس اهتمامات كاتبها وأهدافه. وهذا الرسم يوضح ناحية الاختيار ببيان الأجزاء الخاصة بكل إنجيل والتى خُصصت للنواحى الكبرى فى حياة يسوع ، ودرجة تشابك هذه الوثائق بعضها ببعض .

إلى قوة الدليل بالنسبة لكل من أسبقية المادة المأخوذة من مرقس، والشكل الثابت للمصدر Q، فالأمر يتطلب حججاً قوية جداً لدحض وجهة النظر العامة. والتشابهات اللفظية واللغوية الوثيقة بين الأناجيل المتشابهة الثلاث يبدو أنها تتطلب أن يكون إنجيل مرقس هو الأول، وأن المصدر Q له شكل ثابت تقريباً . وإذا تقبلنا الاقتراح القائل أن المصدر Q له شكل مماثل لشكل الكتابة النبوية في العهد القديم، إذًا لابد وأن شكله كان مادة مكتوبة أيضاً .

• والفكرة الأقدم الخاصة بتطور خطّى من الشهادة Testimonia وأقوال يسوع Logia والكرازة Kerygma إلى إنجيل تام، أصبحت الآن مصدر تساؤل. وما نعرفه عن الكنائس الأولى يوحي أنها كانت في الغالب مستقلة عن بعضها البعض . ولذلك فإن الكنائس في مختلف أنحاء الامبراطورية الرومانية، كانت تتطور بحسب قدرتها، ومن المحتمل تماماً أن المسيحيين في المواقع الجغرافية المختلفة لن يكونوا في نفس مرحلة التطور في ذات الوقت . وهذا معناه أنه ليس واقعياً افتراض أنه في مجموعة التقاليد عن يسوع كانت هناك فترة كان كل الاهتمام فيها مركّزاً على جمع أقوال يسوع، وأن هذه الفترة اُتبعت بعد ذلك بفترة نشاط أدبي مكثف تم كتابة الأناجيل أثناءها . ومن المحتمل أن نمط



المعلومات المعروفة عن يسوع الآن في أية كنيسة، كان يختلف بحسب احتياجات كل كنيسة على حدة .

وكان لذلك تأثير هام على موضوع تحديد تاريخ الأناجيل . وإذا كانت هناك ضرورة لافتراض تاريخ طويل للتطور من اللوجيا "أقوال يسوع" إلى الإنجيل، هنا يجب أن نأخذ في الاعتبار وقتاً لهذا عند تحديدنا تواريخ الأناجيل. ولكن إذا كانت أقوال يسوع والإنجيل كلاهما تكوّن في نفس الوقت، لمواجهة متطلبات الكنائس المختلفة، هنا لا يكون هناك سبب يحول دون نسبة تاريخ الأناجيل سابق إلى حد ما عن التواريخ المعتادة .

• وثمة نقطة أخرى أُثيرت فيما يتعلق "بالتطور اللاهوتي"، الذي يقول البعض إنه يمكن تتبعه في الأناجيل .ولقد أشار د. جون روبنسون Dr. John Robinson في كتابه "إعادة تحديد تواريخ العهد الجديد" أن الفكر اللاهوتي المصقول لا يشير بالضرورة إلى تاريخ أقدم بأكثر مما يشير إلى ذلك الفكر اللاهوتي البدائي .

وعلى سبيل المثال، فإن إنجيل مرقس بلا شك أقل تعقيداً من إنجيل يوحنا، وكان هذا من بين الأسباب (وليس بالطبع السبب الوحيد) التي تم الاستناد إليها في نسبة تاريخ قديم بصفة عامة إلى إنجيل مرقس، واعتبار يوحنا آخر الأناجيل. ولكن هذا يتطلب بالطبع تقدماً متطوراً مباشراً بالنسبة لكل الأناجيل. ومع ذلك فإنه إذا ما كانت الأناجيل المختلفة قد كُتبت لخدمة احتياجات كنائس مستقلة وفي أماكن مختلفة، فليس من العسير أن الكنائس ذات الفكر اللاهوتي البدائي لابد وأنها كانت موجودة في ذات الوقت إلى جانب كنائس ذات عقيدة راسخة، وعلى هذا فإن تطور الفكر اللاهوتي، لا يشكل بالضرورة مفهوماً نافعاً للغاية في دراسة الأناجيل المتوافرة لنا الآن.

ولذلك يوجد عدد من الأسئلة الجديدة التي طُرحت عن الأناجيل في أيامنا هذه، وهو من نوعية أصعب إلى حد ما عن تلك التي طرحتها الأجيال الأولى. فقد صار من المعترف به على نطاق واسع الآن، بغض النظر عن الجهة التي استُقيت منها المعلومات، فإن كل إنجيلي كتب ما هو بالضرورة عمل أصلي، مميز من نواح هامة عن عمل أي من الآخرين. وكثير من اهتمامنا مركّز الآن على "ما" كان الإنجيليون يعملون، وليس على معرفة كيف كانوا يعملونه. وهذا سؤال يتطلب إجابة لاهوتية لدعم الاكتشافات الأولى لنقاد الأدب.

نقاد الصيّغ

ما أن قُبلت نظرية المصدرين على نطاق واسع باعتبارها أكثر التفسيرات احتمالاً بالنسبة "للصناع" المختصين بكتابة الإنجيل، إلا وانهالت سلسلة عريضة من الأسئلة الجديدة، ولأن عزل المصادر المختلفة التي كان يستخدمها الإنجيليون في كتابة قصصهم عن حياة يسوع وتعليمه، لم يُجب إلا على السؤال: من أين جاءت الأناجيل؟ إلا أنه هنالك سؤال آخر: من أين جاءت مصادرهم؟ وماذا كان يحدث للتقاليد التي كانت تتحدث عن يسوع خلال الفترة بين موته وقيامته، وحفظها كتابةً في الأناجيل؟

لقد خطرت هذه الأسئلة على فكر بعض الباحثين في ألمانيا حتى قبل أن ينشر "ستريتر" كتابه العظيم عن مصادر الإنجيل.

وفي محاولتهم الإجابة عليها، استخدموا

طريقة جديدة لتحليل أسفار الكتاب المقدس وأطلقوا عليها عبارة "تاريخ الصيغ" إلا أنه يشار إليها عادةً في اللغة الإنجليزية بعبارة "نقاد الصيغ". تم تطبيق هذا الأسلوب أولاً على العهد القديم بواسطة هيرمان جونكل Herman Gunkel وهو مفكر ألماني، وعلى الرغم من أن بعض باحثي العهد الجديد البارزين كانوا الأسرع في معرفة مناسبته لدراسة الأناجيل. وكان أشهر هؤلاء ك.ل.شميدت K.L.Schmidt، م. ديبيليوس M.Dibelius ، و ر.بولتمان R. Bultmann ولقد بدأ هؤلاء من ملاحظة أن الأدب القديم بصفة عامة يتطلب صيغة أدبية معينة، تعتمد على نوعية الكتابة. ولقد تم اختبار هذا المبدأ بطريقة متقنة للغاية في دراسة الكتابات الشعبية التقليدية لشمال أوروبا، التي يمكن تصنيفها إلى قصص خرافية، تاريخ، سير ذاتية، حكم وما إلى ذلك، وذلك بكل بساطة بملاحظة الطريقة التي كُتبت بها. وقد افترض نقاد الصيغ أن نفس الشيء ينطبق على العهد الجديد. فوحدات التقليد التي كون الإنجيليون منها أناجيلهم، كما يقولون، تطلبت صيغاً أدبية معينة للموقف الحياتي التي استخدمت فيه في الكنيسة الأولى. وعلى ذلك فبفحص الصيغة الأدبية لقصة ما، ادّعوا أنهم قادرون على اكتشاف الاستخدام الأساسي لها من خدمة تعليم الكنائس الأولى.

وإذا أمكن عمل ذلك بنجاح، فسوف يشكل ذلك عوناً قيماً لفهمنا للأناجيل. لأنه إذا كان بمقدورنا معرفة شيء عن استخدامات تقاليد الإنجيل في الكنيسة الأولى، نكون في وضع جيد لفهم علاقتها بحياة الكنيسة، ومن ثم نكتشف معناها الأساسي. ومع ذلك، فإنه مما يؤسَف له أن الذين درسوا الأناجيل بهذه الطريقة أخفقوا في الاتفاق عند نقطة واحدة حاسمة. فلا يوجد اتفاق مقبول على نطاق واسع عن أي الأنماط الأساسية يمكن أن توجد بالفعل في الأناجيل. ولقد ادعى مارتن ديبليوس أنه قادر على تمييز خمسة أشكال مختلفة، كل منها يتناغم مع موقف معين في حياة الكنيسة الأولى. غير أن اثنين فقط من بين هذه الأشكال الخمسة مُعترَف بهما إطلاقاً على نطاق واسع من قِبَل مفكرين آخرين وهما : الأمثلة والحكايات.

الأمثلة : وقد أطلق عليها فنسنت تايلر Vincent Taylor – وهو أحد نقاد الصيغ الإنجليز - "قصص إعلان". وهذا التعبير يشير بشكل أدق إلى محتوياتها، لأنها على وجه العموم قصص صغيرة تصل في ذروتها إلى قول رائع قاله يسوع، أو قيل عنه. وطبقاً لما يقوله ديبيليوس يرجع أصل هذا الشكل إلى الكنيسة الأولى التي استخدمت فيها مثل هذه القصص كأمثلة وتوضيحات. وثمة قصة إعلان نمطية نجدها في الحدث الذي قطف فيه

يسوع بعض سنابل القمح يوم السبت، وفسر عمله لليهود بقوله : "السبت إنما جُعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت. وابن الإنسان هو رب السبت أيضاً" (مر٢: ٢٣-٢٨، مت١٢: ١-٨، لو٦: ١-٥). وقصص من هذا القبيل كثيراً ما كانت تقال في الوعظ قبل أن تُكتب في الأناجيل بوقت طويل. ونقاد الصيغ يميزون بشكل عام بين سمتين رئيسيتين في مثل هذه القصص :

● دائماً تختتم بقول رائع ليسوع، وطبقاً لما يقوله البعض، كان هذا يُعد وسيلة مفضلة لدى وعاظ الكنيسة الأولى. وفي حين أن الواعظ الحديث يبدأ عادةً بالنص الذي اختاره، وربما احتفظ الرسل بنصهم إلى النهاية كي يستخدموه كذروة طبيعية لما حدث قبلاً.

● وهذه القصص تحتوي على معلومات وصفية قليلة جداً، مجرد حقيقة بسيطة إلى أقل قدر ممكن لتهيئة الوضع للعنصر البالغ الأهمية وهو قول يسوع. وحين تقال أية قصة شفاهة فهناك أمران يمكن أن يحدثا لها. إما أنها تبلى من كثرة التكرار حتى إنه لا يتبقى منها إلا أكثر الحقائق ضرورة، ويعبر عنها بطريقة موجزة ورائعة. وإما أن يتم توضيحها أثناء سردها، وذلك حيث يضاف إليها المزيد من التفاصيل حتى تكتسب المزيد من الواقعية والإثارة. وطبقاً لما يقوله معظم نقاد الصيغ، فقد بقيت القصص المتضمنة إعلانات و لم يتبق منها إلا الضروريات عوض أن توضع أثناء تسلمها.

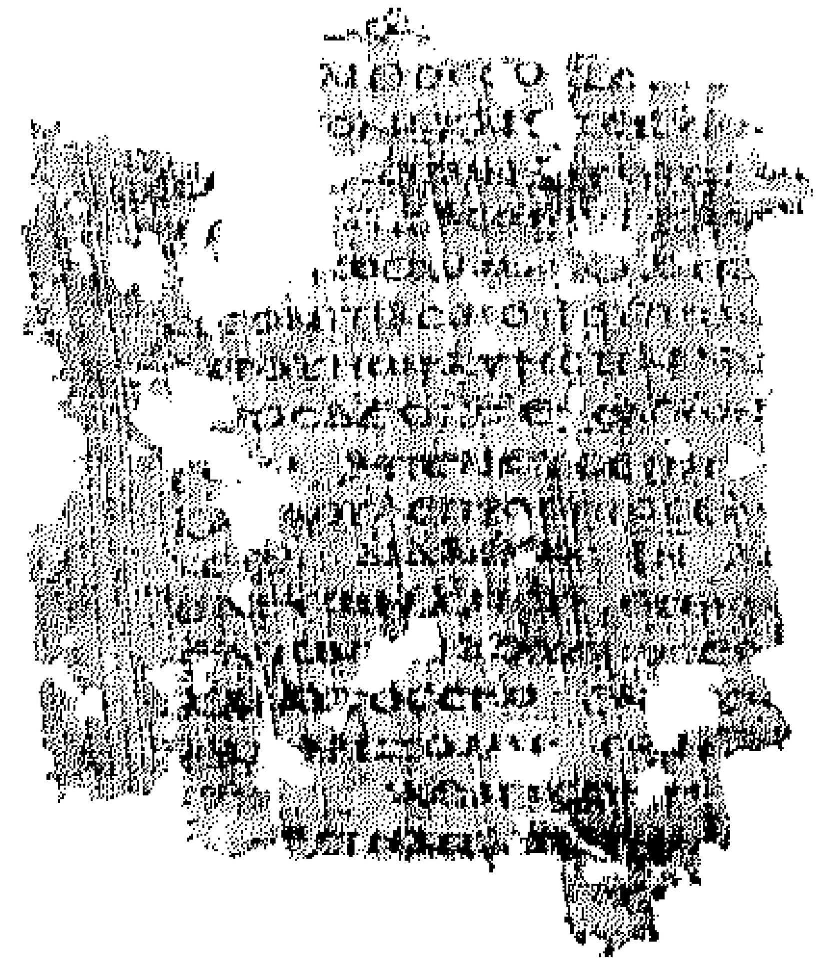
الحكايات : أطلق عليها تايلور Taylor قصص المعجزات، على الرغم من أنها لم تكن جميعاً مهتمة بالمعجزات. وكما يقول ديبيوس فإن الملمح المميز هذه القصص أنها توضحت و لم تبل أثناء تداولها. والواقع إنه يقول إن هذه القصص ربما وُضعت في صياغتها الحالية بواسطة شخص من نوعية معينة في الكنيسة الأولى "راوي القصة" والذي كانت وظيفته صياغة قصص عن يسوع على نفس نمط قصص آلهة اليونان. وكانت قصصاً قُصد بها أن تربح متجددين في الإيمان المسيحي بتوضيحها أن يسوع أسمى من الآلهة الأخرى.

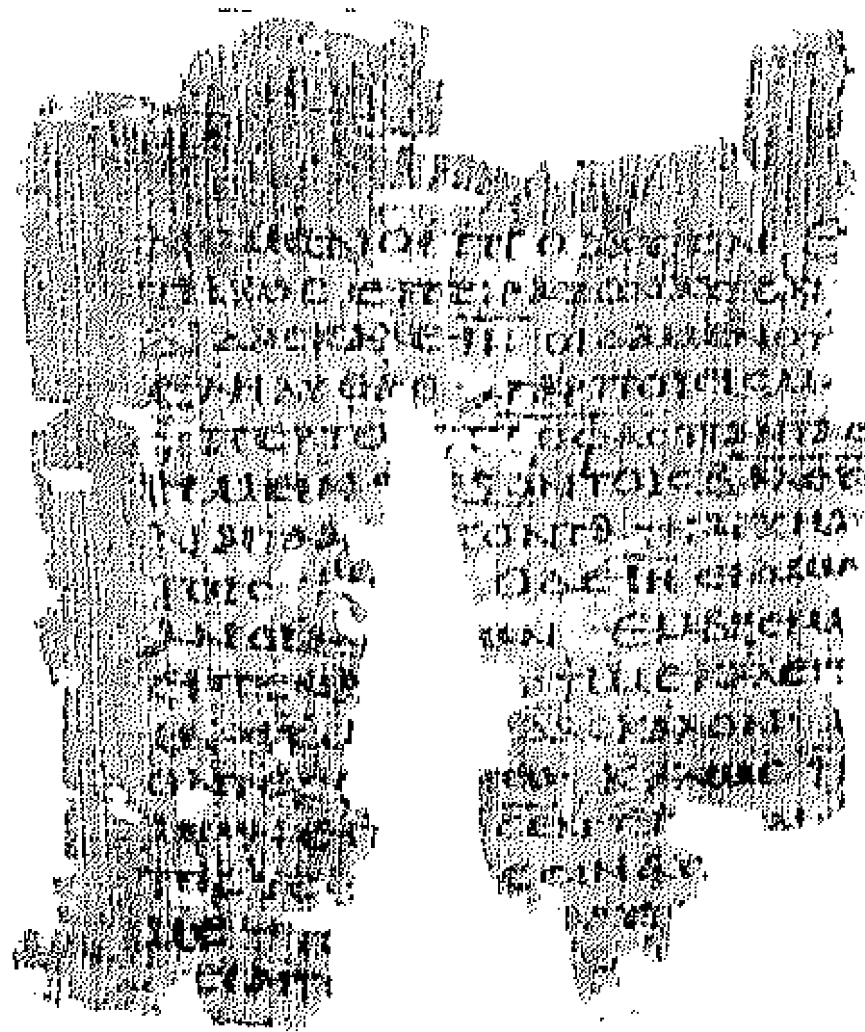
ولا يوجد بالطبع أي شيء في العهد الجديد يشير إلى أمثال هذا الشخص. ومما يلفت النظر بوجه خاص أن بولس الذي ذكر أكثر من قائمة بأسماء أناس هم وظائف خاصة في الكنيسة، لم يذكر إطلاقاً رواة قصص (١كو١٢: ١-١١، و٢٨-٣٠، رو١٢: ٦-٨، أف٤: ١١). وربما تكون التفصيلات الرائعة في هذه القصص مأخوذة من مصدر مختلف تماماً. ولعلها كانت رواية شهود عيان، كانوا يتذكرون في الواقع تفاصيل كل الأحداث التي كانوا يصفونها. وبالنظر إلى حقيقة أن الأناجيل نفسها لم تُكتب إلا بعد مرور ما لا يقل عن جيل على الأحداث التي تصفها، فمن الصعوبة تصديق

أي رواة قصص محترفين أمكنهم بكل سهولة أن يخترعوا تفاصيل خيالية في الوقت الذي كان فيه كثيرون من شهود العيان الذين عاصروا يسوع ما زالوا على قيد الحياة.

ولقد عين ديبيليوس ثلاث صيغ أخرى للقصة في الأناجيل، غير أن باحثين كثيرين لم يقبلوا رأيه بشأن هذه النقطة. وهذه الصيغ هي :

"الخرافات": يشبهها ديبليوس بالقصص التي كثيراً ما ترتبط بقديسي العصور الوسطى. وعرّفها بأنها "قصص دينية عن قديس تم الاهتمام بأعماله ومصيره" ...





هناك قصص أخرى بخلاف تلك التي وردت في الأناجيل الأربعة كانت متداولة أثناء القرنين الأولين. معظمها كانت خرافات خيالية. وهذه قصاصة من "إنجيل" غير معروف يعود إلى القرن الثاني.

والغرض منها تقديم أساس لتكريم القديس. ولا يحتاج الأمر اختلاق هذه القصص، على الرغم من أن ديبليوس يقول إنها تختلق في معظم الأحيان، ووظيفتها تمجيد الشخص الذي تصفه لا أن تقدم أية معلومات حقيقية عنه.

"الأساطير": وهو الاسم الذي خصه ديبليوس على أية قصص تتضمن شخصيات أو أحداث خرافية. وقصص العماد والتجربة والتجلي تنخرط تحت هذه النوعية.

" النصائح التحذيرية ": كانت بالضرورة التعليم الذي تضمنته الأناجيل، وكانت تُستخدم لتعليم المتجددين في الكنيسة الأولى. وتابع آخرون دراسة قصص الأناجيل بعد العمل الرائد الذي قام به ديبليوس، وليس من شك في أن هذا ألقى بعض الضوء على أصل الأناجيل. فهناك عدد من الأفكار الرائعة التي نسلم بها الآن جاءت كنتيجة مباشرة لعمل نقاد الصيغ.

● وبمقدورنا أن ندرك الآن أنه لم يُقصد بالأناجيل أن تكون سيراً ذاتية ليسوع. بل هي رواية منتقاة من أجزاء معينة من حياته وتعليمه حُفظت لنفعها لخدمة الكنائس الأولى.

● وبسبب هذا، أصبح من المعروف الآن أن تفاسير الأناجيل مرتبطة بشكل وثيق بالمفهوم الكلي للكنيسة الأولى. ولكي نتفهم علاقة الأناجيل ومعناها، ترانا في حاجة إلى فهم الأشخاص الذين كتبوها.

● وهذه العملية أدت بدورها إلى فهم إيجابي مؤقت لما كان يدور في الفترة السابقة على كتابة أي من وثائق العهد الجديد، حيث كان تعليم يسوع يُفسر ويُطبق على مواقف جديدة في حياة أتباعه.

ولاشك أن هذه الأفكار لها قيمتها، ولا

يجب التقليل من أهميتها – ولاسيما الرأي الأول، والذي أثر بشكل جذري في أسلوب تناولنا للأناجيل من جميع نواحيه. ومع ذلك يوجد عدد من النقاط كان عمل نقاد الصيغ بالنسبة لها أقل فائدة. وهناك ثلاثة انتقادات رئيسية يمكن توجيهها لعملهم، ولاسيما في الفترة المبكرة.

الصيغة والمحتوى : الكثير من تصنيفات ديبليوس كانت تعتمد في الواقع، ليس على الصيغة الأدبية، بل على المحتوى. فعلى سبيل المثال، لا يوجد سبب أساسي لوضع القصص التي تتضمن شخصيات خارقة في نوعية مختلفة عن القصص الأخرى. وإذ كانوا يضعون مثل هذه النوعية من التفريق كان نقاد الصيغ متأثرين بافتراضاتهم المسبقة القائمة على مذهبهم العقلاني. وكما سبق أن ذكرنا، فإن اثنتين فقط من صيغ ديبليوس تم الاعتراف بهما، بل وأن بعض الباحثين شككوا فيما إذا كانت هاتين الصيغتين واضحتين على هذا النحو. هناك أمثلة عديدة لا نجد فيها فرقاً واضحاً بين الأمثال والحكايات وكثير من مادة الإنجيل يصعب تصنيفها. وحين يكون الاتفاق ضئيلاً بالنسبة لما هية الصيغ بالفعل، لا يمكن أن تتوافر لدينا ثقة كبيرة في التراكيب التي قامت عليها.

التقليد والإنجيل : هناك مشكلة أساسية أخرى، وهي أن نقد الصياغة أقيم على افتراض أن تطور كتابة العهد الجديد يماثل تطور الفولكلور في شمالي أوربا. غير أنه توجد اختلافات هامة بين الاثنين. ولقد رأت الكنيسة الأولى أن مهمتها الرئيسية هي الكرازة بالأخبار السارة عن يسوع، وليس تسليم قصص تقليدية. فقد كانوا مهتمين بالحاضر بأكثر من اهتمامهم بالماضي. وفيما يتعلق بموضوع اهتمامهم بالماضي، فقد كان ذلك ينصب على الماضي القريب، وليس – كما في حالة التقاليد الأوروبية – بالماضي السحيق الذي تم نسيانه منذ أمد طويل. ومعرفة الكنيسة بيسوع لم تتأت من قصص تقليدية كانت تُسلم من جيل إلى جيل، بل من التجربة المباشرة لبعض أعضائها، وهذا معناه أن المجال الفعلي لتطور التقاليد إلى صيغ معيارية لابد وأنه كان في الحقيقة محدوداً للغاية.

الصيغ والحقائق : كثيرون من نقاد الصيغ لم يكتفوا بإبداء ملاحظاتهم على الصيغة الأدبية للأناجيل، بل نزعوا إلى إصدار أحكام تاريخية على محتوياتها، على أساس نقد الصيغ. إذ يشير ارنست كيزمان Ernst Kasemann إلى نقاد الصيغ الأولين فقد كتب يقول إن عملهم الأساسي "كان يستهدف بيان أن رسالة يسوع كما قدمتها الأناجيل المتشابهة، ليست أصلية في معظم أجزائها بل غلب عليها إيمان المجتمع المسيحي البدائي في مراحله

المختلفة. وهذا الهدف واضح حتى من الأسماء التي أطلقها ديبليوس على بعض الصيغ التي اكتشفها كانت عبارتيّ "اسطورة" و"خرافة" من الكلمات التي تحمل معان كثيرة ــ بل أنه حتى في مناقشته ما أسماه "بالحكايات"، تكاد تكون بديهة أساسية عنده أنه بالنظر إلى وجود تشابهات أدبية بالقصص التي قيلت عن آلهة الوثنيين، هي الأصل الأساسي للقصص التي ذُكرت عن يسوع.

ولكن نقدين هامين يمكن توجيههما هذا الإجراء :

• الدليل المستمد من "صيغة" أدبية ليست له قيمة على الإطلاق في صياغة الأحكام التاريخية. وهذا يصبح واضحاً تماماً إذا ما أخذنا مثالاً ما. فنحن في أيامنا هذه لا نفرق بوجه عام بين أنماط مختلفة للقصة بإعطائها صيغاً أدبية خاصة. وقد عرض بروس F.F.Bruce مثالاً نافعاً بالمكان الوحيد الذي ما يزال للقصة صيغة معينة. وهذا يكون في ساحة القضاء. فحين يدلي شرطي بشهادته في المحكمة، فهو لا يدلي بقصة أدبية بليغة عما رآه، بل تراه يلتزم وبشكل وثيق بقدر الإمكان بصيغة محددة – حتى إنه، بغض النظر عن التغييرات الخاصة بتفاصيل مختلفة – فإن وصف حادثة وقعت في الطريق سيبدو على وجه التقريب – كوصف أي حادثة أخرى – والأمل هو أنه باستخدام صيغة قالب Stereotyped، فإن أهم الحقائق يمكن ايجازها على نحو دقيق وبقدر الإمكان. وما من عاقل يعتقد بأنه نظراً لأن الشرطي يصف حادثين بلغة متطابقة، فإنه كان يدلي بقصة مختلفة لحدث واحد فقط، ناهيك عن القول بأن أي منهما لم يحدث في الواقع، وأن الأقوال مختلفة من صيغة قانونية مألوفة. وسواء كان الحدث قد وقع أم لا، فإن هذا يعتمد على محك من نوعية مختلفة تماماً. ونفس الشيء ينطبق على الأناجيل. فليس بوسعنا أن نصدر ببساطة حكماً عن مصداقيتها التاريخية على أساس صياغتها الأدبية.

• هناك أيضاً عدد من الأسباب القوية تدعو للشك في أن الكنيسة الأولى اختلقت قصصاً عن يسوع، كما زعم بعض نقاد الصيغ.

أولاً : هناك موضوع شهود العيان، وكثيرون منهم لابد وأنهم كانوا على قيد الحياة في الوقت الذي كُتبت فيه الأناجيل، والذين كانوا قد عارضوا كل الأحداث المختلقة والتي نُسبت إلى حياة يسوع.**ثانياً** : ثمة افتراض أساسي لديبليوس وبولتمان وهو أن الكنيسة الأولى لم تبذل أي جهد للتمييز بين تعليمها وتعليم يسوع. وعلى أي حال، هم يجادلون، بأن روح يسوع كان عاملاً في الكنيسة، وما قاله الرسل باسمه كان يُعد شيء قاله يسوع أثناء خدمته. ولكن هذا الاستدلال لا يدعمه العهد الجديد نفسه. لأن هناك أمثلة كثيرة أظهر كُتّابها أنهم ميزوا بالفعل بين تعليمهم وتعليم يسوع. وأبرز

مثال على هذا نجده في (١كو٧)، حيث خرج بولس عن طريقه ليميز بين آرائه وكلمات يسوع. لكنه حتى في الأناجيل نفسها نجد أمثلة حيث التعليقات التحريرية للإنجيليين قد توضحت تماماً عن تعليم يسوع (مر٧: ١٩).

وثمة حقيقة أخرى تشير إلى نفس الاتجاه وهو الفرق بين الأناجيل وبقية العهد الجديد. فعلى سبيل المثال، دُعي يسوع "ابن الإنسان" في الأناجيل، مع استثناء واحد وهو أن هذا اللقب وُجد في موضوع آخر في العهد الجديد. وفضلاً عن ذلك فالموضوعات التي تناولتها الأناجيل ليست هي نفس الموضوعات التي أزعجت كتبة الرسائل. لنأخذ على سبيل المثال موضوع العلاقة بين اليهود وغير اليهود. كانت هذه مسألة ملحّة في الكنيسة الأولى، ولكن الأناجيل لم تتعرض لها في أي موضوع منها. وهذه الحقائق تشير إلى أن الكنيسة لم تشعر أنه لها الحرية إطلاقاً أن تضع أفكارها وتنسبها إلى يسوع، بل كانت إلى حد كبير تهتم بحفظ التقاليد التي تسلمتها من فترة سابقة.

هناك نقاد صيغ أكثر حداثة تعرفوا على هذه المشاكل في عمل أسلافهم وأصبحوا الآن لا يهتمون بالموضوعات الأدبية الشكلية. وموضوع مصداقية الأناجيل يفصل الآن فصلاً تاماً وبشكل تدريجي عن نقاد الصيغ.

وبعد ذلك جاء تطور آخر هو من بعض النواحي يُعد وريثاً لنقد الصيغ السابق. وهذا هو النظام الذي عُرف باسم "نقاد التنقيح".

ومع معرفتنا أن تاريخ الأناجيل لا يشبه تماماً تاريخ الفولكلور الأووبي، أصبح من الواضح، أن أفضل سؤال نافع يمكن طرحه عن الأناجيل يجب أن يركز على كيفية استعمال الإنجيليين للمواد التي في مصادرهم. ما الذي كان يفعله هؤلاء الناس فيما كانوا يكتبون أناجيلهم ؟ ولماذا احتاجوا أن يكتبوا أربعة أناجيل بدلاً من أن يكتبوا إنجيلاً واحداً متفقاً عليه ؟ وما هي الظروف الخاصة التي سادت كنائسهم والتي حملتهم على الكتابة بهذه الطرق المعينة التي اتبعوها ؟ هذه هي الأسئلة التي يحاول نقاد التنقيح الإجابة عليها. وهذا تطور حديث نسبياً في دراسة الأناجيل، ولا توجد على أية حال أية نتائج متفق عليها بعد. إلا أن كثيراً من توجهاته سيكون لها قيمة في الفصل التالي، وهو اكتشاف معنى وجود أناجيل مختلفة وأهمية ذلك.

الفصل الحادي عشر

الأناجيل الأربعة

مرقس

اعتُبر إنجيل مرقس أول الأناجيل لأنه أصبح من المعترف به الآن أنه مصدر أساسي للإنجيلين المتشابهين الآخرين . ومع ذلك، فإن إنجيل مرقس لم يلق عناية كافية إلا منذ أزمنة قريبة فقط . وكان قد لاقى إهمالاً بصفة عامة من الكنيسة منذ الأيام الأولى للمسيحية، وذلك لاهتمام الكنيسة بالإنجيلين الذين يحتويان على قصص أطول وهما متّى ولوقا . وهذا أمر لا يكاد يبعث إلى الدهشة لأنهما يضمان معظم المعلومات الواردة في إنجيل مرقس بل ويضمان المزيد أيضاً. ولذلك فسرعان ما جاء وقت اعتُبر فيه إنجيل مرقس أنه نسخة مختصرة من إنجيل متّى . ولكن الوضع قد تغير الآن، حيث عُرف أنه يكاد يكون من المؤكد أن إنجيل مرقس هو أول ما كُتب من الأناجيل، وبذلك وصل إلى مكانة من المحتمل أنه لم يحظ بها منذ ظهوره لأول مرة .

يُعتقد أن إنجيل مرقس كُتب في روما في الفترة التي اتهم فيها الامبراطور نيرون المسيحيين بأنهم أحرقوا المدينة . وهذه بقايا مدرج روما القديم (الكولسيوم) حيث كان كثيرون من المسيحيين يُعذبون ويموتون من أجل إيمانهم.



ومع ذلك، هناك بعض الأدلة التي تفيد أنه كان يلقي التقدير في بعض الدوائر المسيحية المعينة ليس بعد كتابته بوقت طويل، فعلى سبيل المثال نجد أن بابياس Papias الذي كان يكتب حوالى عام ١٤٠ م، ولكنه كان يقْتبس من مصدر سابق، يعرّف مرقس بأنه كان "المترجم الخاص ببطرس" ويقول إنه كان يكتب بدقة ولكن بدون ترتيب كل الأمور التي يستطيع تذكرها من أقوال المسيح وأعماله . كذلك إيريناوس وأكليمندس السكندري يربطان بين إنجيل مرقس وكرازة بطرس، وفي عصور قريبة ساد الاعتقاد بأن محتويات الإنجيل تدعم الرأي القائل إن بطرس كان مصدر الكثير مما جاء به .

اقتباس من يوسابيوس (تاريخ الكنيسة ١٣) ٣٩ ، ١٥. (إيريناوس ضد الهراطقة ١). ١،١ أكليمندس السكندري الذي اقتبس من يوسابيوس، (تاريخ الكنيسة ٦) ١٤، ٦

وقد سرد عدداً من القصص بتفاصيل رائعة فكان من الطبيعي اعتبارها المصادر الأولى للأحداث التي وصفتها . فقصة دعوة بطرس، وقصة أول سبت ليسوع في كفر ناحوم، حيث شفى حماة بطرس، تعد من الأمثلة الجيدة على ذلك . وفضلاً على ذلك، فبعض الإشارات إلى التلاميذ، وإلى بطرس بصفة خاصة، غير مواتية بالنسبة لهم وبدرجة كبيرة . فالتلاميذ كانوا يُصورون بصفة دائمة على أنهم جهلة متبلدو الذهن، أخفقوا في فهم ما كان يحاول يسوع أن يعلمهم . وفي إنجيل مرقس لم يكن التلاميذ بأي حال من النوعية التي كانت الكنيسة في وقت لاحق تود أن يكونوا منها . ولذلك فمن غير المحتمل أن يكونوا قد وُصفوا بهذه الصورة غير المرضية ما لم يكن لدى مرقس معلومات جيدة، ربما حصل عليها من بطرس نفسه لتدعم هذه الصورة .

مر ١: ١٤-٢٠
مر ١: ٢٩-٣٤
مر ٤: ٣٥-٤١،٥: ٢٥-٣٤
٦: ٣٧-٣٨،٨: ١٤-٢١
٨: ٣١-٣٣،٩: ٢-١و٣٢
١٠: ٣٥-٤٥

الـكـاتـب

ولكن من هو مرقس . من الطبيعي أن اسم "مرقس" كان من الأسماء الشائعة، وكان من الممكن أن يكون أي شخص . وفي مناقشتنا هذا السؤال، نحن في حاجة إلى أن نتذكر أنه ليس من بين الأناجيل من يذكر في الواقع اسم كاتبه . وإنجيل يوحنا أقرب الأناجيل إلى ذلك، ولكن حتى هناك لا نجد سوى إشارة غامضة إلى شاهد لصلب المسيح . وعلى الرغم من أن هذا الشخص

يو ١٩: ٣٥

كثيراً ما يشار اليه بعبارة "التلميذ المحبوب"، إلا أنه ليس من الواضح تماماً من كان هذا . وفي هذه الناحية فإن الأناجيل تختلف تماماً عن معظم بقية العهد الجديد، لأنها قُدمت إلينا ككتابات مجهولة الكاتب . ونسبتها التقليدية إلى متّى ومرقس ولوقا ويوحنا أُضيفت بالطبع إلى مرحلة مبكرة، ولكنها تمثل آراء الكنيسة بالنسبة لكتبة الأناجيل، وليس أي ادعاء من قِبَل الكاتبين أنفسهم .

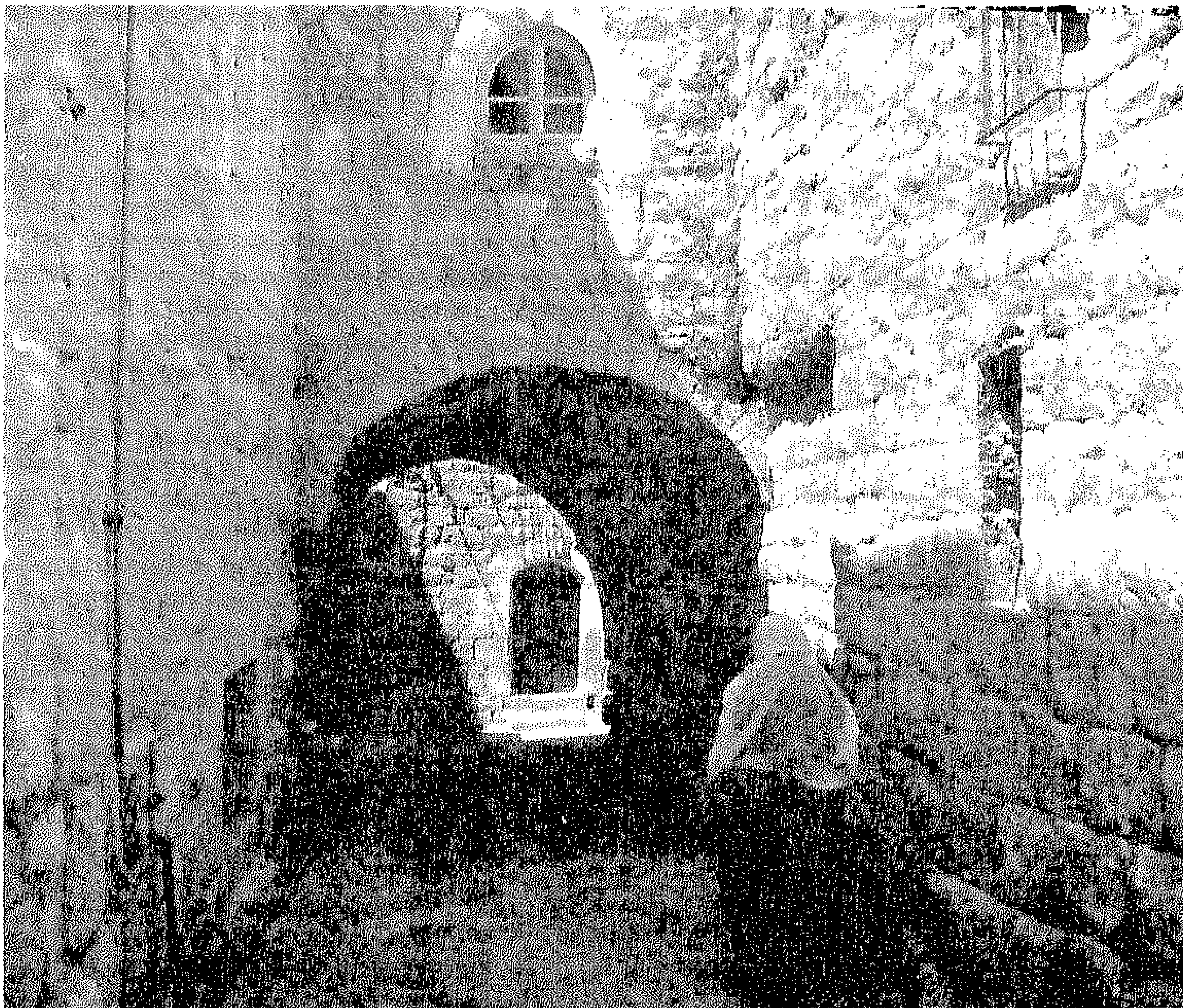
وواضح من البرهان أن كاتب الإنجيل الثاني كانت الكنيسة الأولى بصفة
يو ٢١: ٢ عامة تربط بينه وبين شخص اسمه يوحنا الملقب مرقس، والذي يُعرف من أجزاء
أخرى من العهد الجديد . وطبقاً لما جاء في سفر أعمال الرسل، فإن مجموعة من
أع١٢: ١٢ المسيحيين كانوا يلتقون بصفة منتظمة في بيت أمه في أورشليم، ويوحنا مرقس
أع١٢: ٢٥ نفسه ذُكر على أنه كان رفيق بولس وبرنابا في أول رحلة تبشيرية قاما بها .
أع١٥: ٣٧-٤١ وعلى الرغم من أن مرقس لم يذهب معهما، إلا أن بولس يمتدحه في اثنتين من
كو٤: ١٠،فل٢٤ رسائله التالية، ومن ثم فلابد وأن الرجلين كانا قد سوّيا خلافاتهما . كذلك
١بط٥: ١٣ ذكر بمحبة في (١بط ٥: ١٣)وأن هذا اعتماداً على وجهة النظر الخاصة بكاتب
رسالة بطرس الأولى، يمكن أخذه كدليل للربط بينه وبين بطرس وكذلك ببولس.

وإنه لمن الصعوبة بالأكثر التأكد من أن نفس مرقس هذا هو حقاً كاتب الإنجيل . غير أنه بالنظر إلى ميل مسيحيي القرن الثاني للربط بين أسفار العهد الجديد وشخصيات رئيسية من الكنيسة الأولى، فلربما لا يكون التقليد الذي يربط مرقس بالإنجيل الثاني بعيدًا تماماً عن الحقيقة . فيوحنا مرقس الذي تقابلنا معه في العهد الجديد هو شخص لا أهمية كبيرة له، وليس من نوعية الشخص الذي تُعزى إليه كتابة إنجيل ما لم يكن هناك سبب قوي للاعتقاد بأنه قام بذلك فعلاً .

القـرّاء كان الاعتقاد السائد أن إنجيل مرقس كُتب في روما، لخدمة احتياجات الكنيسة هناك . ويختلف إيريناوس وأكليمندس السكندري حول الظروف

الحقيقية التي أحاطت بكتابته، ولكنهما يتفقان معاً على أنه كُتب في روما.وإذا كان كاتب الإنجيل هو حقاً يوحنا مرقس، فإن الإشارات إليه في العهد الجديد تجعله أيضاً في روما .

ومن المؤكد أن الإنجيل كُتب لقراء من غير اليهود . وقد ترجمت عبارات
مر٥: ٤١،٧: ٣٤ مثل "طليثا قومي" أو "إفثا" إلى اللغة اليونانية لفائدة قراء مرقس .
مر٧: ٣-٤ كذلك شُرحت أيضاً العادات اليهودية بطريقة توحي أنها لم تكن مألوفة .
مر٤: ٢١،١٢: ٤٢ كذلك هناك عدد من العبارات اللاتينية التقنية في إنجيل مرقس .الأمر الذي
١٤: ٦٥، ١٥: ١٩ يستشف منه أن الإنجيل كُتب في جزء من الامبراطورية الرومانية كانت اللغة اللاتينية مستعملة فيه . وعلى ضوء هذه الأدلة يبدو أنه من المؤكد أن تكون روما المكان المفضل لكتابة الإنجيل .



اعتاد المسيحيون الأوائل في أورشليم أن يتقابلوا في بيت تمتلكه أم يوحنا مرقس . ولعله كاتب إنجيل مرقس . والصورة تمثل شارعاً في مدينة أورشليم القديمة.

التاريخ

تحديد تاريخ للإنجيل على الرغم من ذلك لا يُعد أمر سهل، لعدة أسباب :

• الدليل المستمد من آباء الكنيسة دليل متناقض . ذلك أن أكليمندس السكندري يقول إن مرقس كتب الإنجيل حيث أملاه عليه بطرس، وأن المسودة الأخيرة له وافق عليها بطرس نفسه . غير أن إيريناوس يقول إن الإنجيل لم يُكتب إلا بعد موت بطرس وبولس . وهذا معناه أنه علينا أن نحاول من دليل من الإنجيل نفسه معرفة متى كُتب، وهذه ليست بالمهمة السهلة .

• كثيراً ما كان هناك اعتقاد بأن الإشارات إلى محاكمات واضطهادات في إنجيل مرقس توحي بأن قراءه كانوا يلاقون الآلام بسبب إيمانهم بالمسيح.وإذا
كان الأمر كذلك، فيمكن أن يرجع تاريخ الإنجيل إلى فترة تقع ما بين ٦٠ مر٨: ٣٤-٣٨
و٧٠ م، وهي الفترة التي حاول نيرون فيها أن يلقي باللوم على المسيحيين بأنهم ١٠: ٣٣-٣٤و٤٥
السبب في حريق روما . غير أن الاضطهاد كان بالطبع من السمات الشائعة في ١٣: ٨-١٣
حياة الكنيسة في القرن الأول . ولذلك فإنه ليس من الضروري الربط بين إنجيل مرقس وأي من الاضطهادات الشهيرة . فلابد وأنه كانت هناك كثير من الاضطهادات المحلية التي لا نعرف شيئاً عنها، على الرغم من أنها كانت اضطهادات حقيقية بالفعل .

• ثم إن هناك السؤال ما إذا كان الجزء الرؤوى في إنجيل مرقس يفترض مقدماً أن أورشليم قد سقطت بالفعل في يد الرومان . وبالنظر إلى أن هذا وقع سنة ٧٠ م، فالإجابة على هذا السؤال سوف تجعل تاريخ الإنجيل على الأقل قبل أو بعد هذا الحدث بقليل . ولكن هنا أيضاً انقسمت الآراء . فقد قال روبنسون بأنه من المؤكد أن إنجيل مرقس قد كُتب قبل سنة ٧٠ م. (مع بقية العهد الجديد)، ومن رأيه أنه كان موجوداً قبل ذلك التاريخ بوقت طويل . ولذلك يُرجع كتابته إلى الفترة ما بين ٤٥-٦٠م. ومع ذلك فهناك مفكرون آخرون يُرجعون تاريخه إلى الفترة ما بين ٦٠-٧٠ م .

الأسباب التي حملت مرقس على الكتابة

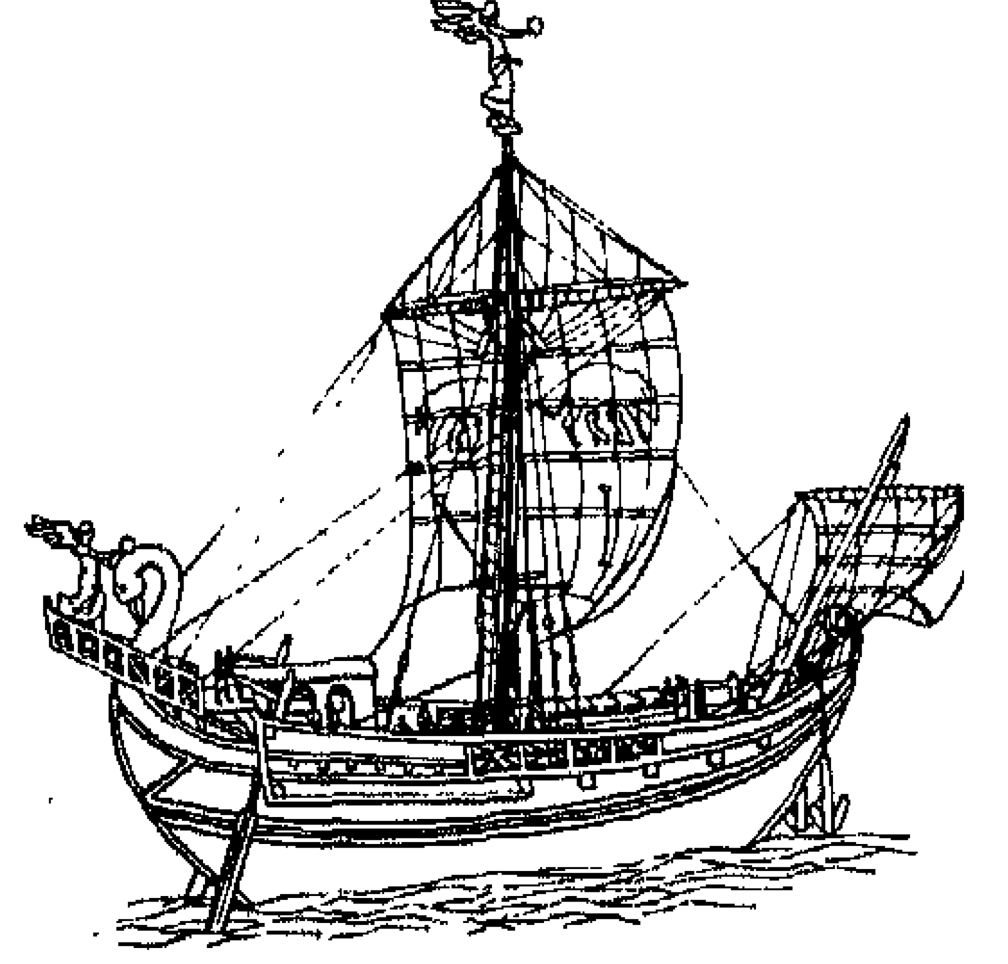
من السهولة تحديد الدافع الذي حمل مرقس على كتابة إنجيله بالشكل الذي كتبه به .

• إذا كان إنجيل مرقس له علاقة ما ببطرس -كما توحي التقاليد الأولى- فإن من أسباب كتابته قد تكون رغبته في حفظ ذكريات بطرس كشهادة دائمة للكنيسة . وهذا سيكون أمراً من السهل فهمه إذا كان مرقس قد قام بالكتابة في وقت يسبق موت بطرس أو بعد ذلك مباشرة .

مر ١: ٣،٤٣: ٥،٨: ١٢، • الا أن هذا الإنجيل كُتب في ظل موقف معين كان في الذهن . وهناك عدد
٨: ٣٣،١٠: ١٤،٦: ١-٦ من النواحي المميزة والملفتة للنظر بالنسبة لصورة يسوع في إنجيل مرقس . فقد
قُدم هنا على اعتبار أنه بشر تماماً . فقد غضب يسوع في بعض المناسبات، و لم
مر٨: ٣١-٣٣ يكن يقدر على عمل المعجزات إذا لم تتوافر الظروف الإيمانية المماثلة، وكان
٩: ٣١ يعاني آلاماً جسدية وبطريقة يمكن الاعتقاد أنها تتنافى مع وضعه كابن الله. وفي
وقت ما، اعتبرت هذه الأشياء على أنها من علامات فكر مرقس اللاهوتي "البدائي" . غير أنه يوجد تفسير آخر لها: هناك فكرة طرحها بروفسور "مارتن R.P.Martin"، مفادها أن كثيرين من المسيحيين وجدوا أنه من الصعوبة التوفيق بين لاهوت يسوع وإنسانيته الحقيقية العاملة . ولذا اقترحوا أن يسوع الإله حل في يسوع الإنسان عند عماده، ثم تركه ثانية قبل صلبه - وهؤلاء هم الدوستيون، الذين يقولون إن يسوع بدا كإنسان فقط (من الكلمة اليونانية Dokeo : ومعناها "يبدو") . ولقد اهتم كاتب رسالة يوحنا الأولى بتصحيح مفاهيم هؤلاء الناس، وربما أخذ إنجيل يوحنا ذلك في الاعتبار . إلا أن إنجيل مرقس ربما جاء مصححاً لهذه الفكرة . وفي الرد على أولئك الذين كانوا يقولون إن بشرية يسوع أمر وهمي، فإن مرقس يؤكد حقيقة بشريته بتقديمه يسوع على أنه المسيح الله الذي أُخفى أصله وأهميته ثم أعلن عنهما في شخص إنسان حقيقي .

لـــوقـــا

التقاليد التي تربط الإنجيل الثالث بشخص اسمه لوقا يعود تاريخها إلى بداية القرن الثاني . والقائمة الموراتورية ومقدمة إنجيل لوقا المضادة للماركيونية، وكذلك إيريناوس وأكليمندس السكندري، وأوريجانوس وترتليان، كل هؤلاء



سفينة قمح رومانية تماثل السفن التي أبحر فيها بولس ولوقا.

يذكرون لوقا باعتباره كاتبه . والقيمة الحقيقية لهذه التقاليد، على الرغم من ذلك، غير مؤكدة ، لأن معظم ما تتضمنه كان من الممكن استخلاصه من العهد الجديد نفسه، وعلى هذا فليس من الضروري أن تكون لها جدارة في حد ذاتها. والدليل المستمد من العهد الجديد، نراه في الواقع أكثر فائدة من ناحية تعريف كاتب هذا الإنجيل .

• هناك سمة مميزة لهذا الإنجيل وهي أنه في حد ذاته ليس كاملاً : فهو أحد جزئين يتناولان تاريخ المسيحية الأولى، والجزء الثاني هو سفر أعمال الرسل . وأسلوب هذين السفرين ولغتهما متشابهان بحيث لا يتركان موضعاً للريبة في أنهما إنتاج كاتب واحد . فكلاهما موجه لنفس الشخص الذي ذُكر أن اسمه "ثاوفيلس" .

لو١: ١-٤،أع١:١

• هناك فقرات معينة في سفر أعمال الرسل معروفة بأنها التي جاءت بضمير المتكلم بالجمع . وقد كان ذلك نتيجة أن القصة عند هذه النقاط تتغير من استخدام ضمير الغائب للجماعة، أو ضمير الغائب للمفرد، إلى استعمال ضمير الجمع للمتكلم (نحن) . وعلى الرغم من أنه لم يوضح إطلاقاً من المقصود بضمير الجمع للمتكلم هذا، إلا أن استخدام هذا الضمير يشير بوضوح إلى أن الكاتب كان موجوداً في هذه المناسبات، وعلى ذلك فقد كان رفيقاً لبولس . وبالنظر إلى أن أسلوب هذه الفقرات مماثل لأسلوب السفر بجملته، فيبدو أن الكاتب قد استخدم مفكرته الخاصة كمصدر للمعلومات . والفحص الدقيق للقصص يبين أن لوقا هو أفضل من ينطبق عليه هذه القصص.

أع١٦: ١٠-١٧، ٢٠: ٥-١٥،٢١: ١-١٨، ٢٧: ١-٢٨: ١٦

• لوقا هذا عرّفه بولس بأنه طبيب، وكثيراً ما اتجه الفكر إلى أن كاتب لوقا وسفر الأعمال، كان ملّماً بلغة طبية، واهتماماً بتشخيص الأمراض، وكثيراً ما تم التأكيد على هذه النقطة، ومن المحتمل أن المصطلحات الطبية المحدودة التي استخدمت ربما كانت مألوفة لأي شخص ذكر في العالم الروماني . إلا أن

هناك نقطة أو اثنتان في الإنجيل يبدو أن لوقا يظهر نفسه عندهما أنه أكثر تعاطفاً من مرقس بالنسبة لعمل الأطباء . وهذا يأتي بشكل ملحوظ تماماً في القصة التي تبين كيف أن يسوع شفى إمرأة نازفة الدماء التي كان يبدو أن مرضها غير قابل للشفاء . ويذكر مرقس حقيقة أنها عولجت لدى العديد من الأطباء، ثم يعلق
مر٥: ٢٦ بشيء من السخرية: "وأنفقت كل ما عندها و لم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال
لو٨: ٤٣ أردأ" . أما من ناحية أخرى، نجد أن لوقا بكل بساطة يعلق قائلاً:"و لم تقدر أن تشفي من أحد" .

وقد ذُكر لوقا ثلاث مرات في العهد الجديد . وفي كل مرة قيل إنه كان
كو٤: ١٤،فل٢٤: ٢ رفيقاً لبولس، وفي رسالة كولوسي يقول بولس إنه لم يكن يهودياً .
٢تي٤: ١١ وإذا كان هو حقاً كاتب إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل يكون بذلك هو الكاتب الوحيد من غير اليهود في مجموعة كتبة العهد الجديد . ومن المؤكد أن الأسلوب اليوناني لهذه الكتابات يوحي بأن كاتبها لابد أن يكون مواطناً يونانياً.

تاريخ الكنيسة٢،٤،٦ وطبقاً لما يقوله يوسابيوس فقد جاء لوقا من أنطاكية في سورية، وهناك
أع١١: ٢٨ مخطوطة قديمة لسفر أعمال الرسل تشير إلى أنه كان في أنطاكية حين وصلت للكنيسة هناك أنباء عن مجاعة وشيكة. أما نص سفر أعمال الرسل المقبول بصفة عامة، فقد ورد به أن لوقا كان برفقة بولس حين توجه إلى أوروبا لأول مرة . كما أنه صاحب بولس أيضاً في رحلته الأخيرة إلى أورشليم، ثم واصل السفر معه إلى روما نفسها . كما يقول "ستريتر"وآخرون، ربما جمع لوقا جزءاً من مادة إنجيله أثناء هذه الفترة من الكنيسة في قيصرية، على الرغم من أن نسخته الأخيرة ربما تكون قد كُتبت في روما .

التاريخ

من غير الممكن التأكد على نحو من الدقة التاريخ الذي أنهى فيه لوقا إنجيله. وبالنظر إلى أنه يدمج في قصته مادة مأخوذة من إنجيل مرقس، فلابد أن يكون

قد كتب المسودة الأخيرة لسفره بعد أن تمت كتابة إنجيل مرقس وأصبح متداولاً. وعلى هذا فإن التاريخ الذي نعطيه لإنجيل لوقا يعتمد إلى حد ما على
لو ٢١: ٥-٢٤ التاريخ الذي ننسبه إلى إنجيل مرقس . وقد قيل إن لوقا أظهر معرفة بسقوط أورشليم على يد الرومان سنة ٧٠ م . فإذا كان الأمر كذلك فإن تاريخ إتمام كتابة الإنجيل يرجع إلى ما بعد ذلك بقليل . لكن هناك من يرون أنه لا يوجد مبرر لتأكيد هذه الفكرة، وينسبون إلى الإنجيل تاريخاً مبكراً عن ذلك، والبعض يعطونه تاريخاً يرجع إلى الفترة من ٥٧-٦٠ م .

الأسباب التي دعت لوقا لكتابة إنجيله

لماذا كتب لوقا إنجيله ؟ كان هذا من أكثر الموضوعات التي تمت مناقشتها بحدة بين باحثي العهد الجديد في الفترة الأخيرة، ولقد طُرح عدد كبير من الاقتراحات في هذا الخصوص . وعدد قليل من أهم هذه الاقتراحات يستحق الذكر .

• يجب ألا ننسى أن لوقا لم يذكر لنا شيئاً عن هدفه في مقدمة إنجيله . وهو
لو ١:١-٤ يقول إنه يكتب لشخص اسمه ثاوفيلس "لتعرف صحة الكلام الذي عُلمت به".كما يقول أيضاً إنه كتب إنجيله بتدقيق وبطريقة أدبية، وقد درس القصص التي كتبها أناس آخرون، وعلى هذا الأساس كتب "على التوالى" .

وهذا يوضح لنا عدداً من الأمور . فمن ناحية يبدو واضحاً أن ثاوفيلس (أيا كان هذا الشخص) كان مسيحياً . وقد كتب لوقا إنجيله ليساعده وغيره من المؤمنين كي يحسنوا فهمهم للإيمان المسيحي . لكن الكاتب يوضح أيضاً أنه يرى أن أفضل طريقة لتحقيق ذلك هو أن يبدأ على قدر المستطاع بما عُرف عن حياة يسوع نفسه وتعاليمه . ولذلك كان له أيضاً اهتمام تاريخي في اكتشاف الحقائق عن يسوع، وعلى مثال غيره من الإنجيليين لم يبدأ بكتابة سيرة ذاتية عن يسوع بالمعنى التقني . غير أنه في ذات الوقت أدرك أنه إن كان لرسالته إلى ثاوفيلس أن يكون لها ثقل كبير فإن الأمر يتطلب منه الالتزام بكل دقة بحقائق التاريخ.

ساد الاعتقاد بحسب التقاليد أن لوقا كـان طبيباً، وذلـك للمصطلحـات الطبية التي تضمنها إنجيله.

• ولهذا السبب نجد أن لوقـا يـبدأ قصته عـن يسـوع باليهودية فيوضح في الأصحاحين الأولين من إنجيله استمرارية المسيحية مع اليهودية والعهد القديم.



ثم إنه يؤكد في ذات الوقت على أن يسوع هو تحقيق لكل مواعيد ا لله، ولذلك فلم تعد هناك حاجة الآن إلى ديان العهد القديم . والعلاقة بين اليهود والمسيحيين كانت تشكل بالطبع موضوعاً هاماً في الكنائس الأولى، وهذا ما نستطيع أن نلمسه من رسائل بولس . ومن بداية إنجيله يؤكد لوقا أن أولئك الذين يتبعون يسوع ليسوا في حاجة في البداية أن يصبحوا يهوداً كي يكونوا
لو٢: ٣٢ بعد ذلك مسيحيين . بل جاء يسوع بالأحرى ليكون "نورًا .... للأمم" .

• في الوقت الذي كتب فيه لوقا إنجيله، كانت أحداث حياة المسيح قد أصبحت تنتمي إلى الماضي . وكثيراً ما أدت هذه الحقيقة إلى أن تهتم الأجيال اللاحقة من المسيحيين بتاريخ القرن الأول بأكثر من اهتمامهم بالأحداث الخاصة بأيامهم . غير أن لوقا في قصته عن حياة يسوع وخدمته، يؤكد على أنه توجد علاقة هامة بين أحداث حياة يسوع، والحياة في الكنيسة المعاصرة . وقد فعل هذا، بالتأكيد على أن قوة حياة وجود المسيح في الكنيسة، الروح القدس، كان لها أيضاً دورها الهام في خدمة يسوع . وعند نقاط هامة كثيرة نجد أن لوقا ينطلق بوضوح ويتحدث باستفاضة عما جاء بشكل ضمني فقط في إنجيلى متّى ومرقس . وكان للروح القدس دوره في ميلاد يسوع، ومعموديته وخدمته . وفي
لو١: ٣٥،٣: ٢٢، خاتمة الإنجيل طُلب من التلاميذ أن ينتظروا في أورشليم حتى يقبلوا هم أيضاً
٤: ١و١٤ عطية الروح . ولعل لوقا كان بهذا يؤكد على استمرارية وجود يسوع مع تلاميذه كتصحيح لأفكار بعض معاصريه الذين تبرموا لأن المجيء الثاني للمسيح لم يتحقق بعد . وهو يذكرهم أنه على الرغم من أن ظهور يسوع الأخير في مجد لايزال أمراً يخص المستقبل، إلا أنه موجود مع تلاميذه بطريقة حقيقية من خلال حضور الروح القدس في حياتهم .

• وهناك ملاحظة هامة أخرى في إنجيل لوقا، وهو تأكيده على أن الرسالة المسيحية مُقّدمة لكل إنسان، وهذا أمر واضح لنا اليوم، ولكنه لم يكن هكذا على الإطلاق بالنسبة للأجيال القليلة الأولى من المسيحيين . ومن بين أعظم

إسهامات بولس الرسول أنه بين أن محبة الله تمتد إلى أدنى طبقات المجتمع.
وأوضح لوقا في إنجيله أن هذه كانت أيضاً رسالة حياة المسيح وتعليمه . فحين
يروي قصة الطفل يسوع، نراه يضمنّها القول بأنه سيكون "نور إعلان للأمم". لو٢: ٣٢
وفي تتبعه لسلسلة أنساب يسوع، يرجع لوقا إلى آدم، أب البشرية جميعاً، في لو٣: ٢٨-٣٨
حين أن متّى يتوقف عند إبراهيم فقط أب الجنس اليهودي . وفي قصة لوقا عن مت١:١-١٧
العظة في المجمع في الناصرة، كانت رسالة يسوع تركز على الأمم . كما يذكر لو٤: ١٦-٣٠
لوقا أيضاً اهتمام يسوع الخاص حتى بالسامريين، الذين يكرههم اليهود بأكثر
حتى مما يكرهون الرومان . وطوال هذا الإنجيل يُقدم يسوع بصفة خاصة على لو٩: ٥١-٥٦
أنه صديق المنبوذين في المجتمع . وهؤلاء هم الذين يسر الله بالترحيب بهم، ١٠: ٢٥-٣٧
وسروره في قبول أناس كهؤلاء في ملكوته هو سرور يشاركه فيه أيضاً أتباع لو١٧: ١١-١٩
يسوع . وسعادة كون الإنسان مسيحياً تم التأكيد عليها مراراً وتكراراً . وقصة
لوقا تبدأ بالملائكة وهم يبشرون "بفرح عظيم"، وتُختتم بالتلاميذ وهم عائدون لو٢: ١٠
إلى أورشليم بعد الصعود "بفرح عظيم" . وبين هذين الحدثين نجد أن كثيراً من
أروع أمثال يسوع تنتهي بنفس نبرة السعادة هذه . فالخروف الضال، والابن لو٢٤: ٥٢
الضال، وأمثال أخرى كثيرة تؤكد الفرح الذي أُعطي لتلاميذ يسوع - وهو
فرح قائم على أساس محبة الله الغافرة التي أُظهرت لهم حين كانوا هم أنفسهم لو١٥: ١-٧،١١-٣٢
من المنبوذين والخطاة .

وربما لا يوجد سفر آخر في العهد الجديد كله يقدم يسوع بهذه الصورة الرائعة كصديق ومخلّص للجميع . وهذا هو تماماً ما استهدفه لوقا . لأنه كان من المهم أن تدرك الكنيسة على أيامه كيف أن رسالتها للعالم كله متأصلة بشكل قوي في تعليم ومثال يسوع نفسه .

متّى

يختلف إنجيل متى عن كل من إنجيل مرقس وإنجيل لوقا . وهناك عدد من السمات الخاصة التي يتطلب الأمر تأملها قبل أن نذكر أي شيء عن أصله، وتاريخه، وكاتبه .

• يتميز هذا الإنجيل بترتيب منظم للغاية بالنسبة لمادتـه، حيث رُتب بحسب الموضوعات . ومن الممكن تقسيمه بعدد من الطرق المختلفة، فهناك هيكـل لهذا الإنجيل كان يُستعمل في الماضي على نطـاق واسـع، وكـان ينظـر إلى الإنجيـل كمجموعة من خمسة قوالـب أو أنـه كُتـب مـن مـادة رُتبـت بـين المقدمـة الـتي تضمنت قصص الميلاد . والخاتمة التي تضمنت قصة الآلام . وكـل مـن أجـزاء الإنجيل هذه يمكن ملاحظة أنه يضم مجموعة متوازنة بشكل جيد من مادة للقصة والتعليم على النحو التالي :

مت ١:١-٢: ٢٣

مت ٢٦: ١-٢٨: ٢٠



يؤكد إنجيل لوقا على اهتمام يسـوع بـالمعدمين . ويظهـر في الصـورة ضحايا الزلزال في جواتيمـالا، وهـم في صفوف للحصول على طعام.

(١) الناموس الجديد

قصة (الخدمة في الجليل)	٣: ١-٤: ٢٥
تعليم (الموعظة على الجبل)	٥: ١-٧: ٢٩

(٢) التلمذة المسيحية

قصة	٨: ١-٩: ٣٤
تعليم	٩: ٣٥-١٠: ٤٢

(٣) معنى الملكوت

قصة	١١: ١-١٢: ٥٠
تعليم (أمثال)	١٣: ١-٥٢

(٤) الكنيسة

قصة	١٣: ٥٣-١٧: ٢٧
تعليم (نظام، تأديب، عبادة)	١٨: ١-٣٥

(٥) دينونة

قصة (مجادلات في أورشليم)	١٩: ١-٢٢: ٤٦
تعليم(دينونة على الفريسيين وتعاليم رؤوية)	٢٣: ١-٢٥: ٤٦

ومن رأى "بـاكون" B.W.Bacon، أن متّى يستعمل هـذا المخطط لتقديم يسوع لقرائه كموسى جديد، والتقسيم الخماسي لإنجيله يُعد نظيراً ملموساً لأسفار موسى الخمسة في العهد القديم . ولكن هذا أمر يصعب إثباته . فلم يقل متّى في أي موضع إن يسوع هو "موسى الثاني"، بل وليس هناك تشابه بين الخمسة التي قُسم إليها الإنجيل وبين أسفار موسى الخمسة . فليس هناك شيء مشترك بين الاثنين سوى الرقم خمسة .

والواقع إنه ليس من المؤكد أنه توجد خمسة أقسام في الإنجيل . والسبب مت٧: ٢٨، ١١: ١،
الرئيسي لتقسيمه على هذا النحو يرجع إلى حقيقة أن عبارة "فلما أكمل يسوع ١٣: ٥٣، ١٩: ١، ٢٦: ١
هذه الأقوال ...." وُجدت خمس مرات في الإنجيل، وفي نقاط تتناغم مع النهاية المزعومة لهذه الأجزاء . إلا أننا إذا حللنا الإنجيل على أساس محتوياته، بدلاً من استخدام هذا المعيار القائم على الأسلوب الأدبي، سوف نصل إلى استنتاجات مختلفة تماماً . ولقد قال بروفيسور ج.د.كنجسبرى J.D.Kingsbury إنه لا توجد خمس تقسيمات في إنجيل متّى بل ثلاث فحسب . وينادي بأن اهتمام متّى الرئيسي كان منصباً على أن يبين أن يسوع هو ابن الله والمسيا، وأن الإنجيل مُرتّب موضوعياً حول هذا الموضوع :

(١) شخص يسوع باعتباره المسيا وابن الله (١: ١-٤: ١٦).

(٢) إعلان رسالة يسوع (٤: ١٧-١٦: ٢٠).

(٣) آلام وموت وقيامة المسيح وابن الله (١٦: ٢١-٢٨: ٢٠).

لقد بُذلت عدد من المحاولات الفكرية أيضاً لتفسير تركيب الإنجيل بواسطة كتب الفصول اليهودية المقدسة، أو صيغ لغوية وحسابية مختلفة . وأنها بالطبع لحقيقة أن تعاليم الإنجيل كثيراً ما تُجمع في سلاسل ثلاثية وسباعية، ولكن هذا ربما كان القصد منه مساعدة المسيحيين الذين يريدون أن يحفظوا أقوال يسوع عن ظهر قلب، لا أن يكون ذلك بمثابة إشارة خفية لترتيب مادته .

• يؤكد متّى أيضاً ـ وبصفة خاصة ـ على أهمية العهد القديم . وقد قُدمت حياة يسوع وتعاليمه على أنها تحقيق للمواعيد التي قطعها الله لإسرائيل . وقد ذُكر هذا ليس في إطار المعنى العام بأن يسوع هو "ابن داود" فحسب، بل بالأكثر بإشارات واضحة لنصوص العهد القديم . لقد كان الكاتب على قناعة أن يسوع أتم في اختباره كل ما وقع لإسرائيل . ولكي يثبت ذلك نراه كثيراً ما

مت٢: ١٥، هو١١: ١ يستشهد بنصوص العهد القديم وبطريقة قد تبدو لنا غريبة إلى حد ما . فعلى سبيل المثال، حين يذكر متّى عودة الطفل يسوع من مصر إلى موطنه نراه يقتبس قول هوشع عن خروج إسرائيل من مصر : "من مصر دعوت ابني" . غير أن رسالته واضحة : كل ما كان يعتبر مركزياً في علاقة الله مع شعبه إسرائيل تم حقاً وبشكل نهائي في حياة يسوع .

• لذلك فإنه لمما يدعو إلى الدهشة إلى حد ما أننا نجد أنه إلى جانب هذا الاهتمام اليهودي القوي، هناك تأكيد عظيم على شمولية الرسالة المسيحية .

مت٢٣: ١-٣٦ فأخطاء اليهود لم يتم التغاضي عنها في صمت . ففي متّى نجد أقسى الانتقادات

مت٨: ١٠-١٢، ٢١: ٤٣ لرياء الفريسيين، وهناك دلالات عديدة على أنه قد ولّى اليوم الذي كان الإسرائيليون فيه شعب الله . وقد تمت موازنة هذا بتأكيد رائع على العمل المرسلي للكنيسة .وأصبح الأمر في غاية الوضوح في الإرسالية العظمى التي

مت٢٨: ١٦-٢٠ كلّف بها يسوع تلاميذه في خاتمة الإنجيل . غير أنه كان قد لمح إلى ذلك منذ

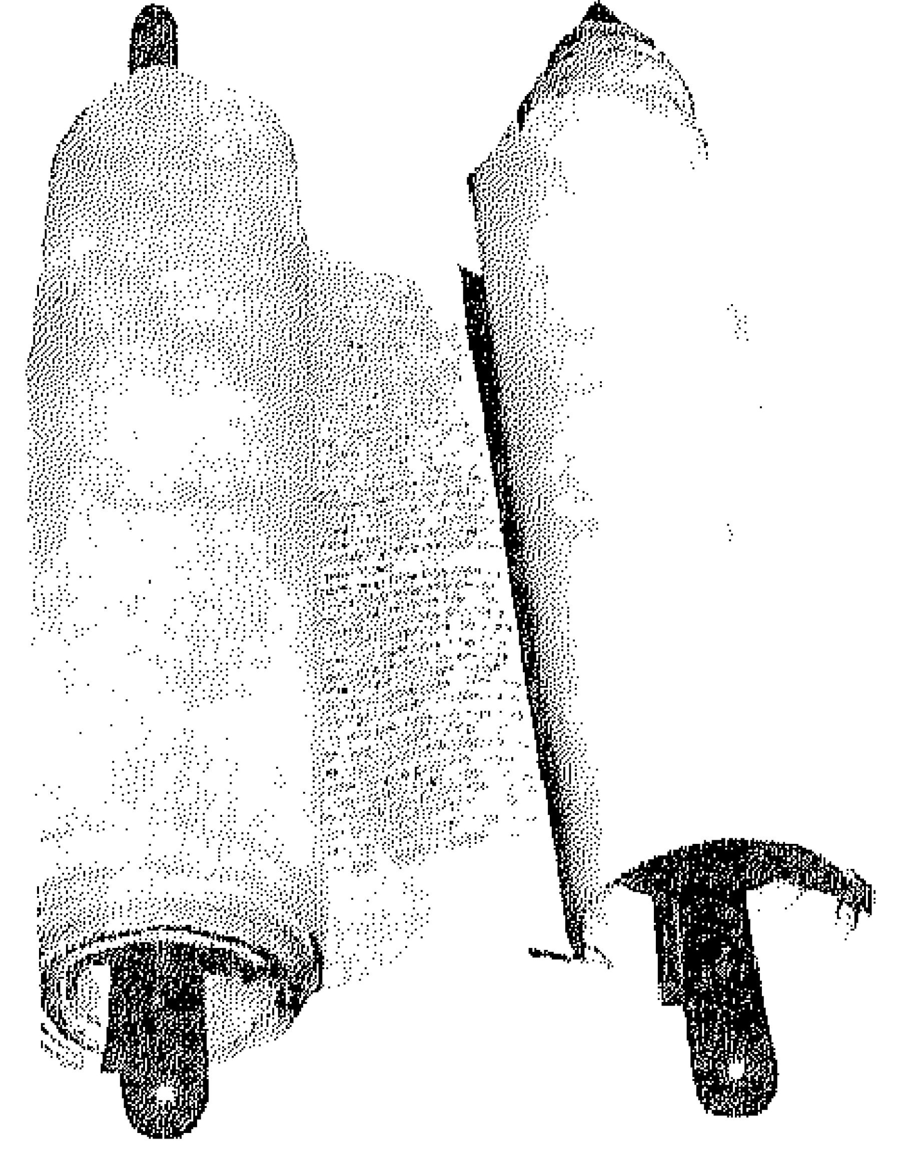
مت٢: ١-١٢ البداية حين انضم المجوس الحكماء، الذين هم من غير اليهود، في السجود للطفل يسوع .

• نجد هنا أيضاً اهتماماً واضحاً بالأخرويات، والتعليم الخاص بهذا الموضوع الذى تضمنته الأصحاحات ٢٤، ٢٥ جاء على نحو أشمل وأكمل مما جاء في الأجزاء المناظرة في الأناجيل المتشابهة الأخرى . فإنجيل متّى يتضمن عددًا من الأمثال تتناول موضوع المجيء الثاني والدينونة الأخيرة، ولا نجد هذه الأمثال في

الأناجيل الأخرى . ومعظمها تركز على تشجيع المسيحيين على الحياة في حالة الاستعداد المستمر لعودة يسوع : "لأنكم لا تعرفون اليوم أو الساعة" . ولعل بعضاً من أعضاء كنيسة متّى كانوا قد بدأوا يشكّون في عودة يسوع ثانية، والأمثال التى على نمط العذارى العشر تؤكد أنه في ظل موقف كهذا لن يكون المسيحيون إطلاقاً في حالة مناسبة للقاء ربهم .

مت ٢٥:١٣

يكشف إنجيل متّى عن خلفية يهودية قوية واهتماماً بالعهد القديم.



• وهناك سمة أخرى هامة لإنجيل متّى تتمثل في اهتمامه بالكنيسة . والواقع أنه الإنجيل الوحيد الذي استُخدمت فيه الكلمة التي تُترجم كنيسة "Ekklesia" . وهذه الحقيقة من المؤكد أنها تتضمن إشارة إلى الإنجيل كله . فقد كان متّى يضع مجموعة من تعاليم يسوع في شكل يمكن أن يُستعمل مباشرة طوال حياة الكنيسة . لقد كانت خلاصة وافية لنصيحة لها سلطانها سواء بالنسبة للمتجددين حديثاً أو المؤمنين القدامى فيما هم يحاولون أن يضعوا إيمانهم المسيحي موضع التطبيق في حياتهم اليومية .

الكاتب

ليس هناك اتفاق عام بالنسبة لمن كتب الإنجيل، وما هو زمن كتابته . وكثيرون من المفكرين لا يجدون الآن أية صعوبة في قبول التقاليد المسيحية القديمة التي تعرف مرقس ولوقا على أنهما قاما بكتابة الإنجيلين المنسوبين إليهما، لكن الوضع مختلف إلى حد ما بالنسبة لإنجيل متّى . لأن متّى، الذي ربط آباء الكنيسة اسمه بهذا الإنجيل، كان تلميذاً ليسوع، وعلى ذلك كان شاهد عيان بالنسبة للأحداث التي وصفها . وليس من السهل معرفة السبب الذي يجعل واحداً من الاثنى عشر معتمدًا بدرجة كبيرة جداً على إنجيل مرقس، الذي كتبه شخص لم يكن شاهد عيان للأحداث المتعلقة بحياة يسوع .

وبالطبع فموضوع الكاتب الحقيقي للإنجيل ليس الموضوع المهم بالنسبة لفهمنا له . فالسفر نفسه جاء خلواً من اسم كاتبه، ولا يتضمن أية إشارة على الإطلاق بالنسبة لمن كتبه . وربما كان شخصاً مرتبطاً بمتّى الرسول، ولكن في أية مرحلة، أو بأية طريقة، فهذا لم يمكن قوله تحديدًا .

تـــاريـخ كتـابتـه

كذلك تاريخ كتابة الإنجيل هو موضوع شك، ويعتمد على الإجابات على عدد من الأسئلة الأخرى .

• من المفترض أنه لابد وأن يكون قد كُتب بعد إنجيل مرقس وبعد مجموعة الأقوال المعروفة بالمصدر Q . إلا أنه سبق لنا أن لمسنا المشاكل المتعلقة بإعطاء تواريخ ثابتة لهذه المواد .

• كثيرون من الباحثين يعتقدون أن إنجيل متّى قد كُتب بعد لوقا، لأن الإنجيل يبدو أنه يحتوي على إشارات مباشرة لسقوط أورشليم سنة ٧٠ م، وهنا أيضاً نقول إن هذا لا يعني بالضرورة أن الإنجيل كُتب بعد هذا الحدث . وذلك الافتراض كان يقوم إلى حد كبير على الاعتقاد بأنه لا يوجد شيء يمكن القول إنه نبوة حقيقية مؤكدة . وعلى هذا فإذا بدا أن يسوع قد تنبأ بحدث في المستقبل فإن هذا معناه أن الكنيسة الأولى لابد وأنها أعادت كتابة التقليد على ضوء الملابسات التالية . ولكن روبنسون Robinson أشار بحق إلى سذاجة هذا الافتراض، ويضع تاريخاً قبل ذلك بكثير معتمداً بصفة رئيسية على ذلك الأساس.

• قيل أيضاً إن نمط تنظيم الكنيسة الذي نلمسه في إنجيل متّى يُعد نمطاً جيد التطور، وعلى هذا فهو يعكس مرحلة متأخرة جداً من القرن الأول . إلا أن هذا أمر ليس من السهل إثباته . وحين نقارن تفاصيل تعليم هذا الإنجيل عن الكنيسة، برسائل بولس مثلاً إلى كنيسة كورنثوس والتي كانت في منتصف خمسينات القرن الأول، فمن الصعوبة البالغة أن نرى فروقاً حقيقية بين الحالتين.

واستناداً إلى كيفية إجابتنا على هذه الأسئلة، قد يرجع تاريخ كتابة الإنجيل إلى الفترة من ٨٠-١٠٠ م (هذا ما تؤيده غالبية المفكرين)، أو قبل سنة ٧٠م، وربما في تاريخ مبكر يقع بين ٤٠-٦٠ م. (حسب رأي روبنسون Robinson ووجوثري Guthrrie وكاتب أو اثنين من الكتبة الألمان) .

يـــوحـــنـــــا

مع استثناء واحد صغير، أو استثنائين، فإن كل ما قيل هنا تقريباً عن الأناجيل المتشابهة، يمثل إجماعاً في الرأي ساد بين باحثي العهد الجديد لفترة طويلة . وفي معظم النواحي الهامة نسبياً لم يتغير سوى القليل منذ كتب "ستريتر" عمله الهام منذ خمسين سنة مضت . وفي مواضع متفرقة، وُضعت تأكيدات جديدة متباينة فيما اكتُشفت النظم الأحدث لنقاد الصيغ ونقاد التنقيح، مع أنه حتى هذا يعد تطوراً طبيعياً من عمل الأجيال السابقة .

أما بالنسبة لعمل الإنجيل الرابع، إنجيل يوحنا، فأصبحت المسائل الآن مختلفة تماماً . فقد كتب "ستريتر" عن هذا الإنجيل أنه يُستمد ليس من المصادر الأساسية، بل من الصورة الحية ....التي رسمها خيال (الكاتب) على أساس اللاهوت الدفاعي المعاصر، وشاركته رأيه هذا غالبية معاصريه، فقد اعتبروا إنجيل يوحنا تفسيرًا لاهوتيًا لحياة يسوع صدر في القرن الثاني مستخدماً لغة الفلسفة الهلينية ونمط فكرها . وكانوا ينظرون إليه كنوع من عظة ممتدة، ليس له أية علاقة بتقاليد يعوّل عليها عن المسيح كما عاش وعلّم بالفعل .

ففي حين أنه منذ عشرين أو ثلاثين سنة مضت اعتُبر إنجيل يوحنا في الغالب على أنه نسخة مختلفة من الأناجيل المتشابهة، إلا أن كثيرين من المفكرين الأكفاء مستعدون الآن لاعتباره مصدراً مبكراً ومستقلاً للمعرفة عن حياة يسوع وتعليمه، وأنه على قدر متساو مع الأناجيل المتشابهة من حيث قيمته . ويمكننا أن نتتبع ثلاثة أسباب رئيسية لهذا التغيير الجذري في الرأي .

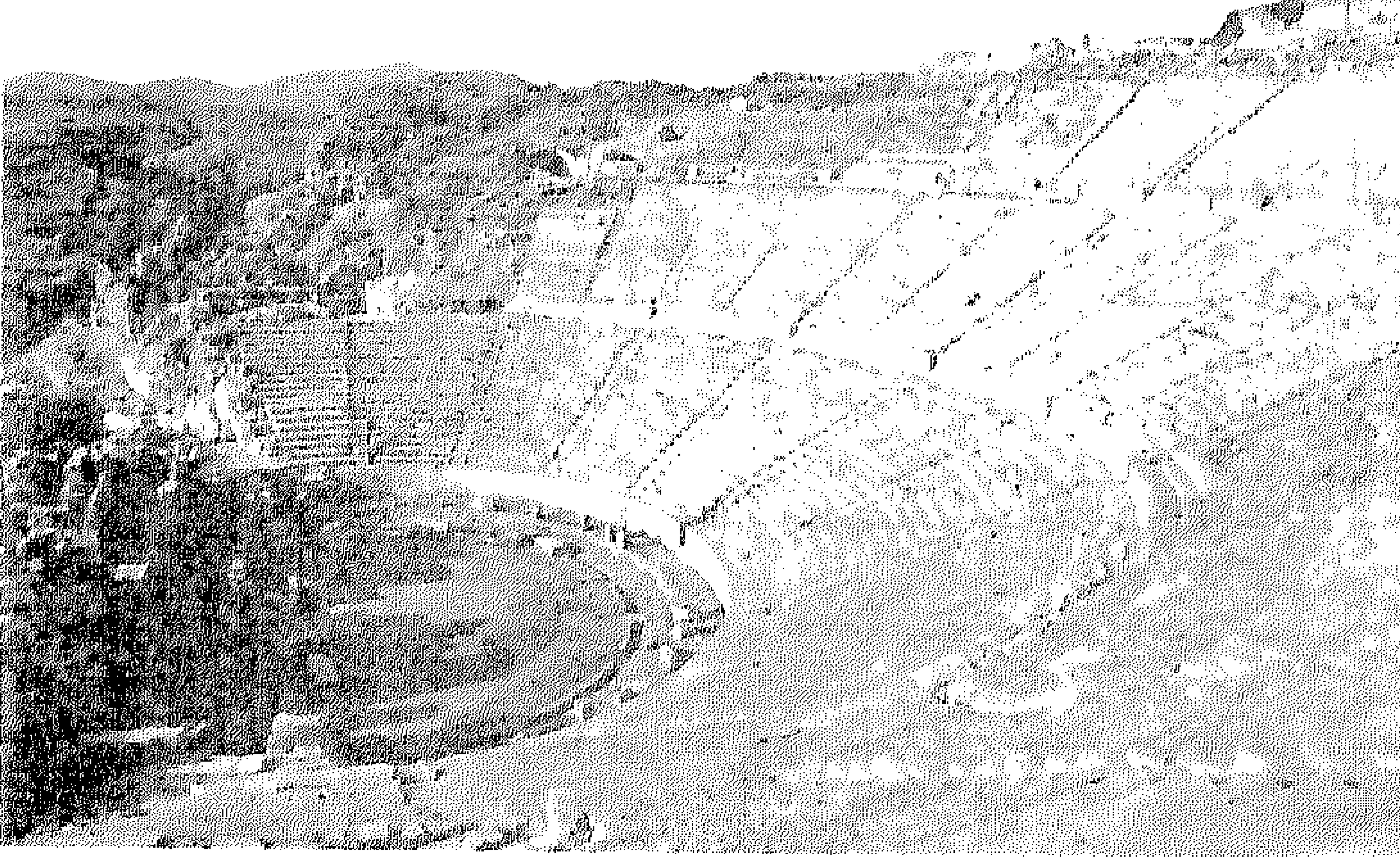
يوحنا والأناجيل المتشابهة

منذ خمسين سنة مضت كان الاعتقاد السائد أن كاتب إنجيل يوحنا كان
يو٦: ١-١٥،مر٦: ٣٠-٤٤ — على معرفة بالأناجيل المتشابهة synoptic . وهذا يرجع إلى عدد القصص التي
مت١٤: ١٣-٢١ — كانت مشتركة بينهما . فقصة إطعام يسوع خمسة آلاف، وقصة دهنه بالطيب
يو١٢: ١-٨،مر١٤: ٣-٩ — في بيت عنيا، هما من الأمثلة على ذلك . ولذلك افتُرض أن يوحنا كان يكتسب
مت٢٦: ٦-١٣ — نوعاً من التفسيرات "اللاهوتية" للقصص الواقعية التي وردت في الأناجيل
المتشابهة . ولا شك أن هذا أدى إلى استنتاج أن الإنجيل الرابع لابد وأن يكون

متأخراً في التاريخ، وأقل في النوعية من الأناجيل المتشابهة .

ومع ذلك فقد تم التشكيك في هذا الافتراض عند نقطتين :

أولاً : من المعترف به وعلى نطاق واسع الآن أنه من غير الممكن أن نضع "تاريخ" الأناجيل المتشابهة مقابل "الفكر اللاهوتي" ليوحنا . ذلك أن كتبة الأناجيل المتشابهة كانوا هم أيضاً من اللاهوتيين . فهم لم يكتبوا أناجيلهم لتسجيل سير ذاتية خالصة، بل لأنه كان لديهم رسالة يريدون توصيلها لقرائهم. كما يتضح أيضاً أن الإنجيل الرابع لم يعتمد بالفعل على الأناجيل الثلاثة الأخرى، والواقع أن كاتبه ربما كتبه دون أى معرفة بكتابات الإنجيليين الآخرين .



الصيغ الفكرية التي استخدمها يوحنا في إنجيله كانت مأخوذة عن العالم الهلّينى . وكان الكاتب مرتبطاً بمدينة أفسس، والتي تقع الآن على الشاطئ الغربى لتركيا.

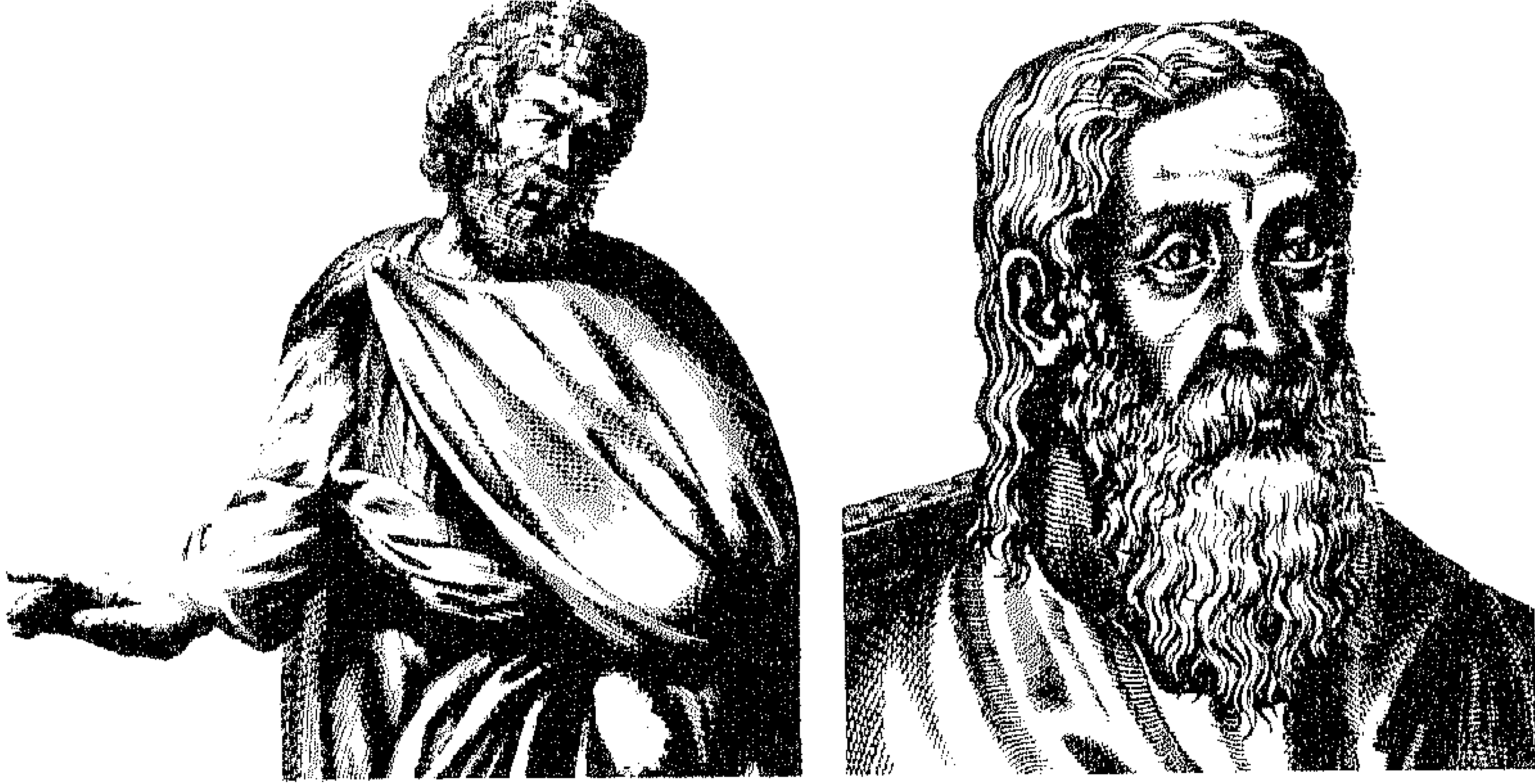
والفحص الدقيق للقصص الموجودة في الأناجيل الأربعة جميعاً ستبين أن هناك تشابهات بينها، كما أنه توجد عدة اختلافات في رواية يوحنا، وهذه الاختلافات ليست من النوعية التي يمكن تفسيرها بسهولة على أسس لاهوتية . فالاختلافات الواردة في قصص يوحنا، يمكن في الواقع فهمها بسهولة أكثر إذا افترضنا أنه كان متاحاً له الاطلاع على تقارير الأحداث التي كانت معروفة أيضاً لكتبة الأناجيل المتشابهة . وحين تُفحص هذه الفرضية بالتفصيل، يمكن معرفة ليس أن قصص يوحنا جاءت من مصدر مختلف فحسب، بل أنه توجد

بعض المعلومات في إنجيل يوحنا يمكن استخدامها في تأييد المعلومات الواردة في الأناجيل الأخرى . وهذا مما يساعد على جعل قصة حياة يسوع ورسالته أسهل فهماً .

يو ١: ٣٥-٤٢ فعلى سبيل المثال، يذكر يوحنا أن بعضاً من تلاميذ يسوع كانوا قبلاً من تلاميذ يوحنا المعمدان . وهذا يوضح لنا الطبيعة الحقيقية لشهادة المعمدان عن يسوع التي وردت في الأناجيل المتشابهة، ولاسيما التأكيد الذي وُضع هناك عن دوره في أن يقوّم "طريق الرب" . وقصة يوحنا تساعدنا أيضاً على الإجابة على سؤال (غير واضح في الأناجيل المتشابهة) الخاص بما كان يعمله يسوع في الفترة
مر ١: ١٤، مت٤: ١٢ بين عماده والقبض على يوحنا المعمدان . فالأناجيل المتشابهة تقول إن يسوع
لو٤: ١٤-١٥ بدأ خدمته في الجليل بعد القبض على يوحنا المعمدان . وهذه هي الخدمة الوحيدة التي سُجلت في الأناجيل المتشابهة . إلا أنه أثناء زيارته الأخيرة
مت٢٣: ٣٧، لو١٣: ٣٤ لأورشليم، يذكر إنجيل متّى ولوقا (المصدر Q) أن يسوع قال عن سكانها : "كم مرة أردت أن أجمع أولادك .." . وهذا ما يوحي بأن يسوع قام بزيارة أورشليم في عدة مناسبات سابقة . ويتحدث يوحنا عن مثل هذه المناسبة
يو٢: ١٣، ٤: ٣ بالضبط، في بداية خدمة يسوع تماماً، حين عمل إلى جانب يوحنا المعمدان في اليهودية قبل أن يعود ثانية إلى الجليل حين أُلقى القبض على يوحنا .

وإنجيل يوحنا يملأ فراغات مادة الأناجيل المتشابهة في نقطة لاحقة حين
يو ٧: ١-١٠: ٤٢ يسجل زيارة أخرى قام بها يسوع إلى أورشليم قبل دخوله إليها في أحد السعف بستة شهور . ويذكر يوحنا كيف غادر يسوع الجليل وذهب إلى أورشليم في عيد المظال (سبتمبر) ومكث هناك حتى عيد التكريس(ديسمبر) .
يو١٠: ٤٠ وبعد ذلك، وبسبب العداوة المتزايدة عاد إلى المنطقة التي سبق وعمل فيها
يو١١: ١-٥٤ المعمدان، وقام بزيارة خاطفة لبيت عنيا، وذلك لدى سماعه بموت لعازر، وبعد ذلك بزمن قليل، قبل الفصح (أبريل) بستة أيام، عاد لزيارته الأخيرة لأورشليم.
يو١٢: ١و١٢ وهذه هي الزيارة الوحيدة التي سُجلت بقليل من التفصيل في مرقس، على الرغم

من أن الزيارات الأخرى لُمح إليها بعبارة مرقس الموجزة : "وقام من هناك (
مر١٠: ١ الجليل) وجاء إلى تخوم اليهودية عبر الأردن" .

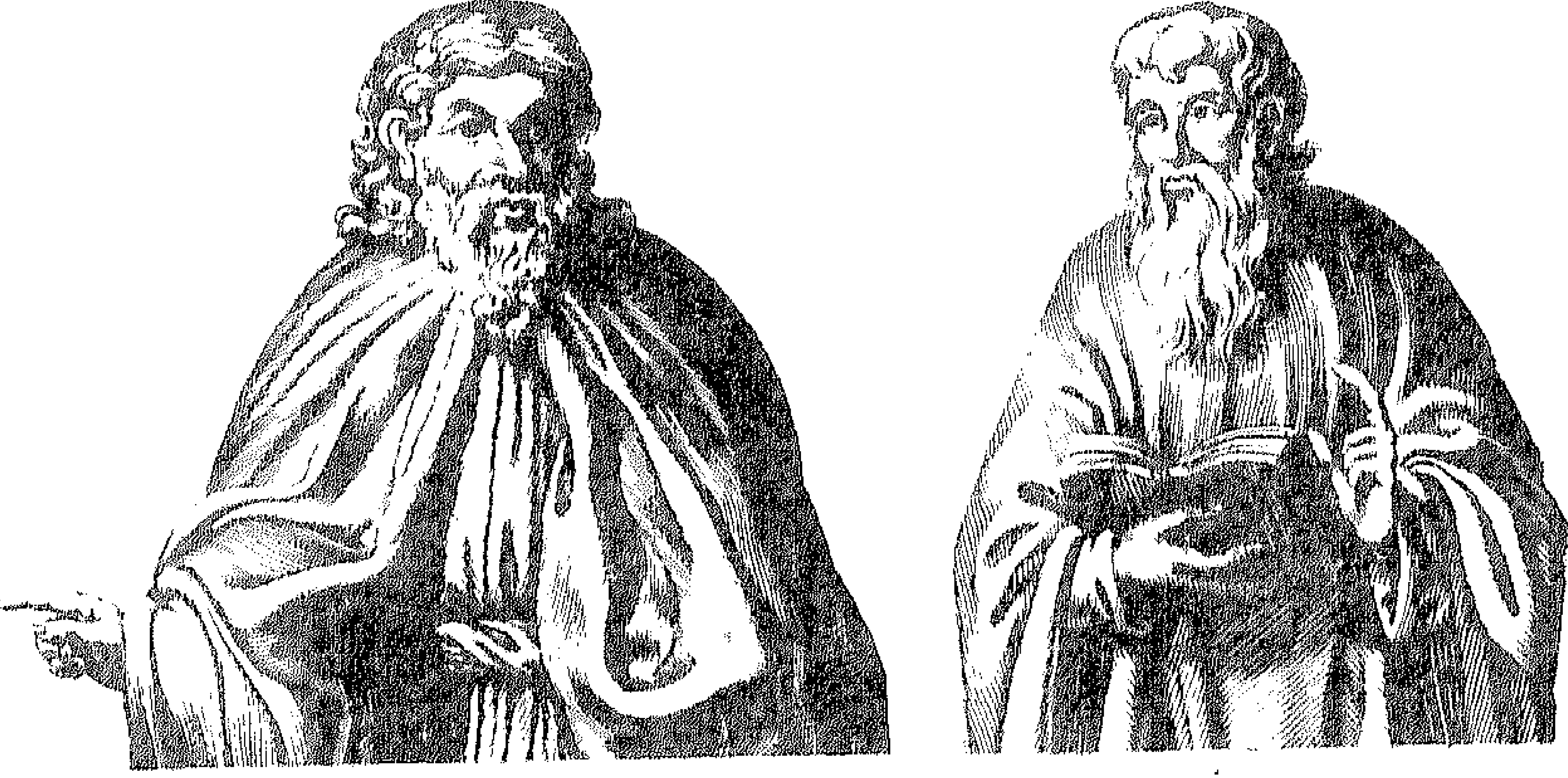


مر٦: ٤٥ ثم إن هناك أيضاً عدداً من التفصيلات البسيطة التي ذكرها إنجيل يوحنا والتي تساعد على شرح وتوضيح بعض النقاط في قصص الأناجيل المتشابهة .
يو٦: ١٤-١٥ فهناك على سبيل المثال إطعام الخمسة آلاف . فقد ذُكر في نهاية القصة في إنجيل مرقس أن يسوع أجبر تلاميذه على الهرب إلى السفينة، فيما يقوم هو شخصياً بصرف الجماهير . لكن تقليد يوحنا المستقل يستكمل بعض التفاصيل موضحاً أن يسوع اضطر إلى اتخاذ هذا الإجراء لأن الجماهير كانت متلهفة على خطفه وإقامته ملكاً عليهم . وسبق لنا أن لاحظنا في أصحاح سابق كيف أن قصص العشاء الأخير، وتجارب يسوع في البرية لا يمكن فهمها تماماً إلا على ضوء المعلومات التي ذُكرت في إنجيل يوحنا .

وعلى ضوء دليل من هذه النوعية، أصبح هناك إدراك في أن إنجيل يوحنا يُعد مصدراً في حد ذاته . فالمعلومات التي يحتويها غير تلك التي نجدها في الأناجيل المتشابهة، ولكن في نقاط هامة كثيرة نجد أن إنجيل يوحنا يكمل الأناجيل الثلاثة الأخرى .

خلفية يوحنا هي اليهودية

من المعروف أيضاً أن خلفية كثير مما ورد في إنجيل يوحنا هي خلفية يهودية وليست يونانية فقط . والتقاليد الأولى تقول إن هذا الإنجيل وُلد في أفسس .



صور من العصور الوسطى تمثل بعضاً من كبار المفكرين فى الكنيسة الأولى ممن كتبوا عن الأناجيل(وهم من اليسار إلى اليمين) ترتليان من قرطاجة، أكليمندس السكندرى ، ايريناوس من ليون، وأوريجانوس من الاسكندرية.

يو ١:١-١٨ ولذلك كان من الطبيعي أن يتطلع الباحثون إلى خلفية هيلينية له،ولاسيما أن مقدمة الأناجيل، تشرح التجسد في ضوء الكلمة "لوغوس"، هذه التقاليد الخاصة بالكنيسة من الطبيعي ألا يُعتمد عليها دائماً . وبالنسبة لإنجيل يوحنا، فإنه من المثير أن نلاحظ أنه إذا أغفلنا المقدمة، فإننا لا نجد فيما يتبقى إلا النادر مما يتطلب خلفية يونانية . والواقع أن هذا عكس ما كان منتظراً . والإنجيلي يذكر

يو ٢٠: ٣١ هدفه كتابةً في صيغة يهودية خالصة :"وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله" . ثم إن هناك أيضاً تأكيداً طوال الإنجيل على إتمام أقوال العهد القديم الأمر الذي يوحي أيضاً بخلفية يهودية .

وهذا الانطباع تأكد من تحليل دقيق للغة الإنجيل الفعلية، لأنه عند نقاط كثيرة تبين اللغة اليونانية علاقة وثيقة بمصادر آرامية . فكثيراً ما يستخدم الكاتب

يو ١: ٤٢، ١٩: ١٣، ٢٠: ١٦ كلمات آرامية – مثل: صفا، جبّاثا، أو ربوني، ثم يعود ويفسرها لمنفعة قرّائه

يو ١: ٤١ اليونانيين . حتى كلمة "مسيا" ذكر لها شرحاً دقيقاً . ومما يعطي مغزى أكثر، أنه توجد أيضاً عدة نقاط تتبع فيها اللغة اليونانية للإنجيل قواعد اللغة الآرامية .

ونجد مثالاً لهذا في قول المعمدان عن يسوع "لست بمستحق (أن أحل) سيور
يو ١: ٢٧ حذائه" . فالتعبير هنا يتبع النهج الآرامي ولو أن هذا لا يظهر في الترجمات المختلفة .
ولكن التعبير غير العادي لهذه العبارة في إنجيل يوحنا هو تعبير عادي في اللغة الآرامية .

ثم إننا نجد أقوال يسوع أيضاً في إنجيل يوحنا وقد تم التعبير عنها في شبه
يو١٢: ٢٥،١٣: ١٦و٢٠ التطابق وهو الأمر المعروف في الشعر في اللغة السامية، وهناك أجزاء أخرى من
يو٣: ٢٩-٣٠ تعليمه يمكن ترجمتها إلى الآرامية لتكون شعراً آرامياً واقعياً كاملاً .

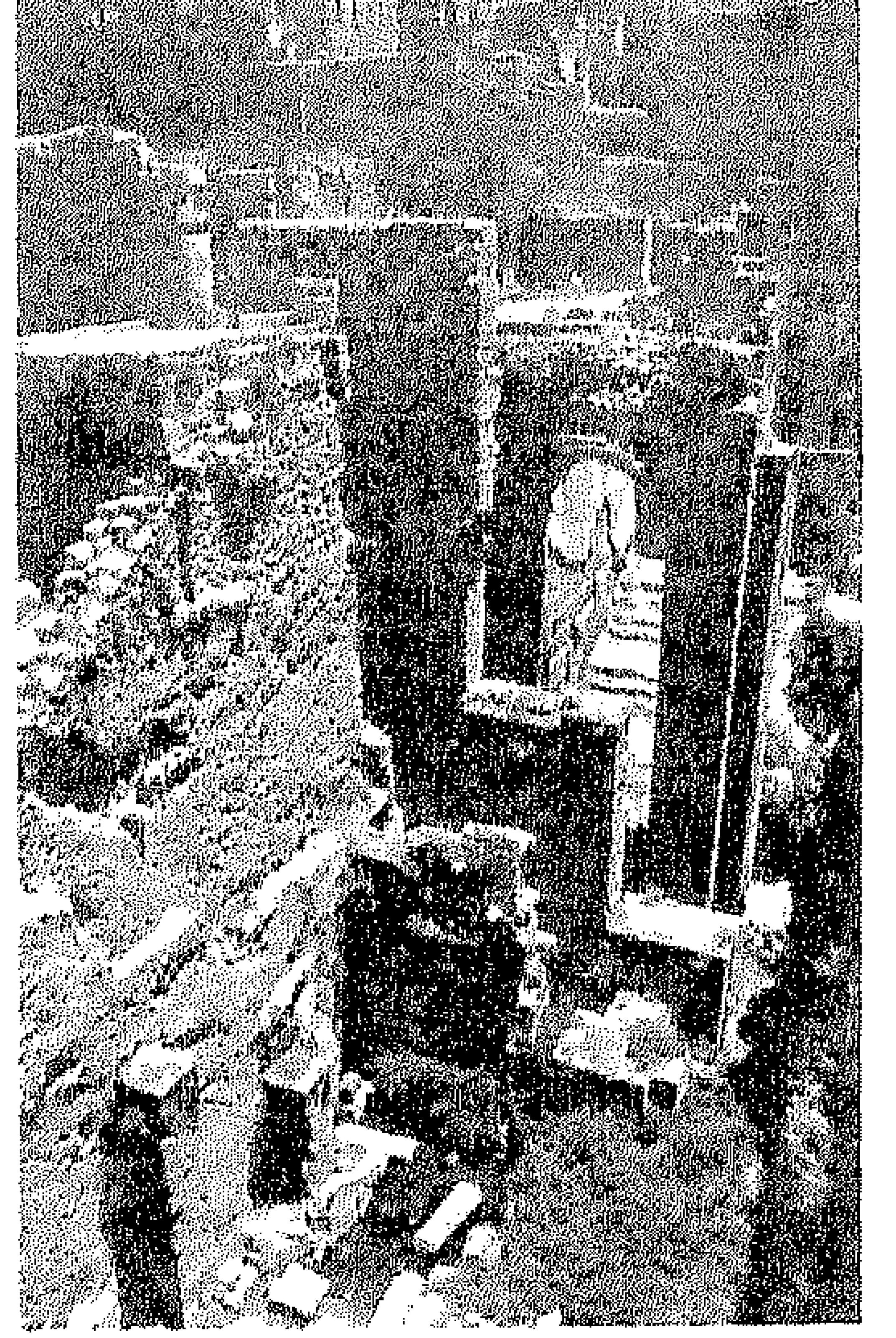
وليس من المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا ترجمة مباشرة من مستند آرامي، ولو أن البعض اقترح هذا . غير أن هذه الحقائق توحي بالفعل أن التعليم في إنجيل يوحنا له نفس الخلفية الفلسطينية، مثل مادة الأناجيل المتشابهة، والاستعمال الغريب لقواعد اللغة الآرامية في الكتابة اليونانية قد يُستشف منه أن اللغة الآرامية كانت لغة الكاتب الأصلية .

اكتشافات أثرية

وإلى جانب الدليل الداخلي، يوجد أيضاً دليل كاف وهام مستمد من الحفريات الأثرية، ويدحض الآن الفكرة القديمة بأن إنجيل يوحنا كان إنجيلاً هيلينياً قديماً . وثمة ثلاثة عناصر رئيسية في الدليل لها أهميتها هنا .

♦ لفائف البحر الأحمر بينت أن الجمع الغريب بين أفكار يونانية ويهودية والذي نجده في إنجيل يوحنا، كان سائداً ليس فقط في مدن يونانية مثل أفسس في القرن الثاني الميلادي، بل كان كذلك في فلسطين نفسها، في دوائر يهودية خالصة، في الحقبة السابقة للمسيحية . وكثير من العبارات المألوفة في إنجيل
يو٣: ٢١، ١٢: ٣٦، ١٤: ١٧ يوحنا وُجدت أيضاً في اللفائف مثل : "من يفعل الحق"، "الذي يسير في الظلام"، "أبناء النور"، "روح الحق"، وعبارات أخرى كثيرة جاءت في إنجيل يوحنا مطابقة لما كانت عليه في جماعة قمران . وفضلاً عن ذلك فإن المقابلة في إنجيل يوحنا بين النور والظلمة، الحق والباطل نجدها مطابقة أيضاً لما جاء في لفائف قمران . وفي كلا النصين نجد أن هذه الازدواجية بين النور والظلمة،

والحق والباطل هي ازدواجية أخلاقية بالمقابلة مع التأكيد التجريدي لمعظم الفلسفات اليونانية والغنوسية .



♦ وهناك اكتشاف آخر، على نفس القدر من الأهمية، جاء تقريباً في نفس الوقت مع لفائف قمران، وهي المكتبة القبطية الغنوسية التي وُجدت في نجع حمادي في صعيد مصر . وقبل اكتشاف هذه الوثائق كانت معرفتنا للغنوسية تقوم إلى حد كبير على معلومات قدّمها عدد من مؤرخي الكنيسة واللاهوتيين الذين ألّفوا كتباً لدحضها . ومن خلال أقوالهم لم يكن من الصعوبة تخيل أن إنجيل يوحنا ربما يكون قد كُتب في القرن الثانى كجزء من المعركة بين الغنوسيين "والارثوذوكس" المسيحيين . غير أنه مع معرفتنا الجديدة المستمدة من كتابات المعلمين الغنوسيين، أصبح من الواضح تماماً أن هناك فرقاً شاسعاً بين عالم إنجيل يوحنا وعالم الغنوسية الكلاسيكية .

بينت الأثار أن إنجيل يوحنا أكثر دقة مما كان يُعتقد في السابق . بركة بيت حسدا، وكانت مكان تجمع المرضى والمعاقين حيث شفى يسوع رجلاً ذات مرة هنا، ولم تكتشف هذه البركة إلا في هذا القرن.

♦ قدمت الاكتشافات الأثرية فى أورشليم أيضاً دليلاً يوضح تقاليد إنجيل يوحنا. ومن سمات هذا الإنجيل غير العادية الأسماء وأوصاف الأماكن . وكان الاعتقاد السائد ذات مرة أن هذه الأسماء قد استخدمت إما كوسيلة لاهوتية (كرموز)، أو لتعطى الانطباع بالمصداقية في قصص مختلفة .إلا أنه أصبح من الواضح الآن أن معظم هذه المعلومات الجغرافية تعتمد على معرفة حقيقية للمدينة بالشكل الذي كانت عليه قبل سنة ٧٠م.ففي تلك السنة دمر الرومان
يو٥: ١-١٨ أورشليم بشكل تام، وبعد ذلك التاريخ كان من المستحيل أن ننظر إلى الأطلال
يو١٩: ١٣ ونتخيل مسبقاً ما كانت عليه المدينة . وبيّنت الحفريات في أورشليم الآن أن وصف بركة بيت صيدا، على سبيل المثال أو الموضع الذي "يُقال له البلاط" حيث قابل يسوع بيلاطس، كان على أساس معرفة وثيقة بالمدينة في زمن يسوع.

الكاتب وتاريخ الكتابة

المحصلة النهائية لكل خطوط البحث المتشعبة هذه تمثلت في إعادة تقدير إنجيل يوحنا كمصدر يعول عليه لحياة المسيح وتعليمه . كما أن ذلك أدى أيضاً

إلى إعادة فتح موضوع كاتب هذا الإنجيل وتاريخ كتابته . والسؤال الخاص بمن كتب هذا الإنجيل كان دائماً سؤالاً مربكاً، فضلاً عن أن تقاليد الكنيسة تذكر اثنين باسم يوحنا فيما يتعلق بهذا الإنجيل: الرسول، ويوحنا الذى يطلقون عليه "الشيخ" . ثم أن هناك حقيقة أن "التلميذ المحبوب" يبدو أنه صوّر في الإنجيل نفسه كمصدر لبعض المعلومات، وهنا أيضاً نجد أن الأمر أبعد ما يكون عن الوضوح بالنسبة لمن كان هذا الشخص. يعرّف إيريناوس التلميذ المحبوب بأنه يوحنا الرسول . غير أن باحثين كثيرين يعتقدون بأنه ربما كان شخصية مثالية ترمز إلى المؤمن الحقيقي بيسوع . بل إنه عُرّف بأنه لعازر، والذي على أية حال، كان الشخص الوحيد الذي قيل عنه دائماً إن يسوع كان يحبه .

يو٢١: ٢٤

ضد الهراطقة

هناك نظرية جذابة قد تشرح الحقائق الجديدة التي ظهرت الآن عن يوحنا، وهي أن هذا الإنجيل كانت له طبعتان . وسبق أن رأينا أنه إذا استثنينا المقدمة يظهر السفر أكثر ملاءمة للعالم اليوناني . ولذلك من المحتمل أن تكون المقدمة قد أضيفت بعد إتمام العمل الأصلي، حتى يروق الإنجيل لنوعية جديدة من القرّاء.



مكان آخر ذكره يوحنا وهو "موضع يقال له البلاط" حيث حوكم يسوع أمام بيلاطس . وكان جزءاً من قلعة أنتونيا . والعلامات المحفورة على الأحجار القديمة كانت جزءاً من لعبة كان يمارسها الجنود الرومانيون.

وهذا الاحتمال تدعمه أيضاً العلاقة الغريبة بين الأصحاحين ٢٠،٢١ . فالآية الأخيرة من الأصحاح العشرين يبدو أنها الخاتمة المنطقية للسفر، ولكن هذه الخاتمة اتُبعت بعد ذلك بالتعليمات التي وجهها يسوع لبطرس بعد القيامة في الأصحاح ٢١ . ومن المحتمل أن هذا الأصحاح الأخير قد أُضيف حين أرسل السفر لخدمة احتياجات مجموعة جديدة من الناس، على الرغم من أن أسلوبه ولغته يتشابهان تماماً مع أسلوب بقية الإنجيل ولغته، ولذلك فلابد وأنه أُضيف بواسطة نفس الشخص .

من المحتمل أن الإنجيل كُتب أولاً في فلسطين، ليبين أن يسوع هو المسيح. وربما كان في ذهن الكاتب طوائف اليهود الذين تأثروا بأفكار مثل التي كانت عند جماعة قمران . وعلى ذلك، حينما يبدو أن نفس التعليم يصلح للناس في

أي مكان من الامبراطورية الرومانية، هنا أُعيد تنقيح الإنجيل، وتم شرح العادات والتعبيرات اليهودية، وأُضيفت إليه المقدمة والخاتمة . والنصيحة التي وُجهت إلى قادة الكنائس في الأصحاح ٢١ توحي بأن الصيغة النهائية للإنجيل ربما وُجهت إلى كنيسة مسيحية من اليهود في مكان ما فى العالم اللاتيني، ربما في أفسس .

أما موضوع تاريخ الإنجيل فلم يفصل فى الواقع فيه بعد ، لأنه ليس لدينا دليل آخر نقدمه فى هذا الشأن . ويلمح آباء الكنيسة أنه كُتب بواسطة يوحنا الرسول فى نهاية حياته الطويلة ، ومعظم الباحثين يستمرون فى أن ينسبوا إليه تاريخاً يقع ما بين سنة ٧٠-١٠٠ م. ومن المؤكد أنه لا يجب أن يُعزى اليه تاريخ يقع بعد نهاية القرن الأول، إلا أنه ليس هناك دليل حقيقي لإعطائه تاريخاً قرب نهاية تلك الفترة . ويجادل روبنسون Robinson بقوة ويقول إنه من المحتمل أن يكون أول الأناجيل قاطبة، ويجعل تاريخ كتابته في الفترة من ٤٠-٥٦ م . وإذا كان هذا صحيحاً، فإن إنجيل يوحنا يحتمل والحالة هذه أن يكون معاصراً للأناجيل المتشابهة، ومثل هذا التاريخ سوف يكون من شأنه أن يزيل تماماً أي عائق يحول دون النظر إلى يوحنا الرسول على أنه كاتب الإنجيل الذي يحمل الآن اسمه .

الفصل الثاني عشر

هـل الأنـاجـيل صـادقـة ؟

في دراستنا لحياة يسوع وتعليمه، أخذنـاه أمـراً مسـلماً بـه أنـه بمقدورنـا أن نتعلم بالفعل شيئاً عنه من أناجيل العهد الجديد . وقد عرفنا أن الأناجيل ليست سيراً ذاتية ليسوع، بقدر ما هي مختارات منتقاة من أقواله وأعماله، جُمعت معاً بسبب نفعها في خدمة الكرازة التي قامت بها الكنائس الأولى، ولكننـا لم نـأخذ هذه الحقيقة كسبب للتشكيك في مصداقيتها العامة بالنسبة لمـا روتـه عـن حيـاة يسـوع وتعليمـه . وفي غالبيـة النقـاط شعرنا بأنـه لدينـا مـا يـبرر قبولنـا لهـذه السجلات كصورة عما كان عليه يسوع بالفعل، لا أن نعتبرها دراسات للحالـة النفسية التي كان عليها المسيحيون الذين كانوا أول من كتبوا عنه .

ومع ذلك، يجب الاعتراف صراحةً أن هذا الافتراض كان عرضة للشك من قِبل عدد من الاتجاهات المختلفة . ولسنا في حاجة أن نتقبل بجدية أولئك الكتبـة الذين يدعون بين آونة وأخرى أنه لم يكن ليسوع وجود علـى الإطـلاق، ذلـك أن لدينا دليلاً واضحاً على عكس ذلك من عدد من المصادر اليهوديـة واللاتينيـة والإسلامية . إلا أنـه حـين يدعـى أنـاس درسـوا العهـد الجديـد فـترة طويلـة أن الأناجيل لا تكشف شيئاً له أهميته عن يسوع، هنـا علينـا أن نواجـه حججهـم بكل جدية .

ولعل أكثر التعبيرات تطرفاً في جيلنا بالنسبة لهذا الرأي ترتبط باسم رودلف بولتمان . ذلك أنه في كتاب صدر لأول مرة سـنة ١٩٣٤، ذكـر قولتـه اللافتـة للنظر: "أعتقد فعلاً أننا نكاد لا نستطيع أن نعرف الآن شـيئاً عـن حيـاة يسـوع وشخصيته". وما يقصده بولتمان على وجه الدقة من قوله هـذا يجـب أن نقـرره على ضوء بعض كتاباته الأخرى، حيث يوضح أنه يؤمن بـالفعل بعنـاصر معينـة

من تعليم يسوع التي نجد في الأناجيل أن يسوع هو الـذي قالها بنفسه . إلا أن بولتمان وحتى آخر يوم في حياته ظل متشككاً من ناحية احتمالية وقيمة المعرفة عن "يسوع التاريخي".

وليس كل أتباع بولتمان كانوا متشككين مثله تماماً . وبمقدورنا أن نلمس هذا بوضوح كاف من كتاب جونثر بورنكام Gunther Bornkamm "يسوع الناصري" حيث يبين هذا حتى من وجهة النظر المتطرفة التي يقول بها نقاد الصيغ . إلا أنه يتبقى مع ذلك الكثير مما يمكن معرفته بثقة عن يسوع . ولكنه، برغم كل هذا، فإن هؤلاء الباحثين الذين كانوا هم أكثر تأثراً ببولتمان وتناوله لنقد صيغة الأناجيل، فإنهم أخذوه أمراً مسلماً به بصفة عامة أن الأناجيل هي بصفة أساسية تعتبر سجلاً لمعتقدات الكنيسة الأولى عن يسوع، أكثر من كونها نوعاً من الروايات عن يسوع بالشكل الذى كان عليه حقيقة .



لم يكن هناك مراسلون بمفكرا وشرائط تسجيل يتبعون يسوع م مكان لآخر لتسجيل أقواله وأعما . وقد انتشرت قصة يسوع الغالب عن طريق الأحادي الشخصية والكرازة العامة لعـ سنوات قبل كتابة الأناجيل.

ومن الواضح أن معرفتنا بيسوع ليست هي نفس معرفتنا (ونستون تشرشل Winston Churchill أو مارتن لوثر Martin Luther أو حتى بولس الرسول مثلاً . لأنه بمقدورنا أن نعرف هؤلاء الناس من خلال كتاباتهم وأقوالهم المسجلة . والواقع أنه بالنسبة لحالة لوثر وبولس، فإن المصدر الرئيسي لمعلوماتنا عنهما هي الكتب التي كتباها بنفسيهما . غير أن يسوع لم يكتب كتاباً . فقط أمضى حياته القصيرة كمعلم متجول، يعمل في أنحاء قاصية تقريباً من الامبراطورية اليونانية، وبين أناس ربما لم يكن لهم أية اهتمامات بالموضوعات الأدبية .

ومن غير المحتمل إطلاقاً أن تكون أقوال يسوع وأعماله قد كُتبت سواء بنفسه أو بواسطة أي شخص من معاصريه . وفضلاً عن ذلك نعرف أن يسوع كان يعيش في مجتمع لغته الأساسية هي اللغة الآرامية، ومع ذلك فإن معرفتنا بتعليمه جاءت من مصادر مكتوبة باليونانية . ومن المحتمل أن اللغة اليونانية كانت معروفة لشخص نشأ في الجليل . إلا أنه من المؤكد أن معظم تعاليم يسوع لم تُعط أساساً بهذه اللغة، ولذلك فإن الأناجيل كانت ترجمة لأقوال يسوع باللغة التي كانت سائدة في الامبراطورية الرومانية .

وعلاوة على ذلك، فإنه من نتائج تناقل أقوال يسوع باللغة اليونانية، أنه لدينا الآن في أناجيلنا قصص متباينة مما هو واضح أنه نفس التقليد الأساسي .
مت٦: ٩-١٣، فعلى سبيل المثال، إذا أخذنا الصلاة الربانية، سنجد أن إنجيلي متّى ولوقا
لو١١: ٢-٤ يحتفظان بترجمات مختلفة . والتشابهات وثيقة جداً حتى إنه لا يوجد أي شك في أننا نتعامل مع نفس التقليد الأساسي . لكن الاختلافات بارزة ولا يمكن تفسيرها على أنها مجرد أشكال مختلفة من الترجمات . ونفس الملاحظات يمكن أن تقال بالنسبة لنقاط كثيرة أخرى في الأناجيل، وهي الحقائق الجوهرية التي يهتم بها نقاد الصيغ والتنقيح والمصدر .

ولا ينبغي علينا أن نضخم المشاكل . فهناك أجيال كثيرة من قُرّاء الإنجيل ممن لا يعرفون شيئاً عما توصل إليه مفكرو العصر الحديث، لم يجدوا صعوبات كبيرة في التعامل مع هذه الأمور .فعلى الرغم من وضوح القصص المختلفة عن يسوع، أو التقارير الخاصة بتعليمه، فمن الواضح أنه يوجد ترابط منطقي داخلي في الأناجيل ككل . وليس من الصعوبة بمكان أن نجمع معاً قصة مما قدمته لنا الأناجيل مجتمعة من "تعليم يسوع"، ثم إن العناصر الأساسية لهذا التعليم هي نفسها التي نجدها في كل الأناجيل الأربعة .

التعرف على أقوال يسوع الصحيحة

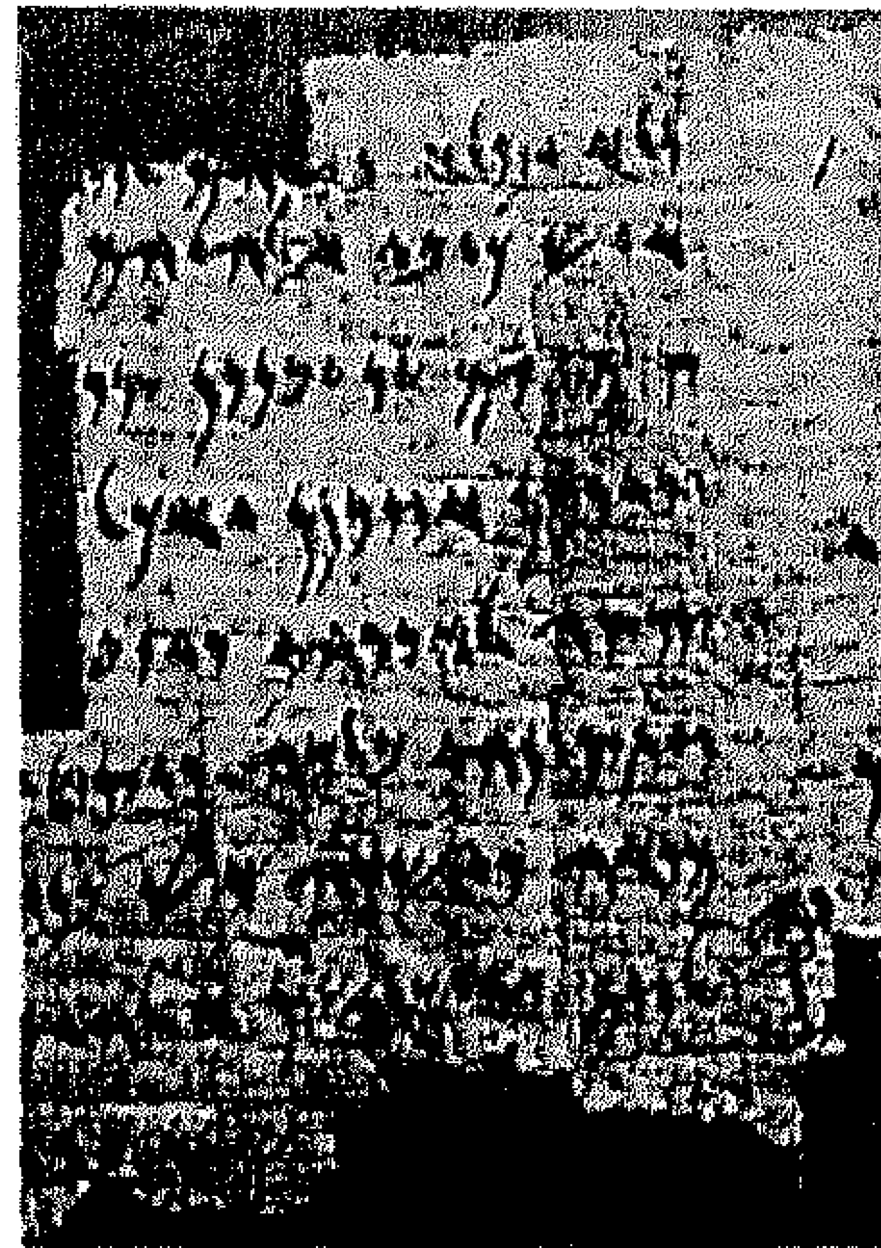
ولكن كيف لنا أن نتأكد من أن الأناجيل تحتوي على تعليم يسوع نفسه، وليس انطباعات الكنيسة الأولى عن يسوع ؟ كان هذا السؤال موضوع مناقشة بين باحثي العهد الجديد طوال العقد الماضي أو ما يقرب من ذلك ، ولا زال النقاش مستمراً. وكإجابة محتملة صُممت بعض الاختبارات والتي أُعتبرت وسائل يمكن الاعتماد عليها للتعرف على التعليم الحقيقي ليسوع في الأناجيل. ولقد طُبقت هذه الاختبارات بشكل شامل على الأناجيل المتشابهة بواسطة البروفسور نورمان بيرين Prof. Norman Perrin . وقد حدد ثلاثة اختبارات أو معايير منفصلة، تباحث على أساسها بأن هناك على الأقل ثلاثة مجالات في الإنجيل يمكن بيان مصداقيتها وهي: الأمثال، التعليم الخاص بملكوت الله، والموضوعات المذكورة في الصلاة الربانية.

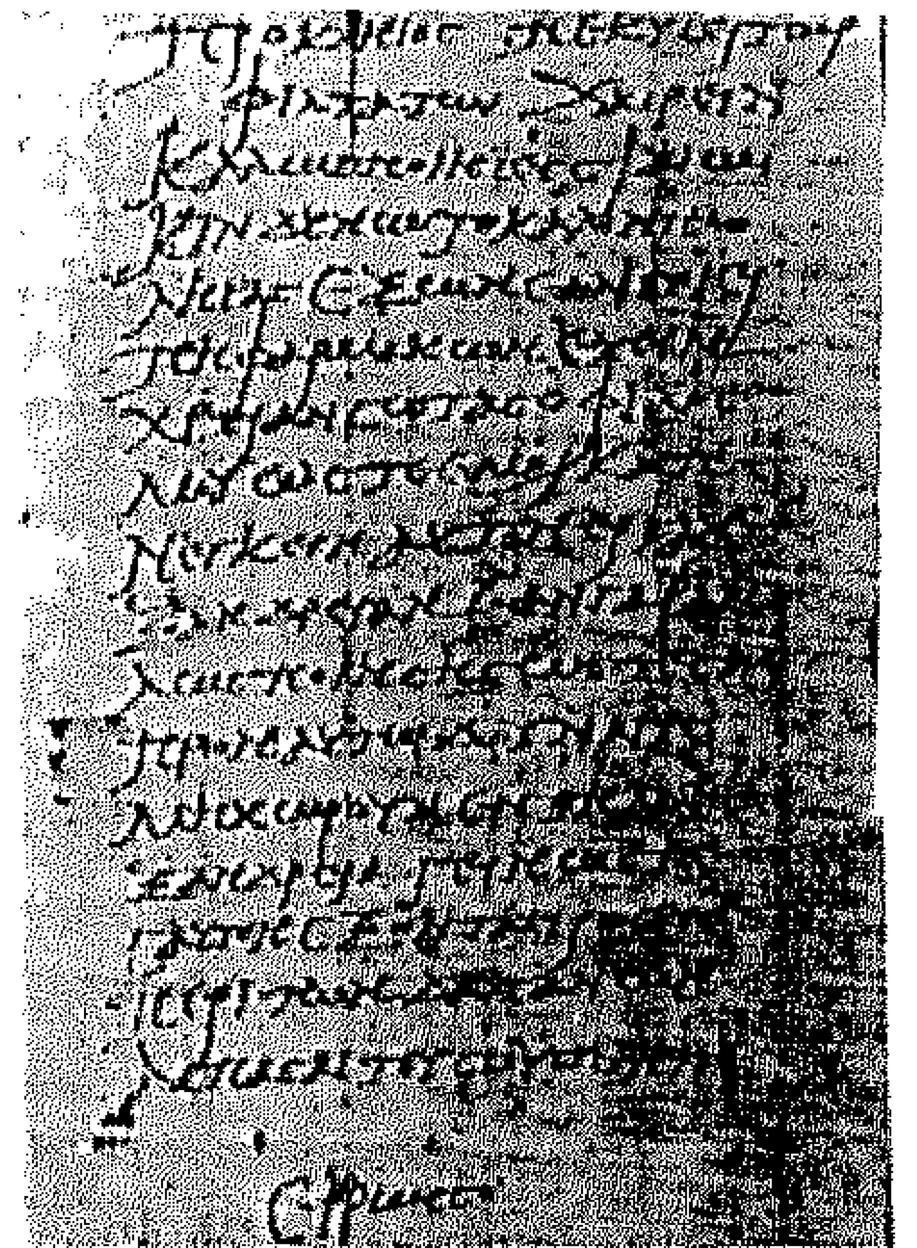
اختبار التمييز

The test of distinctiveness

اختبار التمييز سبق أن استعمله بولتمان نفسه في كتابه : "تاريخ تقليد الأناجيل المتشابهة". وهو يقوم على افتراض أن أي شيء في تعليم يسوع يمكن أن يكون له نظير في التعليم اليهودي، أو في الفكر اللاهوتي للكنيسة الأولى يكون عُرضة للشك في مصداقيته، لأنه يكون قد جاء وليد هذين المصدرين وليس من ذكريات حقيقية ليسوع. وذلك حيث يكون تعليم يسوع فريداً تماماً ومميزاً فهنا نكون على ثقة أننا في

كان يسوع يتكلم الآرامية، وقد احتفظت الأناجيل ببعض كلمات من هذه اللغة. لكن الأناجيل كانت تُكتب في جملتها باللغة اليونانية. وعلى اليسار نجد صورة لمثال من اللغة الآرامية على بردية يرجع تاريخها إلى القرن الخامس، وإلى اليمين نجد صورة لنص يوناني من رسالة ترجع إلى القرن الأول.





اتصال مباشر بيسوع نفسه. ويمكننا أن نقدم أمثلة على ذلك باستعمال يسوع لكلمة "أبا" (أي أب) في مناجاته لله، وأسلوبه المميز في استهلال أقواله الهامة بعبارة الحق ....). وعلى قدر علمنا فإن معلمي اليهود أو الكنيسة الأولى لم يستعملا هاتين الوسيلتين.

وهناك مفكرون كثيرون قد يتفقون مع بروفسور بيرين Perrin حين يدّعي أن المعلومات التي تستخلص من الأناجيل بهذه الوسيلة تمثل حداً أدنى من المعرفة التاريخية عن يسوع لا يمكن انتقاصه.

لكننا إذا فحصناه بمزيد من العناية، فإنه من المشكوك فيه أنه حتى هذا الادعاء المتواضع يمكن تبريره تماماً على أساس هذه الوسيلة بعينها. لأن استخدامها بنجاح يعتمد بشكل كلي على الافتراض الآخر بأن معرفتنا الحاضرة باليهودية والكنيسة الأولى هي على وجه التقريب معرفة كاملة. ومع ذلك، فالحقيقة هي أننا لا نعرف سوى القليل جداً عن شكل اليهودية أيام يسوع. فالمعلومات الجديدة تُكتشف وتُقيم بصفة مستمرة، ومن المؤكد أنه ستظهر معها نظائر جديدة لتعليم يسوع. وعلى ذلك فإن معيار التمييز كوسيلة يُعد مشورة يائسة. والأمر لن يحتاج إلا إلى فترة من الوقت حتى يتم التوصل إلى النتيجة المنطقية، وهي أنه لا يمكن أن يُعرف شيء مؤكد عن يسوع. وإلى جانب ضعف هذه الوسيلة، توجد مشكلتان كبيرتان تتعلقان بهذا المنهج بالذات.

● وحتى هذه الصورة المحدودة عن يسوع والتي جاءت وليدة هذه الوسيلة لابد أن تكون غير واقعية وغير صحيحة في واقع الحياة، لأنها تفترض أن يسوع كان معزولاً تماماً عن الظروف المحيطة به. والقول المأثور: النص بلا قرينة هو نص مزعوم "A text without a content is a pretext" ينطبق هنا، كما هو الحال كثيراً بالنسبة للعظات الحديثة. فلابد وأن يكون للمسيح سياق أو قرينة. ومن المؤكد أن قرينته كانت يهودية. ومن المؤكد أيضاً أنه لابد وأنه كان هناك قدراً من الاستمرارية بين يسوع والكنيسة الأولى. ويسوع الفريد بمعنى أن تعليمه لا علاقة له باليهودية أو بالكنيسة الأولى ليس من المحتمل أن يكون يسوع الحقيقي. وإذا لم يستطع هذا الاختبار الكشف عنه فلابد وأن يُحكم عليه بالفشل.

● هناك مساحات كبيرة وهامة في الأناجيل لا تصلح فيها هذه الطريقة إطلاقاً. لنأخذ موضوع تعليم يسوع عن نفسه. فبالنسبة لهذا الموضوع يؤدي اختبار التمييز إلى نتائج سلبية تماماً بالنسبة لكل الألقاب الكبرى التي تمت نسبتها ليسوع. فألقاب (المسيّا)، (ابن الله)، (ابن الإنسان)، استعملها كثيرون في الكنيسة الأولى، ومن ثم فإن تطبيق هذا الاختبار سيؤدي إلى استنتاج أن يسوع لم يعط أي تعليم عن مصيره وشخصه. ونفس الشيء يحدث

بالنسبة لموضوعاته الأخروية، لأن هذه يمكن أن يوجد لها مثيل في اليهودية وفي مصادر الكنيسة الأولى. بل أن التعليم المميز الخاص بالموعظة على الجبل سوف يُستبعد للسبب نفسه، ذلك أن بولس يظهر أنه على معرفة واضحة بذلك (انظر رو١٢-١٤).

وعلى ذلك فإنه توجد غلطة جوهرية في مفهوم هذه العملية كلها. لأنه لا مفر من أن هذا سيؤدي - سواء من الناحية النظرية أو العملية - إلى الادعاء بأنه لا يمكن أن نعرف شيئاً مفيداً عن يسوع من الأناجيل.

اختبار الترابط المنطقي

The test of coherence

الذين يستخدمون هذه الاختبارات لا يجهلون المشاكل المرتبطة باختبار التمييز. ولذلك يقدم بيرين Perrin اختباراً آخر يمكن استخدامه معها. وهذا هو ما يعرف باسم "اختبار الترابط المنطقي". وهو يقوم على افتراض أن أية مادة في الأناجيل تتناغم مع التعليم الذي ينجح في اجتياز اختبار التمييز يمكن اعتبارها تصريحاً حقيقياً لما قاله أو عمله يسوع.

ومن الناحية الظاهرية، يبدو هذا الاختبار الآخر واعداً. ولكن هذا بالطبع يعتمد وبشكل كبير جداً على التطبيق الصحيح للاختبار الأول. وسبق لنا أن عرفنا الصعاب التي تحيط به، فإذا لم يؤد إلى نتائج أكيدة، فهنا يكون هذا الاختبار بلا فائدة أيضاً.

وعلى أية حال فإنه من الصعب جداً الحكم على ما هو مترابط منطقياً، وما هو ليس كذلك. وحتى لو افترضنا أنه يمكننا أن نصدر حكمنا في هذا الشأن، فليس من ضمان في أن ما بدا لنا مترابطاً سيبدو كذلك بالنسبة للكنيسة الأولى. وهكذا نواجه مرة ثانية مصاعب عملية بالغة في تطبيق هذا الاختبار على تقاليد الإنجيل.

اختبار أكثر من مصدر

The test of more than one source

هناك محك ثالث كثيراً ما استخدم لتقييم التقاليد التي تتحدث عن يسوع، وهو لا يعتمد بصفة مباشرة على المحكين الآخرين. وكثيراً ما كان يستخدمه مانسون T.W.Manson الذي لم يكن لديه وقت لمنهج نقاد الصيغ.

واستناداً لهذا الاختبار، فالتعليم المذكور في الأناجيل يكون من تعاليم يسوع حقاً إذا لم يوجد في أكثر من مصدر واحد من مصادر الإنجيل. وهذا الاختبار نافع في هذا النطاق، لأنه إذا ما تولد فينا نفس الانطباع من إنجيل مرقس ومن المصدر Q عن مضمون تعاليم يسوع، فإنه من المعقول والحال هذه أن نعتقد أن هذا انطباع أصيل. ولكن اختبار المصداقية هذا اكتنفه أيضاً عدة مصاعب، ولو أنها ليست كبيرة كتلك التي كانت تواجه تطبيق الاختبارين الآخرين.

● لا يمكن - بواسطة هذه الوسيلة - أن

نقرر شيئاً بالنسبة لأقوال محددة نُسبت إلى يسوع، لأنه توجد قصص أو أقوال قليلة جداً متضمنة في أكثر من مصدر واحد من مصادر الإنجيل. والواقع أن هذه الحقيقة تُعد من الأسس التي يقوم عليها منهج نقل مصادر الإنجيل بجملته. فإذا كان نفس التعليم مقدماً في كل مكان، لما كان في وسع "ستريتر" أن يصيغ نظريته عن مصادر الإنجيل. وهذا مفاده أن أقصى ما تستطيع أن تكتشفه هذه الطريقة هو اللهجة العامة لتعليم يسوع وليس تقريراً مفصلاً عنه.

● ثم إن هناك قيد آخر يشكل جزءاً لا يتجزأ من هذا الاختبار، لأنه قد يرفض تلك الأجزاء من تعليم يسوع التي توجد في مصدر واحد فقط من مصادر الإنجيل باعتبار أنها غير حقيقية. ومع ذلك، فهذه هي الحالة بالنسبة لبعض من أكثر أجزاء تعاليم يسوع المميزة. فاستخدام هذا الاختبار، سينتج عنه رفض قصص مثل السامري الصالح (لو١٠: ٢٥-٣٧)، أو الابن الضال (لو١٥: ١١-٣٢) بصفة قاطعة من قصة حياة يسوع وتعليمه، وذلك لأنها لم توجد سوى في إنجيل لوقا فقط.

● حين طبق مانسون وآخرون هذا الاختبار على الأناجيل، استطاعوا أن يفترضوا فرقاً شديداً حقاً بين مصادر الإنجيل المختلفة، لأنه في ذلك الحين كان الباحثون البريطانيون يتبنون نظرية "ستريتر" وعلى نطاق واسع في صيغتها الأصلية تقريباً. إلا أن دراسة أكثر حداثة بينت أن موضوع العلاقات بين الأناجيل ومصادرها أكثر تعقيداً وبدرجة تفوق إلى حد كبير ما كان يعتقده "ستريتر". فلم يعد بوسعنا الآن أن نفترض أن التقسيم البسيط إلى أربعة مصادر مستقلة هي: مرقس والمصادر Q، M، L، على أنه تقسيم طبيعي.

عيب أساسي

من الواضح أنه توجد مشاكل عويصة كثيرة تتعلق باستخدام هذه الاختبارات للتعرف على الأقوال الحقيقية التي فاه بها يسوع، والتي تضمنتها الأناجيل. ولذلك فلربما لا يكون الأمر مدعاة للدهشة أن يكون بعض الباحثين قد توصلوا بالأحرى إلى نتائج سالبة. ومن الصعوبة أن نفهم كيف أنه كان بإمكانهم أن يفعلوا خلاف ذلك.

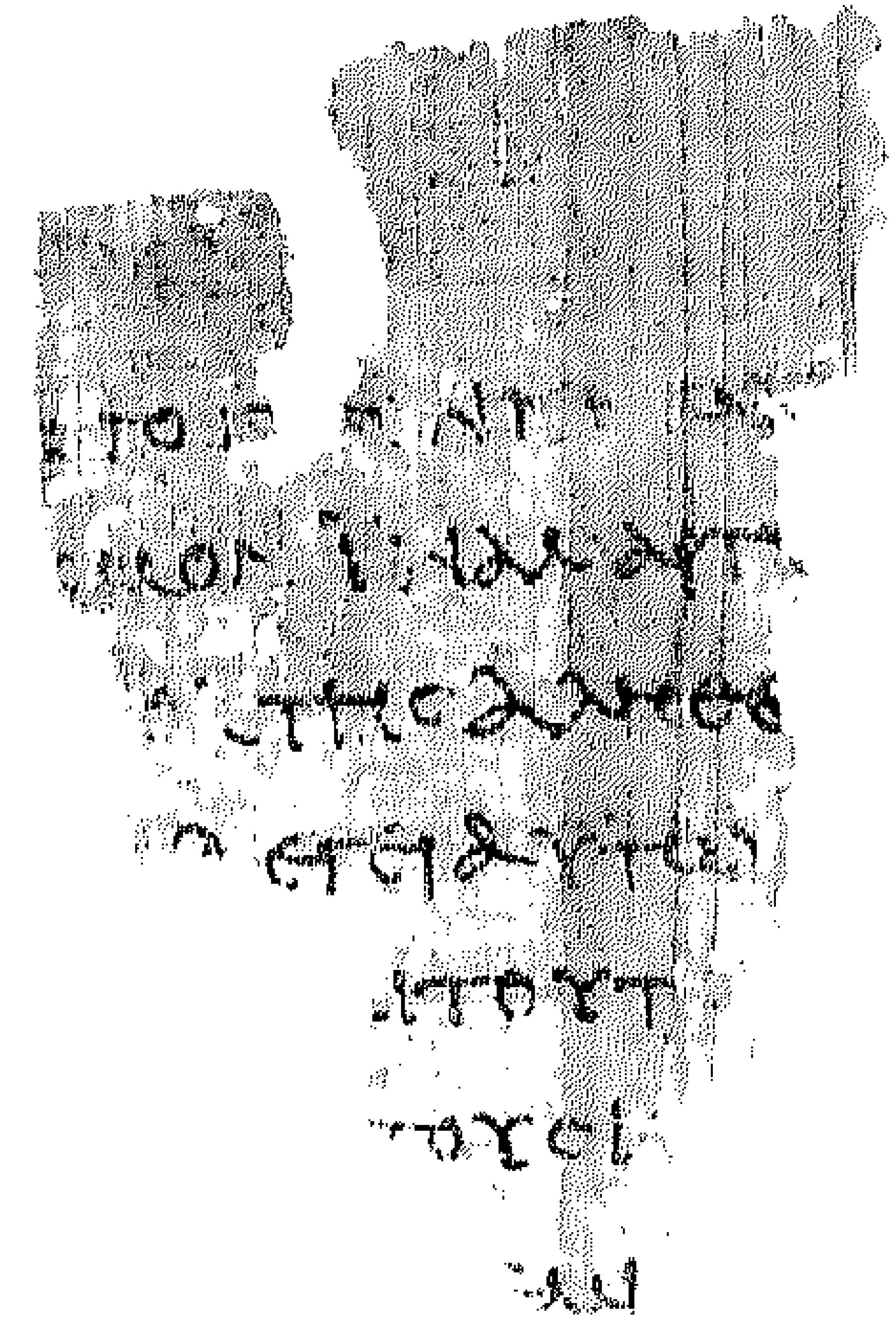
والواقع أنه يوجد عيب أساسي في كل النهج الذي تمثله هذه الاختبارات. فكلها تبدأ من الافتراض الجوهري بأن الأناجيل في معظمها تحتوي على معتقدات الكنيسة الأولى، ولا تضم سوى القليل جداً، إن لم يكن لا شيء على الإطلاق مما جاء مباشرة من يسوع نفسه. ويعرض البروفسور بيرين سببين رئيسيين ليبرر بهما هذا التشاؤم.

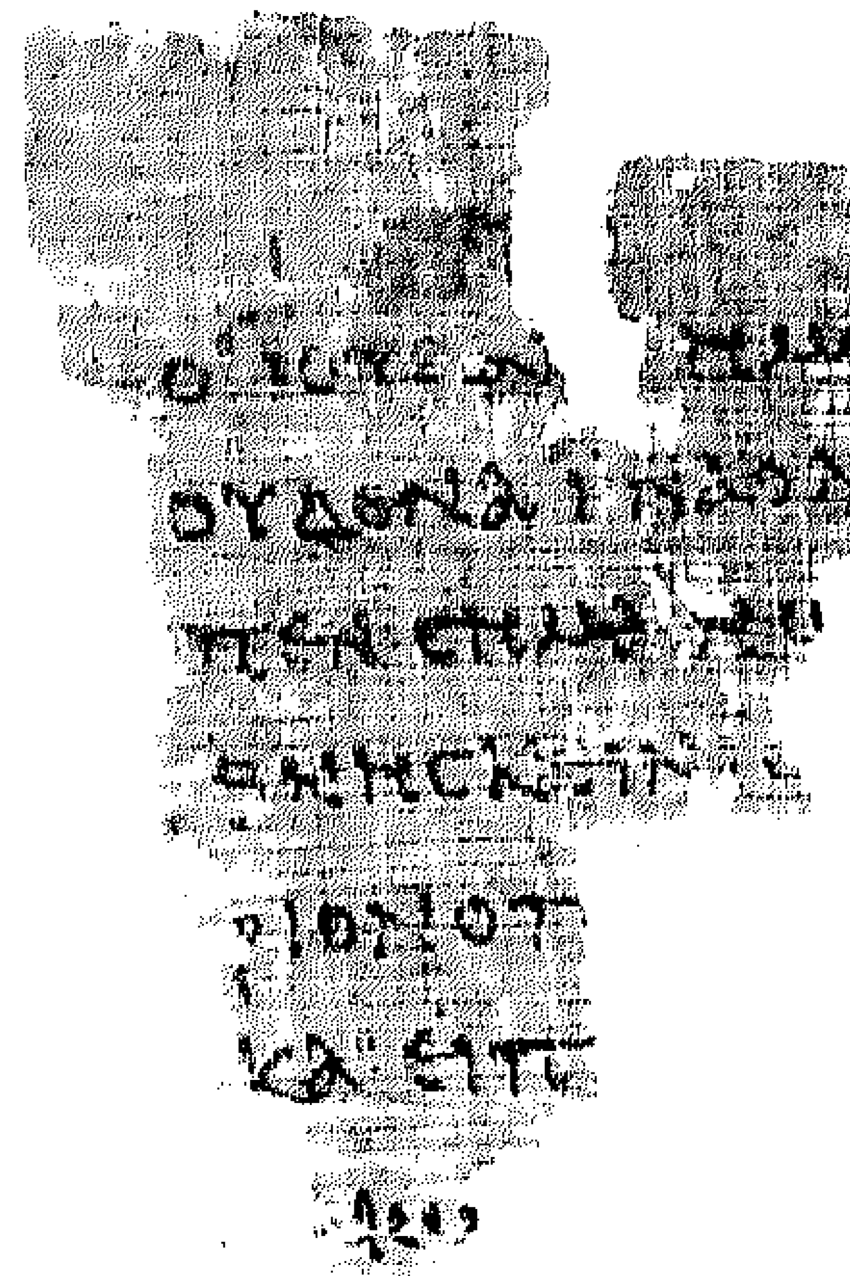
● فقد كتب يقول : "إن الكنيسة الأولى لم تبذل أية محاولة للتمييز بين الأقوال التي قالها يسوع كإنسان، وتلك التي قالها الرب

المقام بواسطة نبي في المجتمع، أو بين تعليم يسوع الأساسي والفهم الجديد وإعادة الصياغة بالنسبة لذلك التعليم الذي تم التوصل إليه في ....الكنيسة تحت إرشاد رب الكنيسة.

ونقطة البداية لهذه الحجة تتمثل في حقيقة أن المسيحيين الأولين اعتقدوا بكل وضوح أن يسوع المقام كان حاضراً وعاملاً بين أتباعه في الكنيسة. وهو بالطبع لم يعد بعد حاضراً بالجسد، ومن ثم لا يمكن توصيل كلمته للمسيحيين إلا بطريقة غير مباشرة.

هناك مثال عن كيفية إمكان حدوث ذلك، يقال إنه وُجد في الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر الرؤية. حيث نجد أن النبي





قصاصة قديمة جداً من إنجيل يوحنا يعود تاريخها إلى عام ١٣٠م.تقريباً.

المسيحي يوحنا يقوم بتسليم رسائل من المسيح السمائي إلى سبع كنائس في أسيا الصغرى، كذلك يذكر بولس أنبياء يعملون في الكنيسة (١كو١٢: ٢٧-٣١)، وكثيراً ما قيل إن عملهم الرئيسي كان إصدار "أقوال ليسوع" لمواجهة حاجة معينة في حياة الكنيسة.

وعلى الرغم من أن هذه الحجة لاقت قبولاً على نطاق واسع لدى باحثي العهد الجديد، إلا أنها مشكوك فيها إلى حد كبير. ويمكن أن تقدم ضدها عدد من الاعتراضات الخطيرة. **أولاً** : قامت على دليل مشكوك فيه. وعلى الرغم من أنه كثيراً ما كان يُقال بثقة إن دور النبي المسيحي هو أن يخترع أقوالاً عن يسوع، إلا أنه لا يتوافر لدينا في الحقيقة دليل حقيقي لكي نبين ما الذي كان الأنبياء يعملونه في الكنيسة الأولى. فالرسائل إلى الكنائس السبع في سفر الرؤيا كانت خارج الموضوع تماماً، لأنه تم عمل فرق واضح هناك بين اختبار وأقوال كاتب السفر ورسالة المسيح المقام. وعلى أية حال فقد ادّعى أنه تلقاها في رؤية، وليس بمقدورنا القول بأنه اختلقها إلا إذا طرحنا الافتراض الآخر المشكوك فيه وهو أن الرؤى لا يمكن أن تحدث. والدليل الصريح الوحيد في العهد الجديد عن عمل هؤلاء الأنبياء نجده في (أع١٣: ١-٣) حيث يصدرون تعليمات بخصوص العمل المرسلي لبولس وبرنابا. وحتى هذه التعليمات لم تعط باسم يسوع، بل بسلطان الروح القدس. والدليل من هذه النوعية يعد دليلاً ضعيفاً حتى إنه لا يعطينا سوى إشارة واهية إلى عمل الأنبياء على نحو من الدقة في حياة الكنيسة.

ثانياً : القول بأن الأنبياء لهم الحرية في

اختلاق "أقوال ليسوع" يفترض أيضاً أن المسيحيين الأوائل لم يفرّقوا بشكل واضح بين تعليم يسوع وتعليمهم. ولكن هذا أمر بعيد تماماً عن الصحة. ومما يبدو متناقضاً، أن دليلنا على هذا واضح للغاية في كتابات بولس، ولهذا السبب كان ملفتاً للنظر بشكل متزايد. لأنه، من بين كل كتبة العهد الجديد نجد بولس بالذات هو الذي كثيراً ما يُتهم بأنه يتساهل في تعاليم يسوع. ثم إنه ادّعى أيضاً وأكثر من مرة أنه يتمتع بمواهب الله الخاصة بدرجة أعظم من كل معاصريه (١كو١٤: ١٨-١٩، ٢كو١٢: ١-١٠) وهاتان الحقيقتان وحدهما تجعلانه مرشّحاً مثالياً لأن يكون مورّداً لأقوال يسوع. ولنا أن نتوقع أن تكون رسائله عامرة بمثل هذه الأقوال التي صنعها بنفسه بإلهام من الروح القدس من أجل تقديم النصح لقرّائه. غير أننا في واقع الأمر نجد النقيض من ذلك. فعلى سبيل المثال، في (١كو٧) يخرج عن نهجه ليميز بين آرائه هو وبين تعاليم يسوع.

ثالثاً : توجد مشكلة أخرى بالنسبة لافتراض أن الكنيسة الأولى كانت تختلق كثيراً من أقوال يسوع، وهي أن هذا افتراض يفتقر إلى المنطق. و"الدليل" الوحيد على أن الأنبياء كانوا يصيغون مثل هذه الأقوال يتمثل في فكرة أن تقاليد الإنجيل كان لها أصلها في الكنيسة الأولى وليس في خدمة يسوع. وهناك إطار حياة مفترض تم تخيله بالنسبة للأناجيل، تم تفسير الأناجيل على ضوءه.

وهذه عملية مشكوك فيها للغاية، وليس إلا حلقة مفرغة دون أن يكون لها أي دليل خارجي. وليس ما يدعو للدهشة أنه حتى على هذا الأساس يمكن القول إن الأناجيل ما هي إلا نتاج تخيل تقي للكنيسة الأولى، وُضع فيها الدليل بعد بداية البحث.

● أما السبب الثاني لشكوك البروفسور بيرين فله أساس أقوى. فهو يؤكد ــ وعن صواب تام ــ أن القصد الأساسي من الأناجيل لم يكن تقديم معلومات تاريخية أو سيرة ذاتية ليسوع، بل بنيان قرّائها. وكل شيء في الأناجيل يخدم غرضاً معيناً في حياة الكنيسة. ولكنه يستطرد قائلاً إن هذه الحقيقة في حد ذاتها تستبعد احتمال أن الأناجيل تضم ذكريات تاريخية ليسوع، على هذا النحو الذي كان عليه حقاً. وهذه حجة أخرى كثيراً ما يراد تأكيدها، إلا أنه نادراً ما تلقى التأييد.

ومع ذلك، لا يوجد على الإطلاق سبب منطقي، فما الداعي أن قصة أو جزءاً من تعليم يبلغ رسالة عملية أو لاهوتية أن يُوصف بالزيف من الناحية التاريخية. فعلى سبيل المثال، كثيراً ما أُلقيت عظات على قول بولس إنه في المسيح "ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد .." (غل٣: ٢٨). ولا شك أن عظات كثيرة أُلقيت حول هذا الموضوع، حيث نسبناها إلى مشاكلنا المعاصرة المتعلقة بالظلم وعدم المساواة. ومن

المؤكد أنها مناسبة تماماً لهذه الموضوعات. إلا أن حقيقة أنني ألقي عظة تقوم على هذا النص، وأنسبها إلى مشاكل القرن العشرين لن تؤدي عادة بالناس إلى القول إنني وضعت الأقوال بنفسي، وإن بولس الرسول لم يكتب إطلاقاً الرسالة إلى أهل غلاطية، أو إنه حتى لم يكن له وجود على الإطلاق. ذلك سيكون أمراً سخيفاً. ومع ذلك فإن هذا هو بالضبط من نوعية المبررات التي يطبقها بعض الباحثين على الأناجيل حين يحاجون بالقول إنه بالنظر إلى أن محتوياتها تناسب الحياة في منتصف القرن الأول، فقد لا يكون لها أي سياق تاريخي في حياة يسوع نفسه. إنها ببساطة تأكيد ليس له أي معنى.

مدخل لفهم الأناجيل

كثيرون من الباحثين يرون أن شكوك بولتمان وأتباعه غير مقبولة على الإطلاق . وهم عوضاً عن هذه الشكوك ينادون بأنه يوجد عدد من الأسباب القوية للبدء من الافتراض القائل بأن الأناجيل يعول عليها، وليس العكس، من ناحية اعتبارها سجلات تصف يسوع بالشكل الذي كان عليه فعلاً . وهناك عدد من الحجج الهامة تشير إلى هذا الاتجاه .

• إذ نبدأ على المستوى العام، يتعين علينا ألا ننسى أن الكتبة القدامى لم يكونوا على وجه الإجمال حمقى أو مخادعين . فكثيرون من لاهوتيي العصر الحديث (ولو أنهم ليسوا مؤرخين) يتحدثون باستخفاف عن مؤرخي العالم الروماني حتى إنه كثيراً ما يتولد لدينا الانطباع بأن مفهوم كتابة التاريخ على نحو صحيح لم يكن معروفاً لهم على الإطلاق . وإنها الحقيقة بالطبع أن المؤرخ في العصر القديم لم يكن تتوافر له كل الوسائل المساعدة الحديثة التي تتوافر لنا في أيامنا هذه . ولكن هذا ليس معناه القول ببساطة إنه اختلق قصصه . فكل من المؤرخين اللاتين واليونان كانت لديهم معايير عالية، وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا دائماً يلتزمون بها، إلا أنه من المؤكد أن ذلك لم يكن سببه الافتقار إلى المحاولة . والمبادئ التي حددها أناس مثل لوسيان وثوسيديدس Lucian and Thucydides توضح لنا تماماً أنهم كانوا يعملون في إطار خطوط إرشادية لايزال معمولاً بها حتى يومنا هذا .

وأي شيء آخر قد يقال عن الناس الذين كتبوا الأناجيل، فمن الواضح أنهم كانوا يعتقدون أنهم كانوا يعملون في إطار هذه النوعية من التقليد التاريخي. ولوقا يقول بوضوح إنه تخير كل مصادر معلوماته، وإنه كتب بحرص قصته على هذا الأساس . وبالنظر إلى أن كتبة الأناجيل المتشابهة الآخرين استعملوا أسلوباً مماثلاً تقريباً في التعامل مع مصادرهم ، فإنه من الطبيعي افتراض أنهم عملوا أيضاً على نفس هذه الأسس . ومن المؤكد أنهم جميعاً كانوا يعتقدون أنهم يقدمون معلومات حقيقية عن شخص كان يعيش بالفعل وبالطريقة التي وصفوها . ولم يكونوا يدرون أنهم يكتبون عن أقوال صدرت عن معاصريهم ونسبوها ليسوع . لقد اعتقدوا أن ربهم المقام كان بالفعل معلماً يهودياً من الجليل، وأنه كمعلم متجول فقد عاش وتكلم كما صوروه .

• وهذه الحجة ليست بالطبع قوية جداً في حد ذاتها، لأن الإنجيليين ربما كانوا قد أخطأوا أو غُرر بهم، ولكنها تكتسب قوة مضافة كبيرة حين نكتشف أن تفاصيل قصصهم تعطي بالفعل صورة صادقة للحياة في فلسطين في الوقت الذي قالوا إنهم كتبوا فيه . وحين نتذكر أنهم جميعاً كتبوا باللغة اليونانية لقراء من غير اليهود تقريباً، وأن اثنين منهم على الأقل لم يكونوا عائشين في فلسطين حين كتبا، فإن هذا يبدو أمراً رائعاً . وفي نقطة تلو أخرى نكتشف أن خلفية الإنجيل صادقة وحقيقية . وفضلاً عن ذلك، ففي المواضع التي ساد الاعتقاد ذات مرة، أن ما سجلوه فيها جانبه الصواب (كما في حالة إنجيل يوحنا)، فإن الاكتشافات التالية لمعلومات جديدة كثيراً ما بينت أن الأناجيل تحتفظ بكتابات يعول عليها لعدد من التفاصيل الجغرافية والاجتماعية الهامة .

• أرجعت أصول الأناجيل إلى سياق وقرينة يهودية بعمل اثنين من المفكرين الاسكندنافيين هما : هيرالد ريزنفلد Harold Riesenfeld وتلميذه بريجر جيرهاردسون Birger Gerhardsson . فقد عرض جيرهاردسون الرأي القائل إن تعليم يسوع كان مماثلاً جداً في الشكل لتعليم معلمي اليهود، وفي تحليل مطول

لوسائل تعليمهم بيّن كيف أنهم يبذلون كل جهد للتأكد من أنه قد تم حفظها جيداً أو أنها انتقلت شفاهة إلى أتباعهم . ويقول جيرهاردسون Gerhardsson إن يسوع تبنّى نفس هذه الطرق، وإنه صاغ تعنيمه على أساس أن يحفظها تلاميذه عن ظهر قلب حتى يستطيعوا أن يسلموها لأتباعهم بنفس صيغة الاستظهار السهلة هذه . وقيل إن تعليم يسوع سُلّم بهذه الطريقة "ككلمة مقدسة" في الكنيسة الأولى ، وأن الأناجيل ما هى إلا كتابة التقاليد التى تعود إلى يسوع نفسه .

ومع ذلك، لا يتوافر لدينا دليل على أن المسيحيين الأوائل اعتبروا أنفسهم ناقلي التقليد . فقد كانوا كارزي الأخبار السارة، شارحين كيف أن حياة يسوع ورسالته تناسب احتياجات جيلهم . ولدينا الشهادة التي أجمعت عليها الأناجيل، بأن يسوع كان مختلفاً تماماً عن معلمي اليهود . وكان يعلم "كمن له سلطان"، ولم يقم ببساطة بتسليم أقوال محفوظة عن ظهر قلب من مجموعة من التلاميذ إلى مجموعة أخرى .

مرقس ١ : ٢٢



كان الكتاب المقدس موضع فحص دقيق على مدى القرنين الماضيين. ومجموعة الأشخاص هذه نظمت ترجمة الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية NIV وقد استغرق عمله اثنى عشر سنة.

ومع ذلك، وعلى الرغم من أن ما ادّعاه ريزنفلد وجيرهاردسون قد يكون مبالغاً فيه، إلا أنهما قاما بتذكيرنا أن تعليم يسوع أُعطى في سياق وقرينة يهودية، وفي ظل هذا فإنه تعليم قائد صاحب سلطان كان يُعامل باحترام عظيم.

وحتى لو لم يكن التلاميذ الأوائل قد تعلموا تعاليم يسوع بحفظها عن ظهر قلب، فمن المؤكد أنهم كانوا يقدرونها حق قدرها .

وهناك أيضاً دليل كاف على حفظ القصص شفاهة، وبطرق يُعتمد عليها على نطاق العالم الهليني كله . لنأخذ مثلاً : حياة أبولونيوس التياني Apollonuis of Tyana، والتي سبق أن ذكرناها في فصل سابق .كان أبولونيوس هذا من معاصري يسوع، مع أنه عمّر طويلاً ومات قرب نهاية القرن الأول . ومع ذلك، فإن قصة حياته لم تتم كتابتها حتى بداية القرن الثالث . ومع أن الكاتب جمع قصص حياته من عدد من المصادر المختلفة، ومع أنه لم يكن كاتب سيرة غير متحيز، فإن عدداً قليلاً جداً من المؤرخين القدامى هم الذين ستتولد لديهم شكوك خطيرة عن الخطوط الرئيسية لقصته . وبالنسبة للأناجيل، فنحن نتعامل مع مصادر كتبت بعد الأحداث التي تتناولها بفترة قصيرة . وبالنسبة لمعظم الناس العاديين سيبدو أمراً سخيفاً أن يفترض أن أحداثاً كهذه لا فائدة منها من ناحية معرفة شيء ما عن يسوع نفسه .

• وطبقاً لما يقول المفكر الألماني يواقيم جرمياس فإن الأناجيل تجعلنا حقا على اتصال وثيق بيسوع بالشكل الذي كان عليه بالفعل . وقد فحص جيرمياس النواحي اللغوية وقواعدها بحسب ما وردت في الإنجيل، ويقول بأننا نستطيع أن نسمع صوت يسوع الحقيقي فيها .

مر٥: ٤١ وبين آونة وأخرى نصادف كلمات آرامية حقيقية، حتى في النص اليوناني
مت٢٧: ٤٦، يو١٩: ١٣ للأناجيل . وفي حالات أخرى كثيرة توجد فقرات نجد أن تراكيب لغوية آرامية قد استُعملت في كتابة الأناجيل باللغة اليونانية . كما يحدد جيرمياس أيضاً عدداً من طرق الكلام يقول إن يسوع بصفة خاصة كان يستعملها . وكثير من تعليمه تم كتابته في صيغة الشعر الآرامي، ويمكن التعرف على ذلك حتى في الترجمة الإنجليزية . وفي نقاط أخرى، كما سبق لنا القول، توضح أنه حين

الأناجيل، بل ومعظم الكتاب المقدس، تمت ترجمته إلى لغات كثيرة. وبعض اللغات القبلية كان يجب أن يتم إعادة صياغتها قبل البدء في الترجمة.

تترجم الأقوال المنسوبة إلى يسوع ثانية إلى اللغة الآرامية، فإنها غالباً ما تأخذ صيغة سامية نمطية، بل وتبين أساليب الجناس والسجع، والتي لا يمكن أن تكون لها معنى إلا في اللغة الآرامية فقط . ثم إن هناك الأمثال، والتي تختلف تماماً عن تعليم معلمي اليهود، واستخدام يسوع الخاص لكلمات مثل أبا (في عبارة أبا الآب) وآمين .



ومثل هذه السمات لا تثبت فى حد ذاتها أن تقاليد الإنجيل ترجع إلى يسوع . وإذا حددنا كلامنا بدقة نقول إن أقصى ما تستطيع أن تظهره هو أنها ترجع إلى صيغة أمكن بواسطتها أن تُحفظ بواسطة المسيحيين الفلسطينيين الذين

كانوا يتكلمون اللغة الآرامية ، إلا أننا حين نعود إلى ذلك السياق ، فإننا نعود أيضاً إلى فترة تأتي بعد أحداث حياة يسوع ، وموته وقيامته بوقت قصير . وفى ذلك الحين لابد وأنه كان كثيرون من شهود العيان لا يزالون على قيد الحياة لكى يدحضوا أية أقوال تكون قد جاءت من محض الخيال .

وعلى هذا فإن هذه الأحداث تؤيد صحة روايات الإنجيل عن تعليم يسوع، وجيرمياس على سبيل المثال لم يكن يساوره شك فى أنها تضع عبء الإثبات على عاتق هؤلاء الذين يشككون في صحتها. في التقليد الخاص بالأناجيل المتشابهة، يكون المطلوب هو إثبات عدم صحة أقوال يسوع وليس صحتها .

• وثمة اعتبار آخر يعطينا ثقة في قبول الأناجيل على أنها بصفة عامة سجلات صحيحة عن حياة يسوع وتعليمه، يتمثل في حقيقة أنها مختلفة عما نعرفه عن حياة واهتمامات الكنائس الأولى غير اليهودية . ومن الخطأ تصور أنه بالنظر إلى أن الأناجيل قد كُتبت لخدمة احتياجات الكنائس، فهي لا تزيد عن كونها مرآة تعكس حياة الكنيسة الأولى . فبقية العهد الجديد تبين أنه كانت للكنيسة احتياجات لم تظهر - ولو من بعيد - في الأناجيل .

فمثلاً، لا يوجد تعليم حقيقي عن الكنيسة نفسها في الأناجيل . فهناك ثغرة واضحة للغاية حتى إننا نجد لزاماً علينا أن نسأل في أصحاح من الأصحاحات الأولى ما إذا كان يسوع مهتماً على الإطلاق بتأسيس الكنيسة . ولقد قيل في هذا الخصوص إن ظهور الكنيسة لم يكن بأى حال متعارضاً مع تعليم يسوع، غير أننا لا زلنا في حاجة إلى الاعتراف أنه لا يوجد في الواقع أي إرشاد محدد بالنسبة لهذا الموضوع في الأناجيل . وحتى المعمودية، والتي سرعان ما أصبحت طقساً لدخول الشركة المسيحية، لم يذكرها يسوع مطلقاً باستثناء حالة واحدة بعينها . ويسوع نفسه لم يعمد أحداً، بل ولم يتخذ من المعمودية جزءاً رئيسياً من تعليمه . ومع ذلك فإن هذا كان موضوعاً له أهميته البالغة بالنسبة للكنيسة الأولى . وإذا كانوا حقاً قد دأبوا على اختلاق أقوال ليسوع لمواجهة

مت٢٨: ١٩

احتياجاتهم، فمن المؤكد أنهم فقدوا هنا فرصة هامة .

ونجد نفس الافتقار إلى توجيه صريح بالنسبة لموضوعات هامة أخرى . فعلى سبيل المثال، نجد أن موضوع اليهود وغير اليهود لم تتعرض له الأناجيل في واقع الأمر، على الرغم من معرفتنا من بقية العهد الجديد الذي سرعان ما أصبح أحد الموضوعات الهامة على الإطلاق .

وفي مواضيع أخرى، نجد أن الأناجيل تشدد على أمر يختلف تماماً عما يشدد عليه بقية العهد الجديد . فمصطلح "ابن الإنسان" على سبيل المثال، أكثر الأسماء المستعملة بالنسبة ليسوع في الأناجيل، لكنه بالكاد يظهر في أي موضع آخر . وهكذا أيضاً مصطلح "ملكوت الله" الذي كان يشكل جوهر تعليم يسوع، بالكاد نجد له ذكراً في بقية العهد الجديد .

والحقيقة هي أنه إذا حاولنا أن نعيد تركيب وضع حياة الكنيسة في الأناجيل، فلن نصل إطلاقاً إلى نوعية الصورة التي نعرف أنها حقيقية من رسائل العهد الجديد . لأنه توجد سمات عديدة جداً في قصص الإنجيل عن يسوع تختلف اختلافاً بيناً عن حياة واهتمامات الكنيسة الأولى .

وعلى هدى حقائق كهذه، يبدو من المعقول أن نستنتج أن هناك أسباباً قوية لافتراض أن الأناجيل تحتفظ بذكريات صادقة عن يسوع بالشكل الذي كان عليه فعلاً . وبالطابع كله الذي تقدمه صورتهم ليسوع جاء على نحو نحتاج معه إلى حجج قوية ومنطقية لنبين أنهم كانوا مخطئين بصفة جوهرية .

وهذا الافتراض لا يعني بالطبع أنه يمكننا أن نتبنى موقفاً ساذجاً لا يتفق مع قواعد النقد النزيه . و لم يكن الإنجيليون مجرد مسجلين للتقليد، بل كانوا مفسرين للحقائق التي سُلّمت لهم، ونحن في حاجة إلى أن نفحص عملهم بحرص لنتفهم الطبيعة الصحيحة لما كانوا يعملونه . إلا أنه مما يعطينا ثقة بالفعل هو اعتقادنا أن التقليد الذي فسّروه لقرائهم الأوائل كان تقليداً أصيلاً، وأنهم بصفة

عامة حفظوا لنا قصّة حقيقية عن حياة يسوع وتعليمه . أما من ناحية ما إذا كانوا قد فعلوا هذا في أمثلة معينة، فهذا ما يجب بالطبع تحديده عن طريق فحص أجزاء معينة من عملهم من الناحيتين الأدبية والتاريخية .

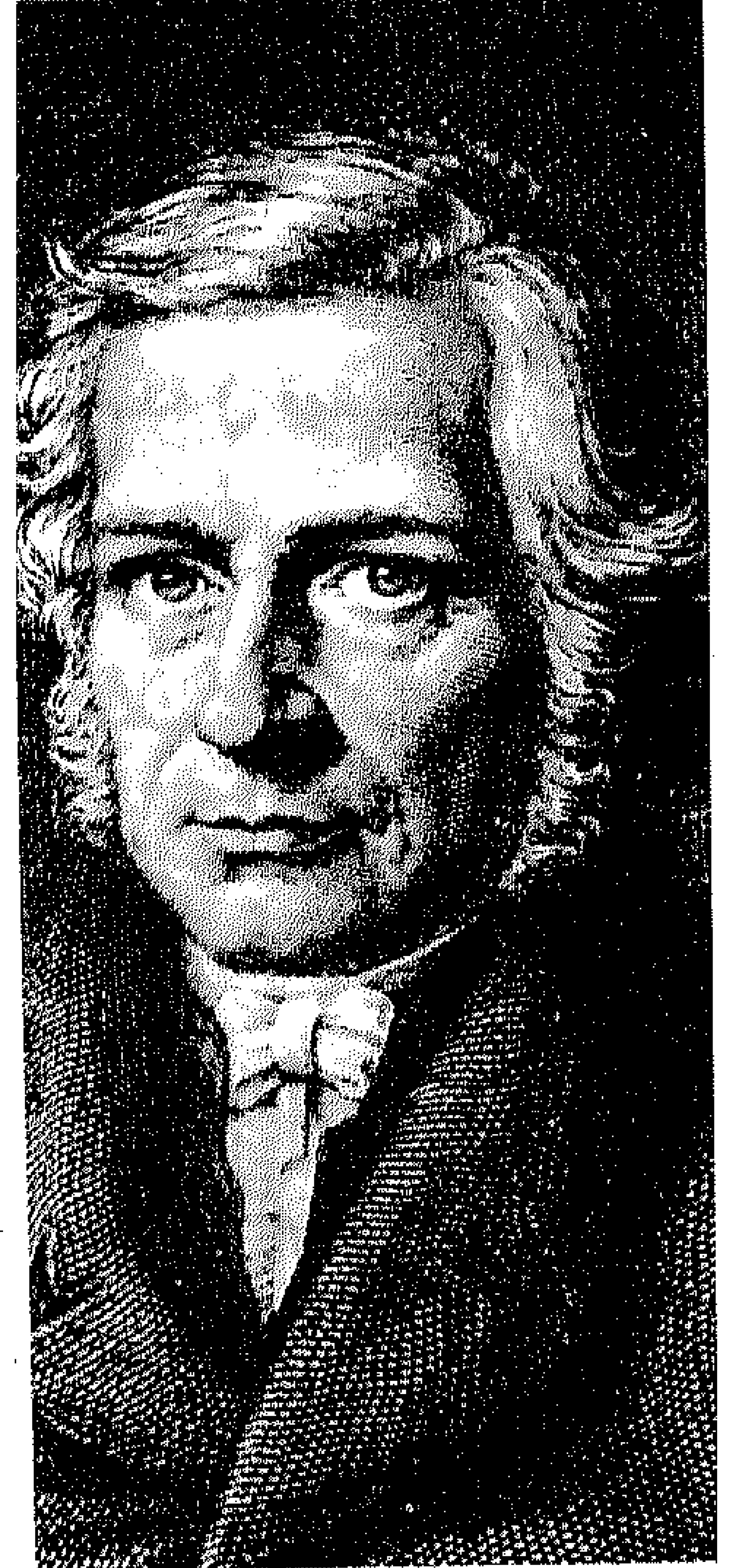
الإعلان الإلهي والتاريخ

على ضوء كثير من الأسباب التي حملتنا على افتراض أصالة الأناجيل كسجلات لتعليم يسوع، فقد تأخذنا الدهشة تماماً أن مفكرين كثيرين جداً قد اتخذوا موقفاً سلبياً تجاهها . وثمة سبب جوهري لهذا من المؤكد أن نجده ليس في تناولهم للأناجيل ذاتها من الناحيتين التاريخية والأدبية، بقدر ما نجده في فهمهم الكلي لموضوع الإعلان الإلهي بجملته ومعرفة الله .

وحتى نفهم هذا، نحن في حاجة للرجوع إلى ما كتبه فريدريك شيلرميكر Friedrich Schleiermacher (١٧٦٨-١٨٣٤) والذي يطلق عليه "أبو الفكر اللاهوتي الحديث". وفي محاولته مواجهة حركة التنوير الأوروبية، قال شيلرميكر إنه إذا كان للاعتقاد الديني أن يحتفظ بأية مصداقية بالنسبة للشعوب الغربية في العصر الحديث، فلسوف يتطلب الأمر أن يُبعد تماماً عن نطاق البحث العقلاني، لأن العلم التاريخي في أيامنا هذه متشكك تماماً في كل ما يتعلق بفكرة أن الله يستطيع أن يجعل نفسه معروفاً في التاريخ من خلال نوعية الأحداث التي سجلها الكتاب المقدس .

ولذلك استهدف شيلرميكر إنقاذ المعتقد الديني مما شعر بأنه سيكون سبب خنقه لا محالة في جو التشكك هذا . وقد نادى بأن جوهر الإيمان مختلف بالكلية عن جوهر النواحي الأخلاقية التي توجه الجانب العملي في الحياة، أو العلم الذي يهتم بعمليات التفكير العقلاني، وقال إن الإيمان هو شعور خالص، وهذا معناه أن الاعتقاد الديني الذي يمكن أن يكون صحيحاً يجب أن يكون بمعزل عن أي شيء يمكن تفسيره علمياً .

وقام مفكرون في وقت لاحق بتحدي هذه الفكرة وتعديلها في نقاط كثيرة. إلا أن تمييز شيلرميكر بوجه عام بين الديانة والأدلة العقلية كان أمرًا حاسماً للتطور اللاحق في الفكر اللاهوتي في كثير من أنحاء العالم الغربي . وفي دراسة الأناجيل تم التعبير عن ذلك بقبول مبدأين أساسيين يسيطران على تفكير الكثيرين من المفكرين .



فريدريك شيلرميكر Friedrih Schleiermacher(١٧٦٨-١٨٣٤) المفكر الألماني، والذي كان يُطلق عليه "أبو المدرسة اللاهوتية الحديثة".

• **اعلان الله والتاريخ** : يوجد لاهوتيون كثيرون وخاصة أولئك الذين هم على شاكلة بولتمان، ممن يتبنون التقليد اللوثري، يعتقدون أن الكون هو نظام مغلق، يعمل على أساس "نواميس طبيعية" صارمة لا يمكن كسرها . وهذا الاعتقاد إذا وصل إلى نتيجته المنطقية، فمعناه أنه من المستحيل أن توفّق أي نوع من الأحداث المعجزية أو الفريدة في مفهومنا عن التاريخ . وإذا كانت أعمال العالم يمكن التنبؤ بها كلها، فهنا وبالتحديد، لا يمكن وقوع ما لا يمكن التنبؤ به. ولذا فإنه بناء على هذا الرأي فلا مفر أن يُنظر إلى الأناجيل على أنها شيء غير التاريخ، لأنها تتضمن بالفعل قصصاً عن عدد من الأحداث الفريدة التي يبدو أنها انتهكت "نواميس الطبيعة" كما هي معروفة لنا .

وهناك حجج عديدة يمكن طرحها ضد مثل هذه النوعية من الآراء المتعلقة بالعالم وأحداثه، ويمكن القول إن هذا أمر عفا عليه الزمن . ومن المثير أن نلاحظ أنه عند هذه النقطة، نجد أن افتراضات بعض الفلاسفة واللاهوتيين أقل مرونة من آراء كثيرين من علماء العصر الحاضر . وعلى سبيل المثال فإن الاكتشافات التي توصل إليها علماء الطبيعيات في القرن العشرين، أوضحت في نقاط كثيرة مدى غموض المفهوم الذى ينظر إلى الكون على أنه نظام مغلق، وهناك علماء كثيرون يدركون الآن أن أعماله تتضمن أكثر من مجرد عملية آلية لقوانين العلة والمعلول .

ثم إنه، من وجهة نظر أخرى، فالاعتقاد بأن الكون نظام مغلق يمكن بسهولة أن يصبح وسيلة لتفادي الحاجة إلى اتخاذ الدليل الفعلي المستمد من

التاريخ بمأخذ الجد . فإذا سمحنا لأنفسنا أن نتأمل المضامين الكاملة لروايات الإنجيل، أو في الواقع، في التاريخ ككل، علينا من حيث المبدأ أن نكون مستعدين أن نعمل في ظل تحديد أرحب للتاريخ والحقيقة أكثر مما يسمح به كثيرون من لاهوتي العصر الحديث . فالقول بأن الأحداث الاستثنائية لا يمكن أن تقع، أو أنه لا يوجد ما هو خارق للطبيعة، لا يُعد إجابة من أي نوع للأسئلة التي طرحها التاريخ . فهذا معناه الاحتياج لأسئلة أكبر وأكثر أهمية .

• **الحقائق والإيمان** : وهناك افتراض آخر كثيراً ما يطرحه اللاهوتيون وهو أنه ليس ثمة ارتباط بين الحقائق والإيمان، وأن العقيدة الدينية لا يمكن أن تقوم على حقائق التاريخ . وثمة مشكلة تواجه المسيحية عند هذه النقطة.. لأنه أياً كان ما نقوله عن الإيمان المسيحي، فإنه بشكل ما مرتبط بيسوع الذي عاش ومات في القرن الأول في فلسطين . ولذلك، فإنه من جانب، لابد أن يكون إيماناً "تاريخياً" ولكن ما الذي نعنيه حين نقول هذا ؟ .

حين نتحدث عن "التاريخ" أو "الأحداث التاريخية"، فمن الممكن أن نعني أمرين: فمن ناحية، "التاريخ" يمكن أن يعني "الماضي" . فهو ما وقع في مناسبة معينة . وهو ما يمكن أن نكون قد رأيناه بعيوننا وسمعناه بآذاننا لو كنا نحن هناك. وهذه هي نوعية "التاريخ" الذي كان العقلانيون في القرن التاسع عشر يحاولون اكتشافه في بحثهم عن يسوع التاريخي، إلا أنه بوسعنا أيضاً أن نستخدم كلمة "تاريخ" لنعني بها الإشارة إلى الماضي، ما يمكن أن يُطلق عليه "تاريخ – كقصة" وليس "تاريخًا – كحقيقة" . ففي إحدى الحالتين نحن نتعامل مع الأمور الفعلية التي حدثت، وليس شيئًا آخر . وفي الحالة الأخرى، نتأمل الأحداث في نطاقها الصحيح وفي ضوء مغزاها الأساسي بالنسبة لوجودنا .

تمسك عدد من اللاهوتيين الألمان بهذا الفرق التقني، كوسيلة للفصل بين يسوع الذي هو موضوع الإيمان المسيحي (الرب المقام) عن يسوع التاريخي . وقد استعملوا كلمتين ألمانيتين مختلفتين لوصف نوعيتي التاريخ . فاستخدموا

كلمة "Historie" للإشارة إلى "التاريخ كحقيقة" وكلمة "Geschichte" للإشارة إلى "التاريخ كقصة" . ويقولون إن النوع الثاني هو الذي يهم الإيمان المسيحي حقاً . إن مغزى التاريخ من ناحية تأثيره فينا هو الذي يهم، وليس التاريخ نفسه. وهذا معناه أن معرفة يسوع نفسه كشخص تاريخي لا علاقة له بالإيمان.

وهذه النوعية من التأكيد لا تكفي إطلاقاً، سواء كقول عن الفكر اللاهوتي بصفة عامة، أو كتصريح عن قصص الإنجيل التي تتناول حياة يسوع وتعليمه . والفرق الحاد الذي اصطُنع بين التاريخ كحقيقة، والتاريخ كقصة، قام على أساس سوء فهم للطبيعة الأصيلة للتاريخ كحقيقة، والتاريخ كقصة . لأن الناحيتين مرتبطتان بعضهما ببعض برباط وثيق للغاية، ومن المستحيل أن نفكر في أحدهما دون أن نفترض الآخر أيضاً . وما من أحد يكتب إطلاقاً التاريخ كقصة ما لم يكن مقتنعاً بأن شيئاً ما قد حدث فعلاً وله من الأهمية ما يكفي لأن يستحق الكتابة عنه . وعلى مثال ذلك، بمقدورنا الوصول إلى "ما حدث فعلاً" من خلال القصص والسجلات التي تتحدث عن ذلك في سياقها وفي مغزاها الشامل دون الحاجة إلى أي شئ آخر .

ولذلك فإنه من الناحية المنطقية فإنه لا مفر من أنه حين نتحدث عن "التاريخ"، سواء بصفة عامة أو في علاقته بالعهد الجديد، فإنه يتعين علينا أن نضمن شيئاً من كلا المعنيين . ثم إنه من المرغوب تماماً أن نفعل ذلك أيضاً . وإذا حصرنا انتباهنا في معنى التاريخ فلسوف نكون في موقف مشكوك فيه تماماً، لأنه إذا لم يقع حدث ما فعلاً، فأي تفسير نقيمه على أساسه لابد وأن يكون بعيداً تماماً عن أي معنى . وعلى سبيل المثال، سيكون من الحماقة أن أقنع نفسي أن يسوع مات من أجل خطيتي، إذا لم يكن – كحقيقة تاريخية – قد مات على الإطلاق . وإذا ما قلت إن الإيمان مهم، والحقائق ليست هامة فلسوف تكون ساذجاً . فذلك يقودك بعيداً عن الموضوعية، ويشكل عقيدة دينية وهمية غير منطقية .

وكتبة العهد الجديد لم يكونوا يجهلون هذه الأسئلة، وقد قدموا إجاباتهم عليها . وفي قصة بولس الهامة عن قيامة يسوع ومغزاها، أكد وبقوة على أهمية الحقائق كعنصر لا غنى عنه في إيمانه المسيحي . وعلى الرغم من أنه هو نفسه أصبح مسيحياً نتيجة لقاء مباشر بالمسيح المقام، إلا أنه يضع فكره اللاهوتي بثبات و قوة في سياق حدث تاريخي اعتقد أنه يمكن إثباته بالطريقة العادية بواسطة تقارير الشهود . و لم يتردد إطلاقاً في القول إنه إذا كان الشهود على
١كو١٥:١٧ خطأ، وإنه "إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم ....." .

والقصص المختلفة للكرازة المسيحية الأولى تؤكد أيضاً أن التاريخ مهم، والكثير من الكرازة "Kerygma" كما وصفها "دود "Dodd"ما هي إلا سرد لحقائق عن يسوع . فالمسيح الذي يقابلنا في العهد الجديد، وكشخص سام في الأناجيل، ليس شبحاً أو خيالاً ليس له أهمية إلا في مغزاه . فهو شخص حقيقي يمكن أن يناسب عالمنا لأنه عاش بالفعل فيه .

لكن الأخبار السارة لا تتطلب منا أن نصبح مؤرخين قدامى لكي نكون مسيحيين . والحقائق تتطلب منا أن نعمل، وأن نمارس الإيمان . وإذ كان يسوع قد قام من الأموات، فعلينا أن نواجه المضامين المترتبة على ذلك، الحاجة إلى الخضوع إلى الرب المقام ومتطلباته بالنسبة لحياتنا . ولكن هذا يؤكد لنا أيضاً أن كلاً من متطلباته ومواعيده معقولة وعادلة وحقيقية لأنه يمكن تبريرها من أحداث التاريخ .

وأخيراً نقول، إن يسوع التاريخي لا يمكن إلا أن يكون يسوع الذي آمنت به الكنيسة، لأنه في أحداث حياة وموت وقيامة هذا الشخص، كان الله يعمل، ويكشف لنا عن طبيعته، مصالحاً العالم لنفسه .



على الرغم من أن الأناجيل أثارت الكثير من الأسئلة بالنسبة للمفكرين إلا أن الناس من كل جنس ومن كل جيل، وجدوا فيها مصدراً للإلهام والرجاء.

أقوال ليسوع خارج العهد الجديد

وفي مواضع مختلفة من هذا الكتاب أشرنا إلى تقاليد عن حياة يسوع وتعليمه مما لا تُوجد في العهد الجديد . وثمة عدد من "الأناجيل" التي كُتبت في القرن الثاني تزعم أنها تتحدث عن طفولة يسوع المبكرة . ثم ذكرنا أيضاً مجموعات من أقوال يسوع، مثل "إنجيل توما" . وهناك عدد كبير من هذه التقاليد التي تتحدث عن حياة يسوع معروفة لنا .

هذه المصادر ليست الوحيدة التي تحتوي على معلومات عن يسوع لا نجدها في أناجيل العهد الجديد . وبعض آباء الكنيسة يحتفظون بعدد قليل من القصاصات عن تعليم يقولون إن أول ما أعطاه هو يسوع، وبالطبع نجد أحياناً في أجزاء أخرى من العهد الجديد نفسه إشارات إلى أقوال ليسوع لا تُوجد في الأناجيل . فعلى سبيل المثال، نجد أن بولس الرسول في ختام رسالته إلى شيوخ

كنيسة أفسس يلخص ما قاله على أنه كلمات يسوع الذي قال "مغبوط هو
أع٢٠: ٣٥ العطاء أكثر من الأخذ" . ومع ذلك لا توجد أقوال ليسوع كهذه مسجلة في
أي موضع آخر في الأناجيل .

والمادّة المحفوظة في مصادر القرن الثاني هي من طابع مختلف بشكل ملحوظ. والكثير منها، ولاسيما في قصص الطفولة، من الواضح أنها من الأساطير . وقد كُتبت لتسد الثغرة التي تركتها أناجيل العهد الجديد، لأنها لم تذكر لنا شيئاً على الإطلاق عن طفولة يسوع . وكثير من قصص أناجيل الطفولة الأبوكريفية بعيدة عن الحقيقة، ولا هدف لها، ولا يحتاج الأمر إلا إلى قراءتها حتى ندرك أنها من طابع مختلف تماماً عن قصص العهد الجديد التي يرويها عن يسوع .

ومع ذلك ثارت أسئلة أخرى حول مجموعات أقوال يسوع التي وُجدت في مصادر مثل إنجيلي فيلبس وتوما، أو البرديات العديدة التي اكتشفت في البهنسا في صعيد مصر . ومعظم هذه المستندات كُتبت لأغراض دينوية، وكثير منها جاء من المجموعات الغنوسية المختلفة التي كانت منتشرة في القرن الثاني،وبعده.

و"إنجيل توما" في صيغته الحالية تم وضعه لدعم حياة المجموعات السرية في الكنيسة . والعلماء غير متأكدين ما إذا كانت هذه جماعة غنوسية، أو نوعية أخرى من الجماعات المرتبطة بالمسيحية اليهودية، ولكنهم متفقون من ناحية اعتباره مصدراً أُنتج لتأييد معتقدات شيعة معينة . وكثيراً من أقواله أُخذت من العهد الجديد والبعض الآخر ربما أخذت مباشرة من مصدر غنوسي آخر .

إلا إنه إلى جانب هذا تُوجد أيضاً أقوال أخرى يبدو أنها من مصدر مستقل. فعلى سبيل المثال، القول ٨٢ من إنجيل توما جاء به: "قال يسوع: ذاك الذي بالقرب مني هو قريب من الإلهام، ذاك الذي هو بعيد عني هو بعيد عن الملكوت". وهذا القول بالذات كان معروفاً لأب الكنيسة أوريجانوس (١٨٥-

٢٥٤ م)، وربما تكون هناك إشارات إليه في كتابات بعض المسيحيين الأوائل الآخرين . ومن المؤكد أنه من سمات نوعية أقوال يسوع المسجلة في العهد الجديد، وعلاوة على ذلك، فإنه يتسم بصبغة الشعر الآرامي، والتي هي أيضاً سمة منتظمة من سمات تعليم يسوع في الأناجيل الأربعة .

ويوجد عدد من أقوال كهذه نجدها في كتابات الكنيسة الأولى . فهي لا تتضمن أي تعليم لعقيدة طائفية، وحين تتفق بشكل عام مع تعاليم يسوع الواردة في العهد الجديد، فلا يبدو أنه لا يوجد سبب للشك في أنها تعود إلى تقاليد صحيحة عن يسوع . أما إذا كانت على نفس المثال الذي أوردناه، تحمل صيغة الشعر السامي، فإن هذا يُعد دلالة أخرى على طابعها البدائي. وفي كتابه "أقوال غير معروفة ليسوع" عزل البروفسور جيرمياس عدداً من هذه القصص التي تحوى تعليماً، وعدداً قليلاً من القصص التي قيلت عن يسوع، والتي يعتقد أنها قد تكون ذكريات حقيقية عن حياة وتعليم يسوع نفسه . ولا شك أن البعض منها يحمل علامات صحته . وحقيقة أن هذه المعلومات حُفظت خارج العهد الجديد لا يجب أن تدهشنا . فكاتب إنجيل يوحنا يشير إلى قصص كثيرة عن حياة يسوع وتعاليمه كانت معروفة له، ولكنه لم يستخدمها في إنجيله . يو ٢٠: ٣٠-٣١
ولكن بوسعنا أن نكون على ثقة من أنها لن تكون معروفة على الإطلاق بالنسبة للكنيسة . ولا شك أنه تم تذكّرها، وتم تكرارها، وربما انتهى الأمر ببعض منها إلى أن سُجل في السجلات المختلفة السابق ذكرها هنا .

إلا أنه من الأهمية أن نلاحظ أنه بالمقارنة مع العدد الكبير من التقاليد الأبوكريفية عن يسوع، فإن نسبة ضئيلة فقط، هي التي يمكن وعن حياء الادعاء بصحتها . أما الأغلبية الساحقة من المادة لا قيمة لها على الإطلاق كمصدر تاريخي للمعرفة عن يسوع . وليس من شك أن البروفسور جيرمياس كان مُحقّاً حين يُعلق قائلاً: القيمة الحقيقية للتقليد الموجود خارج الأناجيل تتمثل في أنه يلقى الضوء على القيمة الحقيقية للأناجيل القانونية نفسها . وإذا كنا نود أن

نتعلم عن حياة يسوع ورسالته، فإننا "لن" نجد ما نبغيه إلا في الأناجيل الأربعة القانونية . أما الأقوال الربانّية المفقودة، فقد تدعّم معرفتنا المشتتة هنا وهناك في بعض الأمور الهامّة، ولكنها لا تستطيع أكثر من ذلك .

هــذا الكــتــاب

هو وثيقة هامة، وثمرة جهد شاق لأستاذ معروف متخصص في الدراسات العقائدية، وهو **چون درين**

وهو يقوم بمقارنة الأناجيل وما جاء فيها، ودراسة المراجع التاريخية والجغرافية المزوّدة بالصور والخرائط، والرجوع إلى المخطوطات المهمة. وهذا يتيح للقارىء رؤيةً أوضح لشخص المسيح، وفهماً أدق لتعاليمه واختباراً أعمق لرسالته، لأن دراسة الأناجيل معاً تكوّن صورة متكاملة لكل ما نريد أن نعرفه عن يسوع ورسالته.



١٠١٠٤٧٠٧